(فهرست الجزء السابع من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

صحيفة

صحيفة

(تم فهرست الجزء السابع من تفسير ابن جرير)

(فهرست الجزء السابع من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء السابع من تفسير ابن جرير)

(تم فهرست الجزء السابع من تفسير النيسابوري)

الجـــزء السابع

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن تأليف
الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت
الأئمة على تقدمه في التفسير أبي جعفر
محمد بن جرير الطبري المتوفى
سنة ٣١٠ هجرية رحمه
الله وأثابه رضاه
آمـــين

﴿ وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين
الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره ﴾

« في كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه
« أي الطبري » أجل التفاسير وأعظمها اذ يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على
بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين ، وقال النووي
أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري ، وعن أبي حامد الاسفرايني أنه
قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

﴿ تنبيـــه ﴾

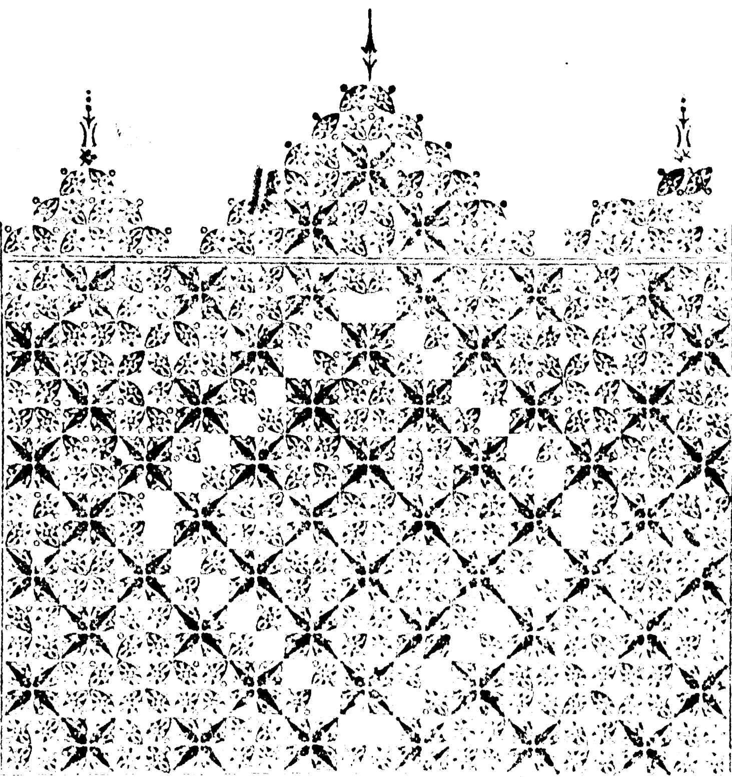
طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة
الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله
حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا وإياهما لما يحبه ويرضاه

﴿ الطبعـــة الأولى ﴾

بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحميه

ســـنة ١٣٢٧ هجريه



(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لتجدن يا محمد أشد الناس عداوة للذين صدقوك واتبعوك وصدقوا بما جئتهم به من أهل الاسلام اليهود والذين أشركوا يعنى عبدة الاوثان الذين اتخذوا الأوثان آلهة يعبدونها من دون الله ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا يقول ولتجدن أقرب الناس مودة ومحبة والمودة المفعلة من قول الرجل وددت كذا أوده ودا وودا وودا ومودة اذا أحببته للذين آمنوا يقول للذين صدقوا الله ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون عن قبول الحق واتباعه والاذعان به وقيل ان هذه الآية والتى بعدها نزلت فى نفر قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من نصارى الحبشة فلما سمعوا القرآن أسلموا واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها نزلت فى النجاشى ملك الحبشة وأصحاب له أسلموا معه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الملك من أبى الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا خصيف عن سعيد بن جبير قال بعث النجاشى وفدا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فأسلموا قال فأنزل الله تعالى فيهم لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا الى آخر الآية قال فرجعوا الى النجاشى فأخبروه فأسلم النجاشى فلم يزل مسلما حتى مات قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخاكم النجاشى قد مات فصلوا عليه فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة والنجاشى ثم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول

(لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) القراآت أن لا تكون بالرفع أبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلى وخلف غير سهل وحفص وأبى بكر وحماد الباقون بالنصب الوقوف رسلا ط أنفسهم لا لأن عامل كلما قوله كذبوا يقتلون ٥ كثير منهم ط بما يعملون ٥ ابن مريم ط وربكم ط النار ط من أنصار ٥ ثلاثة لا لئلا يوهم أن ما بعده من قول الكفار واحد ط أليم ٥ ويستغفرونه ط والوصل أيضا حسن بناء على أن الواو للحال أى هلا يستغفرونه وهو غفور رحيم ٥ رسول ج لاحتمال ما بعده الصفة والاستئناف الرسل ط لأن الواو للاستئناف لا للعطف صديقة ط لان ما بعده لا يصلح للصفة لان الضمير فى كانا مثنى الطعام ط يؤفكون ٥ ولانقطاط والوصل يحسن على أن الواو للحال أى

الله ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى قال هم الوفد الذين جاؤا مع جعفر
وأصحابه من أرض الحبشة حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن
صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا
نصارى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة خاف على أصحابه من المشركين فبعث
جعفر بن أبى طالب وابن مسعود وعثمان بن مظعون فى رهط من أصحابه الى النجاشى ملك
الحبشة فلما بلغ ذلك المشركين بعثوا عمرو بن العاص فى رهط منهم ذكر أنهم سبقوا أصحاب النبى
صلى الله عليه وسلم الى النجاشى فقالوا انه خرج فينا رجل سفه عقول قريش وأحلامها زعم أنه نبى
وانه بعث اليك رهطا ليفسدوا عليك قومك فأحببنا أن نأتيك ونخبرك خبرهم قال ان جاؤنى نظرت
فيما يقولون فقدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقاموا بباب النجاشى فقالوا أتأذن لأولياء
الله فقال ائذن لهم فمرحبا بأولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال له الرهط من المشركين ألا ترى أيها
الملك أنا صدقناك لم يحيوك بتحيتك التى تحيا بها فقال لهم ما منعكم أن تحيونى بتحيتى فقالوا انا
حييناك بتحية أهل الجنة وتحية الملائكة قال لهم ما يقول صاحبكم فى عيسى وأمه قال يقول
هو عبد الله وكلمة من الله ألقاها الى مريم وروح منه ويقول فى مريم انها العذراء البتول قال فأخذ
عودا من الأرض فقال ما زاد عيسى وأمه على ما قال صاحبكم قدر هذا العود فكره المشركون
قوله وتغيرت وجوههم قال لهم هل تعرفون شيأ مما أنزل عليكم قالوا نعم قال اقرؤا فقرؤا وهنالك منهم
قسيسون ورهبان وسائر النصارى فعرفت كل ما قرؤا وانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق قال
الله تعالى ذكره ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول
الآية حدثنى محمد بن الحسين قال ثنى أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى
ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى الآية قال بعث النجاشى الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم اثنى عشر رجلا من الحبشة سبعة قسيسين وخمسة رهبانا ينظرون اليه ويسألونه
فلما لقوه فقرأ عليهم ما أنزل الله بكوا وآمنوا فأنزل الله عليه فيهم وأنهم لا يستكبرون واذا سمعوا
ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع
الشاهدين وآمنوا ثم رجعوا الى النجاشى فهاجر النجاشى معهم فمات فى الطريق فصلى عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون واستغفروا له حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى
حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء فى قوله ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى
الآية هم ناس من الحبشة آمنوا اذ جاءتهم مهاجرة المؤمنين * وقال آخرون بل هذه صفة قوم
كانوا على شريعة عيسى من أهل الايمان فلما بعث الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
آمنوا به ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله
ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا فقرأ حتى بلغ فاكتبنا مع الشاهدين أناس من أهل الكتاب
كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى يؤمنون به وينتهون اليه فلما بعث الله نبيه محمدا
صلى الله عليه وسلم صدقوا به وآمنوا به وعرفوا الذى جاء به أنه الحق فأثنى عليهم ما تسمعون والصواب
فى ذلك من القول عندى أن الله تعالى وصف صفة قوم قالوا انا نصارى أن نبى الله صلى الله عليه وسلم
يجدهم أقرب الناس ودادا لأهل الايمان بالله ورسوله ولم يسم لنا أسماءهم وقد يجوز أن
يكون أريد بذلك أصحاب النجاشى ويجوز أن يكون أريد به قوم كانوا على شريعة عيسى فأدركهم
الاسلام فأسلموا لما سمعوا القرآن وعرفوا أنه الحق ولم يستكبروا عنه وأما قوله تعالى ذلك بأن
منهم قسيسين ورهبانا فانه يقول قربت مودة هؤلاء الذين وصف الله صفتهم للمؤمنين من أجل أن

يعبدون ما لا ينفع ولا يضر والحال
أن الله يسمع دعاء المضطر ويعلم
رجاء المعتر العليم ○ السبيل ○
ابن مريم ط يعتدون ○ فعلوه
ط يفعلون ○ كفروا ط خالدون ○
فاسقون ○ أشركوا ج لطول
الكلام والفصل بين الوصفين
المتضادين نصارى ط لا يستكبرون
○ من الحق ج لاحتمال ما يتلوه
الحال والاستئناف الشاهدين ○
من الحق لا لأن الواو بعده للحال
الصالحين ○ خالدين فيها ط
المحسنين ○ الجحيم ○ ﴿التفسير﴾
افتتح الله تعالى السورة بقوله
أوفوا بالعقود وانجر الكلام الى
ما انجر والآن عاد الى ما بدأ به
والمقصود بيان عتو بنى اسرائيل
وشدة تمردهم أى أخذنا ميثاقهم
بخلق الدلائل وخلق العقل الهادى
الى كيفية الاستدلال (وأرسلنا اليهم
رسلا) لتعريف الشرائع والاحكام
قال فى الكشاف (كلما جاءهم رسول)
الخ جملة شرطية وقعت صفة لرسلا
والراجع الى الموصوف محذوف أى
رسول منهم وأقول الأصوب جعلها
جملة مستأنفة جوابا لسائل يسأل
كيف فعلوا برسلهم ولهذا كان
الوقف على رسلا مطلقا أما جواب
الشرط فاختار فى الكشاف أنه
محذوف لان الرسول الواحد لا يكون
فريقين ولأنه لا يحسن أن يقال ان
أكرمت أخى أخاك أكرمت
فالتقدير كلما جاءهم رسول منهم
ناصبوه وعادوه وقوله فريقا كذبوا
جواب قائل كيف فعلوا وأقول

منهم قسيسين ورهبانا والقسيسون جمع قسيس وقد يجمع القسيس قسوس لأن القس
والقسيس بمعنى واحد وكان ابن زيد يقول في القسيس بما حدثنا يونس قال حدثنا ابن وهب
قال قال ابن زيد القسيسين عبادهم وأما الرهبان فانه يكون واحدا وجمعا فأما اذا كان جمعا فان
واحدهم يكون راهبا ويكون الراهب حينئذ فاعلا من قول القائل رهب الله فلان بمعنى خافه
يرهبه رهبا ورهبا ثم يجمع الراهب رهبان مثل راكب وركبان وفارس وفرسان ومن الدليل على أنه
قد يكون عند العرب جمعا قول الشاعر

رهبان مدين لو رأوك تنزلوا * والعصم من شعف العقول الفادر

وقد يكون الرهبان واحدا واذا كان واحدا كان جمعه رهابين مثل قربان وقرابين وجردان
وجرادين ويجوز جمعه أيضا رهابنة اذا كان كذلك ومن الدليل على أنه قد يكون عند العرب واحدا
قول الشاعر

لو عاينت رهبان دير في القلل * لانحدر الرهبان يمشي ونزل

* واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا فقال بعضهم عني
بذلك قوم كانوا استجابوا لعيسى بن مريم حين دعاهم واتبعوه على شريعته ذكر من قال ذلك
حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن حصين عمن حدثه عن ابن عباس في قوله ذلك
بأن منهم قسيسين ورهبانا قال كانوا نواتي في البحر يعني ملاحين قال فمر بهم عيسى بن مريم فدعاهم
الى الاسلام فأجابوه قال فذلك قوله قسيسين ورهبانا * وقال آخرون بل عني بذلك القوم الذين
كان النجاشي بعثهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد
قال ثنا حكام بن سلم قال ثنا عنبسة عمن حدثه عن أبي صالح في قوله ذلك بأن منهم قسيسين
ورهبانا قال ستة وستون أو سبعة وستون أو اثنان وستون من الحبشة كلهم صاحب صومعة عليهم
ثياب الصوف حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن سالم عن سعيد
ابن جبير ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا قال بعث النجاشي الى النبي صلى الله عليه وسلم بخمسين
أو سبعين من خيارهم فجعلوا يبكون فقال هم هؤلاء حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز
قال ثنا قيس عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا قال هم رسل
النجاشي الذين أرسل باسلامه واسلام قومه كانوا سبعين رجلا اختارهم الخير فالخير فدخلوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم يس والقرآن الحكيم فبكوا وعرفوا الحق فأنزل الله
فيهم ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وأنزل فيهم الذين آتيناهم الكتاب من
قبله هم به يؤمنون الى قوله يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا * والصواب في ذلك من القول
عندنا أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن النفر الذين أثنى عليهم من النصارى بقرب مودتهم
لأهل الايمان بالله ورسوله أن ذلك انما كان منهم لأن منهم أهل اجتهاد في العبادة وترهب في
الديارات والصوامع وأن منهم علماء بكتبهم وأهل تلاوة لها فهم لا يبعدون من المؤمنين لتواضعهم
للحق اذا عرفوه ولا يستكبرون عن قبوله اذا تبينوه لأنهم أهل دين واجتهاد فيه ونصيحة لأنفسهم
في ذات الله وليسوا كاليهود الذين قد دربوا بقتل الانبياء والرسل ومعاندة الله في أمره ونهيه
وتحريف تنزيله الذي أنزله في كتبه ۞ القول في تأويل قوله ﴿ واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول
ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾
يقول تعالى ذكره واذا سمع هؤلاء الذين قالوا انا نصارى الذين وصفت لك يا محمد صفتهم أنك تجدهم

أما أن التركيب المذكور غير
مستحسن فعين النزاع وأما أن
الرسول الواحد لا يكون فريقين
فتغليط لأن قوله كلما يدل على
كثرة مجيء الرسل فلهذا صح جعلهم
فريقين ومعنى (بما لا تهوى أنفسهم)
بما يضاد شهواتهم لرغبتهم عن
التكاليف وفائدة تقديم المفعول
وايراد يقتلون مضارعا ذكرناها
في سورة البقرة وزعم في التفسير
الكبير أنه ذكر التكذيب بلفظ
الماضي لأنه اشارة الى معاملتهم
مع موسى عليه السلام في التيه
وتمردهم عن قبول قوله وقد انقضى
من ذلك الزمان أدوار كثيرة وذكر
القتل بلفظ المستقبل لأنه رمز الى
ما فعلوا بزكريا ويحيى وعيسى على
زعمهم وإن ذلك الزمان قريب
فكان كالحاضر (وحسبوا أن
لا تكون فتنة) قال علماء الأدب
الافعال على ثلاثة أضرب فعل يدل
على ثبات الشيء كالعلم والتيقن فيقع
بعده أن المشددة الدالة على ثبات
الشيء أيضا لتأكيد مقتضاه كقوله
ويعلمون أن الله هو الحق المبين فان
خففت ودخلت على الفعل لم يجز الا
أن يكون مع فعله قد أو سوف أو
السين أو حرف نفي ليكون كالعوض
من احدى النونين وقيل من حذف
ضمير الشأن مثل علم أن سيكون
وفعل يدل على خلاف الثبات
والاستقرار نحو أطمع وأخاف
وأرجو فلا يجيء معه الا الخفيفة
الناصبة للفعل كقوله والذي أطمع
أن يغفر لي وفعل يحتمل المعنيين

أقرب الناس مودة للذين آمنوا اما أنزل اليك من الكتاب يتلى ترى أعينهم تفيض من الدمع
وفيض العين من الدمع امتلاؤها منه ثم سيلانه منها كفيض النهر من الماء وفيض الاناء وذلك
سيلانه عن شدة امتلائه ومنه قول الأعشى

*(١) ففاضت دموعي فطل الشؤن داما حدارا * وقوله مما عرفوا من الحق يقول فيض دموعهم
لمعرفتهم بأن الذي يتلى عليهم من كتاب الله الذي أنزله الى رسول الله حق كما حدثنا هناد بن السري
قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا أسباط بن نصر الهمداني عن اسمعيل بن عبد الرحمن السدي قال
بعث النجاشي الى النبي صلى الله عليه وسلم اثني عشر رجلا يسألونه ويأتونه بخبره فقرأ عليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم القرآن فبكوا وكان منهم سبعة رهبان وخمسة قسيسون أو خمسة رهبان وسبعة
قسيسون فأنزل الله فيهم واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع الى آخر الآية
حدثنا عمرو بن علي قال ثنا عمر بن علي بن مقدم قال سمعت هشام بن عروة يحدث عن أبيه عن عبد الله
ابن الزبير قال نزلت في النجاشي وأصحابه واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من
الدمع حدثنا هناد قال ثنا عبدة بن سليمن عن هشام بن عروة عن أبيه في قوله ترى أعينهم تفيض من
الدمع مما عرفوا من الحق قال ذلك في النجاشي حدثنا هناد وابن وكيع قالا ثنا أبو معاوية
عن هشام بن عروة عن أبيه قال كانوا يرون أن هذه الآية أنزلت في النجاشي واذا سمعوا ما أنزل الى
الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع حدثنا هناد قال ثنا يونس بن بكير قال قال ابن اسحق
سألت الزهري عن الآيات ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل
الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع الآية وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال مازلت
أسمع علماءنا يقولون نزلت في النجاشي وأصحابه وأما قوله يقولون فانه لو كان بلفظ اسم كان نصبا
على الحال لان معنى الكلام واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا
من الحق قائلين ربنا آمنا ويعني بقوله تعالى ذكره يقولون ربنا آمنا أنهم يقولون يا ربنا صدقنا لما
سمعنا ما أنزلته الى نبيك محمد صلى الله عليه وسلم من كتابك وأقررنا به أنه من عندك وأنه الحق
لاشك فيه وأما قوله فاكتبنا مع الشاهدين فانه روى عن ابن عباس وغيره في تأويله ما حدثنا به
هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي وابن نمير جميعا عن اسرائيل عن سماك عن
عكرمة عن ابن عباس في قوله فاكتبنا مع الشاهدين قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا
القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فاكتبنا مع الشاهدين مع أمة محمد صلى الله
عليه وسلم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة
عن ابن عباس فاكتبنا مع الشاهدين يعنون بالشاهدين محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته حدثني
الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله
فاكتبنا مع الشاهدين قال محمد صلى الله عليه وسلم وأمته انهم شهدوا أنه قد بلغ وشهدوا أن الرسل
قد بلغت حدثنا الربيع قال ثنا أسد بن موسى قال ثنا يحيى بن زكريا قال ثني اسرائيل
عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس مثل حديث الحرث بن عبد العزيز غير أنه قال وشهدوا
للرسل أنهم قد بلغوا فكأن متأول هذا التأويل قصد بتأويله هذا الى معنى قول الله تعالى ذكره
وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فذهب ابن
عباس الى أن الشاهدين هم الشهداء في قوله لتكونوا شهداء على الناس وهم أمة محمد صلى الله عليه
وسلم فاذا كان التأويل ذلك كان معنى الكلام يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين الذين
يشهدون لأنبيائك يوم القيامة أنهم قد بلغوا أممهم رسالاتك ولو قال قائل معنى ذلك فاكتبنا مع

فيجوز فيه كلا الوجهين كقوله
وحسبوا أن لا تكون فتنة بالنصب
على أن المصدرية وكون الحسبان
بمعنى الظن وبالرفع على أن المخففة
أي أنه لا تكون فتنة فخففت أن
وحذف ضمير الشأن ونزل حسبانهم
لقوته في صدورهم منزلة العلم وبما
يشتمل عليه صلة أن وأن من المسند
والمسند اليه سد مسد المفعولين وكان
تامة والمعنى وحسب بنو اسرائيل
أنه لا تقع فتنة وهي محصورة في
عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وعذاب
الدنيا أقسام منها القحط ومنها الوباء
ومنها القتل ومنها العداوة والبغضاء
فيما بينهم ومنها الادبار والنحوسة
وكل ذلك قد وقع بهم وقد فسرت
الفتنة بكل ذلك وحسبانهم أن لا تقع
فتنة يحتمل وجهين الاول أنهم
كانوا يعتقدون أن لا نسخ لشريعة
موسى وأن كل رسول جاء بعده يجب
تكذيبه والثاني أنهم اعتقدوا كونهم
مخطئين في التكذيب والقتل الا
أنهم كانوا يقولون نحن أبناء الله
وأحباؤه وأن نبوة أسلافهم تدفع
العقاب عنهم ثم ان الآية تدل على أن
عماهم عن الدين وصممهم عن الحق
حصل مرتين فقال بعض المفسرين
انهم عموا وصموا في زمان زكريا
ويحيى وعيسى عليهم السلام ثم تاب
الله على بعضهم حيث وفقهم للايمان
به (ثم عموا وصموا كثير منهم) في زمان
محمد صلى الله عليه وسلم فأنكروا نبوته
الا بعضهم كعبد الله بن سلام وأصحابه
وقوله كثير منهم بدل عن الضمير
كقولك رأيت القوم أكثرهم وقيل
انه على لغة من يقول أكلوني

(١) يحرر هذا البيت فانا لم نعثر عليه اهـ كتبه مصححه

الشاهدين الذين يشهدون أن ما أنزلته الى رسولك من الكتاب حق كان صوابا الان ذلك خاتمة
قوله واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا
آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وذلك صفة من الله تعالى ذكره لهم بايمانهم لما سمعوا من كتاب الله
فتكون مسئلتهم أيضا الله أن يجعلهم ممن صحت عنده شهادتهم بذلك ويلحقهم فى الثواب والجزاء
منازلهم ومعنى الكتاب فى هذا الموضع الجعل يقول فاجعلنا مع الشاهدين وأثبتنا معهم
فى عدادهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ ومالنا لانؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا
ربنا مع القوم الصالحين ﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم فى
هذه الآيات أنهم اذا سمعوا ما أنزل الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من كتابه آمنوا به
وصدقوا كتاب الله وقالوا مالنا لانؤمن بالله يقول لانقر بوحدانية الله وما جاءنا من الحق يقول
وما جاءنا من عند الله من كتابه وآى تنزيله ونحن نطمع بايماننا بذلك أن يدخلنا ربنا مع القوم
الصالحين يعنى بالقوم الصالحين المؤمنين بالله المطيعين له الذين استحقوا من الله الجنة بطاعتهم
اياه وانما معنى ذلك ونحن نطمع أن يدخلنا ربنا مع أهل طاعته مداخلهم من جنته يوم القيامة
ويلحق منازلنا بمنازلهم ودرجاتنا بدرجاتهم فى جناته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله
ومالنا لانؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين قال القوم
الصالحون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ فأثابهم الله بما
قالوا جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ﴾ يقول تعالى ذكره
فجزاهم الله بقولهم ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ومالنا لانؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع
أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين جنات تجرى من تحتها الانهار يعنى بساتين تجرى من
تحت أشجارها الانهار خالدين فيها يقول دائما فيها مكثهم لايخرجون منها ولا يحولون عنها وذلك
جزاء المحسنين يقول وهذا الذى جزيت هؤلاء القائلين بما وصفت عنهم من قيلهم على ما قالوا
من الجنات التى هم فيها خالدون جزاء كل محسن فى قيله وفعله واحسان المحسن فى ذلك أن يوحد الله
توحيدا خالصا محضا لاشرك فيه ويقر بأنبياء الله وما جاءت به من عند الله من الكتب ويؤدى
فرائضه ويجتنب معاصيه فذلك كمال احسان المحسنين الذين قال الله تعالى جنات تجرى من
تحتها الانهار خالدين فيها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك
أصحاب الجحيم ﴾ يقول تعالى ذكره وأما الذين جحدوا توحيد الله وأنكروا نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم وكذبوا بآيات كتابه فان أولئك أصحاب الجحيم يقول هم سكانها واللابثون فيها والجحيم
ما اشتد حره من النار وهو الجاحم والجحيم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا
طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين ﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين
صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم أنه حق من عند الله لاتحرموا
طيبات ما أحل الله لكم يعنى بالطيبات اللذيذات التى تشتهيها النفوس وتميل اليها القلوب فتمنعوها
اياها كالذى فعله القسيسون والرهبان فحرموا على أنفسهم النساء والمطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة
وحبس فى الصوامع بعضهم أنفسهم وساح فى الارض بعضهم يقول تعالى ذكره فلا تفعلوا أيها
المؤمنون كما فعل أولئك ولا تعتدوا حد الله الذى حد لكم فيما أحل لكم وفيما حرم عليكم فتجاوزوا
حده الذى حده فتخالفوا بذلك طاعته فان الله لايحب من اعتدى حده الذى حده لخلقه فيما أحل
لهم وحرم عليهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى أبو

حصين

البراغيث وقيل خبر مبتدا محذوف
أى أولئك كثير منهم وقال بعضهم
عموا وصموا حين عبدوا العجل ثم
تابوا منه فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا
كثير منهم بالتعنت وهو طلب رؤية
الله جهرة وقال القفال انه يجوز
أن يكون اشارة الى ما فى سورة بنى
اسرائيل فاذا جاء وعد أولاهما فاذا
جاء وعد الآخرة وقرئ فعموا وصموا
بالضم أى رماهم الله وضربهم بالعمى
والصمم كما يقال ركبته اذا ضربته
بالركبة ثم انه سبحانه لما استقصى
الكلام مع اليهود شرع فى حكاية
كلام النصارى فحكى عن فريق منهم
أنهم (قالوا ان الله هو المسيح بن مريم)
وهذا قول اليعقوبية القائلين ان
مريم ولدت الها ولعل مرادهم أنه
تعالى حل فى ذات عيسى أو اتحد به
ثم حكى عن المسيح ما حكى ليكون
حجة قاطعة على فساد ما اعتقدوا
فيه وذلك أنه لم يفرق بين نفسه
وبين غيره فى المربوبية وفى ظهور
دلائل الحدوث عليه ثم أكد ذلك
المعنى بقوله (انه من يشرك بالله) أى
فى العبادة أو فى تجويز الحلول أو
الاتحاد أو فى اجراء وصفه فى
المخلوقين أو بالعكس (فقد حرم الله
عليه الجنة) التى هى دار الموحدين
أى منعه منها (وما للظالمين من أنصار)
من كلام الله تعالى أو من حكاية قول
عيسى عليه السلام لهم وقد مر
تفسيره فى آخر سورة آل عمران وفيه
تقريع لهم لأنهم كانوا يعتقدون
أن لهم أنصارا كثيرة فيما يقولون
ويعتقدون فنفى الله تعالى أو عيسى
ذلك وان كانوا يريدون بذلك تعظيمه

حصين عبدالله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر أبو زبيد قال ثنا حصين عن أبي مالك في هذه
الآية يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الآية قال عثمان بن مظعون وأناس من
المسلمين حرموا عليهم النساء وامتنعوا من الطعام الطيب وأراد بعضهم أن يقطع ذكره فنزلت
هذه الآية حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثني خالد الحذاء عن عكرمة
قال كان أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هموا بالخصاء وترك اللحم والنساء فنزلت هذه
الآية يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين
حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن خالد عن عكرمة أن رجالا أرادوا كذا وكذا وأرادوا كذا
وكذا وأن يختصوا فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الى قوله الذي أنتم
به مؤمنون حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا
طيبات ما أحل الله لكم قال كانوا حرموا الطيب واللحم فأنزل الله تعالى هذا فيهم حدثنا ابن وكيع
قال ثنا عبد الوهاب الثقفي قال ثنا خالد عن عكرمة أن أناسا قالوا لا نتزوج ولا نأكل ولا نفعل
كذا وكذا فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا
ان الله لا يحب المعتدين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر
عن أيوب عن أبي قلابة قال أراد أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن يرفضوا الدنيا
ويتركوا النساء ويترهبوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فغلظ فيهم المقالة ثم قال انما هلك
من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فأولئك بقاياهم في الديار والصوامع
اعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وحجوا واعتمروا واستقيموا يستقم لكم قال ونزلت فيهم يا أيها الذين
آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الآية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال
أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم قال نزلت في أناس من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم أرادوا أن يتخلوا من اللباس ويتركوا النساء ويتزهدوا منهم علي بن أبي
طالب وعثمان بن مظعون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن زياد بن فياض
عن أبي عبد الرحمن قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا آمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا حدثنا
بشر بن معاذ قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة في قوله يا أيها
الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الآية ذكر لنا أن رجالا من أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم رفضوا النساء واللحم وأرادوا أن يتخذوا الصوامع فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ليس في ديني ترك النساء واللحم ولا اتخاذ الصوامع وخبرنا أن ثلاثة نفر على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتفقوا فقال أحدهم أما أنا فأقوم الليل لا أنام وقال أحدهم أما أنا فأصوم النهار
فلا أفطر وقال الآخر أما أنا فلا آتي النساء فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال ألم أنبأ أنكم
اتفقتم على كذا قالوا بلى يا رسول الله وما أردنا الا الخير قال لكني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآتي
النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني وكان في بعض القراءة من رغب عن سنتك فليس من أمتك
وقد ضل عن سواء السبيل وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأناس من أصحابه ان من
قبلكم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فهؤلاء اخوانهم في الدور والصوامع اعبدوا الله ولا
تشركوا به شيأ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان وحجوا واعتمروا واستقيموا يستقم لكم
حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا
لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وذلك أن رسول الله صلى الله

قال المفسرون (ثالث ثلاثة) معناه
ثالث آلهة ثلاثة ليلزم الكفر والا فا
من شيئين الا والله ثالثهما يحكى أن
النصارى يقولون أب وابن وروح
قدس والثلاثة اله واحد كما أن الشمس
تتناول القرص والشعاع والحرارة
وعنوا بالأب الذات وبالابن الكلمة
وبالروح الحياة قالوا ان الكلمة التي
هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى
اختلاط الماء بالخمر وزعموا أن
الأب اله واحد والابن اله واحد
والروح اله واحد والكل اله واحد
واعلم أن هذا معلوم البطلان بالبديهة
لان الثلاثة لا تكون واحدا والواحد
لا يكون ثلاثة فلا جرم رد الله
مقالتهم بقوله (وما من اله الا اله
واحد) فزاد من الاستغراقية والمعنى
ما اله قط في الوجود الا اله موصوف
بالوحدانية لا ثاني له ولا شريك ثم
زجرهم بقوله (وان لم ينتهوا عما يقولون
ليمسن الذين كفروا) قال الزجاج
يعني الذين أقاموا على هذا الدين
لان كثيرا منهم تابوا عن النصرانية
فمن في قوله (منهم) للتبعيض ويجوز
أن تكون للبيان والمراد ليمسنهم
ولكن أقيم الظاهر مقام المضمر
تكريرا للشهادة عليهم بالكفر
ورمزا الى أنهم من الكفر بمكان
حتى لو فسر الكفار المعذبون عنوا
بذلك خاصة ومعنى (عذاب أليم) نوع
شديد الألم من العذاب (أفلا
يتوبون) قال الفراء انه أمر بلفظ
الاستفهام وفيه تعجيب من
اصرارهم على الكفر بعد الوعيد
الشديد ثم احتج على ابطال معتقدهم
بقوله (ما المسيح ابن مريم الا رسول)

عليه وسلم جلس يوما فذكر الناس ثم قام ولم يزدهم على التخويف فقال أناس من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم كانوا عشرة منهم علي بن أبي طالب وعثمان بن مظعون ما حقنا ان لم نحدث
عملا فان النصارى قد حرموا على أنفسهم فنحن نحرم فحرم بعضهم أكل اللحم والودك وأن يأكل
بالنهار وحرم بعضهم النوم وحرم بعضهم النساء فكان عثمان بن مظعون ممن حرم النساء وكان لا يدنو
من أهله ولا يدنون منه فأتت امرأته عائشة وكان يقال لها الحولاء فقالت لها عائشة ومن عندها من
نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما بالك يا حولاء متغيرة اللون لا تمتشطين ولا تطيبين فقالت وكيف
أتطيب وأمتشط وما وقع علي زوجي ولا رفع عني ثوبا منذ كذا وكذا فجعلن يضحكن من كلامها
فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن يضحكن فقال ما يضحككن قالت يا رسول الله الحولاء
سألتها عن أمرها فقالت ما رفع عني زوجي ثوبا منذ كذا وكذا فأرسل اليه فدعاه فقال ما بالك
يا عثمان قال اني تركته لله لكي أتخلى للعبادة وقص عليه أمره وكان عثمان قد أراد أن يجب
نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقسمت عليك الا رجعت فواقعت أهلك فقال
يا رسول الله اني صائم قال أفطر فأفطر وأتى أهله فرجعت الحولاء الى عائشة قد اكتحلت
وامتشطت وتطيبت فضحكت عائشة فقالت ما بالك يا حولاء فقالت انه أتاها أمس فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والنوم ألا اني أنام وأقوم وأفطر وأصوم
وأنكح النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات
ما أحل الله لكم ولا تعتدوا يقول لعثمان لا تجب نفسك فان هذا هو الاعتداء وأمرهم أن
يكفروا أيمانهم فقال لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان
حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله
يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم قال هم رهط من أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم قالوا نقطع مذاكيرنا ونترك شهوات الدنيا ونسيح في الأرض كما تفعل الرهبان فبلغ ذلك النبي
صلى الله عليه وسلم فأرسل اليهم فذكر ذلك لهم فقالوا نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكني
أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأنكح النساء فمن أخذ بسنتي فهو مني ومن لم يأخذ بسنتي فليس
مني **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس
قوله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وذلك أن رجالا من أصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم منهم عثمان بن مظعون حرموا النساء واللحم على أنفسهم وأخذوا الشفار ليقطعوا
مذاكيرهم لكي تنقطع الشهوة ويتفرغوا لعبادة ربهم فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ما أردتم فقالوا أردنا أن نقطع الشهوة عنا ونتفرغ لعبادة ربنا ونلهو عن النساء فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم أومر بذلك ولكني أمرت في ديني أن أتزوج النساء فقالوا نطيع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله
لا يحب المعتدين الى قوله الذي أنتم به مؤمنون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج
عن ابن جريج عن مجاهد قال أراد رجال منهم عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو أن يتبتلوا
ويخصوا أنفسهم ويلبسوا المسوح فنزلت هذه الآية الى قوله واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون
قال ابن جريج عن عكرمة ان عثمان بن مظعون وعلي بن أبي طالب وابن مسعود والمقداد
ابن الأسود وسالما مولى أبي حذيفة في أصحاب تبتلوا فجلسوا في البيوت واعتزلوا النساء ولبسوا
المسوح وحرموا طيبات الطعام واللباس الا ما أكل ولبس أهل السياحة من بني اسرائيل وهموا
بالاختصاء وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل

وهذا ترتيب في غاية الحسن لانه
منعهم من الكفر أولا ثم حثهم
على الاسلام ثانيا ثم شرع في حل
شبههم ثالثا ومن هنا قيل ان المرتد
يستتاب بلا مهل ومناظرة ان عنت
له شبهة بل يسلم أولا ثم تحل شبهته
ثانيا والمعنى ما هو الا رسول من
جنس الرسل الماضين لا يتخطى
الرسالة الى الالاهية كما لم يتخطوا فان
خلق من غير ذكر فقد خلق آدم
من غير ذكر ولا أنثى وان أبرأ الأكمه
والأبرص وأحيا الموتى فقد جعل
موسى العصا حية تسعى الى غير ذلك
من آيات ربه الكبرى (وأمه صديقة)
كبعض النساء المؤمنات بالانبياء
الصادقات في أقوالهن وأفعالهن
وأحوالهن قال تعالى في وصفها
وصدقت بكلمات ربها وكتبه
وكانت من القانتين أي من الذين
صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهم
المجتهدون في اقامة مراسم العبودية
ففيه تكذيب للنصارى المفرطين
فيهما اذ جعلوهما الهين وفيه تكذيب
لليهود المفرطين في شأنها حيث
نسبوها الى الهنات والى الكذب
في أن عيسى خلق من غير أب وفيه
أن من كان له أم فقد حدث بعد أن
لم يكن فكيف يكون الها ثم أكد
حدوثهما وعجزهما بقوله (كانا
يأكلان الطعام) فان المحتاج الى
الاغتذاء يحتاج الى ما يتبعه من
الهضم والنفض وكل هذه الافتقارات
دليل ظاهر وبرهان باهر على
حدوثهما وأفولهما في حيز الامكان
ثم عجب من غاية غوايتهم فقال
(انظر) يا محمد أو كل من له أهلية النظر
(كيف نبين لهم الآيات) الأدلة
الظاهرة على بطلان قولهم والعامل

الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين يقول لا تستنوا بغير سنة المسلمين يريد ما حرموا
من النساء والطعام واللباس وما أجمعوا له من صيام النهار وقيام الليل وما هموا له من الاخصاء
فلما نزلت فيهم بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لأنفسكم حقا وان لأعينكم حقا
صوموا وأفطروا وصلوا وناموا فليس منا من ترك سنتنا فقالوا اللهم أسلمنا واتبعنا ما أنزلت
حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب عن ابن زيد في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا
طيبات ما أحل الله لكم قال قال أبي ضاف عبد الله بن رواحة ضيف فانقلب ابن رواحة ولم يتعش
فقال لأهله ما عشيته فقالت كان الطعام قليلا فانتظرت أن تأتي قال فحبست ضيفي من أجلي
فطعامك علي حرام ان ذقته فقالت هي وهو علي حرام ان ذقته ان لم تذقه وقال الضيف هو علي حرام
ان ذقته ان لم تذوقوه فلما رأى ذلك قال ابن رواحة قربي طعامك كلوا باسم الله وغدا الى النبي صلى
الله عليه وسلم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أحسنت فنزلت هذه الآية يا أيها الذين
آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وقرأ حتى بلغ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان اذا قلت والله لا أذوقه فذلك العقد حدثنا عمرو بن علي قال ثنا أبو
عاصم قال ثنا عثمان بن سعد قال ثنا عكرمة عن ابن عباس أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اني اذا أصبت من اللحم انتشرت وأخذتني شهوتي فحرمت اللحم فأنزل الله تعالى
ذكره يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين
حدثنا عمرو بن علي قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال هم أناس من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بترك النساء والخصاء فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا
طيبات ما أحل الله لكم الآية واختلفوا في معنى الاعتداء الذي قال تعالى ذكره ولا تعتدوا ان
الله لا يحب المعتدين فقال بعضهم الاعتداء الذي نهى الله عنه في هذا الموضع هو ما كان عثمان بن
مظعون هم به من جب نفسه فنهي عن ذلك وقيل له هذا هو الاعتداء وممن قال ذلك السدي
حدثنا محمد بن الحسين قال ثنى أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عنه به * وقال آخرون بل ذلك
هو ما كان الجماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هموا به من تحريم النساء والطعام
واللباس والنوم فنهوا أن يفعلوا ذلك وأن يستنوا بغير سنة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وممن قال ذلك
عكرمة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عنه به وقال بعضهم بل ذلك
نهي من الله تعالى ذكره أن يتجاوز الحلال الى الحرام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع
قال ثنا المحاربي عن عاصم عن الحسن يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا
تعتدوا قال لا تعتدوا الى ما حرم عليكم وقد بينا أن معنى الاعتداء تجاوز المرء ماله الى ما ليس له في كل
شئ فيما مضى بما أغنى عن اعادته واذ كان ذلك كذلك وكان الله تعالى ذكره قد عم بقوله لا تعتدوا
النهي عن العدوان كله كان الواجب أن يكون محكوما لما عمه بالعموم حتى يخصه ما يجب التسليم
له وليس لأحد أن يتعدى حد الله تعالى في شئ من الأشياء مما أحل أو حرم فمن تعداه فهو داخل في
جملة من قال تعالى ذكره ان الله لا يحب المعتدين وغير مستحيل أن تكون الآية نزلت في أمر
عثمان بن مظعون والرهط الذين هموا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هموا به من
تحريم بعض ما أحل الله لهم على أنفسهم ويكون مرادا بحكمها كل من كان في مثل معناهم
ممن حرم على نفسه ما أحل الله له أو أحل ما حرم الله عليه أو تجاوز حدا حده الله له وذلك أن الذين
هموا بما هموا به من تحريم بعض ما أحل لهم على أنفسهم انما عوتبوا على ما هموا به من تجاوزهم
ما سن لهم وحد الى غيره القول في تأويل قوله ﴿وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله

في كيف قوله نبين ومفعول انظر
مجموع الجملة بل مضمونها أي تبصر
هذه الحالة وتفكر فيها ومثله ثم انظر
أنى يؤفكون كيف يصرفون عن
الحق أفكه بالفتح يأفكه بالكسر
أفكا بالفتح والسكون صرفه عن
الشئ ومنه الافك بالكسر للكذب
لانه مصروف عن الحق وأرض
مأفوكة صرف عنها المطر ومعنى
ثم التراخي والبون بين العجبين أي
بينا لهم الآيات بيانا عجيبا ولكن
اعراضهم عنها أعجب ثم الصارف
عن تأمل الحق هو الله أو العبد
فيه خلاف مشهور بين الاشاعرة
والمعتزلة وأنت قد عرفت التحقيق
في ذلك مرارا ثم أقام حجة أخرى على
فساد قول النصارى فقال قل
أتعبدون من دون الله ما لا يملك أي
شيأ لا يستطيع أو والذي لا يقدر على
مثل ما يضركم به الله من البليات
والمصائب أو ينفعكم به من الصحة
والخصب بواسطة أو بغير واسطة
بل لم يملك شيأ من ذلك لنفسه فان
اليهود كانوا يقصدونه بالسوء ولم
يقدر على دفعهم ومن مذهب
النصارى أن اليهود صلبوه ومزقوا
أضلاعه ولما عطش وطلب الماء
صبوا الخل في منخريه وكان عليه
السلام مصروف الهمة الى عبادة
الله ولو كان الها كان معبودا فقط
لا عابدا والله هو السميع العليم يسمع
أباطيلهم ويعلم ضمائرهم ليجازيهم
عليه وفيه من الوعيد ما فيه ثم عاد
الى مخاطبة الفريقين فقال يا أهل
الكتاب لا تغلوا والغلو مجاوزة
حد الاعتدال وأنه شامل لطرفي

الذى أنتم به مؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المؤمنين الذين نهاهم أن يحرموا طيبات ما أحل
الله لهم كلوا أيها المؤمنون من رزق الله الذى رزقكم وأحله لكم حلالا طيبا كما حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا يعنى
ما أحل الله لهم من الطعام وأما قوله واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون فانه يقول وخافوا أيها المؤمنون
أن تعتدوا فى حدوده فتحلوا ما حرم عليكم وتحرموا ما أحل لكم واحذروه فى ذلك أن تخالفوه
فينزل بكم سخطه أو تستوجبوا به عقوبته الذى أنتم به مؤمنون يقول الذى أنتم بوحدانيته مقرون
وبربوبيته مصدقون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾ يقول تعالى ذكره للذين كانوا حرموا على أنفسهم الطيبات من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا حرموا ذلك بأيمان حلفوا بها فنهاهم عن تحريمها
وقال لهم لا يؤاخذكم ربكم باللغو فى أيمانكم كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى
عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لما نزلت يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات
ما أحل الله لكم فى القوم الذين كانوا حرموا النساء واللحم على أنفسهم قالوا يا رسول الله كيف نصنع
بأيماننا التى حلفنا عليها فأنزل الله تعالى ذكره لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم الآية فهذا يدل
على ما قلنا من أن القوم كانوا حرموا ما حرموا على أنفسهم بأيمان حلفوا بها فنزلت هذه الآية
بسببهم واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز وبعض البصريين ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم الأيمان بتشديد القاف بمعنى وكدتم الأيمان ورددتموها وقراء الكوفيين بما عقدتم
الأيمان بتخفيف القاف بمعنى أوجبتموها على أنفسكم وعزمت عليها قلوبكم * وأولى القراءتين
بالصواب فى ذلك قراءة من قرأ بتخفيف القاف وذلك أن العرب لا تكاد تستعمل فعلت فى الكلام
الا فيما يكون فيه تردد مرة بعد مرة مثل قولهم شددت على فلان فى كذا اذا كرر عليه الشد مرة بعد
أخرى فاذا أرادوا الخبر عن فعل مرة واحدة قيل شددت عليه بالتخفيف وقد أجمع الجميع
لا خلاف بينهم أن اليمين التى تجب بالحنث فيها الكفارة تلزم بالحنث فى حلف مرة واحدة وان لم
يكررها الحالف مرات وكان معلوما بذلك أن الله مؤاخذ الحالف العاقد قلبه على حلفه وان لم يكرره
ولم يردده واذا كان ذلك كذلك لم يكن لتشديد القاف من عقدتم وجه مفهوم فتأويل الكلام اذا
لا يؤاخذكم الله أيها المؤمنون من أيمانكم بما لغوتم فيه ولكن يؤاخذكم بما أوجبتموه على
أنفسكم منها وعقدت عليه قلوبكم وقد بينا اليمين التى هى لغو والتى الله مؤاخذ العبد بها والتى فيها
الحنث والتى لا حنث فيها فيما مضى من كتابنا هذا فكرهنا اعادة ذلك فى هذا الموضع وأما قوله
بما عقدتم الأيمان فان هنادا حدثنا قال ثنا وكيع عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان قال بما تعمدتم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان
عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن
الحسن ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان يقول ما تعمدت فيه المأثم فعليك فيه الكفارة
۞ القول فى تأويل قوله ﴿فكفارته اطعام عشرة مساكين﴾ اختلف أهل التأويل فى الهاء
التى فى قوله فكفارته على ما هى عائدة ومن ذكرها فقال بعضهم هى عائدة على ما التى فى قوله بما
عقدتم الأيمان ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عدى عن الحسن
فى هذه الآية لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم قال هو أن تحلف على الشئ وأنت يخيل اليك أنه
كما حلفت وليس كذلك فلا يؤاخذكم الله فلا كفارة ولكن المؤاخذة والكفارة فيما حلفت عليه
على علم حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن منصور عن مغيرة عن الشعبى قال اللغو

الافراط والتفريط وان كان قد
يخص بطرف الافراط ويجعل
مقابلا للتقصير ولعل المراد ههنا هو
الاول فاليهود فرطوا فيه حيث
نسبوه الى الزنا والكذب والنصارى
أفرطوا فيه حيث ادعوا فيه
الالهية قال فى الكشاف قوله غير
الحق صفة للمصدر أى غلوا غير الحق
ولزمه القول بأن الغلو فى الدين
غلوان حق وهو أن يبالغ فى تقرير
الحق وتوضيحه واستكشاف حقائقه
وباطل وهو أن يتبع الشبهات
على حسب الشهوات والثانى منهى
عنه دون الاول وأقول لما كان الغلو
مجاوزة الحد وكل شئ جاوز حده شابه
ضده فكيف يتصور غلو حق ولله
در القائل * كلا طرفى قصد الامور
ذميم * فالاصوب أن يقال انتصب
غير الحق على أنه صفة قائمة مقام
المصدر أى لا تغلوا غلوا كقوله
ولا تعثوا فى الارض مفسدين أى
افسادا أو كقولهم تعال جائيا وقم قائما
ولو سلم أن المصدر محذوف كان غير
الحق صفة مؤكدة مثل نفخة
واحدة وأمس الدابر لا صفة مميزة
فافهم ولا تتبعوا أهواء قوم هى
المذاهب التى تدعو اليها الشهوة
دون الحجة قال الشعبى ما ذكر الله
تعالى لفظ الهوى فى القرآن الا
ذمه ولا تتبع الهوى فيضلك وما
ينطق عن الهوى أفرأيت من
اتخذ الهه هواه قال أبو عبيد لم نجد
للهوى موضعا الا فى الشر لا يقال
فلان يهوى الخير انما يقال يريد
الخير ويحبه وقيل سمى هوى لانه
يهوى بصاحبه فى النار وقال رجل

ليس

ليس فيه كفارة ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان قال ما عقد فيه يمينه فعليه الكفارة
حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبي مالك قال الأيمان ثلاث يمين تكفر
ويمين لا تكفر ويمين لا يؤاخذ بها صاحبها فأما اليمين التي تكفر فالرجل يحلف على الأمر
لا يفعله ثم يفعله فعليه الكفارة وأما اليمين التي لا تكفر فالرجل يحلف على الأمر يتعمد فيه
الكذب فليس فيه كفارة وأما اليمين التي لا يؤاخذ بها صاحبها فالرجل يحلف على الأمر يرى أنه كما
حلف عليه فلا يكون كذلك فليس عليه فيه كفارة وهو اللغو حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال
أخبرنا ابن أبي ليلى عن عطاء قال قالت عائشة لغو اليمين ما لم يعقد عليه الحالف قلبه حدثني يعقوب
قال ثنا ابن علية قال ثنا هشام قال ثنا حماد عن ابراهيم قال ليس في لغو اليمين كفارة حدثني
يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب أن عروة حدثه أن
عائشة قالت أيمان الكفارة كل يمين حلف فيها الرجل على جد من الامور في غضب أو غيره ليفعلن
ليتركن فذلك عقد الأيمان التي فرض الله فيها الكفارة وقال تعالى ذكره لا يؤاخذكم الله باللغو
في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني
معاوية بن صالح عن يحيى بن سعد وعن علي بن أبي طلحة قالا ليس في لغو اليمين كفارة حدثنا بشر
قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
الأيمان يقول ما تعمدت فيه المأثم فعليك فيه الكفارة قال وقال قتادة أما اللغو فلا كفارة فيه حدثنا
هناد قال ثنا عبدة عن سعيد عن قتادة عن الحسن قال لا كفارة في لغو اليمين حدثنا ابن وكيع
قال ثنا عمرو العبقري عن أسباط عن السدي ليس في لغو اليمين كفارة فمعنى الكلام على
هذا التأويل لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارة
ما عقدتم منها اطعام عشرة مساكين * وقال آخرون الهاء في قوله فكفارته عائدة على اللغو وهي
كناية عنه قالوا وانما معنى الكلام لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم اذا كفرتموه ولكن
يؤاخذكم اذا عقدتم الايمان فأقمتم على المضي عليه بترك الحنث والكفارة فيه والاقامة على المضي
عليه غير جائزة لكم فكفارة اللغو منها اذا حنثتم فيه اطعام عشرة مساكين ذكر من قال ذلك
حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن
ابن عباس قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم قال هو الرجل يحلف على أمر ضرار أن يفعله فلا
يفعله فيرى الذي هو خير منه فأمره الله أن يكفر عن يمينه ويأتي الذي هو خير وقال مرة أخرى قوله
لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم الى قوله بما عقدتم الأيمان قال واللغو من اليمين هي التي تكفر
لا يؤاخذ الله بها ولكن من أقام على تحريم ما أحل الله له ولم يتحول عنه ولم يكفر عن يمينه فتلك
التي يؤاخذ بها حدثنا هناد قال ثنا حفص بن غياث عن داود بن أبي هند عن سعيد بن
جبير قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم قال هو الذي يحلف على المعصية فلا يفي فيكفر حدثنا
محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن سعيد بن جبير لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم
قال هو الرجل يحلف على المعصية فلا يؤاخذه الله تعالى يكفر عن يمينه ويأتي الذي هو خير ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان الرجل يحلف على المعصية ثم يقيم عليها فكفارته اطعام عشرة
مساكين حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا داود عن سعيد بن جبير قال في لغو اليمين هي
اليمين في المعصية فقال أولا تقرأ فتفهم قال لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما
عقدتم الأيمان قال فلا يؤاخذه بالالغاء ولكن يؤاخذه بالمقام عليها قال وقال ولا تجعلوا الله

لابن عباس الحمد لله الذي جعل
هواي على هواك فقال ابن عباس
كل هوى ضلالة قد ضلوا من قبل يعني
أئمتهم في النصرانية واليهودية قبل
بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وأضلوا
كثيرا ممن شايعهم على التثليث أو
التفريط في شأن مريم وابنها وضلوا
عن سواء السبيل عند مبعث النبي
صلى الله عليه وسلم فكذبوه
والغرض بيان استمرارهم على
الضلال قديما وحديثا وقيل
الضلال الاول عن الدين والضلال
الثاني عن الجنة وقيل الضلال الثاني
اعتقادهم في ذلك الاضلال أنه
ارشاد الى الحق لعنهم الله في الزبور
على لسان داود وفي الانجيل على
لسان عيسى وفيه تعييرا لهم حيث
ادعوا أنهم أولاد الانبياء وقد لعنوا
على ألسنتهم وقال كثير من
المفسرين ان أصحاب أيلة كما سيجيء
في الاعراف لما اعتدوا في السبت
قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية
فمسخوا قردة وان أصحاب المائدة
لما أكلوا منها ولم يؤمنوا قال عيسى
اللهم العنهم كما لعنت أصحاب السبت
فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة
آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي
وعن الاصم أن داود وعيسى بشرا
بمحمد صلى الله عليه وسلم
ولعنا من يكذبه وذلك اللعن بسبب
عصيانهم واعتدائهم ثم فسر المعصية
والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون
وللتناهي معنيان أحدهما وعليه
الجمهور أنه تفاعل من النهي أي
كانوا لا ينهى بعضهم بعضا عن ابن
مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم

عرضة لأيمانكم حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير في قوله
لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم قال هو الرجل يحلف على المعصية فلا يؤاخذه الله بتركها ان
تركها قلت وكيف يصنع قال يكفر يمينه ويترك المعصية حدثني يحيى بن جعفر قال ثنا يزيد بن
هرون قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم قال اليمين المكفرة
حدثنا هناد قال ثنا أبو الأحوص عن مغيرة عن ابراهيم قال اللغو يمين لا يؤاخذ بها صاحبها وفيها
كفارة * والذي هو أولى عندي بالصواب في ذلك أن تكون الهاء في قوله فكفارته عائدة على ما
التي في قوله بما عقدتم الأيمان لما قدمنا فيما مضى قبل أن من لزمته في يمينه كفارة وأوخذ بها غير
جائز أن يقال لمن قد أوخذ لا يؤاخذه الله باللغو وفي قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم
دليل واضح أنه لا يكون مؤاخذا بوجه من الوجوه من أخبرنا تعالى ذكره أنه غير مؤاخذه فان ظن
ظان أنه انما عنى تعالى ذكره بقوله لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم بالعقوبة عليها في الآخرة
اذا حنثتم وكفرتم لا أنه لا يؤاخذهم بها في الدنيا بتكفير فان اخبار الله تعالى ذكره وأمره ونهيه في
كتابه على الظاهر العام عندنا بما قد دللنا على صحة القول به في غير هذا الموضع فأغنى عن اعادته دون
الباطن العام الذي لا دلالة على خصوصه في عقل ولا خبر ولا دلالة من عقل ولا خبر أنه عنى تعالى
ذكره بقوله لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم بعض معاني المؤاخذة دون جميعها واذ كان ذلك
كذلك وكان من لزمته كفارة في يمين حنث فيها مؤاخذا بها بعقوبة في ماله عاجلة كان معلوما أنه
غير الذي أخبرنا تعالى ذكره أنه لا يؤاخذه بها واذ كان الصحيح من التأويل في ذلك ما قلنا بالذي
عليه دللنا فمعنى الكلام اذا لا يؤاخذكم الله أيها الناس بلغو من القول والأيمان اذا لم تتعمدوا بها
معصية الله تعالى ولا خلاف أمره ولم تقصدوا بها اثما ولكن يؤاخذكم بما تعمدتم به الاثم
وأوجبتموه على أنفسكم وعزمت عليه قلوبكم ويكفر ذلك عنكم فيغطي على سيء ما كان منكم
من كذب وزور قول ويمحوه عنكم فلا يتبعكم به ربكم اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون
أهليكم * القول في تأويل قوله (من أوسط ما تطعمون أهليكم) يعني تعالى ذكره بقوله من أوسط
ما تطعمون أهليكم من أعدله كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا ابن جريج قال
سمعت عطاء يقول في هذه الآية من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم قال عطاء أوسطه أعدله
واختلف أهل التأويل في معنى قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم فقال بعضهم معناه من أوسط
ما يطعم من أجناس الطعام الذي يقتاته أهل بلد المكفر أهاليهم * ذكر من قال ذلك حدثنا هناد
قال أخبرنا شريك عن عبد الله بن حنش عن الاسود قال سألته عن أوسط ما تطعمون أهليكم قال
الخبز والتمر والزيت والسمن وأفضله اللحم حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال
ثنا أبي عن سفيان عن عبد الله بن حنش قال سألت الاسود بن يزيد عن ذلك فقال الخبز والتمر زاد
هناد في حديثه والزيت قال وأحسبه والخل حدثنا هناد وابن وكيع قالا ثنا أبو الاحوص
عن عاصم الأحول عن ابن سيرين عن ابن عمر في قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم قال من أوسط
ما يطعم أهله الخبز والتمر والخبز والسمن والخبز والزيت ومن أفضل ما يطعمهم الخبز واللحم حدثنا
ابن وكيع قال ثنا محمد بن فضيل عن ليث عن ابن سيرين عن ابن عمر من أوسط ما تطعمون أهليكم
الخبز واللحم والخبز والسمن والخبز والجبن والخبز والخل حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال
ثنا سفيان عن عبد الله بن حنش قال سألت الاسود بن يزيد عن أوسط ما تطعمون أهليكم قال الخبز
والتمر حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان قال ثنا عبد الله بن حنش قال سألت
الاسود بن يزيد فذكر مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سعيد بن عبد الرحمن

قال من رضي عمل قوم فهو منهم ومن
كثر سواد قوم فهو منهم وذلك أن في
التناهي المأمور به حسما للفساد
فكان الاخلال به معصية وظلما
والثاني أنه بمعنى الانتهاء أي
لا يمتنعون ولا ينتهون والمراد
لا ينتهون عن معاودة منكر فعلوه
لأن النهي بعد الفعل لا يفيد أو
المراد لا يتناهون عن منكر أرادوا
فعله وأحضروا آلاته أو لا ينتهون
أو لا ينهون عن الاصرار على منكر
فعلوه ثم عجب من سوء فعلهم مؤكدا
بالقسم المقدر فقال لبئس ما كانوا
يفعلون ثم لما وصف أسلافهم بما
وصف شرع في نعت الحاضرين
بأن كثيرا منهم يتولون المشركين
والمراد كعب بن الأشرف وأصحابه
حين استجاشوا المشركين على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مر في
تفسير سورة النساء عند قوله أهؤلاء
أهدى من الذين آمنوا سبيلا
لبئس ما قدمت لهم أنفسهم من
العمل لمعادهم ومحل أن سخط رفع
على أنه مخصوص بالذم أي بئس
الزاد الى الآخرة سخط الله يعني
موجب سخط الله وسببه ولو كانوا
يؤمنون بالله والنبي وهو موسى وما
أنزل إليه في التوراة كما يدعون
ما اتخذوا المشركين أولياء لأن تحريم
ذلك متأكد في شريعة موسى
ولكن كثيرا منهم فاسقون في دينهم
لأن مرادهم تحصيل الرياسة والجاه
بأي طريق قدروا عليه لا تقرير دين
موسى ويحتمل أن يراد ولو كانوا
هؤلاء اليهود المنافقون مؤمنين بالله
وبمحمد والقرآن ايمانا خالصا

عن محمد بن سيرين عن عبيدة السلماني من أوسط ما تطعمون أهليكم قال الخبز والسمن حدثنا
هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سعيد بن عبد الرحمن عن ابن سيرين
قال سألت عبيدة عن ذلك فذكر مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا أزهر قال أخبرنا ابن عون عن
محمد بن سيرين عن عبيدة من أوسط ما تطعمون أهليكم الخبز والسمن حدثنا هناد قال ثنا وكيع
وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن يزيد بن ابراهيم عن ابن سيرين قال كانوا يقولون أفضله الخبز
واللحم وأوسطه الخبز والسمن وأخسه الخبز والتمر حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا
ابن وكيع قال ثنا أبي عن الربيع عن الحسن قال خبز ولحم أو خبز وسمن أو خبز ولبن حدثنا هناد
وابن وكيع قالا ثنا عمر بن هرون عن أبي مصلح عن الضحاك في قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم
قال الخبز واللحم والمرقة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا زائدة عن يحيى بن حبان
الطائي قال كنت عند شريح فأتاه رجل فقال اني حلفت على يمين فأثمت قال شريح ما حملك على
ذلك قال قدر على فما أوسط ما أطعم أهلي قال له شريح الخبز والزيت والخل طيب قال فأعاد عليه
فقال له شريح ذلك ثلاث مرار لا يزيده شريح على ذلك فقال له أرأيت ان أطعمت الخبز واللحم
قال ذاك أرفع طعام أهلك وطعام الناس حدثنا هناد قال ثنا أبو خالد الاحمر عن حجاج عن أبي
اسحق عن الحرث عن علي قال في كفارة اليمين يغديهم ويعشيهم خبزا وزيتا أو خبزا وسمنا أو خلا
وزيتا حدثنا هناد وابن وكيع قالا ثنا أبو أسامة عن زبرقان عن أبي رزين من أوسط
ما تطعمون أهليكم خبز وزيت وخل حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى عن هشام بن محمد
قال أكلة واحدة خبز ولحم قال وهو من أوسط ما تطعمون أهليكم وانكم لتأكلون الخبيص
والفاكهة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى وحدثنا هناد قال ثنا أبو أسامة عن هشام
عن الحسن قال في كفارة اليمين يجزيك أن تطعم عشرة مساكين أكلة واحدة خبزا ولحما فان لم تجد
فخبزا وسمنا ولبنا فان لم تجد فخبزا وخلا وزيتا حتى يشبعوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير
عن زبرقان قال سألت أبا رزين عن كفارة اليمين ما يطعم قال خبزا وخلا وزيتا من أوسط ما تطعمون
أهليكم وذلك قدر قوتهم يوما واحدا ثم اختلف قائلو ذلك في مبلغه فقال بعضهم مبلغ ذلك نصف
صاع من حنطة أو صاع من سائر الحبوب غيرها ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا وكيع
وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن عبد الله بن عمرو بن مرة عن أبيه عن ابراهيم عن عمر قال اني
أحلف على اليمين ثم يبدو لي فاذا رأيتني قد فعلت ذلك فأطعم عشرة مساكين لكل مسكين مدان
من حنطة حدثنا هناد قال ثنا أبو معاوية ويعلى عن الاعمش عن شقيق عن يسار بن نمير قال
قال عمر اني أحلف أن لا أعطي أقواما ثم يبدو لي أن أعطيهم فاذا رأيتني فعلت ذلك فأطعم عني
عشرة مساكين بين كل مسكينين صاعا من بر أو صاعا من تمر حدثنا هناد ومحمد بن العلاء
قالا ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن عمرو بن مرة عن عبد الله
ابن سلمة عن علي قال كفارة اليمين اطعام عشرة مساكين لكل مسكين نصف صاع من حنطة
حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن مغيرة عن ابراهيم من أوسط ما تطعمون أهليكم نصف صاع
بر لكل مسكين حدثنا هناد قال ثنا حفص عن عبد الكريم الجزري قال قلت لسعيد بن جبير
أجمعهم قال لا أعطهم مدين مدين من حنطة مدا لطعامه ومدا لادامه حدثنا أبو كريب قال ثنا
وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عبد الكريم الجزري قال قلت لسعيد
فذكر نحوه حدثنا هناد قال ثنا أبو زبيد عن حصين قال سألت الشعبي عن كفارة اليمين
فقال مكوكين مكوكا لطعامه ومكوكا لادامه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا

ما اتخذوا المشركين أولياء ولكن
كثيرا منهم فاسقون متمردون في
كفرهم ونفاقهم فلهذا يتولون
المشركين وقال القفال ولو أن
هؤلاء المشركين يؤمنون بالله
وبمحمد صلى الله عليه وسلم
ما اتخذهم اليهود أولياء ثم وصف
شدة شكيمة اليهود ولين عريكة
النصارى فقال لتجدن يا محمد أو كل
من له أهلية الخطاب أشد الناس
عداوة وقد تعلقت بها اللام في قوله
للذين آمنوا كما تعلقت بالمودة فيما
بعد وظاهر الآية يدل على أن
اليهود في غاية العداوة للمسلمين
وكيف لا وقد نبه على تقدم قدمهم
في العداوة بتقديمهم على الذين
أشركوا وعن النبي صلى الله عليه
وسلم ما خلا يهوديان بمسلم الا هما
بقتله لكنه روي عن ابن عباس
وسعيد بن جبير وعطاء والسدي
أن المراد به النجاشي وقومه الذين
قدموا من الحبشة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ولم يرد
جميع النصارى مع ظهور عداوتهم
للمسلمين وقال آخرون مذهب
اليهود أنه يجب عليهم ايصال الشر
الى من خالفهم في الدين بأي طريق
كان بالقتل أو بغصب المال أو
بوجوه المكايد والحيل وليس
النصارى مذهبهم ذلك بل الايذاء في
دينهم حرام وهذا هو وجه التفاوت
بالعداوة والمودة وقد أكد ذلك
بوصف العداوة والمودة بالأشد
والأقرب وفي الآية من الفائدة أن
التمرد والمعصية عادة لهم ففرغ
قلبك يا محمد ولا تبال بمكرهم و

هشام عن عطاء عن ابن عباس قال لكل مسكين مد بر حدثنا هناد قال ثنا أبو أسامة عن هشام
عن عطاء عن ابن عباس قال لكل مسكين مد من بر في كفارة اليمين حدثنا هناد قال ثنا وكيع
وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال مدان من طعام
لكل مسكين حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا سعد بن يزيد أبو سلمة قال سألت
جابر بن زيد عن اطعام المسكين في كفارة اليمين فقال أكلة قلت فان الحسن يقول مكوك بر
ومكوك تمر فما ترى في مكوك بر فقال ان مكوك برلا أو مكوك تمرلا قال يعقوب قال ابن علية وقال
أبو سلمة بيده كأنه يراه حسنا وقلب أبو سلمة يده حدثنا هناد قال ثنا أبو أسامة عن هشام
عن الحسن أنه كان يقول في كفارة اليمين فيما وجب فيه الطعام مكوك تمر ومكوك بر لكل
مسكين حدثنا هناد قال ثنا وكيع قال ثنا أبي عن الربيع عن الحسن قال قال ان جمعهم
أشبعهم اشباعة واحدة وان أعطاهم أعطاهم مكوكا مكوكا حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية
عن يونس قال كان الحسن يقول فان أعطاهم في أيديهم فمكوك بر ومكوك تمر حدثنا ابن
وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن السدي عن أبي مالك في كفارة اليمين نصف صاع
لكل مسكين حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن أبيه عن الحكم في قوله اطعام عشرة
مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم قال الطعام نصف صاع لكل مسكين حدثنا ابن بشار
قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا زائدة عن مغيرة عن ابراهيم قال أوسط ما تطعمون أهليكم
نصف صاع حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ثنا عبيد
ابن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله فكفارته اطعام عشرة مساكين قال
الطعام لكل مسكين نصف صاع من تمر أو بر * وقال آخرون بل مبلغ ذلك من كل شئ من الحبوب
مد واحد ذكر من قال ذلك حدثنا هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع
قال ثنا أبي عن هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن زيد بن ثابت أنه قال في
كفارة اليمين مد من حنطة لكل مسكين حدثنا هناد قال ثنا أبو معاوية عن داود بن أبي هند
عن عكرمة عن ابن عباس قال في كفارة اليمين مد من حنطة لكل مسكين ربعه ادامه حدثنا
هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع عن سفيان عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس نحوه
حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر اطعام عشرة مساكين
لكل مسكين مد حدثنا هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع قال ثنا العمري عن نافع عن ابن عمر
قال مد من حنطة لكل مسكين حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن يحيى بن سعيد عن نافع
عن ابن عمر أنه كان يكفر اليمين بعشرة أمداد بالمد الاصغر حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن
مهدي عن حماد بن سلمة عن عبيد الله عن القاسم وسالم في كفارة اليمين ما يطعم قالا مد لكل
مسكين حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن يحيى بن سعيد عن سليمان بن يسار قال كان
الناس اذا كفر أحدهم كفر بعشرة أمداد بالمد الاصغر حدثنا هناد قال ثنا عمر بن هرون
عن ابن جريج عن عطاء في قوله اطعام عشرة مساكين قال عشرة أمداد لعشرة مساكين حدثنا
بشر قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن الطعام عشرة
مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم قال كان يقال البر والتمر لكل مسكين مد من تمر ومد من
بر حدثنا أبو كريب وهناد قالا ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن مالك بن
مغول عن عطاء قال مد لكل مسكين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في
قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم قال من أوسط ما تعولونهم قال وكان المسلمون رأوا أوسط ذلك

تحزن على كيدهم ثم ذكر سبب
ذلك التفاوت فقال ذلك بأن منهم
قسيسين ورهبانا القس والقسيس
اسم لرئيس النصارى في العلم والدين
وكأنه من القس وهو تتبع الشئ
وطلبه قال قطرب هو العالم بلغة
الروم وهذا مما وقع فيه الوفاق بين
اللغتين وقال عروة بن الزبير
ضيعت النصارى الانجيل
وأدخلت فيه ما ليس منه وبقي واحد
من علمائهم على الحق والدين يسمى
قسيسا فمن كان على هديه ودينه
فهو قسيس والرهبان جمع راهب
كركبان وفرسان في راكب وفارس
وقيل انه واحد وجمعه رهابين
كقربان وقرابين ولكن النظم
يأباه وأصله من الرهبة بمعنى الخوف
من الله تعالى وانما صارت الرهبانية
ممدوحة في مقابلة قساوة اليهود
وغلظتهم والا فهي مذمومة في
نفسها لقوله تعالى ورهبانية
ابتدعوها ولقوله صلى الله عليه وسلم
لا رهبانية في الاسلام وههنا نكتة
هي أن كفر النصارى حيث انهم
ينازعون في الالهيات والنبوات
جميعا أغلظ في الحقيقة من كفر
اليهود لانهم لا ينازعون الا في
النبوات الا بعضهم القائلين بأن
عزير ابن الله ثم ان النصارى لما لم
يشتد حرصهم على طلب الدنيا وعلى
الجاه وأقبلوا على العلم والبراءة من
الكبر خصهم الله تعالى بالمدح
وذم اليهود حيث قال ولتجدنهم
أحرص الناس على حياة غلت
أيديهم فتبين صحة قوله صلى الله عليه
وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة

مداًّ بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنطة قال أبو زيد هو الوسط مما يقوت به أهله ليس بأدناه
ولا بأرفعه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يحيى بن عبد الله بن سالم عن يحيى بن
سعيد عن سعيد بن المسيب من أوسط ما تطعمون أهليكم قال مد * وقال آخرون بل ذلك غداء
وعشاء ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا أبو خالد الأحمر عن حجاج عن أبي اسحق عن
الحرث عن علي قال في كفارة اليمين يغديهم ويعشيهم حدثنا هناد قال ثنا عمر بن هرون عن
موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي في كفارة اليمين قال غداء وعشاء حدثنا هناد قال
ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن يونس عن الحسن قال يغديهم
ويعشيهم * وقال آخرون انما عنى بقوله من أوسط ما تطعمون أهليكم من أوسط ما يطعم
المكفر أهله قال ان كان ممن يشبع أهله أشبع المساكين العشرة وان كان ممن لا يشبعهم لعجزه
عن ذلك أطعم المساكين على قدر ما يفعل من ذلك بأهله في عسره ويسره ذكر من قال ذلك
حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن
ابن عباس قوله فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم قال ان كنت
تشبع أهلك فأشبع المساكين والا فعلى ما تطعم أهلك بقدره حدثني محمد بن سعد قال ثني
أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط
ما تطعمون أهليكم وهو أن تطعم كل مسكين من نحو ما تطعم أهلك من الشبع أو نصف صاع من بر
حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن عامر عن ابن عباس
قال من عسرهم ويسرهم حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن جابر عن عامر قال من
عسرهم ويسرهم حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن مهدي قال ثنا سفيان عن سليمان بن أبي
المغيرة عن سعيد بن جبير من أوسط ما تطعمون أهليكم قال قوتهم حدثنا هناد وأبو كريب قالا
ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن سليمان العبسي عن سعيد بن جبير
في قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم قال قوتهم حدثنا أبو حميد قال ثنا حكام بن سلم قال ثنا
عنبسة عن سليمان بن عبيد العبسي عن سعيد بن جبير في قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم قال
كانوا يفضلون الحر على العبد والكبير على الصغير فنزلت من أوسط ما تطعمون أهليكم حدثنا
الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس بن الربيع عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال كانوا
يطعمون الكبير ما لا يطعمون الصغير ويطعمون الحر ما لا يطعمون العبد فقال من أوسط
ما تطعمون أهليكم حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم قال ثنا جويبر عن الضحاك في قوله
من أوسط ما تطعمون أهليكم قال ان كنت تشبع أهلك فأشبعهم وان كنت لا تشبعهم فبكل
قدر ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا شيبان النحوي عن جابر عن عامر
عن ابن عباس من أوسط ما تطعمون أهليكم قال من عسرهم ويسرهم حدثنا يونس قال ثنا
سفيان عن سليمان عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس كان الرجل يقوت بعض أهله قوتا دونا
وبعضهم قوتا فيه سعة فقال الله من أوسط ما تطعمون أهليكم الخبز والزيت * وأولى الأقوال في
تأويل قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم عندنا قول من قال من أوسط ما تطعمون أهليكم في
القلة والكثرة وذلك أن أحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكفارات كلها بذلك وردت وذلك
كحكمه صلى الله عليه وسلم في كفارة الحلق من الأذى بفرق من طعام بين ستة مساكين لكل
مسكين نصف صاع وكحكمه في كفارة الوطء في شهر رمضان بخمسة عشر صاعا بين ستين مسكينا
لكل مسكين ربع صاع ولا يعرف له صلى الله عليه وسلم شيء من الكفارات أمر باطعام خبز وادام

قال ابن عباس كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم خاف على أصحابه من
المشركين فبعث جعفر بن أبي
طالب وابن مسعود في رهط من
أصحابه الى النجاشي وقال انه ملك
صالح لا يظلم ولا يظلم عنده أحد
فاخرجوا اليه حتى يجعل الله
للمسلمين فرجا فلما وردوا عليه
أكرمهم وقال لهم هل تعرفون
شيأ مما أنزل عليكم قالوا نعم فقرؤا
وحوله القسيسون والرهبان
فكلما قرؤا آية انحدرت دموعهم مما
عرفوا من الحق وقال آخرون قدم
جعفر بن أبي طالب من الحبشة هو
وأصحابه ومعهم سبعون رجلا
بعثهم النجاشي وفدا الى الرسول
صلى الله عليه وسلم عليهم ثياب
الصوف اثنان وستون من الحبشة
وثمانية من أهل الشام وهم بحيرا
الراهب وأبرهة وغيرهما فقرأ
عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
سورة يس الى آخرها فبكوا وآمنوا
فنزلت والخطاب في ترى لكل راء
وقد وضع الفيض الذي هو مسبب
الامتلاء موضع الامتلاء وأصله
تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان
الفيض بعد الامتلاء ويحتمل أن
يكون الدمع مصدر دمعت عينه
وقصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء
كأن الأعين تفيض بأنفسها ومعنى
مما عرفوا من الحق أي مما نزل على
محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحق
فمن الأولى لابتداء الغاية على أن
فيض الدمع نشأ من معرفة الحق
والثانية للبيان ويحتمل التبعيض
يعني أنهم عرفوا بعض الحق

ولا بغداء وعشاء فاذ كان ذلك كذلك وكانت كفارة اليمين احدى الكفارات التى تلزم من لزمته
كان سبيلها سبيل ما تولى الحكم فيه صلى الله عليه وسلم من أن الواجب على مكفرها من الطعام
مقدار للمساكين العشرة محدود بكيل دون جمعهم على غداء أو عشاء مخبوز مأدوم اذ كانت سنته
صلى الله عليه وسلم فى سائر الكفارات كذلك فاذ كان صحيحا ما قلنا بما به استشهدنا فبين أن تأويل
الكلام ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أعدل اطعامكم
أهليكم وأن ما التى فى قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم بمعنى المصدر لا بمعنى الاسماء واذا كان ذلك
كذلك فأعدل أقوات الموسع على أهله مدان وذلك نصف صاع فى ربعه اداما وذلك أعلى ما حكم
به النبى صلى الله عليه وسلم فى كفارة فى اطعام مساكين وأعدل أقوات المقتر على أهله مد وذلك ربع
صاع وهو أدنى ما حكم به فى كفارة فى اطعام مساكين وأما الذين رأوا اطعام المساكين فى كفارة
اليمين الخبز واللحم وما ذكرنا عنهم قبل والذين رأوا أن يغدوا أو يعشوا والذين رأوا أن يغدوا
و يعشوا فانهم ذهبوا الى تأويل قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم من أوسط الطعام الذى تطعمونه
أهليكم فجعلوا ما التى فى قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم اسما لا مصدرا فأوجبوا على المكفر
اطعام المساكين من أعدل ما يطعم أهله من الاغذية وذلك مذهب لولا ما ذكرنا من سنن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى الكفارات غيرها التى يجب الحاق أشكالها بها وان كفارة اليمين لها نظيرة
وشبيهة يجب الحاقها بها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أو كسوتهم﴾ يعنى تعالى ذكره بذلك
فكفارة ما عقدتم من الأيمان اطعام عشرة مساكين أو كسوتهم يقول اما أن تطعموهم أو
تكسوهم والخيار فى ذلك الى المكفر * واختلف أهل التأويل فى الكسوة التى عنى الله بقوله أو
كسوتهم فقال بعضهم عنى بذلك كسوة ثوب واحد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال
ثنا ابن علية عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى كسوة المساكين فى كفارة اليمين أدناه ثوب.
حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن أبى نجيح
عن مجاهد قال أدناه ثوب وأعلاه ما شئت حدثنا هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع عن الربيع
عن الحسن قال فى كفارة اليمين فى قوله أو كسوتهم ثوب لكل مسكين حدثنا ابن وكيع قال
ثنا ابن مهدى عن وهيب عن ابن طاوس عن أبيه أو كسوتهم قال ثوب حدثنا هناد قال ثنا
عبدة وحدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير جميعا عن منصور عن مجاهد فى قوله أو
كسوتهم قال ثوب حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله أو كسوتهم
قال ثوب ثوب قال منصور القميص أو الرداء أو الازار حدثنا أبو كريب وهناد قالا ثنا وكيع
وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر فى قوله أو كسوتهم قال
كسوة الشتاء والصيف ثوب ثوب حدثنا هناد قال ثنا عمر بن هرون عن ابن جريج عن عطاء
فى قوله أو كسوتهم قال ثوب ثوب لكل مسكين حدثنا هناد قال ثنا عبدة بن سليمان عن سعيد
ابن أبى عروبة عن أبى معشر عن ابراهيم فى قوله أو كسوتهم قال اذا كساهم ثوبا ثوبا أجزأ عنه
حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق بن سليمان الرازى عن ابن سنان عن حماد قال ثوب أو ثوبان وثوب
لا بد منه حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن
ابن عباس قال ثوب ثوب لكل انسان وقد كانت العباءة تقضى يومئذ من الكسوة حدثنى المثنى
قال ثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس أو كسوتهم قال
الكسوة عباءة لكل مسكين أو شملة حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل
عن السدى عن أبى مالك قال ثوب أو قميص أو رداء أو ازار حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى

قال

فأبكاهم فكيف لو عرفوا كله
وأحاطوا بالسنة ربنا آمنا المراد
انشاء الايمان لا الاخبار عنه
فاكتبنا مع الشاهدين مع أمة محمد
صلى الله عليه وسلم وقد مر مثله فى
آل عمران وما لنا انكار واستبعاد
لانتفاء الايمان مع حصول موجبه
وهو الطمع فى انعام الله عليهم
بادخالهم دار ثوابه مع الصالحين
قالوا ذلك فى أنفسهم أو فيما بينهم
أو أرادوا جواب قومهم حين رجعوا
اليهم ولاموهم ومحل لا نؤمن نصب
على الحال نحو ما لك قائما والعامل
فيه معنى الفعل أى ما تصنع غير
مؤمنين وهو العامل أيضا فى ونطمع
لكن مقيدا بالحال الاولى لانك
لو حذفتها وقلت وما لنا ونطمع
لا حالات ويحتمل أن يكون ونطمع
حالا من لا نؤمن كأنهم أنكروا أن
لا يوحدوا الله وهم يطمعون فى
الثواب وأن يكون عطفا على لا نؤمن
أى ما لنا نجمع بين التثليث وبين
الطمع أو ما لنا لا نجمع بين الايمان
وبين الطمع فأثابهم الله بما قالوا
ظاهره يدل على أنهم انما استحقوا
الثواب بمجرد القول ولكن فيما
سبق من وصفهم بمعرفة الحق ما يدل
على خلوص عقيدتهم فلا جرم لما
انضاف اليه القول كمل الايمان
ويحتمل أن يكون مأخوذا من
قول الشاهد هذا قول فلان أى اعتقاده
ومذهبه وروى عطاء عن ابن عباس
أن المراد بما سألوا من قولهم
فاكتبنا مع الشاهدين قال أهل
السنة فيه دليل على أن المعرفة مع
الاقرار توجب حصول الثواب

قال لي عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال ان اختار صاحب اليمين الكسوة كسا عشرة أناسيّ كل انسان عباءة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا ابن جريج قال سمعت عطاء يقول في قوله أو كسوتهم الكسوة ثوب ثوب وقال بعضهم عنى بذلك الكسوة ثوبين ثوبين ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا عبيدة وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية جميعا عن داود بن أبي هند عن سعيد بن المسيب في قوله أو كسوتهم قال عباءة وعمامة حدثنا هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن داود بن أبي هند عن سعيد بن المسيب قال عمامة يلف بها رأسه وعباءة يلتحف بها حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن عبد الله الانصاري عن أشعث عن الحسن وابن سيرين قال ثوبين ثوبين حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الأعلى عن يونس عن الحسن قال ثوبين حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن يونس عن الحسن مثله حدثنا أبو كريب وهناد قالا ثنا وكيع عن سفيان عن يونس بن عبيد عن الحسن قال ثوبان ثوبان لكل مسكين حدثنا هناد قال ثنا ابن المبارك عن عاصم الاحول عن ابن سيرين عن أبي موسى أنه حلف على يمين فكسا ثوبين من معقدة البحرين حدثنا هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع عن يزيد بن ابراهيم عن ابن سيرين أن أبا موسى كسا ثوبين من معقدة البحرين حدثنا هناد قال ثنا أبو أسامة عن هشام عن محمد بن عبد الاعلى أن أبا موسى الاشعري حلف على يمين فرأى أن يكفر ففعل وكسا عشرة ثوبين ثوبين حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى عن هشام عن محمد أن أبا موسى حلف على يمين فكفر فكسا عشرة مساكين ثوبين ثوبين حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن داود بن أبي هند عن سعيد بن المسيب قال عباءة وعمامة لكل مسكين حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثله حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا داود بن أبي هند قال قال رجل عند سعيد بن المسيب أو كاسوتهم فقال سعيد لا انما هي أو كسوتهم قال قلت يا أبا محمد ما كسوتهم قال لكل مسكين عباءة وعمامة عباءة يلتحف بها وعمامة يشد بها رأسه حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ثنا عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله أو كسوتهم قال الكسوة لكل مسكين رداء وازار كنحو ما يجد من الميسرة والفاقة * وقال آخرون بل عنى بذلك كسوتهم ثوب جامع كالملحفة والكساء والشئ الذي يصلح للبس والنوم ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السري قال ثنا أبو الاحوص عن مغيرة عن حماد عن ابراهيم قال الكسوة ثوب جامع حدثنا هناد وابن وكيع قالا ثنا ابن فضيل عن مغيرة عن ابراهيم في قوله أو كسوتهم قال ثوب جامع قال وقال مغيرة والثوب الجامع الملحفة أو الكساء أو نحوه ولا نرى الدرع والقميص والخمار ونحوه جامعا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم قال ثوب جامع حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن مغيرة عن ابراهيم قال ثوب جامع حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم أو كسوتهم قال ثوب جامع لكل مسكين حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان وشعبة عن المغيرة عن ابراهيم في قوله أو كسوتهم قال ثوب جامع حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن المغيرة مثله * وقال آخرون عنى بذلك كسوة ازار ورداء أو قميص ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى عن بردة عن نافع عن ابن عمر قال في الكسوة في الكفارة ازار ورداء وقميص * وقال آخرون كل ما كسا فيجزي والآية على عمومها ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن مجاهد قال يجزي

وصاحب الكبيرة له المعرفة والاقرار فلا بد أن يؤل حاله الى هذا الثواب والمعتزلة سلموا أن الاقرار مع المعرفة يوجب الثواب ولكن بشرط عدم الاحباط * (التأويل) لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل مع ذرات ذريات آدم عليه السلام وأرسلنا اليهم رسلا بالاجساد في عالم الشهادة ومن الواردات الروحانية في عالم الغيب فريقا كذبوا يعني الالهامات والواردات وفريقا يقتلون في عالم الحس لقد كفر الذين قالوا النصارى أرادوا أن يسلكوا طريق الحق بقدم العقل فتاهوا في أودية الشبهات وأمة محمد صلى الله عليه وسلم سلكوا الطريق بأقدام جذبات الالوهية على وفق المتابعة الحبيبة فأسقط عنهم براهين الوصال كلفة الاستدلال ولهذا كان الشبلي يغسل كتبه بالماء ويقول نعم الدليل أنت ولكن الاشتغال بالدليل بعد الوصول الى المدلول محال فتحقق لهم أن عيسى بعد التزكية والتحلية صار قابلا للفيض الالهي فكان يخلق ما يخلق ويفعل ما يفعل باذن الله كما أن المرايا المحرقة تحرق بما قبلت من فيض الشمس انه من يشرك بالله ظاهرا فقد حرم الله عليه الجنة ومن يشرك به باطنا حرم عليه القربة على لسان داود وعيسى بن مريم هذا سر الخلافة فان الانسان الكامل المستحق للخلافة قبوله قبول الحق ورده رد الحق لا يتناهون عن منكر سمي العصيان منكرا لانه يوجب النكرة كما سمي الطاعة

في كفارة اليمين كل شيء الا التبان حدثنا هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أشعث عن الحسن قال يجزئ عمامة في كفارة اليمين حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي يونس الصيرفي عن أبي الهيثم قال قال سلمان نعم الثوب التبان حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن الشيباني عن الحكم قال عمامة يلف بها رأسه ❊ وأولى الاقوال في ذلك عندنا بالصحة وأشبهها بتأويل القرآن قول من قال عنى بقوله أو كسوتهم ما وقع عليه اسم كسوة مما يكون ثوبا فصاعدا لان مادون الثوب لا خلاف بين جميع الحجة أنه ليس مما دخل في حكم الآية فكان مادون قدر ذلك خارجا من أن يكون الله تعالى عناه بالنقل المستفيض والثوب وما فوقه داخل في حكم الآية اذ لم يأت من الله تعالى وحي ولا من رسوله صلى الله عليه وسلم خبر ولم يكن من الامة اجماع بانه غير داخل في حكمها وغير جائز اخراج ما كان ظاهر الآية محتمله من حكم الآية الا بحجة يجب التسليم لها ولا حجة بذلك ❊ القول في تأويل قوله (أو تحرير رقبة) يعني تعالى ذكره بذلك أو فك عبد من أسر العبودة وذلها وأصل التحرير الفك من الاسر ومنه قول الفرزدق بن غالب

أبني غدانة انني حررتكم ❊ فوهبتكم لعطية بن جعال

يعني بقوله حررتكم فككت رقابكم من ذل الهجاء ولزوم العار وقيل تحرير رقبة والمحرر صاحب الرقبة لان العرب كان من شأنها اذا أسرت أسيرا أن تجمع يديه الى عنقه بقيد أو حبل أو غير ذلك واذا أطلقته من الاسر أطلقت يديه وحلتهما مما كانتا به مشدودتين الى الرقبة فجرى الكلام عند اطلاقهم الاسير بالخبر عن فك يديه عن رقبته وهم يريدون الخبر عن اطلاقه من أسره كما يقال قبض فلان يده عن فلان اذا أمسك يده عن نواله وبسط فيه لسانه اذا قال فيه سوأ فيضاف الفعل الى الجارحة التي يكون بها ذلك الفعل دون فاعله لاستعمال الناس ذلك بينهم وعلمهم بمعنى ذلك فكذلك ذلك في قول الله تعالى ذكره أو تحرير رقبة أضيف التحرير الى الرقبة وان لم يكن هنالك غل في رقبته ولا شد يد اليها وكان المراد بالتحرير نفس العبد بما وصفنا من جرى استعمال الناس ذلك بينهم لمعرفتهم بمعناه فان قال قائل أفكل الرقاب معني بذلك أو بعضها قيل بل معني بذلك كل رقبة كانت سليمة من الاقعاد والعمى والخرس وقطع اليدين أو شللهما والجنون المطبق ونظائر ذلك فان من كان به ذلك أو شيء منه من الرقاب فلا خلاف بين الجميع من الحجة أنه لا يجزئ في كفارة اليمين فكان معلوما بذلك أن الله تعالى ذكره لم يعنه بالتحرير في هذه الآية فأما الصغير والكبير والمسلم والكافر فانهم معنيون به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل العلم ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا مغيرة عن ابراهيم أنه كان يقول من كانت عليه رقبة واجبة فاشترى نسمة قال اذا أنقذها من عمل أجزأته ولا يجوز عتق من لا يعمل فأما الذي يعمل فالأعور ونحوه وأما الذي لا يعمل فلا يجزئ كالاعمى والمقعد حدثنا هناد قال ثنا هشيم عن يونس عن الحسن قال كان يكره عتق المخبل في شيء من الكفارات حدثنا هناد قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم أنه كان لا يرى عتق المغلوب على عقله يجزئ في شيء من الكفارات وقال بعضهم لا يجزئ في الكفارة من الرقاب الا صحيح ويجزئ الصغير فيها ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال لا يجزئ في الرقبة الا صحيح حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال يجزئ المولود في الاسلام من رقبة حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن الاعمش عن ابراهيم قال ما كان في القرآن من رقبة مؤمنة فلا يجزئ الا ما صام وصلى وما كان ليس بمؤمنة فالصبي يجزئ وقال بعضهم لا يقال للمولود رقبة الا بعد مدة تأتي عليه ذكر من

معروفا لأنها توجب المعرفة ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا يعني أن تعارف الارواح يوجب ائتلاف الاشباح فالنصارى ببركة علمائهم وعبادهم وصفاء قلوبهم وخضوعهم نالتهم القرابة والمودة من أهل الايمان وعرفوا الحق الذي سمعوه في الازل يوم الميثاق فآمنوا وذلك جزاء المحسنين الذين يعبدون الله ويشاهدونه بلوائح المعرفة وطوالع المحبة فالاحسان أن تعبد الله كأنك تراه (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات

قال ذلك حدثني محمد بن يزيد الرفاعي قال ثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن محمد بن شعيب بن شابور عن النعمان بن المنذر عن سليمان قال اذا ولد الصبي فهو نسمة واذا انقلب ظهرا لبطن فهو رقبة واذا صلى فهو مؤمنة * والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال ان الله تعالى عم بذكر الرقبة كل رقبة فأي رقبة حررها المكفر يمينه في كفارته فقد أدى ما كلف الا ما ذكرنا أن الحجة مجمعة على أن الله تعالى لم يعنه بالتحرير فذلك خارج من حكم الآية وما عدا ذلك فجائز تحريره في الكفارة بظاهر التنزيل والمكفر مخير في تكفير يمينه التي حنث فيها باحدى هذه الحالات الثلاث التي سماها الله في كتابه وذلك اطعام عشرة مساكين من أوسط ما يطعم أهله أو كسوتهم أو تحرير رقبة باجماع من الجميع لا خلاف بينهم في ذلك فان ظن ظان أن ما قلنا من أن ذلك اجماع من الجميع ليس كما قلنا لما حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا سليمان الشيباني قال ثنا أبو الضحى عن مسروق قال جاء نعمان ابن مقرن الى عبد الله فقال اني آليت من النساء والفراش فقرأ عبد الله هذه الآية لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين قال فقال نعمان انما سألتك لكوني أتيت على هذه الآية فقال عبد الله ائت النساء ونم وأعتق رقبة فانك موسر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني جرير بن حازم أن سليمان الاعمش حدثه عن ابراهيم بن يزيد النخعي عن همام ابن الحرث أن نعمان بن مقرن سأل عبد الله بن مسعود فقال اني حلفت أن لا أنام على فراشي سنة فقال ابن مسعود يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم كفر عن يمينك ونم على فراشك قال بم أكفر عن يميني قال أعتق رقبة فانك موسر ونحو هذا من الاخبار التي رويت عن ابن مسعود وابن عمر وغيرهما فان ذلك منهم كان على وجه الاستحباب لمن أمروه بالتكفير بما أمروه به بالتكفير من الرقاب لا على أنه كان لا يجزى عندهم التكفير للموسر الا بالرقبة لانه لم ينقل أحد عن أحد منهم أنه قال لا يجزى الموسر التكفير الا بالرقبة والجميع من علماء الامصار قديمهم وحديثهم مجمعون على أن التكفير بغير الرقاب جائز للموسر ففي ذلك مكتفى عن الاستشهاد على صحة ما قلنا في ذلك بغيره القول في تأويل قوله ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام﴾ يقول تعالى ذكره فمن لم يجد لكفارة يمينه التي لزمه تكفيرها من الطعام والكسوة والرقاب ما يكفرها به على ما فرضنا عليه وأوجبناه في كتابنا وعلى لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فصيام ثلاثة أيام يقول فعليه صيام ثلاثة أيام ثم اختلف أهل العلم في معنى قوله فمن لم يجد ومتى يستحق الحانث في يمينه الذي قد لزمته الكفارة اسم غير واجد حتى يكون ممن له الصيام في ذلك فقال بعضهم اذا لم يكن للحانث في وقت تكفيره عن يمينه الا قدر قوته وقوت عياله يومه وليلته فان له أن يكفر بالصيام فان كان عنده في ذلك الوقت قوته وقوت عياله يومه وليلته ومن الفضل ما يطعم عشرة مساكين أو ما يكسوهم لزمه التكفير بالاطعام أو الكسوة ولم يجزه الصيام حينئذ وممن قال ذلك الشافعي حدثنا بذلك عنه الربيع وهذا القول قصد ان شاء الله من أوجب الطعام على من كان عنده درهمان وممن أوجبه على من عنده ثلاثة دراهم وبنحو ذلك حدثنا هناد قال ثنا ابن المبارك عن حماد بن سلمة عن عبد الكريم عن سعيد بن جبير قال اذا لم يكن له الا ثلاثة دراهم أطعم قال يعني في الكفارة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني معتمر بن سليمان قال قلت لعمر بن راشد الرجل يحلف ولا يكون عنده من الطعام الا بقدر ما يكفر قال كان قتادة يقول يصوم ثلاثة أيام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا المعتمر بن سليمان قال ثنا يونس بن عبيد عن الحسن قال اذا كان عنده درهمان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر عن حماد عن عبد الكريم

ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض وأن الله بكل شيء عليم اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الالباب لعلكم تفلحون﴾

القراآت عاقدتم بالتخفيف حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل وقرأ ابن ذكوان عاقدتم بالالف الباقون عقدتم بالتشديد من أوسط مثل مبسوطتان فجزاء بالتنوين مثل بالرفع يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم عن المفضل كفارة طعام بالاضافة أبو جعفر ونافع وابن عامر الباقون كفارة

ابن أبي أمية عن سعيد بن جبير قال ثلاثة دراهم وقال آخرون جائز لمن لم يكن عنده مائتا درهم أن يصوم وهو ممن لا يجد وقال آخرون جائز لمن لم يكن عنده فضل عن رأس ماله يتصرف به لمعاشه ما يكفر به بالاطعام أن يصوم الا أن يكون له كفاية ومن المال ما يتصرف به لمعاشه ومن الفضل عن ذلك ما يكفر به عن يمينه وهذا قول كان يقوله بعض متأخرى المتفقهة * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن من لم يكن عنده فى حال حنثه فى يمينه الا قدر قوته وقوت عياله يومه وليلته لا فضل له عن ذلك يصوم ثلاثة أيام وهو ممن دخل فى جملة من لا يجد ما يطعم أو يكسو أو يعتق وان كان عنده فى ذلك الوقت من الفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليلته ما يطعم أو يكسو عشرة مساكين أو يعتق رقبة فلا يجزيه حينئذ الصوم لان احدى الحالات الثلاث حينئذ من اطعام أو كسوة أو عتق حق قد أوجبه الله تعالى فى ماله وجوب الدين وقد قامت الحجة بأن المفلس اذا فرق ماله بين غرمائه انه لا يترك ذلك اليوم الا ما لا بد له من قوته وقوت عياله يومه وليلته فكذلك حكم المعدم بالدين الذى أوجبه الله تعالى فى ماله بسبب الكفارة التى لزمت ماله واختلف أهل العلم فى صفة الصوم الذى أوجبه الله فى كفارة اليمين فقال بعضهم صفته أن يكون مواصلا بين الايام الثلاثة غير مفرقها

ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن العلاء قال ثنا وكيع عن سفيان عن ليث عن مجاهد قال كل صوم فى القرآن فهو متتابع الا قضاء رمضان فانه عدة من أيام أخر حدثنا أبو كريب وهناد قالا ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس قال كان أبى بن كعب يقرأ فصيام ثلاثة أيام متتابعات حدثنا عبد الاعلى بن واصل الاسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب أنه كان يقرأ فصيام ثلاثة أيام متتابعات حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن قزعة ابن سويد عن سيف بن سليمان عن مجاهد قال فى قراءة عبد الله فصيام ثلاثة أيام متتابعات حدثنا هناد قال ثنا ابن المبارك عن ابن عون عن ابراهيم قال فى قراءتنا فصيام ثلاثة أيام متتابعات حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن ابراهيم مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم فى قراءة أصحاب عبد الله فصيام ثلاثة أيام متتابعات حدثنا هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع عن سفيان عن جابر عن عامر قال فى قراءة عبد الله فصيام ثلاثة أيام متتابعات حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن حميد عن معمر عن ابن اسحق فى قراءة عبد الله فصيام ثلاثة أيام متتابعات حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن حميد عن معمر عن الاعمش قال كان أصحاب عبد الله يقرؤن فصيام ثلاثة أيام متتابعات حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع قال سمعت سفيان يقول اذا فرق صيام ثلاثة أيام لم يجزه قال وسمعته يقول فى رجل صام فى كفارة يمين ثم أفطر قال يستقبل الصوم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فصيام ثلاثة أيام قال اذا لم يجد طعاما وكان فى بعض القراءة فصيام ثلاثة أيام متتابعات وبه كان يأخذ قتادة حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال هو بالخيار فى هؤلاء الثلاثة الاول فالاول فان لم يجد من ذلك شيأ فصيام ثلاثة أيام متتابعات

وقال آخرون جائز لمن صامهن أن يصومهن كيف شاء مجتمعات ومفترقات ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا أشهب قال قال مالك كل ما ذكر الله فى القرآن من الصيام فأن يصام تباعا أعجب فان فرقها رجوت أن تجزى عنه * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال ان الله تعالى أوجب على من لزمته كفارة يمين اذا لم يجد الى تكفيرها بالاطعام أو الكسوة أو العتق

بالتنوين طعام بالرفع قياما بغير ألف ابن عامر ○ الوقوف ولا تعتدوا ط المعتدين ○ طيبا ص لعطف المتفقين مؤمنون ○ الايمان ج لاختلاف النظم مع اتحاد الكلام وفاء التعقيب رقبة ط ثلاثة أيام ط حلفتم ط للاضمار أى حلفتم وحنثتم أيمانكم ط تشكرون ○ تفلحون ○ وعن الصلاة ج لابتداء الاستفهام لاجل التحذير مع دخول الفاء فيه منتهون ○ واحذروا ط المبين ○ وأحسنوا ط المحسنين ○ بالغيب ج أليم ○ وأنتم حرم ط وبال أمره ط سلف ط منه ط انتقام ○ وللسيارة ج لطول الكلام وتضاد المعنيين وان اتفقت الجملتان لفظا حرما ط لاطلاق الامر بالابتداء تحشرون ○ والقلائد ط عليم ○ رحيم ○ البلاغ ط تكتمون ○ كثرة الخبيث ج لاتفاق الجملتين مع وقوع العارض تفلحون ○

(التفسير) انه سبحانه بعد استقصاء المناظرة مع أهل الكتاب عاد الى بيان الاحكام فبدأ بتحليل المطاعم والمشارب واستيفاء اللذات كيلا يتوهم متوهم أن مدح القسيسين والرهبان يوجب ايثار طريقتهم فى هذا الدين قال المفسرون جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فذكر الناس ووصف القيامة ولم يزدهم على التخويف فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة فى بيت عثمان بن مظعون منهم أبو بكر وعلى وابن مسعود وأبو ذر

سبيلا أن يكفرها بصيام ثلاثة أيام ولم يشرط فى ذلك متتابعة فكيفما صامهن المكفر مفرقة ومتتابعة أجزأه لان الله تعالى انما أوجب عليه صيام ثلاثة أيام فكيفما أتى بصومهن أجزأ فأما ما روى عن أبى وابن مسعود من قراءتهما فصيام ثلاثة أيام متتابعات فذلك خلاف ما فى مصاحفنا وغير جائز لنا أن نشهد بشئ ليس فى مصاحفنا من الكلام أنه من كتاب الله غير أنى أختار للصائم فى كفارة اليمين أن يتابع بين الايام الثلاثة ولا يفرق لانه لا خلاف بين الجميع أنه اذا فعل ذلك فقد أجزأ ذلك عنه من كفارته وهم فى غير ذلك مختلفون ففعل ما لا يختلف فى جوازه أحب الى وان كان الآخر جائزا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك هذا الذى ذكرت لكم أنه كفارة أيمانكم من اطعام العشرة المساكين أو كسوتهم أو تحرير الرقبة وصيام الثلاثة الايام اذا لم تجدوا من ذلك شيأ هو كفارة أيمانكم التى عقدتموها اذا حلفتم واحفظوا أيها الذين آمنوا أيمانكم أن تحنثوا فيها ثم تضيعوا الكفارة فيها بما وصفته لكم كذلك يبين الله لكم آياته كما بين لكم كفارة أيمانكم كذلك يبين الله لكم جميع آياته يعنى أعلام دينه فيوضحها لكم لئلا يقول المضيع المفرط فيما ألزمه الله لم أعلم حكم الله فى ذلك لعلكم تشكرون يقول لتشكروا الله على هدايته اياكم وتوفيقه لكم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ وهذا بيان من الله تعالى ذكره للذين حرموا على أنفسهم النساء والنوم واللحم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم تشبها منهم بالقسيسين والرهبان فأنزل الله فيهم على نبيه صلى الله عليه وسلم كتابه ينهاهم عن ذلك فقال يا أيها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم فنهاهم بذلك عن تحريم ما أحل الله لهم من الطيبات ثم قال ولا تعتدوا أيضا فى حدودى فتحلوا ما حرمت عليكم فان ذلك لكم غير جائز كما غير جائز لكم تحريم ما حللت وانى لا أحب المعتدين ثم أخبرهم عن الذى حرم عليهم مما اذا استحلوه وتقدموا عليه كانوا من المعتدين فى حدوده فقال لهم يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ان الخمر التى تشربونها والميسر الذى تتياسرونه والأنصاب التى تذبحون عندها والأزلام التى تستقسمون بها رجس يقول اثم ونتن سخطه الله وكرهه لكم من عمل الشيطان يقول شربكم الخمر وقماركم على الجزر وذبحكم للانصاب واستقسامكم بالأزلام من تزيين الشيطان لكم ودعائه اياكم اليه وتحسينه لكم لا من الأعمال التى ندبكم اليها ربكم ولا مما يرضاه لكم بل هو مما يسخطه لكم فاجتنبوه يقول فاتركوه وارفضوه ولا تعملوه لعلكم تفلحون يقول لكى تنجحوا فتدركوا الفلاح عند ربكم بترككم ذلك وقد بينا معنى الخمر والميسر والأزلام فيما مضى فكرهنا اعادته وأما الأنصاب فانها جمع نصب وقد بينا معنى النصب بشواهده فيما مضى وروى عن ابن عباس فى معنى الرجس فى هذا الموضع ما حدثنى به المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله رجس من عمل الشيطان يقول سخط وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله رجس من عمل الشيطان قال الرجس الشر ۞ القول فى تأويل قوله ﴿انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ يقول تعالى ذكره انما يريد لكم الشيطان شرب الخمر والمياسرة بالقداح ويحسن ذلك لكم ارادة منه أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى شربكم الخمر ومياسرتكم بالقداح ليعادى بعضكم بعضا ويبغض بعضكم الى بعض فيشتت أمركم بعد تأليف الله بينكم بالايمان

الغفارى وسلمان الفارسى فاتفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النساء والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا فى الارض ويترهبوا ويجبوا المذاكير فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا يا رسول الله وما أردنا الا الخير فقال انى لم أومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فانى أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم من رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا أما انى لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس فى دينى ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة أمتى الصوم ورهبانيتهم الجهاد فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وحجوا واعتمروا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان فانما هلك من قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فأولئك بقاياهم فى الديارات والصوامع فأنزل الله هذه الآية فقالوا يا رسول الله فكيف نصنع بأيماننا التى حلفنا عليها وكانوا حلفوا على ما اتفقوا عليه فنزلت هذه الآية لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم فهذا وجه اتصال الآيات فان قيل ما الحكمة فى قوله لا تحرموا ومن المعلوم أن توسع الانسان

وجمعه بينكم بأخوة الاسلام ويصدكم عن ذكر الله يقول ويصرفكم بغلبة هذه الخمر بسكرها اياكم عليكم وباشتغالكم بهذا الميسر عن ذكر الله الذي به صلاح دنياكم وآخرتكم وعن الصلاة التي فرضها عليكم ربكم فهل أنتم منتهون يقول فهل أنتم منتهون عن شرب هذه والمياسرة بهذا وعاملون بما أمركم به ربكم من أداء ما فرض عليكم من الصلاة لأوقاتها ولزوم ذكره الذي به نجح طلباتكم في عاجل دنياكم وآخرتكم واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية فقال بعضهم نزلت بسبب كان من عمر بن الخطاب وهو أنه ذكر مكروه عاقبة شربها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسأل الله تحريمها ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السري قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي ميسرة قال قال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا قال فنزلت الآية التي في البقرة يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس قال فدعي عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في النساء لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قال وكان منادي النبي صلى الله عليه وسلم ينادي اذا حضرت الصلاة لا يقربن الصلاة السكران قال فدعي عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا قال فنزلت الآية التي في المائدة يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس الى قوله فهل أنتم منتهون فلما انتهى الى قوله فهل أنتم منتهون قال عمر انتهينا انتهينا حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال ثنا أبي عن أبي اسحق عن أبي ميسرة قال قال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فانها تذهب بالعقل والمال ثم ذكر نحو حديث وكيع حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن زكريا عن أبي اسحق عن أبي ميسرة قال قال عمر بن الخطاب اللهم بين لنا فذكر نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبيه واسرائيل عن أبي اسحق عن أبي ميسرة عن عمر بن الخطاب مثله حدثنا هناد قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا زكريا بن أبي زائدة عن أبي اسحق عن أبي ميسرة عن عمر بن الخطاب مثله حدثنا هناد قال ثنا يونس بن بكير قال ثني أبو معشر المدني عن محمد بن قيس قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه الناس وقد كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر فسألوه عن ذلك فأنزل الله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما فقالوا هذا شيء قد جاء فيه رخصة نأكل الميسر ونشرب الخمر ونستغفر من ذلك حتى أتى رجل صلاة المغرب فجعل يقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد فجعل لا يجوّد ذلك ولا يدري ما يقرأ فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فكان الناس يشربون الخمر حتى يجيء وقت الصلاة فيدعون شربها فيأتون الصلاة وهم يعلمون ما يقولون فلم يزالوا كذلك حتى أنزل الله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام الى قوله فهل أنتم منتهون فقالوا انتهينا يا رب وقال آخرون نزلت هذه الآية بسبب سعد بن أبي وقاص وذلك أنه كان لاحى رجلا على شراب لهما فضربه صاحبه بلحى جمل ففزر أنفه فنزلت فيهما ذكر الرواية بذلك حدثني محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك بن حرب عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد أنه قال صنع رجل من الانصار طعاما فدعانا قال فشربنا الخمر حتى انتشينا فتفاخرت الانصار وقريش فقالت الانصار نحن أفضل منكم قال فأخذ رجل من الانصار لحي جمل فضرب به أنف سعد ففزره فكان سعد أفزر الانف قال فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى آخر الآية حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن مصعب بن سعد قال قال سعد شربت مع قوم من الانصار فضربت رجلا منهم أظن بفك جمل فكسرته فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فلم ألبث أن نزل تحريم الخمر يا أيها الذين

في اللذات والطيبات تمنعه عن الاستغراق في تحصيل السعادات الباقيات ولهذا قالت الحكماء اذا شبعت الاجسام صارت الارواح أجسادا واذا جاعت الاجسام صارت الاجساد أرواحا فالجواب أن الرهبانية المفرطة مما توقع الآفة في الاعضاء الرئيسة التي هي القلب والكبد والدماغ والانثيان فيختل الفكر ويقل التأمل في الجواهر الروحانية ومبادئها على أن النفوس القوية لا يمنعها التصرف في الجسمانيات عن التأمل في الروحانيات والرهبانية دليل الضعف والقصور والكمال في الوفاء بالجهتين وكيف لا والرهبانية توجب خراب الدنيا وانقطاع الحرث والنسل وترك الترهب مع رعاية وظائف الطاعة يفضي الى سعادة الدارين قال القفال انه تعالى قال في أول السورة أوفوا بالعقود فبين أنه كما لا يجوز تحليل المحرم لا يجوز تحريم الحلال وذلك أنهم كانوا يحلون الميتة والدم ويحرمون البحائر والسوائب ومعنى لا تحرموا لا تعتقدوا تحريم ما أحل الله ولا تظهروا باللسان تحريمه أو لا تجتنبوه اجتنابا يشبه اجتناب المحرمات فهذه الوجوه محمولة على الاعتقاد والقول والعمل ويحتمل أن يراد لا تحرموا على غيركم بالفتوى أو لا تلتزموا تحريمها بنذر أو يمين كقوله يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك أو لا تخلطوا المملوك بالمغصوب أو الطاهر بالنجس خلطا لا يبقى معه التمييز فانه يحرم أكل والطيبات المستلذات التي تشتهيها

آمنوا انما الخمر والميسر الى آخر الآية حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال ثنا اسرائيل عن
سماك عن مصعب بن سعد عن أبيه قال شربت الخمر مع قوم من الانصار فذكر نحوه حدثني
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث أن ابن شهاب أخبره أن سالم بن عبد الله
حدثه أن أول ما حرمت الخمر أن سعد بن أبي وقاص وأصحابا له شربوا فاقتتلوا فكسر وأنف سعد
فأنزل الله انما الخمر والميسر الآية وقال آخرون نزلت في قبيلتين من قبائل الانصار ذكر من قال
ذلك حدثنا الحسين بن علي الصدائي قال ثنا حجاج بن المنهال قال ثنا ربيعة بن كلثوم عن جبير
عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الانصار شربوا
حتى اذا ثملوا عبث بعضهم ببعض فلما أن صحوا جعل الرجل منهم يرى الأثر بوجهه ولحيته فيقول
فعل بي هذا أخي فلان وكانوا اخوة ليس في قلوبهم ضغائن والله لو كان بي رؤفا رحيما ما فعل بي هذا
حتى وقعت في قلوبهم الضغائن فأنزل الله انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون فقال ناس من
المتكلفين هي رجس وهي في بطن فلان قتل يوم بدر وقتل فلان يوم أحد فأنزل الله ليس على الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية حدثنا محمد بن خلف قال ثنا سعيد بن محمد الجرمي
عن أبي تميلة عن سلام مولى حفص بن أبي قيس عن أبي بريدة عن أبيه قال بينما نحن قعود على
شراب لنا ونحن نشرب الخمر حلا اذ قمت حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وقد نزل
تحريم الخمر يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان
الى آخر الآيتين فهل أنتم منتهون فجئت الى أصحابي فقرأتها عليهم الى قوله فهل أنتم منتهون قال
وبعض القوم شربته في يده قد شرب بعضا وبقي بعض في الاناء فقال بالاناء تحت شفته العليا كما
يفعل الحجام ثم صبوا ما في باطيتهم فقالوا انتهينا ربنا انتهينا ربنا وقال آخرون انما كانت العداوة
والبغضاء كانت تكون بين الذين نزلت فيهم هذه الآية بسبب الميسر لا بسبب السكر الذي يحدث
لهم من شرب الخمر فلذلك نهاهم الله عن الميسر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا جامع
ابن حماد قال ثنا يزيد بن زريع قال بشر وقد سمعته من يزيد وحدثنيه قال ثنا سعيد عن
قتادة قال كان الرجل في الجاهلية يقامر على أهله وماله فيقعد حزينا سليبا ينظر الى ماله في يدي
غيره فكانت تورث بينهم عداوة وبغضاء فنهى الله عن ذلك وقدم فيه والله أعلم بالذي يصلح خلقه
* والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال ان الله تعالى قد سمى هذه الاشياء التي سماها في هذه
الآية رجسا وأمر باجتنابها وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية
وجائز أن يكون نزولها كان بسبب دعاء عمر رضي الله عنه في أمر الخمر وجائز أن يكون ذلك كان
بسبب ما نال سعدا من الانصاري عند انتشائهما من الشراب وجائز أن يكون كان من أجل
ما كان يلحق أحدهم عند ذهاب ماله بالقمار من عداوة من يسره وبغضه وليس عندنا بأي ذلك كان
خبر قاطع للعذر غير أنه أي ذلك كان فقد لزم حكم الآية جميع أهل التكليف وغير ضائرهم الجهل
بالسبب الذي له نزلت هذه الآية فالخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان
فرض على جميع من بلغته الآية من التكليف اجتناب جميع ذلك كما قال تعالى فاجتنبوه لعلكم
تفلحون * القول في تأويل قوله (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا أنما
على رسولنا البلاغ المبين) يقول تعالى ذكره انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس
من عمل الشيطان فاجتنبوه وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول في اجتنابكم ذلك واتباعكم أمره
فيما أمركم به من الانزجار عما زجركم عنه من هذه المعاني التي بينها لكم في هذه الآية وغيرها
وخالفوا الشيطان في أمره اياكم بمعصية الله في ذلك وفي غيره فانه انما يبغي لكم العداوة والبغضاء

النفوس وتميل اليها القلوب ثم نهى
عن الاعتداء مطلقا ليدخل تحته
النهي عن الاسراف كقوله كلوا
واشربوا ولا تسرفوا وكلوا أمر
اباحة وتحليل مما رزقكم الله في
ادخال من التبعيضية ارشاد الى
الاقتصاد والاقتصار في الاكل على
البعض وصرف الباقي الى
المحتاجين وفيه أنه تعالى هو الذي
يرزق عبيده وتكفل برزقهم قال
في التفسير الكبير قوله حلالا طيبا
ان كان متعلقا بالاكل كان حجة
للمعتزلة على أن الرزق لا يكون الا
حلالا لانه يدل على الاذن في أكل
كل ما رزق الله تعالى وانما يأذن
في أكل الحلال فيلزم أن يكون كل
رزق حلالا وان كان متعلقا
بالمأكول أي كلوا من الرزق الذي
يكون حلالا كان حجة لاصحابنا لان
التقييد يؤذن بأن الرزق قد
لا يكون حلالا أقول هذا فرق
ضعيف واه هذا قال في الكشاف
حلالا حال مما رزقكم الله مع أنه من
المعتزلة ثم أكد التوصية بقوله
واتقوا الله وزاده تأكيدا بقوله
الذي أنتم به مؤمنون لان الايمان
به يوجب اتقاءه في أوامره ونواهيه
ثم قال لا يؤاخذكم وقد ذكرنا وجه
النظم آنفا وقد تقدم معنى يمين
اللغو في سورة البقرة أما قوله بما
عقدتم الايمان فمن قرأ بالتخفيف
فانه صالح للقليل والكثير فلا
اشكال ومن قرأ بالتشديد فان أبا
عبيدة اعترض عليه بأن التشديد
للتكثير فهذه القراءة توجب سقوط
الكفارة عن اليمين الواحدة وأجاب
الواحدي بأن عقد بالتخفيف

بينكم بالخمر والميسر واحذروا يقول واتقوا الله وراقبوه أن يراكم عند ما نهاكم عنه من هذه
الأمور التى حرمها عليكم فى هذه الآية وغيرها أو يفقدكم عند ما أمركم به فتوبقوا أنفسكم
وتهلكوها فان توليتم يقول فان أنتم لم تعملوا بما أمرناكم به وتنتهوا عما نهيناكم عنه ورجعتم
مدبرين عما أنتم عليه من الايمان والتصديق بالله وبرسوله واتباع ما جاءكم به نبيكم فاعلموا أنما
على رسولنا البلاغ المبين يقول فاعلموا أنه ليس على من أرسلناه اليكم بالنذارة غير ابلاغكم الرسالة
التى أرسل بها اليكم مبينة لكم بيانا يوضح لكم سبيل الحق والطريق الذى أمرتم أن تسلكوه
وأما العقاب على التولية والانتقام بالمعصية فعلى المرسل اليه دون الرسل وهذا من الله تعالى وعيد
لمن تولى عن أمره ونهيه يقول لهم تعالى ذكره فان توليتم عن أمرى ونهيى فتوقعوا عقابى
واحذروا سخطى القول فى تأويل قوله (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين) يقول
تعالى ذكره للقوم الذين قالوا اذ أنزل الله تحريم الخمر بقوله انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام
رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه كيف بمن هلك من اخواننا وهم يشربونها وبنا وقد كنا
نشربها ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات منكم حرج فيما شربوا من ذلك فى الحال التى
لم يكن الله تعالى حرمه عليهم اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات يقول اذا ما اتقى الله الاحياء
منهم فخافوه وراقبوه فى اجتنابهم ما حرم عليهم منه وصدقوا الله ورسوله فيما أمراهم ونهياهم
فأطاعوهما فى ذلك كله وعملوا الصالحات يقول واكتسبوا من الأعمال ما يرضاه الله فى
ذلك مما كلفهم بذلك ربهم ثم اتقوا وآمنوا يقول ثم خافوا الله وراقبوه باجتنابهم محارمه بعد ذلك
التكليف أيضا فثبتوا على اتقاء الله فى ذلك والايمان به ولم يغيروا ولم يبدلوا ثم اتقوا وأحسنوا
يقول ثم خافوا الله فدعاهم خوفهم الله الى الاحسان وذلك الاحسان هو العمل بما لم يفرضه
عليهم من الاعمال ولكنه نوافل تقربوا بها الى ربهم طلب رضاه وهربا من عقابه والله يحب
المحسنين يقول والله يحب المتقربين اليه بنوافل الاعمال التى يرضاها فالاتقاء الاول هو الاتقاء
بتلقى أمر الله بالقبول والتصديق والدينونة به والعمل والاتقاء الثانى الاتقاء بالثبات على
التصديق وترك التبديل والتغيير والاتقاء الثالث هو الاتقاء بالاحسان والتقرب بنوافل
الاعمال * فان قال قائل ما الدليل على أن الاتقاء الثالث هو الاتقاء بالنوافل دون أن يكون
ذلك بالفرائض قيل انه تعالى ذكره قد أخبر عن وضعه الجناح عن شاربى الخمر التى شربوها قبل
تحريمه اياها اذا هم اتقوا الله فى شربها بعد تحريمها وصدقوا الله ورسوله فى تحريمها وعملوا
الصالحات من الفرائض ولا وجه لتكرير ذلك وقد مضى ذكره فى آية واحدة وبنحو الذى
قلنا من أن هذه الآية نزلت فيما ذكرنا أنها نزلت فيه جاءت الاخبار عن الصحابة والتابعين
ذكر من قال ذلك **حدثنا** هناد بن السرى وأبو كريب قالا ثنا وكيع **وحدثنا** ابن وكيع
قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزل تحريم الخمر قالوا يا رسول
الله فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جناح الآية **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبد الله عن اسرائيل باسناده نحوه **حدثنا** محمد
بن بشار قال ثنى عبد الكبير بن عبد المجيد قال أخبرنا عباد بن راشد عن قتادة عن أنس بن مالك
قال بينا أنا أدير الكاس على أبى طلحة وأبى عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء
وأبى دجانة حتى مالت رؤسهم من خليط بسر وتمر فسمعنا مناديا ينادى ألا ان الخمر قد حرمت
قال فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال وتوضأ بعضنا

واغتسل

وعقد بالتشديد واحد فى المعنى ولو
سلم فالتكرير يحصل بأن يعقدها
بقلبه ولسانه أما لو عقد اليمين
بأحدهما دون الآخر فلا كفارة
ومن قرأ بالالف فمثل القراءة المخففة
كقولك عاقبت اللص وعافاه الله
والمعنى على القراآت ولكن
يؤاخذكم بعقد الايمان أو بتعقيدها
أو بمعاقدتها اذا حنثتم فحذف
الظرف للعلم به أو المراد بنكث
ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته
أى الفعلة التى من شأنها أن تكفر
الخطيئة أى تسترها أحد هذه
الامور ويسمى بالواجب المخير
وحاصله أنه لا يجب الاتيان بكل
واحد منها ولا يجوز الاخلال
بجميعها ولكنه اذا أتى بأى واحد
منها فانه يخرج عن العهدة
ومن هنا قال أكثر الفقهاء الواجب
واحد لا بعينه من الاطعام والكسوة
وتحرير الرقبة فان عجز عنها جميعا
فالواجب شئ آخر وهو الصوم
أما مقدار الطعام فقد قال الشافعى
نصيب كل مسكين مد أى ثلثا من
وهو قول ابن عباس وزيد بن ثابت
وسعيد بن المسيب والحسن
والقاسم لانه تعالى قال من أوسط
ما تطعمون فان كان المراد ما كان
متوسطا فى العرف فثلثا من من الحنطة
اذا جعل دقيقا وخبزا فانه يصير قريبا
من المن وذلك كاف لواحد فى يوم
واحد وان كان المراد ما كان متوسطا
فى الشرع فليس له فى الشرع مقدار
الا ما جاء فى قصة الاعرابى المفطر
فى نهار رمضان أن النبى صلى الله
عليه وسلم أمره باطعام ستين

واغتسل بعضنا وأصبنا من طيب أم سليم ثم خرجنا الى المسجد واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون الى قوله فهل أنتم منتهون فقال رجل يا رسول الله فما منزلة من مات منا وهو يشربها فأنزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية فقال رجل لقتادة سمعته من أنس بن مالك قال نعم وقال رجل لأنس بن مالك أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وحدثني من لم يكذب والله ما كنا نكذب ولا ندري ما الكذب

حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال أخبرنا اسرائيل عن أبي اسحق عن البراء قال لما حرمت الخمر قالوا كيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق قال قال البراء مات ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الخمر فلما نزل تحريمها قال أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها فنزلت هذه الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية **حدثنا** هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال أخبرنا داود عن ابن جريج عن مجاهد قال نزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا فيمن قتل ببدر وأحد مع محمد صلى الله عليه وسلم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا خالد بن مخلد قال ثنا علي بن مسهر عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لي أنت منهم **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الى قوله والله يحب المحسنين لما أنزل الله تعالى ذكره تحريم الخمر في سورة المائدة بعد سورة الأحزاب قال في ذلك رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصيب فلان يوم بدر وفلان يوم أحد وهم يشربونها فنحن نشهد أنهم من أهل الجنة فأنزل الله تعالى ذكره ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين يقول شربها القوم على تقوى من الله واحسان وهي لهم يومئذ حلال ثم حرمت بعدهم فلا جناح عليهم في ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا قالوا يا رسول الله ما نقول لاخواننا الذين مضوا كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر فأنزل الله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا يعني قبل التحريم اذا كانوا محسنين متقين وقال مرة أخرى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا من الحرام قبل أن يحرم عليهم اذا ما اتقوا وأحسنوا بعد ما حرم وهو قوله فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا يعني بذلك رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ماتوا وهم يشربون الخمر قبل أن تحرم الخمر فلم يكن عليهم فيها جناح قبل أن تحرم فلما حرمت قالوا كيف تكون علينا حراما وقد مات اخواننا وهم يشربونها فأنزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات يقول ليس عليهم حرج فيما كانوا يشربون قبل أن أحرمها اذا كانوا محسنين متقين والله يحب المحسنين **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي

مسكينا من غير ذكر مقدار فقال الرجل ما أجد فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيه خمسة عشر صاعا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أطعم هذا وذلك يدل على تقدير طعام المسكين بربع الصاع وهو مد ولا تلزم كفارة الحلق لانها شرعت بلفظ الصدقة مطلقة عن التقدير باطعام الأهل فكان تكفيرها معتبرا بصدقة الفطر وقد ثبت بالنص تقديرها بالصاع لا بالمد وقال أبو حنيفة الواجب نصف صاع من الحنطة أو صاع من غيرها قال لان الأوسط هو الأعدل وما ذكره الشافعي هو أدنى ما يكفي وأما الأعدل فيكون بادام وهكذا روى عن ابن عباس مد بادامه والادام تبلغ قيمته مدا آخر ويزيد في الاغلب أجاب الشافعي ان الادام غير واجب بالاجماع فلم يبق الا حمل اللفظ على التوسط في قدر الطعام ومقداره ما ذكرنا وجنس الطعام المخرج جنس الفطرة ثم قال الشافعي الواجب تمليك الطعام قياسا على الكسوة وقال أبو حنيفة اذا غدى وعشى عشرة مساكين جاز لان ذلك اطعام ولان اطعام الأهل يكون بالتمكين لا بالتمليك وقد قال من أوسط ما تطعمون أهليكم وللقائل أن يقول ذكر اطعام الاهل لتعيين مقدار المطعم لا لأجل كيفية الاطعام وقال أبو حنيفة لو أطعم مسكينا واحدا عشر مرات جاز وقال الشافعي لا يجزى الا اطعام عشرة لأن مدار الباب على التعبد الذي

نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا لمن كان يشرب الخمر ممن قتل مع محمد صلى الله عليه وسلم ببدر وأحد حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ثنا عبيد بن سليمن عن الضحاك قوله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح الآية هذا في شأن الخمر حين حرمت سألوا نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اخواننا الذين ماتوا وهم يشربونها فأنزل الله هذه الآية

القول في تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ليبلونكم الله بشئ من الصيد يقول ليختبرنكم الله بشئ من الصيد يعني ببعض الصيد وانما أخبرهم تعالى ذكره أنه يبلوهم بشئ لأنه لم يبلهم بصيد البحر وانما ابتلاهم بصيد البر فالابتلاء ببعض لم يمتنع وقوله تناله أيديكم فانه يعني إما باليد كالبيض والفراخ وإما باصابة النبل والرماح وذلك كالحمر والبقر والظباء فيمتحنكم به في حال احرامكم بعمرتكم أو بحجكم وبنحو ذلك قالت جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال أخبرنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم قال أيديكم صغار الصيد أخذ الفراخ والبيض والرماح قال كبار الصيد حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة عن داود عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تناله أيديكم ورماحكم قال النبل ورماحكم تنال كبير الصيد وأيديكم تنال صغير الصيد أخذ الفرخ والبيض حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حميد الأعرج عن مجاهد في قوله ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم قال ما لا يستطيع أن يفر من الصيد حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن حميد الأعرج عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله أيديكم ورماحكم قال هو الضعيف من الصيد وصغيره يبتلي الله تعالى به عباده في احرامهم حتى لو شاؤا نالوه بأيديهم فنهاهم الله أن يقربوه حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان الثوري عن حميد الأعرج وليث عن مجاهد في قوله يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم قال الفراخ والبيض وما لا يستطيع أن يفر

القول في تأويل قوله ﴿ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾ يعني تعالى ذكره ليختبرنكم الله أيها المؤمنون ببعض الصيد في حال احرامكم كي يعلم أهل طاعة الله والايمان به والمنتهون الى حدوده وأمره ونهيه من الذي يخاف الله فيتقي ما نهاه عنه ويجتنبه خوف عقابه بالغيب يعني في الدنيا بحيث لا يراه وقد بينا أن الغيب انما هو مصدر قول القائل غاب عني هذا الامر فهو يغيب غيبا وغيبة وأن ما لم يعاين فان العرب تسميه غيبا فتأويل الكلام اذا ليعلم أولياء الله من يخاف الله فيتقي محارمه التي حرمها عليه من الصيد وغيره بحيث لا يراه ولا يعاينه وأما قوله فمن اعتدى بعد ذلك فانه يعني فمن تجاوز حد الله الذي حده له بعد ابتلائه بتحريم الصيد عليه وهو حرام فاستحل ما حرم الله عليه منه بأخذه وقتله فله عذاب من الله أليم يعني مؤلم موجع

القول في تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا تقتلوا الصيد الذي بينت لكم وهو صيد البر دون صيد البحر وأنتم حرم يقول وأنتم محرمون بحج أو عمرة والحرم جمع حرام والذكر والأنثى فيه بلفظ واحد تقول

لا يعقل معناه فيجب الوقوف على مورد النص * قال في الكشاف أو كسوتهم عطف على محل من أوسط ووجه بأن البدل هو المقصود فكأنه قيل فكفارته من أوسط وأقول الأظهر أن يكون من أوسط مفعولا آخر للاطعام سواء كان من للابتداء أو للتبعيض ويكون كسوتهم معطوفا على الاطعام والكسوة معناها اللباس وهو كل ما يكتسى به قال الشافعي تجزي في الكفارة أقل ما يقع عليه اسم الكسوة وهو ثوب يغطي العورة ازار أو رداء أو قميص أو سراويل أو عمامة أو مقنعة لكل مسكين ثوب واحد لما روي عن ابن عباس كانت العباءة تجزي يومئذ وعن مجاهد ثوب جامع وقال الحسن ثوبان أبيضان والمراد بالرقبة الجملة كان الاسير في العرب تجمع يداه الى رقبته فاذا أطلق حل ذلك الحبل فسمي الاطلاق من الحبل فك رقبة ثم أجري ذلك على العتق هكذا قيل في أصل هذا المجاز ومذهب أهل الظاهر أن جميع الرقاب تجزئ وقال الشافعي لا تجزئ الا كل سليمة من عيب يخل بالعمل صغيرة كانت أو كبيرة ذكرا أو أنثى بعد أن كانت مؤمنة قياسا على كفارة القتل ولم يجوز اعتاق المكاتب ولا شراء القريب وفي تقديم الاطعام على العتق مع أن العتق أفضل تنبيه على التخيير وأن الامر مبني على التخفيف ويمكن أن يقال الاطعام أفضل لان الحر الفقير قد لا يجد

هذا رجل حرام وهذه امرأة حرام فاذا قيل محرم قيل للمرأة محرمة والاحرام هو الدخول فيه يقال
أحرم القوم اذا دخلوا في الشهر الحرام أو في الحرم فتأويل الكلام لا تقتلوا الصيد وأنتم محرمون
بحج أو عمرة وقوله ومن قتله منكم متعمدا فان هذا اعلام من الله تعالى ذكره عباده حكم القاتل
من المحرمين الصيد الذي نهاه عن قتله متعمدا * ثم اختلف أهل التأويل في صفة العمد الذي
أوجب الله على صاحبه به الكفارة والجزاء في قتله الصيد فقال بعضهم هو العمد لقتل الصيد مع
نسيان قاتله احرامه في حال قتله وقال ان قتله وهو ذاكر احرامه متعمدا لقتله فلا حكم عليه وأمره
الى الله قالوا وهذا أجل أمرا من أن يحكم عليه أو يكون له كفارة ذكر من قال ذلك حدثنا
سفيان بن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ومن قتله منكم متعمدا
فجزاء مثل ما قتل من النعم من قتله منكم ناسيا لاحرامه متعمدا لقتله فذلك الذي يحكم عليه فان
قتله ذاكرا لحرمه متعمدا لقتله لم يحكم عليه حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن
ليث عن مجاهد في الذي يقتل الصيد متعمدا وهو يعلم أنه محرم ومتعمد قتله قال لا يحكم عليه ولا حج
له وقوله ومن قتله منكم متعمدا قال هو العمد المكفر وفيه الكفارة والخطأ أن يصيبه وهو ناس
لاحرامه متعمدا لقتله أو يصيبه وهو يريد غيره فذلك يحكم عليه مرة حدثني محمد بن عمرو قال
ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله
منكم متعمدا غير ناس لحرمه ولا مريد غيره فقد حل وليست له رخصة ومن قتله ناسيا أو أراد غيره
فأخطأ به فذلك العمد المكفر حدثنا يعقوب قال ثنا هشيم عن ليث عن مجاهد في قوله
ومن قتله منكم متعمدا قال متعمدا لقتله ناسيا لاحرامه حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال
ثنا الفضيل بن عياض عن ليث عن مجاهد قال العمد هو الخطأ المكفر حدثنا الحسن
ابن عرفة قال ثنا يونس بن محمد قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا ليث قال قال مجاهد
قول الله ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم قال فالعمد الذي ذكر الله تعالى أن يصيب
الصيد وهو يريد غيره فيصيبه فهذا العمد المكفر فأما الذي يصيبه غير ناس ولا مريد لغيره فهذا
لا يحكم عليه هذا أجل من أن يحكم عليه حدثنا ابن وكيع ومحمد بن المثنى قالا ثنا محمد
ابن جعفر عن شعبة عن الهيثم عن الحكم عن مجاهد أنه قال في هذه الآية ومن قتله منكم
متعمدا قال يقتله متعمدا لقتله ناسيا لاحرامه حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي قال ثنا
شعبة عن الهيثم عن الحكم عن مجاهد مثله حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال قال ابن
جريج ومن قتله منكم متعمدا غير ناس لحرمه ولا مريد غيره فقد حل وليست له رخصة ومن قتله
ناسيا لحرمه أو أراد غيره فأخطأ به فذلك العمد المكفر حدثنا ابن وكيع قال ثنا سهل
ابن يوسف عن عمرو عن الحسن ومن قتله منكم متعمدا للصيد ناسيا لاحرامه فمن اعتدى بعد
ذلك متعمدا للصيد يذكر احرامه حدثنا عمرو بن علي قال ثنا محمد بن أبي عدي قال ثنا اسمعيل
ابن مسلم قال كان الحسن يفتي فيمن قتل الصيد متعمدا ذاكرا لاحرامه لم يحكم عليه * قال اسمعيل
وقال حماد عن ابراهيم مثل ذلك حدثنا عمرو بن علي قال ثنا عفان بن مسلم قال ثنا حماد
ابن سلمة قال أمرني جعفر بن أبي وحشية أن أسأل عمرو بن دينار عن هذه الآية ومن قتله منكم
متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم الآية فسألته فقال كان عطاء يقول هو بالخيار أي ذلك شاء
فعل ان شاء أهدى وان شاء أطعم وان شاء صام فأخبرت به جعفرا وقلت ما سمعت فيه فتلكأ
ساعة ثم جعل يتحدث ولا يخبرني ثم قال كان سعيد بن جبير يقول يحكم عليه من النعم هديا بالغ
الكعبة فان لم يجد يحكم عليه ثمنه فقوم طعاما فتصدق به فان لم يجد حكم عليه الصيام فيه من

الطعام أو لا يكون هناك من يعطيه
فيقع في الضر أما العبد فيجب على
مولاه طعامه وكسوته فالعتق
يحتمل التأخير والاطعام قد
لا يحتمل ذلك (فمن لم يجد) أحد
الأمور الثلاثة المذكورة (فصيام)
فعليه صيام (ثلاثة أيام) قال
الشافعي اذا وجد قوت نفسه وقوت
عياله يومه وليلته ومن الفضل
ما يطعم عشرة مساكين لزمته
الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده
ذلك القدر جاز له الصيام وذلك أنه
علق جواز الصيام على عدم وجدان
الخصال الثلاث فعند وجدانها
وجب أن لا يجوز الصوم تركنا العمل
به عند وجدان قوت نفسه وقوت
عياله يوما وليلة لأن ذلك ضروري
وتقديم حق النفس على حق الغير
واجب شرعا فبقي الآية معمولا بها
في غيره وعند أبي حنيفة يجوز
الصيام اذا كان عنده من المال ما لا
تجب فيه الزكاة * ثم صيام الأيام
الثلاثة مشروط عند أبي حنيفة
بالتتابع تمسكا بقراءة أبي وابن
مسعود فصيام ثلاثة أيام متتابعات
فان قراءتهما لا تتخلف عن روايتهما
وقال الشافعي في أصح قوليه ان
التفريق جائز والقراءة الشاذة
لا يعتمد بها لأنها لو كانت صحيحة
لنقلت نقلا متواترا وقد روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا
قال له علي أيام من رمضان
أفأقضيها متفرقات فقال صلى
الله عليه وسلم أرأيت لو كان
عليك دين فقضيت الدرهم

ثلاثة أيام الى عشرة **حدثنا** ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا نافع بن يزيد قال أخبرنى ابن جريج قال قال مجاهد ومن قتله منكم متعمدا غير ناس لحرمه ولا مريد غيره فقد حل وليست له رخصة ومن قتله ناسيا أو أراد غيره فأخطأ به فذلك العمد المكفر **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أما الذى يتعمد فيه الصيد وهو ناس لحرمه أو جاهل أن قتله غير محرم فهؤلاء الذين يحكم عليهم فأما من قتله متعمدا بعد نهى الله وهو يعرف أنه محرم وأنه حرام فذلك يوكل الى نقمة الله وذلك الذى جعل الله عليه النقمة **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم عن ليث عن مجاهد فى قوله ومن قتله منكم متعمدا قال متعمدا لقتله ناسيا لاحرامه * وقال آخرون بل ذلك هو العمد من المحرم لقتل الصيد ذاكرا لحرمه ذكر من قال ذلك **حدثنا** هناد قال ثنا وكيع و**حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال يحكم عليه فى العمد والخطا والنسيان **حدثنا** هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال ثنا ابن جريج و**حدثنا** عمرو بن على قال ثنا أبو عاصم عن ابن جريج قال قال طاوس والله ما قال الله الا ومن قتله منكم متعمدا **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنى بعض أصحابنا عن الزهرى أنه قال نزل القرآن بالعمد وجرت السنة فى الخطا يعنى فى المحرم يصيب الصيد **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم قال ان قتله متعمدا أو ناسيا حكم عليه وان عاد متعمدا عجلت له العقوبة الا أن يعفو الله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير قال انما جعلت الكفارة فى العمد ولكن غلظ عليهم فى الخطا كى يتقوا **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا أبو معاوية ووكيع قالا ثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير نحوه **حدثنا** ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا نافع بن يزيد قال أخبرنا ابن جريج قال كان طاوس يقول والله ما قال الله الا ومن قتله منكم متعمدا * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال ان الله تعالى حرم قتل صيد البر على كل محرم فى حال احرامه ما دام حراما بقوله يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد ثم بين حكم من قتل ما قتل من ذلك فى حال احرامه متعمدا لقتله ولم يخصص به المتعمد قتله فى حال نسيانه احرامه ولا المخطئ فى قتله فى حال ذكره احرامه بل عم فى التنزيل بايجاب الجزاء كل قاتل صيد فى حال احرامه متعمدا وغير جائز احالة ظاهر التنزيل الى باطن من التأويل لا دلالة عليه من نص كتاب ولا خبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجماع من الامة ولا دلالة من بعض هذه الوجوه فاذ كان ذلك كذلك فسواء كان قاتل الصيد من المحرمين عامدا قتله ذاكرا لاحرامه أو عامدا قتله ناسيا لاحرامه أو قاصدا غيره فقتله ذاكرا لاحرامه فى ان على جميعهم من الجزاء ما قال ربنا تعالى وهو مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل من المسلمين أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما وهذا قول عطاء والزهرى الذى ذكرناه عنهما دون القول الذى قاله مجاهد وأما ما يلزم بالخطا قاتله فقد بينا القول فيه فى كتابنا كتاب لطيف القول فى أحكام الشرائع بما أغنى عن ذكره فى هذا الموضع وليس هذا الموضع موضع ذكره لان قصدنا فى هذا الكتاب الابانة عن تأويل التنزيل وليس فى التنزيل للخطا ذكر فنذكر أحكامه * وأما قوله فجزاء مثل ما قتل من النعم فانه يقول وعليه كفارة وبدل يعنى بذلك جزاء الصيد المقتول يقول تعالى ذكره فعلى قاتل الصيد جزاء الصيد المقتول مثل ما قتل من النعم وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله فجزاؤه مثل ما قتل من النعم وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة وبعض البصريين فجزاء مثل ما قتل من النعم باضافة الجزاء الى المثل وخفض المثل

فالدرهم أما كان يجزيك قال بلى قال فالله أحق أن يعفو ويصفح واذا جاز هذا التفريق فى صوم رمضان ففى غيره أولى وأيضا العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (مسئلة) من صام ستة أيام عن يمينين أجزأته ولا حاجة الى تعيين احدى الثلاثتين لاحدى اليمينين لان الواجب عن كل منهما ثلاثة أيام وقد أتى بها فيخرج عن العهدة (ذلك) المذكور (كفارة أيمانكم اذا حلفتم) وحنثتم فحذف ذكر الحنث للعلم بان الكفارة لا تجب بمجرد الحلف وللتنبيه على أن الكفارة لا يجوز تقديمها على اليمين وأما بعد اليمين وقبل الحنث فيجوز وبه قال مالك والشافعى وأحمد موافقا لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا فكفر عن يمينك ثم ائت بالذى هو خير ولان الكفارة حق مالى يتعلق بسببين فجاز تعجيله بعد وجود أحد السببين كتعجيل الزكاة بعد وجود النصاب هذا اذا كان يكفر بغير الصوم أما الصوم فلا يجوز تقديمه لان العبادات البدنية لا تقدم على وقتها اذا لم تمس اليه حاجة كالصلاة وصوم رمضان ولان الصوم انما يجوز التكفير به عند العجز عن جميع الخصال المالية وانما يتحقق العجز بعد الوجوب وان كان الحنث بارتكاب محظور كأن حلف أن لا يشرب الخمر أجزأه التكفير قبل الشرب أيضا لوجود أحد السببين والتكفير لا يتعلق به استباحة ولا تحريم بل المحلوف عليه حرام قبل اليمين وبعدها وقبل التكفير

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين فجزاء مثل ما قتل بتنوين الجزاء ورفع المثل بتأويل فعليه جزاء مثل ما قتل وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ فجزاء مثل ما قتل بتنوين الجزاء ورفع المثل لان الجزاء هو المثل فلا وجه لاضافة الشئ الى نفسه وأحسب أن الذين قرؤا ذلك بالاضافة رأوا أن الواجب على قاتل الصيد أن يجزى مثله من الصيد بمثل من النعم وليس ذلك كالذي ذهبوا اليه بل الواجب على قاتله أن يجزى المقتول نظيره من النعم واذ كان ذلك كذلك فالمثل هو الجزاء الذى أوجبه الله تعالى على قاتل الصيد ولن يضاف الشئ الى نفسه ولذلك لم يقرأ ذلك قارئ علمناه بالتنوين ونصب المثل ولو كان المثل غير الجزاء لجاز في المثل النصب اذا نون الجزاء كما نصب اليتيم اذ كان غير الاطعام في قوله أو اطعام في يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة وكما نصب الاموات والاحياء ونون الكفات في قوله ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا اذ كان الكفات غير الأحياء والاموات وكذلك الجزاء لو كان غير المثل لاتسعت القراءة في المثل بالنصب اذا نون الجزاء ولكن ذلك ضاق فلم يقرأه أحد بتنوين الجزاء ونصب المثل اذ كان المثل هو الجزاء وكان معنى الكلام ومن قتله منكم متعمدا فعليه جزاء هو مثل ما قتل من النعم * ثم اختلف أهل العلم في صفة الجزاء وكيف يجزى قاتل الصيد من المحرمين ما قتل بمثله من النعم فقال بعضهم ينظر الى أشبه الاشياء به شبها من النعم فيجزيه به ويهديه الى الكعبة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم قال أما جزاء مثل ما قتل من النعم فان قتل نعامة أو حمارا فعليه بدنة وان قتل بقرة أو أيلا أو أروى فعليه بقرة أو قتل غزالا أو أرنبا فعليه شاة وان قتل ضبا أو حربا أو يربوعا فعليه سخلة قد أكلت العشب وشربت اللبن حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن أبي مجاهد قال سئل عطاء أيغرم في صغير الصيد كما يغرم في كبيره قال أليس يقول الله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال أخبرنا ابن جريج قال قال مجاهد ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم قال عليه من النعم مثله حدثنا هناد قال ثنا جرير عن منصور عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس في قوله فجزاء مثل ما قتل من النعم قال اذا أصاب المحرم الصيد وجب عليه جزاؤه من النعم فان وجد جزاءه ذبحه فتصدق به فان لم يجد جزاءه قوم الجزاء دراهم ثم قوم الدراهم حنطة ثم صام مكان كل نصف صاع يوما قال انما أريد بالطعام الصوم فاذا وجد طعاما وجد جزاء حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما قال اذا أصاب المحرم الصيد حكم عليه جزاؤه من النعم فان لم يجد نظر كم ثمنه قال ابن حميد نظر كم قيمته فقوم عليه ثمنه طعاما فصام مكان كل نصف صاع يوما أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما قال انما أريد بالطعام الصيام فاذا وجد الطعام وجد جزاءه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن سفيان بن حسين عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم فان لم يجد هديا قوم الهدى عليه طعاما وصام عن كل صاع يومين حدثنا هناد قال ثنا عبد بن حميد عن منصور عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس في هذه الآية ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة قال اذا أصاب الرجل الصيد حكم عليه فان لم يكن عنده قوم عليه ثمنه طعاما ثم صام لكل نصف صاع يوما حدثنا أبو كريب ويعقوب قالا ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال ابتدرت وصاحب

وبعده لا أثر لهما فيه جميع ما ذكرنا ظاهر مذهب الشافعي أما عند أبي حنيفة وأصحابه فلا يجوز التكفير قبل الحنث مطلقا (واحفظوا أيمانكم) قللوها ولا تكثروا منها أو احفظوها اذا حلفتم عن الحنث وعلى هذا تكون الايمان مختصة بالتي الحنث فيها معصية كمن حلف أن لا يشرب الخمر بخلاف ما لو حلف ليشربن فانه لا يؤمر حينئذ بالحفظ عن الحنث وقيل احفظوها بأن تكفروها أو المراد لا تنسوها تهاونا بها (كذلك) مثل ذلك البيان الشافي (يبين الله لكم آياته) أحكامه وأعلام شريعته (لعلكم تشكرون) نعمة البيان وتسهيل المخرج من الحرج ثم انه سبحانه استثنى من جملة الأمور المستطابة الخمر والميسر وقد تقدم معناهما وما يتعلق بهما في سورة البقرة وسلك في سلك التحريم الأنصاب والأزلام وقد ذكرناهما في أول هذه السورة واعلم أنه كانت تحدث قبل تحريم الخمر أشياء يكرهها رسول الله صلى الله عليه وسلم منها قصة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه مع عمه حمزة على ما روي في الصحيحين أنه قال كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني شارفا من الخمس فلما أردت أن أبني بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واعدت رجلا صواغا من بني قينقاع أن يرتحل معي لاذخر أردت أن أبيعه من الصواغين فأستعين به في

لى ظبيا فى العقبة فأصبته فأتيت عمر بن الخطاب فذكرت ذلك له فأقبل على رجل الى جنبه فنظرا فى ذلك قال فقال اذبح كبشا **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن الشعبى قال أخبرنى قبيصة بن جابر نحوا مما حدث به عبد الملك **حدثنا** هناد قال ثنا وكيع عن المسعودى عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال قتل صاحب لى ظبيا وهو محرم فأمره عمر أن يذبح شاة فيتصدق بلحمها ويسقى اهابها **حدثنا** هناد قال ثنا ابن أبى زائدة عن داود بن أبى هند عن بكر بن عبد الله المزنى قال قتل رجل من الأعراب وهو محرم ظبيا فسأل عمر فقال له عمر أهد شاة **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الأحوص عن حصين **وحدثنا** أبو هشام الرفاعى قال ثنا ابن فضيل قال ثنا حصين عن الشعبى قال قال قبيصة بن جابر أصبت ظبيا وأنا محرم فأتيت عمر فسألته عن ذلك فأرسل الى عبد الرحمن بن عوف فقلت يا أمير المؤمنين ان أمره أهون من ذلك قال فضربنى بالدرة حتى سابقته عدوا قال ثم قال قتلت الصيد وأنت محرم ثم تغمص الفتيا قال فجاء عبد الرحمن فحكما شاة **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم قال اذا قتل المحرم شيأ من الصيد حكم عليه فيه فان قتل ظبيا أو نحوه فعليه شاة تذبح بمكة فان لم يجد فاطعام ستة مساكين فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام فان قتل أيلا أو نحوه فعليه بقرة وان قتل نعامة أو حمار وحش أو نحوه فعليه بدنة من الابل **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء أرأيت ان قتلت صيدا فاذا هو أعور أو أعرج أو منقوص أغرم مثله قال نعم ان شئت قلت أوفى أحب اليك قال نعم وقال عطاء وان قتلت ولد الظبى ففيه ولد شاة وان قتلت ولد بقرة وحشية ففيه ولد بقرة انسية مثله فكل ذلك على ذلك **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال أخبرنا عبيد بن سليمن الباهلى قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فجزاء مثل ما قتل من النعم ما كان من صيد البر مما ليس له قرن الحمار والنعامة فعليه مثله من الابل وما كان ذا قرن من صيد البر من وعل أو أيل فجزاؤه من البقر وما كان من ظبى فمن الغنم مثله وما كان من أرنب ففيها ثنية وما كان من يربوع وشبهه ففيه حمل صغير وما كان من جرادة أو نحوها ففيه قبضة من طعام وما كان من طير البر ففيه أن يقوم ويتصدق بثمنه وان شاء صام لكل نصف صاع يوما وان أصاب فرخ طير برية أو بيضها فالقيمة فيها طعام أو صوم على الذى يكون فى الطير غير أنه قد ذكر فى بيض النعام اذا أصابها المحرم أن يحمل الفحل (١) على عدة ما أصاب من البيض على بكارة الابل فما لقح منها أهداه الى البيت وما فسد منها فلا شئ فيه **حدثنا** ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا نافع قال أخبرنى ابن جريج قال قال مجاهد من قتله يعنى الصيد ناسيا أو أراد غيره فأخطأ به فذلك العمد المكفر فعليه مثله هديا بالغ الكعبة فان لم يجد ابتاع بثمنه طعاما فان لم يجد صام عن كل مد يوما وقال عطاء فان أصاب انسان نعامة كان له ان كان ذا يسار ما شاء ان شاء يهدى جزورا أو عدلها طعاما أو عدلها صياما أيهن شاء من أجل قوله فجزاء أو كذا قال فكل شئ فى القرآن أو أو فليختر منه صاحبه ما شاء **حدثنا** ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا نافع قال أخبرنى ابن جريج قال أخبرنى الحسن بن مسلم قال من أصاب من الصيد ما يبلغ أن يكون شاة فصاعدا فذلك الذى قال الله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم وأما كفارة طعام مساكين فذلك الذى لا يبلغ أن يكون فيه هدى العصفور يقتل فلا يكون فيه قال أو عدل ذلك صياما عدل النعامة أو عدل العصفور أو عدل ذلك كله * وقال آخرون بل يقوم الصيد المقتول قيمته من الدراهم ثم

(١) أى يحمل فحل الابل على بكرات من الابل بقدر عدد البيض المصاب فما لقح الخ

وليمة عرسى فبينا أنا أجمع لشارفى متاعا من الأقتاب والغرائر والحبال وشارفاى مناختان الى جنب حجرة رجل من الانصار أقبلت فاذا أنا بشارفى قد جبت أسنمتهما وبقر خواصرهما وأخذ من أكبادهما فلم أملك عينى حين رأيت ذلك المنظر وقلت من فعل هذا قالوا فعله حمزة ابن عبد المطلب وهو فى البيت فى شرب مع امرأة من الانصار غنت أغنية فقالت فى غنائها

ألا يا حمز للشرف النواء ... وهن معقلات بالفناء
ضع السكين فى اللبات منها ... فضرجهن حمزة بالدماء
وأطعم من شرائحها كبابا ... ملهوجة على رهج الصلاء
فأنت أبا عمارة المرجى ... لكشف الضر عنا والبلاء

فوثب الى السيف فاجتب أسنمتهما وبقر خواصرهما وأخذ من أكبادهما قال على رضى الله عنه فانطلقت حتى دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن حارثة فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أتيت له فقال مالك فقلت يا رسول الله ما رأيت كاليوم عدا حمزة على ناقتى فاجتب أسنمتهما وبقر خواصرهما وها هو ذا فى بيت معه شرب قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بردائه ثم انطلق يمشى واتبعت أثره أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذى فيه واستأذن فأذن له فاذا هم شرب فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم

يشترى القاتل بقيمته ندا من النعم ثم يهديه الى الكعبة ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبيدة عن ابراهيم قال ما أصاب المحرم من شئ حكم فيه قيمته حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن حماد قال سمعت ابراهيم يقول فى كل شئ من الصيد ثمنه * وأولى القولين فى تأويل الآية ما قال عمر وابن عباس ومن قال بقولهما ان المقتول من الصيد يجزى بمثله من النعم كما قال الله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم وغير جائز أن يكون مثل الذى قتل من الصيد دراهم وقد قال الله تعالى من النعم لان الدراهم ليست من النعم فى شئ فان قال قائل فان الدراهم وان لم تكن مثلا للمقتول من الصيد فانه يشترى بها المثل من النعم فيهديه القاتل فيكون بفعله ذلك كذلك جازيا بما قتل من الصيد مثلا من النعم (1) قيل له أفرأيت ان كان المقتول من الصيد صغيرا أو كبيرا أو سليما أو كان المقتول من الصيد كبيرا أو سليما ولا يصيب بقيمته من النعم الا صغيرا أو معيبا أيجوز له أن يشترى بقيمته خلافه وخلاف صفته فيهديه أم لا يجوز ذلك له وهو لا يجد الا خلافه فان زعم أنه لا يجوز له أن يشترى بقيمته الا مثله ترك قوله فى ذلك لان أهل هذه المقالة يزعمون أنه لا يجوز له أن يشترى بقيمته ذلك فيهديه الا ما يجوز فى الضحايا واذا أجازوا شرى مثل المقتول من الصيد بقيمته واهداءها وقد يكون المقتول صغيرا معيبا أجازوا فى الهدى ما لا يجوز فى الاضاحى وان زعم أنه لا يجوز أن يشترى بقيمته فيهديه الا ما يجوز فى الضحايا أوضح بذلك من قوله الخلاف لظاهر التنزيل وذلك أن الله تعالى أوجب على قاتل الصيد من المحرمين عمدا المثل من النعم اذا وجده وقد زعم قائل هذه المقالة أنه لا يجب عليه المثل من النعم وهو الى ذلك واجد سبيلا ويقال لقائل ذلك أرأيت ان قال قائل آخر ما على قاتل ما لا يبلغ من الصيد قيمته ما يصاب به من النعم ما يجوز فى الاضاحى من الطعام ولا صيام لان الله تعالى انما خير قاتل الصيد من المحرمين فى أحد الثلاثة الأشياء التى سماها فى كتابه فاذا لم يكن له الى واحد من ذلك سبيل سقط عنه فرض الآخرين لان الخيار انما كان له وله الى الثلاثة سبيل فاذا لم يكن له الى بعض ذلك سبيل بطل فرض الجزاء عنه لأنه ليس ممن عنى بالآية نظير الذى قلت أنت انه اذا لم يكن المقتول من الصيد يبلغ قيمته ما يصاب من النعم مما يجوز فى الضحايا فقد سقط فرض الجزاء بالمثل من النعم عنه وانما عليه الجزاء بالاطعام أو الصيام هل بينك وبينه فرق من أصل أو نظير فلن يقول فى أحدهما قولا الا ألزم فى الآخر مثله

القول فى تأويل قوله (يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة) يقول تعالى ذكره يحكم بذلك الجزاء الذى هو مثل المقتول من الصيد من النعم عدلان منكم يعنى فقيهان عالمان من أهل الدين والفضل هديا يقول يقضى بالجزاء ذوا عدل أن يهدى فيبلغ الكعبة والهاء فى قوله يحكم به عائدة على الجزاء ووجه حكم العدلين اذا أرادا أن يحكما بمثل المقتول من الصيد من النعم على القاتل أن ينظرا الى المقتول ويستوصفاه فان ذكر أنه أصاب ظبيا صغيرا حكما عليه من ولد الضأن بنظير ذلك الذى قتله فى السن والجسم فان كان الذى أصاب من ذلك كبيرا حكما عليه من الضأن بكبير وان كان الذى أصاب حمار وحش حكما عليه ببقرة ان كان الذى أصاب كبيرا فكبيرا من البقر وان كان صغيرا فصغيرا وان كان المقتول ذكرا فذكرا من ذكور البقر وان كان أنثى فمثله من البقر أنثى ثم كذلك ذلك ينظران الى أشبه الاشياء بالمقتول من الصيد شبها من النعم فيحكمان عليه به كما قال تعالى وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف فى ذلك بينهم ذكر من قال ذلك بنحو الذى قلنا فيه حدثنا هناد بن السرى

(1) لعل فى العبارة تكرارا من الناسخ وأصلها أفرأيت ان كان المقتول من الصيد كبيرا أو سليما ولا يصيب بقيمته الخ تأمل كتبه مصححه

يلوم حمزة فيما فعل فاذا حمزة ثمل محمرة عيناه فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صعد النظر فنظر الى وجهه ثم قال وهل أنتم الا عبيد أبى فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ثمل فنكص على عقبيه القهقرى فخرج وخرجنا فكانت هذه القصة من الاسباب الموجبة لنزول تحريم الخمر قالت العلماء هذه الآية تدل على تحريمها من وجوه منها تصدير الجملة بانما الدالة على الحصر معناه ليست الخمر الا الرجس وعمل الشيطان ومنها انه قرنها بعبادة الاصنام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد الوثن ومنها أنه جعلها رجسا كما قال فى موضع آخر فاجتنبوا الرجس من الاوثان وأصل الرجس العمل القبيح والقذر قال الفراء ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون أى العقاب والغضب وكأنه ابدال الرجز والرجس بالفتح الصوت الشديد من الرعد ومن هدير البعير فلهذا سمى العمل القوى الدرجة فى القبح رجسا ومنها انه جعلها من عمل الشيطان ومن المعلوم انه لا يصدر منه الا الشر البحت ومنها أنه أمر بالاجتناب وظاهر الامر للوجوب ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح فيكون القرب منها خيبة والضمير فى فاجتنبوه عائد الى الرجس أو العمل أو الى المضاف المحذوف أى انما تعاطى الخمر ونحو ذلك ومنها شرح أنواع المفاسد المنتجة منها من

قال ثنا ابن أبي زائدة قال أخبرنا داود بن أبي هند عن بكر بن عبد الله المزني قال كان رجلان من
الأعراب محرمين فأحاش أحدهما ظبيا فقتله الآخر فأتيا عمر وعنده عبد الرحمن بن عوف فقال له
عمر وما ترى قال شاة قال وأنا أرى ذلك اذهبا فأهديا شاة فلما مضيا قال أحدهما لصاحبه ما درى أمير
المؤمنين ما يقول حتى سأل صاحبه فسمعها عمر فردهما فقال هل تقرآن سورة المائدة فقالا لا فقرأها
عليهما يحكم به ذوا عدل منكم ثم قال استعنت بصاحبي هذا حدثنا أبو كريب ويعقوب قالا
ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال ابتدرت أنا وصاحب لي ظبيا
في العقبة فأصبته فأتيت عمر بن الخطاب فذكرت ذلك له فأقبل على رجل الى جنبه فنظرا في ذلك
قال فقال اذبح كبشا قال يعقوب في حديثه فقال لي اذبح شاة فانصرفت فأتيت صاحبي فقلت ان
أمير المؤمنين لم يدر ما يقول فقال صاحبي انحر ناقتك فسمعها عمر بن الخطاب فأقبل علي ضربا بالدرة
وقال تقتل الصيد وأنت محرم وتغمص الفتيا ان الله تعالى يقول في كتابه يحكم به ذوا عدل منكم هذا
ابن عوف وأنا عمر حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن الشعبي قال أخبرني
قبيصة بن جابر بنحو ما حدث به عبد الملك حدثنا هناد وأبو هشام قالا ثنا وكيع عن المسعودي
عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال خرجنا فكنا اذا صلينا الغداة اقتدنا رواحلنا نتماشى
نتحدث قال فبينما نحن ذات غداة اذ سنح لنا ظبي أو برح فرماه رجل منا بحجر فما أخطأ خششاءه
فركب وودعه ميتا قال فعظمنا عليه فلما قدمنا مكة خرجت معه حتى أتينا عمر فقص عليه القصة قال
واذا الى جنبه رجل كأن وجهه قلب فضة يعني عبد الرحمن بن عوف فالتفت الى صاحبه فكلمه
قال ثم أقبل على الرجل قال أعمدا قتلته أم خطأ قال الرجل لقد تعمدت رميه وما أردت قتله فقال
عمر ما أراك الا قد أشركت بين العمد والخطا اعمد الى شاة فاذبحها وتصدق بلحمها وأسق إهابها قال
فقمنا من عنده فقلت أيها الرجل عظم شعائر الله فما درى أمير المؤمنين ما يفتيك حتى سأل صاحبه
اعمد الى ناقتك فانحرها ففعل ذاك قال قبيصة ولا أذكر الآية من سورة المائدة يحكم به ذوا عدل
منكم قال فبلغ عمر مقالتي فلم يفجأنا منه إلا ومعه الدرة قال فعلا صاحبي ضربا بالدرة وجعل يقول
أقتلت في الحرم وسفهت الحكم قال ثم أقبل علي فقلت يا أمير المؤمنين لا أحل لك اليوم شيأ يحرم
عليك مني قال يا قبيصة بن جابر اني أراك شاب السن فسيح الصدر بين اللسان وان الشاب يكون فيه
تسعة أخلاق حسنة وخلق سيء فيفسد الخلق السيء الأخلاق الحسنة فإياك وعثرات الشباب
حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن مخارق عن طارق قال أوطأ أربد ضبا فقتله وهو
محرم فأتى عمر ليحكم عليه فقال له عمر احكم معي فحكما فيه جديا قد جمع الماء والشجر ثم قال عمر
يحكم به ذوا عدل منكم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد بن
زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا أصاب صيدا فأتى ابن عمر فسأله عن ذلك
وعنده عبد الله بن صفوان فقال ابن عمر لابن صفوان اما أن أقول فتصدقني واما أن تقول
فأصدقك فقال ابن صفوان بل أنت فقل فقال ابن عمر ووافقه على ذلك عبد الله بن صفوان
حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا هشام عن ابن سيرين عن شريح أنه قال لو وجدت
حكما عدلا لحكمت في الثعلب جديا وجدي أحب الي من الثعلب حدثنا ابن بشار قال ثنا
محمد بن بكير قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبي مجلز أن رجلا سأل ابن عمر عن رجل أصاب صيدا
وهو محرم وعنده ابن صفوان فقال له ابن عمر إما أن تقول فأصدقك أو أقول فتصدقني قال قل
وأصدقك حدثني ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن منصور عن أبي وائل
قال أخبرني ابن جرير البجلي قال أصبت ظبيا وأنا محرم فذكرت ذلك لعمر فقال ائت رجلين من

اخوانك

التعادي والتباغض والصد عن
ذكر الله وعن الصلاة خصوصا وفيه
أن غرض الشرب من الاجتماع
تأكد الألفة والمودة ثم انها تورث
نقيض المقصود لان العقل اذا زال
استولت الشهوة والغضب ويؤدي
الى التنازع والتهاجر وكذا القمار
يفضي الى افناء المال والى أن
يقامر على حليلته وأهله وولده وكل
ذلك يورث العداوة والفتن وهذان
من مكايد الشيطان ومضادان
لمصالح الانسان وأيضا الخمر سبب
تهييج اللذة الجسمية والقمار
يورث لذة الغلبة الخيالية
وكلاهما توجب الاشتغال عن
اللذات الحقيقية الحاصلة من
الاستغراق في طاعة المعبود وانما
أفرد ذكر الخمر والميسر ثانيا لان
الخطاب مع المؤمنين فقرنهما أولا
بذكر الانصاب والازلام تنبيها على
أنهما جميعا من أعمال الجاهلية
وأهل الشرك ثم أفردهما لان
الكلام مسوق لتحريمهما على
المخاطبين حيث انهم كانوا
لا يتعاطون سوى هذين ومنها
سوق الكلام بطريق الاستفهام
في قوله (فهل أنتم منتهون) كأنه قيل
قد تلي عليكم ما هو كاف في باب المنع
فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون
أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم
تزجروا ولهذا قالوا قد انتهينا يارب
اذ فهموا التحريم المؤكد ومنها انه
قال عقيب ذلك (وأطيعوا الله
وأطيعوا الرسول واحذروا) والظاهر
ان المراد الطاعة فيما تقدم من

اخوانك فليحكما عليك فأتيت عبد الرحمن وسعيد الحكما على تيسا أعفر «قال أبو جعفر» الأعفر الأبيض حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور باسناده عن عمر مثله حدثنا عبد الحميد قال أخبرنا اسحق عن شريك عن أشعث بن سوار عن ابن سيرين قال كان رجل على ناقة وهو محرم فأبصر ظبيا يأوى الى أكمة فقال لأنظرن أنا أسبق الى هذه الأكمة أم هذا الظبي فوقعت عنز من الظباء تحت قوائم ناقته فقتلها فأتى عمر فذكر ذلك له فحكم عليه هو وابن عوف عنزا عفراء قال وهي البيضاء حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن محمد أن رجلا أوطأ ظبيا وهو محرم فأتى عمر فذكر ذلك له والى جنبه عبد الرحمن ابن عوف فأقبل على عبد الرحمن فكلمه ثم أقبل على الرجل فقال أهد عنزا عفراء حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم أنه كان يقول ما أصاب المحرم من شئ لم يمض فيه حكومة استقبل به فيحكم فيه ذوا عدل حدثنا محمد بن المثنى قال ثنى وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن يعلى عن عمرو بن حبشي قال سمعت رجلا سأل عبد الله بن عمر عن رجل أصاب ولد أرنب فقال فيه ولد ماعز فيما أرى أنا ثم قال لي أكذاك فقلت أنت أعلم مني فقال قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي وسهل بن يوسف عن حميد عن بكر أن رجلين أبصرا ظبيا وهما محرمان فتراهنا وجعل كل واحد منهما للمن سبق اليه فسبق اليه أحدهما فرماه بعصاه فقتله فلما قدما مكة أتيا عمر يختصمان اليه وعنده عبد الرحمن بن عوف فذكرا ذلك له فقال عمر هذا قمار ولا أجيزه ثم نظر الى عبد الرحمن فقال ما ترى قال شاة فقال عمر وأنا أرى ذلك فلما قفى الرجلان من عند عمر قال أحدهما لصاحبه ما درى عمر ما يقول حتى سأل الرجل فردهما عمر فقال ان الله تعالى لم يرض بعمر وحده فقال يحكم به ذوا عدل منكم وأنا عمر وهذا عبد الرحمن بن عوف * وقال آخرون بل ينظر العدلان الى الصيد المقتول فيقومانه قيمته دراهم ثم يأمران القاتل أن يشترى بذلك من النعم هديا فاذا كان ذلك كان في قول هؤلاء بالقيمة وانما يحتاج اليهما لتقويم الصيد قيمته في الموضع الذي أصابه فيه وقد ذكرنا عن ابراهيم النخعي فيما مضى قبل أنه كان يقول ما أصاب المحرم من شئ حكم فيه قيمته وهو قول جماعة من متفقهة الكوفيين وأما قوله هديا فانه مصدر على الحال من الهاء التي في قوله يحكم به وقوله بالغ الكعبة من نعت الهدى وصفته وانما جاز أن ينعت وهو مضاف الى معرفة لانه في معنى النكرة وذلك أن معنى قوله بالغ الكعبة يبلغ الكعبة فهو وان كان مضافا فمعناه التنوين لأنه بمعنى الاستقبال وهو نظير قوله هذا عارض ممطرنا فوصف بقوله ممطرنا عارضا لان في ممطرنا معنى التنوين لان تأويله الاستقبال فمعناه هذا عارض يمطرنا فكذلك ذلك في قوله هديا بالغ الكعبة * القول في تأويل قوله (أو كفارة طعام مساكين) يقول تعالى ذكره أو عليه كفارة طعام مساكين والكفارة معطوفة على الجزاء في قوله فجزاء مثل ما قتل من النعم * واختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة أو كفارة طعام مساكين بالاضافة وأما قراء أهل العراق فان عامتهم قرؤا ذلك بتنوين الكفارة ورفع الطعام أو كفارة طعام مساكين وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأ بتنوين الكفارة ورفع الطعام للعلة التي ذكرناها في قوله فجزاء مثل ما قتل من النعم واختلف أهل التأويل في معنى قوله أو كفارة طعام مساكين فقال بعضهم معنى ذلك أن القاتل وهو محرم صيدا عمدا لا يخلو من وجوب بعض هذه الاشياء الثلاثة التي ذكر الله تعالى من مثل المقتول هديا بالغ الكعبة أو طعام مساكين كفارة لما فعل أو عدل ذلك صياما الا أنه مخير في أي ذلك شاء فعل وأنه بأيها كفر فقد أدى الواجب عليه وانما ذلك اعلام من الله تعالى عباده أن قاتل ذلك كما وصف لن يخرج حكمه من

الامر بالاجتناب والحذر عن المخالفة في ذلك الباب ومنها التهديد من خالف هذا التكليف بقوله (فان توليتم) الآية والمراد ان أعرضتم فالحجة قد قامت عليكم والرسول قد خرج عن عهدة البلاغ وقد أعذر من أنذر وجزاء المخالف الى الله المقتدر عن أنس قال كنت ساقى القوم يوم حرمت في بيت أبي طلحة وما شرابهم الا فضيخ البسر والتمر واذا مناد ينادى ألا ان الخمر قد حرمت قال فجرت في سكك المدينة فقال أبو طلحة اخرج فأرقها فقالوا قتل فلان وفلان وهي في بطونهم فأنزل الله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الطعم خلاف الشرب في الأغلب وقد يقع على المشروب كقوله ومن لم يطعمه فانه مني فيجوز أن يكون المراد فيما شربوا من الخمر ويحتمل أن يكون معنى الطعم راجعا الى التلذذ بما يؤكل ويشرب جميعا فقد تقول العرب اطعم أي ذق ونظير هذه الآية قوله في نسخ القبلة وما كان الله ليضيع ايمانكم والعامل في (اذا ما اتقوا) معنى الكلام المتقدم أي لا يأثمون في ذلك اذا اتقوا المحرمات لانهم شربوها حين كانت محللة والمراد أن أولئك كانوا على هذه الصفة وهو ثناء عليهم وحمد لأحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان وزعم بعض الجهلة أن هذا الحكم متعلق بالمستقبل والا قيل لم يكن أو ما كان جناح مثل وما كان الله

احدى الخلال الثلاثة قالوا فحكمه ان كان على المثل قادرا أن يحكم عليه بمثل المقتول من النعم
لا يجزيه غير ذلك مادام للمثل واجدا قالوا فان لم يكن له واجدا أو لم يكن للمقتول مثل من النعم فكفارته
حينئذ اطعام مساكين ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال
ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل
ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك
صياما ليذوق وبال أمره قال اذا قتل المحرم شيأ من الصيد حكم عليه فيه فان قتل ظبيا أو نحوه
فعليه شاة تذبح بمكة فان لم يجد فاطعام ستة مساكين فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام وان قتل أيلا
أو نحوه فعليه بقرة فان لم يجد أطعم عشرين مسكينا فان لم يجد صام عشرين يوما وان قتل نعامة
أو حمار وحش أو نحوه فعليه بدنة من الابل فان لم يجد أطعم ثلاثين مسكينا فان لم يجد صام
ثلاثين يوما والطعام مد مد يشبعهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال
ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم الى قوله
يحكم به ذوا عدل منكم فالكفارة من قتل مادون الارنب الطعام حدثنا هناد قال ثنا جرير
عن منصور عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال اذا أصاب المحرم الصيد حكم عليه جزاؤه
من النعم فان وجد جزاءه ذبحه فتصدق به وان لم يجد جزاءه قوم الجزاء دراهم ثم قومت الدراهم
حنطة ثم صام مكان كل صاع يوما قال انما أريد بالطعام الصوم فاذا وجد طعاما وجد جزاء حدثنا
ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن زهير عن جابر عن عطاء ومجاهد وعامر أو عدل
ذلك صياما ليذوق قال انما الطعام لمن لم يجد الهدي حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال
أخبرنا مغيرة عن ابراهيم أنه كان يقول اذا أصاب المحرم شيأ من الصيد عليه جزاؤه من النعم فان لم
يجد قوم الجزاء دراهم ثم قومت الدراهم طعاما ثم صام لكل نصف صاع يوما حدثنا ابن حميد قال
ثنا جرير عن مغيرة عن حماد قال اذا أصاب المحرم الصيد حكم عليه فان فضل منه مالا يتم
نصف صاع صام له يوما ولا يكون الصوم الا على من لم يجد ثمن هدي فيحكم عليه الطعام فان لم يكن
عنده طعام يتصدق به حكم عليه الصوم فصام مكان كل نصف صاع يوما كفارة طعام مساكين
قال فيما لا يبلغ ثمن هدي أو عدل ذلك صياما من الجزاء اذا لم يجد ما يشتري به هديا أو ما يتصدق
به مما لا يبلغ ثمن هدي حكم عليه الصيام مكان كل نصف صاع يوما حدثنا هناد قال ثنا ابن
أبي زائدة قال أخبرنا ابن جريج قال قال مجاهد ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم
قال عليه من النعم مثله هديا بالغ الكعبة ومن لم يجد ابتاع بقيمته طعاما فيطعم كل مسكين مدين
فان لم يجد صام عن كل مدين يوما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا
أسباط عن السدي ومن قتله منكم متعمدا الى قوله ومن عاد فينتقم الله منه قال اذا قتل صيدا
فعليه جزاؤه مثل ما قتل من النعم فان لم يجد ما حكم عليه قوم الفداء كم هو درهما وقدر ثمن ذلك بالطعام
على المساكين فصام عن كل مسكين يوما ولا يحل طعام المسكين لان من وجد طعام المسكين فهو
يجد الفداء حدثنا عمرو بن علي قال ثنا أبو عاصم عن ابن جريج قال قال لي الحسن بن مسلم
من أصاب الصيد ما جزاؤه شاة فذلك الذي قال الله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا
عدل منكم وما كان من كفارة طعام مساكين مثل العصفور يقتل ولا يبلغ أن يكون فيه هدي
أو عدل ذلك صياما ليذوق قال عدل النعامة أو العصفور أو عدل ذلك كله فذكرت ذلك لعطاء فقال
كل شيء في القرآن أو أو فلصاحبه أن يختار ماشاء حدثنا عمرو بن علي قال ثنا يزيد بن
هرون قال أخبرنا سفيان بن حسين عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس في قوله لا تقتلوا الصيد

وأنتم

ليضيع والمعنى لا جناح على من
طعمها اذا لم يحصل معه العداوة
والبغضاء وسائر المفاسد المذكورة
بل حصل معه أنواع المصالح من
الطاعة والتقوى والاحسان الى
الخلق والجواب أن صيغة طعموا
وهي الماضي تأباه وأيضا ان سبب
نزول الآية يكذبه روى أبو بكر
الاصم أنه لما نزل تحريم الخمر قال
أبو بكر يا رسول الله كيف باخواننا
الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وأكلوا
القمار وكيف بالغائبين عنا في
البلاد لا يشعرون بتحريم الخمر وهم
يطعمونها فنزلت وعلى هذا فالحل
قد ثبت فيما يستقبل لكن في حق
الغائبين الذين لم يبلغهم هذا النص
ثم انه سبحانه شرط في نفي الجناح
حصول التقوى والايمان مرتين
وفي الثالثة التقوى والاحسان
فقال الاكثرون الاول فعل الاتقاء
والثاني دوامه والثبات عليه والثالث
اتقاء ظلم العباد مع الاحسان اليهم
وقيل الاول اتقاء جميع المعاصي
قبل نزول الآية والثاني اتقاء الخمر
والميسر وما في هذه الآية والثالث
اتقاء ما يحدث تحريمه بعد هذه
الآية وهذا قول الأصم وقيل
اتقوا الكفر ثم الكبائر ثم الصغائر
وقال القفال الاول الاتقاء من
القدح في صحة النسخ ليثبت تحريم
الخمر بعد أن كانت مباحة والثاني
الاتيان بالعمل المطابق للآية
والثالث المداومة على التقوى مع
الاحسان الى الخلق ثم انه سبحانه
استثنى بعض الصيد من المحللات

وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم فان لم يجد جزاء قوم عليه الجزاء طعاما ثم صام لكل صاع يومين * وقال آخرون معنى ذلك أن القاتل صيدا عمدا وهو محرم الخيار بين احدى الكفارات الثلاث وهي الجزاء بمثله من النعم والطعام والصوم قالوا وانما تأويل قوله فجزاء مثل ما قتل من النعم أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما فعليه أن يجزى بمثله من النعم أو يكفر باطعام مساكين أو بعدل الطعام من الصيام ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السرى قال ثنا ابن أبي زائدة قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء في قول الله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما قال ان أصاب انسان محرم نعامة فان له ان كان ذا يسار أن يهدى ما شاء جزورا أو عدلها طعاما أو عدلها صياما قال كل شئ في القرآن أو أو فليختر منه صاحبه ما شاء حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء في قوله فجزاء مثل ما قتل من النعم قال ما كان في القرآن أو كذا أو كذا فصاحبه فيه بالخيار أى ذلك شاء فعل حدثنا ابن وكيع قال ثنا أسباط وعبد الأعلى عن داود عن عكرمة قال ما كان في القرآن أو أو فهو فيه بالخيار وما كان فمن لم يجد فالاول ثم الذي يليه حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن عمرو عن الحسن مثله حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا ليث عن عطاء ومجاهد أنهما قالا في قوله فجزاء مثل ما قتل من النعم قالا ما كان في القرآن أو كذا أو كذا فصاحبه فيه بالخيار أى ذلك شاء فعل حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك ما كان في القرآن أو كذا أو كذا فصاحبه فيه بالخيار أى ذلك شاء فعل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو حمزة عن الحسن * قال وأخبرنا عبيدة عن ابراهيم قالا كل شئ في القرآن أو أو فهو بالخيار أى ذلك شاء فعل حدثنا هناد قال ثنا حفص عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قال كل شئ في القرآن أو أو فصاحبه مخير فيه وكل شئ فمن لم يجد فالاول ثم الذي يليه * واختلف القائلون بتخيير قاتل الصيد من المحرمين بين الأشياء الثلاثة في صفة اللازم له من التكفير بالاطعام والصوم اذا اختار الكفارة بأحدهما دون الهدى فقال بعضهم اذا اختار التكفير بذلك فان الواجب عليه أن يقوم المثل من النعم طعاما ثم يصوم مكان كل مد يوما ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال أخبرنا ابن أبي زائدة قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء ما أو عدل ذلك صياما قال ان أصاب ما عدله شاة أقيمت الشاة طعاما ثم جعل مكان كل مد يوما يصومه * وقال آخرون بل الواجب عليه اذا أراد التكفير بالاطعام أو الصوم أن يقوم الصيد المقتول طعاما ثم يتصدق بالطعام ان اختار الصدقة وان اختار الصوم صام * ثم اختلفوا أيضا في الصوم فقال بعضهم يصوم لكل مد يوما وقال آخرون يصوم مكان كل نصف صاع يوما وقال آخرون يصوم مكان كل صاع يوما ذكر من قال المقوم للاطعام هو الصيد المقتول حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا شعبة عن قتادة يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد الآية قال كان قتادة يقول يحكمان في النعم فان كان ليس صيده ما يبلغ ذلك نظروا ثمنه فقوموه طعاما ثم صام مكان كل صاع يومين * وقال آخرون لا معنى للتكفير بالاطعام لان من وجد سبيلا الى التكفير بالاطعام فهو واجد الى الجزاء بالمثل من النعم سبيلا ومن وجد الى الجزاء بالمثل من النعم سبيلا لم يجزه التكفير بغيره قالوا وانما ذكر الله تعالى ذكره الكفارة بالاطعام في هذا الموضع ليدل على صفة التكفير بالصوم لا أنه جعل التكفير بالاطعام احدى الكفارات التي يكفر بها قتل الصيد وقد ذكرنا تأويل ذلك فيما مضى قبل * وأولى الأقوال بالصواب عندي في قول الله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم أن يكون

فقال على سبيل التوكيد القسمي (ليبلونكم الله) أى ليعاملنكم معاملة المختبر (بشئ) التنوين للتحقير وفيه أنه ليس من الفتن العظام التى تدحض عندها الأقدام كالابتلاء ببذل الارواح والاموال فامتحن الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم بصيد البر كما امتحن أصحاب أيلة بصيد البحر قال مقاتل بن حيان ابتلاهم بالصيد وهم محرمون عام الحديبية حتى ان الوحش والطير يغشاهم في رحالهم فيقدرون على أخذها بالأيدى وصيدها بالرماح وما رأوا مثل ذلك قط فنهاهم الله عن ذلك ابتلاء قال الواحدى الذى تناله أيديهم من الصيد الفراخ والبيض وصغار الوحش والذى تناله الرماح الكبار ومن في من الصيد للبيان أو التبعيض وهو صيد البر أو صيد الاحرام والمراد به العين لا الحدث بدليل عود الضمير في تناله اليه (ليعلم الله) ليظهر معلومه وهو خوف الخائف أو ليعاملكم معاملة من يطلب أن يعلم أو ليعلم أولياء الله (من يخافه) (بالغيب) النصب على الحال أى يخافه حال كونه غائبا عن رؤيته أو عن حضور الناس (فمن اعتدى) فصاد (بعد ذلك) الابتلاء (فله عذاب أليم) في الآخرة وقيل في الدنيا عن ابن عباس هو أن يضرب بطنه وظهره ضربا وجيعا وينزع ثيابه (لا تقتلوا الصيد) قال الشافعي انه البرى المتوحش المأكول اللحم أما الأول فلقوله تعالى بعد ذلك أحل لكم صيد البحر وأما المتوحش

مراداه فعلى قاتله متعمدا مثل الذي قتل من النعم لا القيمة ان اختار أن يجزيه بالمثل من النعم وذلك أن القيمة انما هي من الدنانير أو الدراهم والدراهم أو الدنانير ليست للصيد بمثل والله تعالى انما أوجب الجزاء مثلا من النعم * وأولى الاقوال بالصواب عندي في قوله أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما أن يكون تخييرا وأن يكون للقاتل الخيار في تكفيره بقتله الصيد وهو محرم بأي هذه الكفارات الثلاث شاء لان الله تعالى جعل ما أوجب في قتل الصيد من الجزاء والكفارة عقوبة لفعله وتكفيرا لذنبه في اتلافه ما أتلف من الصيد الذي كان حراما عليه اتلافه في حال احرامه وقد كان حلالا له قبل حال احرامه كما جعل الفدية من صيام أو صدقة أو نسك في حلق الشعر الذي حلقه المحرم في حال احرامه وقد كان له حلقه قبل حال احرامه ثم منع من حلقه في حال احرامه نظير الصيد ثم جعل عليه ان حلقه جزاء من حلقه اياه فأجمع الجميع على أنه في حلقه اياه اذا حلقه من اذاه مخير في تكفيره فعله ذلك بأي الكفارات الثلاث شاء فمثله ان شاء الله قاتل الصيد من المحرمين وأنه مخير في تكفيره قتله الصيد بأي الكفارات الثلاث شاء لا فرق بين ذلك ومن أبى ما قلنا فيه قيل له حكم الله تعالى على قاتل الصيد بالمثل من النعم أو كفارة طعام مساكين أو عدله صياما كما حكم على الحالق بفدية من صيام أو صدقة أو نسك فزعمت أن أحدهما مخير في تكفير ما جعل منه عوضا بأي الثلاث شاء وأنكرت أن يكون ذلك للآخر فهل بينك وبين من عكس عليك الامر في ذلك فجعل الخيار فيه حيث أبيت وأبى حيث جعلته له فرق من أصل أو نظير فلن يقول في أحدهما قولا الا ألزم في الآخر مثله * ثم اختلفوا في صفة التقويم اذا أراد التكفير بالاطعام فقال بعضهم يقوم الصيد قيمته بالموضع الذي أصابه فيه وهو قول ابراهيم النخعي وحماد وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد وقد ذكرت الرواية عن ابراهيم وحماد فيما مضى بما دل على ذلك وهو نص قول أبي حنيفة وأصحابه وقال آخرون بل يقوم ذلك بسعر الارض التي يكفر بها ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال ثنا اسرائيل عن جابر عن عامر قال في محرم أصاب صيدا بخراسان قال يكفر بمكة أو بمنى وقال يقوم الطعام بسعر الارض التي يكفر بها حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو غسان عن اسرائيل عن جابر عن الشعبي في رجل أصاب صيدا بخراسان قال يحكم عليه بمكة * والصواب من القول في ذلك عندنا أن قاتل الصيد اذا جزاه بمثله من النعم فانما يجزيه بنظيره في خلقه وقدره في جسمه من أقرب الاشياء به شبها من الانعام فان جزاه بالاطعام قومه قيمته بموضعه الذي أصابه فيه لانه هنالك وجب عليه التكفير بالاطعام ثم ان شاء أطعم بالموضع الذي أصابه فيه وان شاء بمكة وان شاء بغير ذلك من المواضع حيث شاء لان الله تعالى انما شرط بلوغ الكعبة بالهدي في قتل الصيد دون غيره من جزائه فللجازي بغير الهدي أن يجزيه بالاطعام والصوم حيث شاء من الارض وبمثل الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل العلم ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال ثنا ابن أبي عروبة عن أبي معشر عن ابراهيم قال ما كان من دم فبمكة وما كان من صدقة أو صوم حيث شاء وقد خالف ذلك مخالفون فقالوا لا يجزئ الهدي والاطعام الا بمكة فأما الصوم فان كفر به يصوم حيث شاء من الارض ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن حماد ابن سلمة عن قيس بن سعد عن عطاء قال الدم والطعام بمكة والصيام حيث شاء حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن مالك بن مغول عن عطاء قال كفارة الحج بمكة حدثنا عمرو بن علي قال ثنا أبو عاصم عن ابن جريج قال قلت لعطاء أين يتصدق بالطعام ان بدا له قال بمكة من أجل أنه بمنزلة الهدي قال جزاء مثل ما قتل من النعم هديا بالغ الكعبة من أجل أنه

اصابه

فيدخل فيه نحو الظبي وان صار مستأنسا ويخرج الانسي وان صار متوحشا ابقاء لحكم الاصل وأما كونه مأكولا فلقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فيعلم منه أنه مما يحل أكله في غير الاحرام وقال أبو حنيفة المحرم اذا قتل سبعا لا يؤكل لحمه ضمن وسلم أنه لا يجب الضمان في قتل الذئب وفي قتل الفواسق الخمس فقال الشافعي لا معنى في قتلها الا الايذاء فيلزم جواز قتل جميع المؤذيات لاسيما وقد جاء خمس يقتلن في الحل والحرم الغراب والحدأة والحية والعقرب والكلب العقور وفي رواية بزيادة السبع العادي واحتج لأبي حنيفة بقول علي رضي الله عنه

صيد الملوك أرانب وثعالب ... واذا ركبت فصيدي الابطال

وزيف بأن الثعلب عندنا حلال (وأنتم حرم) أي محرمون بالحج والعمرة أيضا على الاصح وقيل وقد دخلتم الحرم وقيل هما مرادان بالآية وهو قول الشافعي وقوله لا تقتلوا يفيد المنع ابتداء والمنع تسببا فليس له أن يتعرض للصيد ما دام محرما أو في الحرم بالسلاح ولا بالجوارح من الكلاب والطيور سواء كان الصيد صيد الحل أو صيد الحرم (ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل) من قرأ جزاء بالتنوين ومثل بالرفع فالمعنى فعليه جزاء صفته كذا ومن قرأ بالاضافة فمن باب اضافة المصدر الى المفعول أي فعليه أن يجزي مثل ما قتل قال

أصابه فى حرم يريد البيت جزاؤه عند البيت * فأما الهدى فانه من جزاء ما قتل من الصيد فلن يجزئه من كفارة ما قتل من ذلك الا أن يبلغه الكعبة طيبا ويذبحه أو ينحره ويتصدق به على مساكين الحرم ويعنى بالكعبة فى هذا الموضع الحرم كله ولمن قدم بهديه الواجب من جزاء الصيد أن ينحره فى كل وقت شاء قبل يوم النحر وبعده ويطعمه وكذلك ان كفر بالطعام فله أن يكفر به متى أحب وحيث أحب وان كفر بالصوم فكذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل خلا ما ذكرنا من اختلافهم فى التكفير بالاطعام على ما قد بينا فيما مضى ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء أو عدل ذلك صياما هل لصيامه وقت قال لا اذا شاء وحيث شاء وتعجيله أحب الى حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء رجل أصاب صيدا فى الحج أو العمرة فأرسل بجزائه الى الحرم فى المحرم أو غيره من الشهور أيجزئ عنه قال نعم ثم قرأ هديا بالغ الكعبة قال هناد قال يحيى وبه نأخذ حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال أخبرنا ابن جريج وابن أبى سليمن عن عطاء قال اذا قدمت مكة بجزاء صيد فانحره فان الله تعالى يقول هديا بالغ الكعبة الا أن يقدم فى العشر فيؤخر الى يوم النحر حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال ثنا ابن جريج عن عطاء قال يتصدق الذى يصيب الصيد بمكة فان الله تعالى يقول هديا بالغ الكعبة ❊ القول فى تأويل قوله ﴿أو عدل ذلك صياما﴾ يعنى تعالى ذكره بذلك أو على قاتل الصيد محرما عدل الصيد المقتول من الصيام وذلك أن يقوم الصيد حيا غير مقتول قيمته من الطعام بالموضع الذى قتله فيه المحرم ثم يصوم مكان كل مد يوما وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم عدل المد من الطعام بصوم يوم فى كفارة المواقع فى شهر رمضان فان قال قائل فهلا جعلت مكان كل صاع فى جزاء الصيد صوم يوم قياسا على حكم النبى صلى الله عليه وسلم فى نظيره وذلك حكمه على كعب بن عجرة اذ أمره أن يطعم ان كفر بالاطعام فرقا من طعام وذلك ثلاثة آصع بين ستة مساكين فان كفر بالصيام أن يصوم ثلاثة أيام فجعل الايام الثلاثة فى الصوم عدلا من اطعام ثلاثة آصع (١) فان ذلك بالكفارة فى جزاء الصيد أشبه من الكفارة فى قتل الصيد بكفارة المواقع امرأته فى شهر رمضان قيل ان القياس انما هو رد الفروع المختلف فيها الى نظائرها من الاصول المجمع عليها ولا خلاف بين الجميع من الحجة أنه لا يجزئ مكفرا كفر فى قتل الصيد بالصوم أن يعدل صوم يوم بصاع طعام فان كان ذلك كذلك وكان غير جائز خلافها فيما حدثت به من الدين مجمعة عليه صح بذلك أن حكم معادلة الصوم الطعام فى قتل الصيد مخالف حكم معادلته اياه فى كفارة الحلق اذ كان غير جائز (٢) وداخل على آخر قياسا انما يجوز أن يقاس الفرع على الاصل وسواء قال قائل هلا رددت حكم الصوم فى كفارة قتل الصيد على حكمه فى حلق الاذى فيما يعدل به من الطعام وآخر قال هلا رددت حكم الصوم فى الحلق على حكمه فى كفارة قتل الصيد فيما يعدل به من الطعام فتوجب عليه مكان كل مد أو مكان كل نصف صاع صوم يوم وقد بينا فيما مضى قبل أن العدل فى كلام العرب بالفتح وهو قدر الشئ من غير جنسه وأن العدل هو قدره من جنسه وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول العدل مصدر من قول القائل عدلت هذا بهذا عدلا حسنا قال والعدل أيضا بالفتح المثل ولكنهم فرقوا بين العدل فى هذا وبين عدل المتاع بأن كسروا العين من عدل المتاع وفتحوها من قولهم ولا يقبل منها عدل وقول الله عز وجل أو عدل ذلك صياما كما قالوا امرأة رزان وحجر رزين وقال بعضهم العدل

(١) فى التركيب تشويش ومراده أن الحاق كفارة الصيد بكفارة الحلق أشبه من الحاقها بكفارة المواقع فتأمل كتبه مصححه

بعض العلماء المثل مقحم للتأكيد اذ الواجب عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله فهو كقولهم أنا أحب مثلك أى أحبك وقيل الاضافة بمعنى من أى جزاء من مثل ما قتل قال سعيد ابن جبير المحرم اذا قتل الصيد خطأ لا يلزمه شئ وهو قول داود لان النهى ورد عن التعمد وهو أن يقتله ذاكرا لاحرامه أو عالما أن ما يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه أو رمى صيدا وهو يظن أنه ليس بصيد أو رمى غير صيد فعدل السهم فأصاب صيدا فهو مخطئ لا شئ عليه لفقدان القيد المذكور ويتأكد هذا الرأى بقوله ليذوق وبال أمره وبقوله ومن عاد أى الى ما تقدم ذكره وهو القتل العمد والانتقام أيضا يناسب العمد لا الخطأ وقال جمهور الفقهاء يلزمه الضمان سواء قتل عمدا أو خطأ قياسا على سائر محظورات الاحرام كحلق الرأس وغيره وكما فى ضمان مال المسلم فانه لما ثبتت الحرمة لحق المالك لم يختلف ذلك بكونه عمدا أولا وانما وردت الآية بالتعمد لان العمد أصل والخطأ ملحق به للتغليظ ولما روى أنه عن لهم فى عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت الآية على وفق القصة وعن الزهرى نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطا قال صلى الله عليه وسلم فى الضبع كبش اذا قتله المحرم وقالت الصحابة فى الظبى شاة أطلقوا الضمان

هو القسط في الحق والعدل بالكسر المثل وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى وأما نصب الصيام فانه على التفسير كما يقال عندي ملء زق سمنا وقدر رطل عسلا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء ما عدل ذلك صياما قال عدل الطعام من الصيام قال لكل مد يوما يأخذ زعم بصيام رمضان وبالظهار وزعم أن ذلك رأي يراه ولم يسمعه من أحد ولم تمض به سنة قال ثم عاودته بعد ذلك بحين قلت ما عدل ذلك صياما قال ان أصاب ما عدله شاة قومت طعاما ثم صام مكان كل مد يوما قال ولم أسأله هذا رأي أو سنة مسنونة حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير في قوله عز وجل أو عدل ذلك صياما قال يصوم ثلاثة أيام الى عشرة أيام حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن حماد أو عدل ذلك صياما من الجزاء اذا لم يجد ما يشتري به هديا أو ما يتصدق به مما لا يبلغ ثمن هدي حكم عليه الصيام مكان كل نصف صاع يوما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أو عدل ذلك صياما قال اذا قتل المحرم شيأ من الصيد حكم عليه فيه فان قتل ظبيا أو نحوه فعليه شاة تذبح بمكة فان لم يجد فاطعام ستة مساكين فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام وان قتل أيلا أو نحوه فعليه بقرة فان لم يجدها أطعم عشرين مسكينا فان لم يجد صام عشرين يوما وان قتل نعامة أو حمار وحش أو نحوه فعليه بدنة من الابل فان لم يجد أطعم ثلاثين مسكينا فان لم يجد صام ثلاثين يوما والطعام مد مد يشبعهم حدثنا ابن البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة عن سعيد المحرم يصيب الصيد فيكون عليه الفدية شاة أو البقرة أو البدنة فان لم يجد فما عدل ذلك من الصيام أو الصدقة قال ثمن ذلك فان لم يجد ثمنه قوم ثمنه طعاما يتصدق به لكل مسكين مد ثم يصوم لكل مد يوما ۞ القول في تأويل قوله ﴿ليذوق وبال أمره﴾ يقول جل ثناؤه أوجبت على قاتل الصيد محرما ما أوجبت من الحق أو الكفارة الذي ذكرت في هذه الآية كي يذوق وبال أمره وعذابه يعني بأمره ذنبه وفعله الذي فعله من قتله ما نهاه الله عز وجل عن قتله في حال احرامه يقول فألزمته الكفارة التي ألزمته اياها لأذيقه عقوبة ذنبه بالزامه الغرامة والعمل ببدنه مما يتعبه ويشق عليه وأصل الوبال الشدة في المكروه ومنه قول الله فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا وقد بين تعالى ذكره بقوله ليذوق وبال أمره أن الكفارات اللازمة الاموال والابدان عقوبات منه لخلقه وان كانت تمحيصا لهم وكفارة لذنوبهم التي كفروها بها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما وبال أمره فعقوبة أمره ۞ القول في تأويل قوله ﴿عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه﴾ يقول جل ثناؤه لعباده المؤمنين به وبرسوله صلى الله عليه وسلم عفا الله أيها المؤمنون عما سلف منكم في جاهليتكم من اصابتكم الصيد وأنتم حرم وقتلكموه فلا يؤاخذكم بما كان منكم في ذلك قبل تحريمه اياه عليكم ولا يلزمكم له كفارة في مال ولا نفس ولكن من عاد منكم لقتله وهو محرم بعد تحريمه بالمعنى الذي كان يقتله في حال كفره وقبل تحريمه عليه من استحلاله قتله فينتقم الله منه وقد يحتمل أن يكون ذلك معناه من عاد لقتله بعد تحريمه في الاسلام فينتقم الله منه في الآخرة فأما في الدنيا فان عليه من الجزاء والكفارة فيها ما بينت واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء ما عفا الله عما سلف قال عما كان في الجاهلية قال قلت ما

من غير فرق بين العمد والخطأ ثم العلماء اختلفوا في المثل فقال الشافعي ومحمد بن الحسن الصيد ضربان منه ماله مثل ومنه ما لا مثل له فيضمن بالقيمة وقال أبو حنيفة وأبو يوسف المثل الواجب هو القيمة قياسا على ما لا مثل له حجة الشافعي قوله تعالى من النعم فانه بيان للمثل وكذا قوله هديا بالغ الكعبة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه حكم في الضبع بكبش وعن علي وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس وابن عمر أنهم حكموا في أمكنة مختلفة وأزمان متعددة في جزاء الصيد بالمثل من النعم فحكموا في النعامة ببدنة وفي حمار الوحش ببقرة وفي الضبع بكبش وفي الغزال بعنز وفي الظبي بشاة وفي الأرنب بحمل وفي رواية بعناق وفي الضب بسخلة وفي اليربوع بجفرة وفي الحمام بشاة ويعني به كل ما عب وهدر كالقمري والدبسي والفاختة والعب شرب الماء مرة والهدير ترجيع صوته وتغريده وفيه دليل على أنهم نظروا الى أقرب الأشياء شبها بالصيد من النعم ولو نظروا الى القيمة لاختلف باختلاف الأسعار والظبي الذكر من هذا الجنس والغزال أنثاه والجفرة من أولاد المعز اذا انفصلت من أمها والعناق الأنثى من أولاد المعز وأيضا المقصود من الضمان جبر الهالك فكلما كانت المماثلة أتم كان الجبر أكمل (وههنا مسائل) الأولى جماعة

ومن عاد فينتقم الله منه قال من عاد فى الاسلام فينتقم الله منه وعليه مع ذلك الكفارة حدثنا
ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء فذكر نحوه وزاد فيه وقال
وان عاد فقتل عليه الكفارة قلت هل فى العود من حد يعلم قال لا قلت فترى حقا على الامام أن
يعاقبه قال هو ذنب أذنبه فيما بينه وبين الله ولكن يفتدى حدثنا سفيان قال ثنا محمد بن
بكر وأبو خالد عن ابن جريج عن عطاء ومن عاد فينتقم الله منه قال فى الاسلام وعليه مع ذلك
الكفارة قلت عليه من الامام عقوبة قال لا حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن
وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء عفا الله عما سلف عما كان فى
الجاهلية ومن عاد قال فى الاسلام فينتقم الله منه وعليه الكفارة قال قلت لعطاء فعليه من الامام
عقوبة قال لا حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن جريج
عن عطاء قال يحكم عليه فى الخطا والعمد والنسيان وكلما أصاب قال الله عز وجل عفا الله عما
سلف قال ما كان فى الجاهلية ومن عاد فينتقم الله منه مع الكفارة قال سفيان قال ابن جريج
فقلت أيعاقبه السلطان قال لا حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر وأبو خالد عن ابن
جريج قال قلت لعطاء عفا الله عما سلف قال عما كان فى الجاهلية حدثنى يعقوب قال ثنا
هشيم عن أبى بشر عن عطاء بن أبى رباح أنه قال يحكم عليه كلما عاد حدثنا هناد قال ثنا
جرير عن منصور عن مجاهد قال كلما أصاب المحرم الصيد ناسيا حكم عليه حدثنى يحيى بن
طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن ابراهيم قال كلما أصاب الصيد
المحرم حكم عليه حدثنا عمرو بن على قال ثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح عن
عطاء قال من قتل الصيد ثم عاد حكم عليه حدثنا عمرو قال ثنا سفيان بن عيينة عن داود بن
أبى هند عن سعيد بن جبير قال يحكم عليه فيخلع أو يترك حدثنا عمرو قال ثنا عبد الوهاب
قال ثنا داود بن أبى هند عن سعيد بن جبير الذى يصيب الصيد وهو محرم فيحكم عليه ثم يعود قال
يحكم عليه حدثنا عمرو قال ثنا كثير بن هشام قال ثنا الفرات بن سليمن عن عبد الكريم عن
عطاء قال يحكم عليه كلما عاد * وقال آخرون معنى ذلك عفا الله عما سلف منكم فى ذلك فى الجاهلية
ومن عاد فى الاسلام فينتقم الله منه بالزامه الكفارة ذكر من قال ذلك حدثنى ابن البرقى
قال ثنا عمرو عن زهير عن سعيد بن جبير وعطاء فى قول الله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه قالا
ينتقم الله يعنى بالجزاء عفا الله عما سلف فى الجاهلية * وقال آخرون فى ذلك عفا الله عما سلف من
قتل من قتل منكم الصيد حراما فى أول مرة ومن عاد ثانية قتله بعد أولى حراما فالله ولى الانتقام
منه دون كفارة تلزمه لقتله اياه ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح
قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس من قتل شيأ من الصيد خطأ وهو
محرم حكم عليه فيه مرة واحدة فان عاد يقال له ينتقم الله منك كما قال الله عز وجل حدثنا يحيى
ابن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل بن عياض عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس قال اذا
أصاب المحرم الصيد حكم عليه فان عاد لم يحكم عليه وكان ذلك الى الله عز وجل ان شاء عاقبه وان شاء
عفا عنه ثم قرأ هذه الآية ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام حدثنا هناد قال ثنا
يحيى بن أبى زائدة قال ثنا داود عن عامر قال جاء رجل الى شريح فقال انى أصبت صيدا وأنا
محرم فقال هل أصبت قبل ذلك شيأ قال لا قال لو قلت نعم وكلتك الى الله يكون هو ينتقم منك انه
عزيز ذو انتقام قال داود فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال بل يحكم عليه أو يخلع حدثنى
أبو السائب وعمرو بن على قالا ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم قال اذا أصاب الرجل الصيد

محرمون قتلوا صيدا فالشافعى
وأحمد واسحق لا يجب عليهم
الا جزاء واحد لان مثل الواحد واحد
وقال أبو حنيفة ومالك والثورى على
كل منهم جزاء واحد كما لو قتل جماعة
واحدا يقتص منهم جميعا وكذا لو
حلف كل منهم أن لا يقتل صيدا
فقتلوا صيدا واحدا لزم كلا منهم
كفارة وأجيب بان قتل الجماعة بالواحد
تعبدى وتعدد الكفارة لتعدد
الايمان * الثانية قال الشافعى المحرم
اذا دل غيره على صيد فقتله لم يضمن
كما لا يجب بالدلالة كفارة القتل ولا
الدية وكما لو دل على مال المسلم فتلف
لان الدلالة ليست بقتل ولا اتلاف
وقال أبو حنيفة يضمن لما روى أن
عمر وعبد الرحمن بن عوف وابن
عباس أوجبوا الجزاء على الدال
* الثالثة قال الشافعى اذا جرح ظبيا
فنقص من قيمته العشر فعليه عشر
قيمة الشاة ارشادا الى ما هو الأسهل
لانه قد لا يجد شريكا فى ذبح شاة
ويتعذر عليه اخراج قسط من الحيوان
وقال المزنى عليه شاة وقال داود
لا ضمان الا بالقتل لظاهر الآية
حيث نيط الجزاء بالقتل فقط
* الرابعة اذا قتل المحرم صيدا وأدى
جزاءه ثم قتل صيدا آخر لزمه جزاء
آخر خلافا لداود وينقل عن ابن
عباس وشريح حجة الجمهور أن
الحكم يتكرر بتكرر العلة
بخلاف ما لو قال لنسائه من دخل
منكن الدار فهى طالق فدخلت
واحدة مرتين فانه لا يقع الا طلاق

وهو محرم قيل له أصبت صيدا مثل هذا فان قال نعم قيل له اذهب فينتقم الله منك وان قال لا حكم عليه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمن عن ابراهيم في الذي يقتل الصيد ثم يعود قال كانوا يقولون من عاد لا يحكم عليه أمره الى الله عز وجل حدثنا عمرو قال ثنا ابن عيينة عن داود بن أبي هند عن الشعبي أن رجلا أتى شريحا فقال أصبت صيدا قال أصبت قبله صيدا قال لا قال أما انك لو قلت نعم لم أحكم عليك حدثنا عمرو قال ثنا ابن أبي عدي قال ثنا داود عن الشعبي عن شريح مثله حدثنا عمرو قال ثنا أبو عاصم عن الأشعث عن محمد عن شريح في الذي يصيب الصيد قال يحكم عليه فان عاد انتقم الله منه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن عنبسة عن سالم عن سعيد بن جبير ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم قال يحكم عليه في العمد مرة واحدة فان عاد لم يحكم عليه وقيل له اذهب ينتقم الله منك ويحكم عليه في الخطا أبدا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن خصيف عن سعيد بن جبير قال رخص في قتل الصيد مرة فمن عاد لم يدعه الله تعالى حتى ينتقم منه حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن سفيان عن خصيف عن سعيد بن جبير مثله حدثنا عمرو بن علي قال ثنا يحيى بن سعيد وابن أبي عدي جميعا عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس فيمن أصاب صيدا فحكم عليه ثم عاد قال لا يحكم ينتقم الله منه حدثنا عمرو قال ثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انما قال الله عز وجل ومن قتله منكم متعمدا يقول متعمدا لقتله ناسيا لاحرامه فذلك الذي يحكم عليه فان عاد لا يحكم عليه وقيل له ينتقم الله منك حدثنا عمرو قال ثنا كثير بن هشام قال ثنا الفرات بن سليمن عن عبد الكريم عن مجاهد ان عاد لم يحكم عليه وقيل له ينتقم الله منك حدثنا عمرو قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا الأشعث عن الحسن في الذي يصيب الصيد فيحكم عليه ثم يعود قال لا يحكم عليه * وقال آخرون معنى ذلك عفا الله عما سلف من قتلكم الصيد قبل تحريم الله تعالى ذلك عليكم ومن عاد لقتله بعد تحريم الله اياه عليه عالما بتحريمه ذلك عليه عامدا لقتله ذاكرا لاحرامه فان الله هو المنتقم منه ولا كفارة لذنبه ذلك ولا جزاء يلزمه له في الدنيا ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن عاد فينتقم الله منه قال من عاد بعد نهي الله بعد أن يعرف أنه محرم وانه ذاكر لحرمه لم ينبغ لأحد أن يحكم عليه ووكلوه الى نقمة الله عز وجل فأما الذي يتعمد قتل الصيد وهو ناس لحرمه أو جاهل أن قتله محرم فهؤلاء الذين يحكم عليهم فأما من قتله متعمدا بعد نهي الله وهو يعرف أنه محرم وأنه حرام فذلك يوكل الى نقمة الله فذلك الذي جعل الله عليه النقمة وهذا شبيه بقول مجاهد الذي ذكرناه قبل * وقال آخرون عني بذلك شخص بعينه ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن علي قال ثنا معتمر بن سليمن قال ثنا زيد أبو المعلى أن رجلا أصاب صيدا وهو محرم فتجوز له عنه ثم عاد فأرسل الله عليه نارا فأحرقته فذلك قوله ومن عاد فينتقم الله منه قال في الاسلام * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندنا قول من قال معناه ومن عاد في الاسلام لقتله بعد نهي الله تعالى عنه فينتقم الله منه وعليه مع ذلك الكفارة لان الله عز وجل اذا أخبر أنه ينتقم منه لم يخبرنا وقد أوجب عليه في قتله الصيد عمدا ما أوجب من الجزاء أو الكفارة بقوله ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم أنه قد أزال عنه الكفارة في المرة الثانية والثالثة بل أعلم عباده ما أوجب من الحكم على قاتل الصيد من المحرمين عمدا ثم أخبر أنه منتقم ممن عاد ولم يقل ولا كفارة عليه في الدنيا فان ظن ظان أن الكفارة مزيلة للعقاب ولو كانت الكفارة لازمة له في الدنيا لبطل العقاب في الآخرة فقد ظن

واحد لان تكرر الحكم بتكرر الشرط غير لازم حجة داود ومن عاد فينتقم الله منه فانه جعل جزاء العائد الانتقام لا الكفارة * الخامسة قال الشافعي اذا أصاب صيدا أعور أو مكسور اليد أو الرجل فداه بمثله والصحيح أحب وكذا الكبير لاجل الصغير والذكر يفدى بالذكر والانثى بالذكر والانثى والاولى أن لا يغير تحقيقا للمثلية والانثى أفضل لانها تلد والذكر أفضل من حيث ان لحمه أطيب وصورته أحسن قوله سبحانه (يحكم به ذوا عدل منكم قال ابن عباس أي رجلان صالحان فقيهان من أهل دينكم ينظران الى أشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به وبهذا احتج من نصر قول أبي حنيفة فقال التقويم هو المحتاج الى النظر والاجتهاد وأما الخلقة والصورة فشاهد لا يفتقر الى الاجتهاد ورد بأن وجه المشابهة بين النعم والصيد أيضا يتوقف على الاجتهاد عن قبيصة بن جابر أنه ضرب ظبيا في الاحرام فمات فسأل عمر وكان الى جانبه عبد الرحمن بن عوف فقال له ماترى قال عليه شاة قال وأنا أرى ذلك فاذهب فأهد شاة قال قبيصة فخرجت الى صاحبي وقلت ان أمير المؤمنين لم يدر ما يقول حتى سأل غيره قال ففاجأني عمر وعلاني بالدرة وقال أتقتل في الحرم وتسفه الحكم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فأنا عمر وهذا عبد الرحمن قال الشافعي ما ورد فيه نص فهو متبع كما روى أنه صلى الله عليه وسلم

خطا

خطأ وذلك أن الله عز وجل أن يخالف بين عقوبات معاصيه بما شاء وأحب فيزيد في عقوبته على بعض معاصيه مما ينقص من بعض وينقص من بعض مما يزيد في بعض كالذي فعل من ذلك في مخالفته بين عقوبته الزاني البكر والزاني الثيب المحصن وبين سارق ربع دينار وبين سارق أقل من ذلك فكذلك خالف بين عقوبته قاتل الصيد من المحرمين عمدا ابتداء وبين عقوبته عودا بعد بدء فأوجب على البادئ المثل من النعم أو الكفارة بالاطعام أو العدل من الصيام وجعل ذلك عقوبة جرمه بقوله ليذوق وبال أمره وجعل على العائد بعد البدء وزاده من عقوبته ما أخبر عباده أنه فاعل به من الانتقام تغليظا منه للعود بعد البدء ولو كانت عقوباته على الاشياء متفقة لوجب أن لا يكون حد في شئ مخالفا حدا في غيره ولا عقاب في الآخرة أغلظ من عقاب وذلك خلاف ما جاء به محكم الفرقان وقد زعم بعض الزاعمين أن معنى ذلك ومن عاد في الاسلام بعد نهي الله عن قتله لقتله بالمعنى الذي كان القوم يقتلونه في جاهليتهم فعفا لهم عنه عند تحريم قتله عليهم وذلك قتله على استحلال قتله قال فأما اذا قتله على غير ذلك الوجه وذلك أن يقتله على وجه الفسوق لا على وجه الاستحلال فعليه الجزاء والكفارة كلما عاد وهذا قول لا نعلم قائلا قاله من أهل التأويل وكفى خطأ بقوله خروجه عن أقوال أهل العلم لو لم يكن على خطئه دلالة سواه فكيف وظاهر التنزيل ينبئ عن فساده وذلك أن الله عم بقوله ومن عاد فينتقم الله منه كل عائد لقتل الصيد بالمعنى الذي تقدم النهي منه به في أول الآية ولم يخص به عائدا منهم دون عائد فمن ادعى في التنزيل ما ليس في ظاهره كلف البرهان على دعواه من الوجه الذي يجب التسليم له وأما من زعم أن معنى ذلك ومن عاد في قتله متعمدا بعد بدء لقتل تقدم منه في حال احرامه فينتقم الله منه فان معنى قوله عفا الله عما سلف انما هو عفا الله عما سلف من ذنبه بقتله الصيد بدأ فان في قول الله تعالى ليذوق وبال أمره دليلا واضحا على أن القول في ذلك غير ما قال لان العفو عن الجرم ترك المؤاخذة به ومن أذيق وبال جرمه فقد عوقب به وغير جائز أن يقال لمن عوقب قد عفي عنه وخبر الله أصدق من أن يقع فيه تناقض فان قال قائل وما ينكر أن يكون قاتل الصيد من المحرمين في أول مرة قد أذيق وبال أمره بما ألزم من الجزاء والكفارة وعفي له من العقوبة بأكثر من ذلك مما كان لله عز وجل أن يعاقبه به قيل له فان كان ذلك جائزا أن يكون تأويل الآية عندك وان كان مخالفا لقول أهل التأويل فما ينكر أن يكون الانتقام الذي أوعده الله على العود بعد البدء هو تلك الزيادة التي عفاها عنه في أول مرة مما كان له فعله به مع الذي أذاقه من وبال أمره فيذيقه في عوده بعد البدء وبال أمره الذي أذاقه المرة الاولى ويترك عفوه عما عفا عنه في البدء فيؤاخذه به فلم يقل في ذلك شيأ الا ألزم في الآخر مثله ﴿ القول في تأويل قوله ﴿والله عزيز ذو انتقام﴾ يقول عز وجل والله منيع في سلطانه لا يقهره قاهر ولا يمنعه من الانتقام ممن انتقم منه ولا من عقوبة من أراد عقوبته مانع لان الخلق خلقه والأمر أمره له العزة والمنعة وأما قوله ذو انتقام فانه يعني به معاقبته لمن عصاه على معصيته اياه ﴿ القول في تأويل قوله ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه﴾ يقول تعالى ذكره أحل لكم أيها المؤمنون صيد البحر وهو ما صيد طريا كما **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة قال قال عمر بن الخطاب في قوله أحل لكم صيد البحر قال صيده ما صيد منه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن سماك قال حدثت عن ابن عباس قال خطب أبو بكر الناس فقال أحل لكم صيد البحر قال فصيده ما أخذ **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله أحل لكم صيد البحر

قضى في الضبع بكبش وكل ما حكم به عدلان من الصحابة أو التابعين أو من أهل عصر آخر من النعم أنه مثل الصيد المقتول يتبع حكمهم ولا حاجة الى تحكيم غيرهم لأن بحثهم أوفى ونظرهم أعلى وقال مالك يجب التحكيم فيما حكمت به الصحابة وفيما لم تحكم وهل يجوز أن يكون قاتل الصيد حكما ان كان القتل عمدا عدوانا فلا لأنه يورث الفسق والحكم موصوف بالعدالة وان كان خطأ أو كان مضطرا اليه فكذلك عند مالك كما في تقويم المتلفات وجوزه الشافعي لما روى أن بعض الصحابة أوطأ فرسه ظبيا فسأل عمر فقال احكم فيه فقال أنت خير مني وأعلم يا أمير المؤمنين فقال انما أمرتك أن تحكم فيه ولم آمرك أن تزكيني فقال الرجل أرى فيه جديا فقال عمر فذلك فيه وأيضا فانه حق الله فيجوز أن يكون من عليه أمينا فيه كما أن رب المال أمين في الزكاة ولو حكم عدلان بأن له مثلا وآخران بأنه لا مثل له فالأخذ بقول الاولين ولو حكم عدلان بمثل وآخران بمثل آخر فأصح الوجهين أنه يتخير والآخر أنه يأخذ بالأغلظ قيل في الآية دلالة على أن العمل بالاجتهاد والقياس جائز وأجيب بأنه لا نزاع في الصور الجزئية كالاجتهاد في القبلة وكالعمل بشهادة الشاهدين وبتقويم المقومين في قيم المتلفات وأروش الجنايات وكعمل العامي بالفتوى وكالعمل بالظن في مصالح الدنيا انما النزاع في اثبات شرع

قال صيده ما صيد منه حدثنا سليمان بن عمر بن خالد البرقي قال ثنا محمد بن سلمة الحراني عن
خصيف عن عكرمة عن ابن عباس في قوله أحل لكم صيد البحر قال صيده الطري حدثنا
ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الهذيل بن هلال قال ثنا عبد الله بن عبيد بن عمير
عن ابن عباس في قوله أحل لكم صيد البحر قال صيده ما صيد حدثني محمد بن سعد قال ثني
أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس أحل لكم صيد البحر قال الطري
حدثنا ابن وكيع قال ثنا الحسن بن علي الجعفي أو الحسين شك أبو جعفر عن الحكم بن أبان
عن عكرمة قال كان ابن عباس يقول صيد البحر ما اصطاده حدثنا أبو كريب قال ثنا
ابن يمان عن سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير أحل لكم صيد البحر قال الطري حدثنا
ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن الحجاج عن العلاء بن بدر عن أبي سلمة قال صيد البحر
ما صيد حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير أحل
لكم صيد البحر قال الطري حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن سفيان عن
أبي حصين عن سعيد بن جبير مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا
سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير أحل لكم صيد البحر قال السمك الطري حدثنا محمد
ابن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي أحل لكم صيد البحر أما صيد
البحر فهو السمك الطري هي الحيتان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن
معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال صيده ما اصطدته طريا قال معمر وقال قتادة صيده
ما اصطدته حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن
مجاهد في قول الله أحل لكم صيد البحر قال حيتانه قال حدثنا ابن البرقي قال ثنا عمر بن أبي
سلمة قال سئل سعيد عن صيد البحر فقال قال مكحول قال زيد بن ثابت صيده ما اصطدت حدثنا
ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد في قوله أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم
وللسيارة قال يصطاد المحرم والمحل من البحر ويأكل من صيده حدثنا عمرو بن عبد الحميد
قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال قال أبو بكر طعام البحر كل ما فيه وقال جابر بن عبد
الله ما حسر عنه فكل وقال كل ما فيه يعني جميع ما صيد حدثنا سعيد بن الربيع قال ثنا
سفيان عن عمرو سمع عكرمة يقول قال أبو بكر وطعامه متاعا لكم وللسيارة قال هو كل ما فيه وعني
بالبحر في هذا الموضع الانهار كلها والعرب تسمي الانهار بحارا كما قال تعالى ذكره ظهر الفساد
في البر والبحر فتأويل الكلام أحل لكم أيها المؤمنون طري سمك الانهار الذي صدتموه في حال
حلكم وحرمكم وما لم تصيدوه من طعامه الذي قتله ثم رمى به الى ساحله واختلف أهل التأويل في
معنى قوله وطعامه فقال بعضهم عني بذلك ما قذف به الى ساحله ميتا نحو الذي قلنا في ذلك ذكر من
قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن سماك قال حدثت عن ابن عباس قال
خطب أبو بكر الناس فقال أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وطعامه ما قذف حدثني
يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة قال كنت بالبحرين
فسألوني عما قذف البحر قال فأفتيتهم أن يأكلوا فلما قدمت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ذكرت ذلك له فقال لي بم أفتيتهم قال قلت أفتيتهم أن يأكلوا قال لو أفتيتهم بغير ذلك لعلوتك بالدرة
قال ثم قال ان الله تعالى قال في كتابه أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم فصيده ما صيد
منه وطعامه ما قذف حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم قال طعامه ما قذف حدثني يعقوب

قال

عام في حق جميع المكلفين باق على
وجه الدهر والانصاف أن مجوز
الاجتهاد في القبلة وفي تعيين مثل
الصيد المقتول أمر كلي أيضا
وانتصب هديا على انه حال من
جزاء عند من وصفه بمثل لانه
حينئذ قريب من المعرفة أو بدل
من محل مثل عند من أضاف أو حال
من الضمير في به ووصف هديا ببالغ
الكعبة لان اضافته غير حقيقية
تقديره بالغا الكعبة والعرب تسمي
كل بيت مربع كعبة ولا سيما اذا
كان مرتفعا ومعنى بلوغه الكعبة
أن يذبح في الحرم لان الذبح والنحر
لا يقعان في نفس الكعبة ولا في
غاية القرب والتلاصق منها فان دفع
مثل الصيد المقتول الى الفقراء
حيا لم يجز قال الشافعي يجب عليه
أن يتصدق به في الحرم أيضا لان
نفس الذبح ايلام ولا قربة فيه وانما
القربة في التصدق على فقراء الحرم
وقال أبو حنيفة له أن يتصدق به
حيث شاء لانها لما وصلت الى
الكعبة فقد خرج عن العهدة
قوله أو كفارة عطف على قوله فجزاء
وطعام مساكين بيان له ومن أضاف
فللبيان أيضا أي كفارة من طعام
مساكين مثل خاتم فضة أو عدل
ذلك الطعام صياما نصب على التمييز
كقولك لي مثله رجلا وعدل الشيء
ما عادله من غير جنسه والعدل
بالكسر المثل تقول عندي عدل
غلامك اذا كان غلاما يعدل غلاما
واذا أردت قيمته من غير جنسه
فتحت العين ثم مذهب الشافعي أنه
يصوم لكل مد يوما وهو مذهب

قال ثنا ابن علية عن سليمان التيمي عن أبي مجلز عن ابن عباس في قوله أحل لكم صيد البحر
وطعامه قال طعامه ماقذف حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن سليمان التيمي عن
أبي مجلز عن ابن عباس مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا حسين بن علي عن زائدة عن سماك
عن عكرمة عن ابن عباس قال طعامه كل ماألقاه البحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا الحسن بن علي
أو الحسين بن علي الجعفي شك أبو جعفر عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال طعامه
مالفظ من ميتته حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الهذيل بن هلال قال ثنا
عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس أحل لكم صيد البحر وطعامه قال طعامه ماوجد على
الساحل ميتا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن سليمان التيمي عن أبي مجلز
عن ابن عباس قال طعامه ماقذف به حدثنا سعيد بن الربيع قال ثنا سفيان عن عمرو وسمع
عكرمة يقول قال أبو بكر رضي الله عنه وطعامه متاعا لكم قال طعامه هو كل مافيه حدثني محمد
ابن المثنى قال ثنا الضحاك بن مخلد عن ابن جريج قال أخبرني عمرو بن دينار عن عكرمة مولى ابن
عباس قال قال أبو بكر وطعامه متاعا لكم قال طعامه ميتته قال عمرو وسمع أبا الشعثاء يقول
ماكنت أحسب طعامه الامالحه حدثنا محمد بن المثنى قال ثني الضحاك بن مخلد عن ابن
جريج قال أخبرني أبو بكر بن حفص بن عمر بن سعد عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وطعامه
متاعا لكم قال طعامه ميتته حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع عن عثمان
عن عكرمة وطعامه متاعا لكم قال طعامه ماقذف حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا معمر بن
سليمان قال سمعت عبيد الله عن نافع قال جاء عبد الرحمن الى عبد الله فقال البحر قد ألقى حيتانا
كثيرة قال فنهاه عن أكلها قال يانافع هات المصحف فأتيته به فقرأ هذه الآية أحل لكم صيد
البحر وطعامه متاعا لكم قال قلت طعامه هو الذي ألقاه قال فالحقه فمره بأكله حدثنا ابن
بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا أيوب عن نافع أن عبد الرحمن بن أبي هريرة سأل ابن عمر
فقال ان البحر قذف حيتانا كثيرة ميتة أفنأكلها قال لاتأكلوها فلما رجع عبد الله الى أهله أخذ
المصحف فقرأ سورة المائدة فأتى على هذه الآية وطعامه متاعا لكم وللسيارة قال اذهب فقل له
فليأكله فانه طعامه حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن نافع عن ابن عمر
بنحوه حدثني المثنى قال ثنا الضحاك بن مخلد عن ابن جريج قال أخبرني عمرو بن دينار عن
عكرمة مولى ابن عباس قال قال أبو بكر رضي الله عنه وطعامه متاعا لكم قال ميتته قال عمرو وسمعت
أبا الشعثاء يقول ماكنت أحسب طعامه الامالحه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا الضحاك
ابن مخلد عن ابن جريج قال أخبرنا نافع أن عبد الرحمن بن أبي هريرة سأل ابن عمر عن حيتان كثيرة
ألقاها البحر أميتة هي قال نعم فنهاه عنها ثم دخل البيت فدعا بالمصحف فقرأ تلك الآية أحل لكم
صيد البحر وطعامه متاعا لكم قال طعامه كل شئ أخرج منه فكله فليس به بأس وكل شئ فيه
يؤكل ميتا أو بساحله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر قال
قتادة طعامه ماقذف منه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد عن ليث عن شهر عن أبي أيوب
قال مالفظ البحر فهو طعامه وان كان ميتا حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن ليث عن شهر
قال سئل أبو أيوب عن قول الله تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا قال هو مالفظ البحر وقال
آخرون عني بقوله وطعامه المليح من السمك فيكون تأويل الكلام على ذلك من تأويلهم أحل لكم
سمك البحر ومليحه في كل حال احلالكم واحرامكم ذكر من قال ذلك حدثنا سليمان بن عمرو بن
خالد البرقي قال ثنا محمد بن سلمة عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس وطعامه قال طعامه المالح منه

أبي حنيفة أنه يصوم لكل نصف صاع
يوما ولك بحسب الاختلاف في
طعام مسكين واحد كما مر في كفارة
اليمين وبالجملة فحاصل مذهب أبي
حنيفة أنه يوجب قيمة الصيد يقوم
حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن
هدى تخير بين أن يهدى من
النعم ماقيمته قيمة الصيد وبين أن
يشترى بقيمته طعاما فيعطى كل
مسكين نصف صاع من بر أو صاعا
من غيره وان شاء صام عن طعام كل
مسكين يوما وحاصل مذهب الشافعي
أن الصيد قسمان ماله مثل من النعم
وماليس كذلك فالاول جزاؤه على
التخيير والتعديل فيتخير بين أن
يذبح مثله فيتصدق به على مساكين
الحرم اما بأن يفرق اللحم أو يملك
جملته اياهم مذبوحا وبين أن يقوم
المثل بدراهم ولايجوز أن يتصدق
بالدراهم ولكن ان شاء اشترى بها
طعاما وتصدق به على مساكين
الحرم وان شاء صام عن كل مد من
الطعام يوما حيث كان والثاني وهو
ماليس له مثل كالعصافير وغيرها
وبالجملة كل مادون الحمام
أو فوقه فيه قيمته ولايتصدق
بها بل يجعلها طعاما ثم
ان شاء تصدق بها وان شاء صام عن
كل مد يوما فان انكسر مد في القسمين
صام يوما لان الصوم لايتبعض
وللجزاء في القسم الاول ثلاثة أركان
الحيوان والطعام والصيام وفي القسم
الثاني ركنان الطعام والصيام وأو هنا
على التخيير في ظاهر المذهب لا على
الترتيب ووافق مالك وأبو حنيفة
لان أو للتخيير غالبا وخالف أحمد وزفر

حدثني المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وطعامه متاعا لكم يعني بطعامه مالحه وما قذف البحر من مالحه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وطعامه متاعا لكم وهو المالح حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان بن مجمع التيمي عن عكرمة في قوله متاعا لكم قال المليح حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن سالم الافطس وأبي حصين عن سعيد بن جبير قال المليح حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن منصور عن ابراهيم وطعامه متاعا لكم قال المليح واللفظ حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن سالم عن سعيد بن جبير في قوله أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم قال يأتي الرجل أهل البحر فيقول أطعموني فان قال غريضا ألقوا شبكتهم فصادوا له وان قال أطعموني من طعامكم أطعموه من سمكهم المالح حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن عطاء عن سعيد أحل لكم صيد البحر وطعامه قال المنبوذ السمك المالح حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير وطعامه قال المالح حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن ابراهيم وطعامه قال هو مالحه ثم قال ما قذف حدثنا ابن معاذ قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة وطعامه قال مملوح السمك حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال أخبرني الثوري عن منصور قال كان ابراهيم يقول طعامه السمك المليح ثم قال بعد ما قذف به حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال أخبرنا الثوري عن أبي حصين عن سعيد ابن جبير قال طعامه المليح حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال أخبرنا اسرائيل عن عبد الكريم عن مجاهد قال طعامه السمك المليح حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه الآية وطعامه متاعا لكم قال الصير قال شعبة فقلت لأبي بشر ما الصير قال المالح حدثنا ابن المثنى قال ثنا هشام بن الوليد قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن جعفر بن أبي وحشية عن سعيد بن جبير قوله وطعامه متاعا لكم قال الصير قال قلت ما الصير قال المالح حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي وطعامه متاعا لكم قال أما طعامه فهو المالح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب وطعامه متاعا لكم قال طعامه ما تزودت مملوحا في سفرك حدثنا عمرو بن عبد الحميد وسعيد بن الربيع الرازي قالا ثنا سفيان بن عمرو قال قال جابر بن زيد كنا نتحدث أن طعامه مليحه ونكره الطافي منه وقال آخرون طعامه ما فيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال طعام البحر ما فيه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن حريث عن عكرمة وطعامه متاعا لكم قال ما جاء به البحر بوجه حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن حسن بن صالح عن ليث عن مجاهد قال طعامه كل ما صيد منه وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا قول من قال طعامه ما قذفه البحر أو حسر عنه فوجد ميتا على ساحله وذلك أن الله تعالى ذكر قبله صيد الذي يصاد فقال أحل لكم صيد البحر فالذي يجب أن يعطف عليه في المفهوم ما لم يصد منه فقال أحل لكم ما صدتموه من البحر وما لم تصيدوه منه وأما المليح فانه ما كان منه ملح بعد الاصطياد فقد دخل في جملة قوله أحل لكم صيد البحر فلا وجه لتكريره اذ لا فائدة فيه وقد أعلم عباده تعالى احلاله ما صيد من البحر بقوله أحل لكم صيد البحر فلا فائدة أن يقال لهم بعد ذلك ومليحه الذي صيد حلال لكم لان ما صيد منه فقد بين تحليله طريا كان أو مليحا بقوله أحل لكم صيد البحر والله يتعالى عن أن يخاطب عباده بما لا

فقالا انها في الآية للترتيب لان الواجب هنا شرع على سبيل التغليظ بدليل قوله ليذوق وبال أمره والتخيير ينافي التغليظ ثم القائلون بالتخيير اتفقوا على أن الخيار في تعيين هذه الثلاثة الى قاتل الصيد كما هو ظاهر الآية الا محمد بن الحسن فانه قال الخيار الى الحكمين قياسا على تعيين المثل ثم ان لم يكن الصيد مثليا فالعبرة في القيمة بمحل الاتلاف قياسا على كل متلف متقوم والمعتبر في الصرف الى الطعام سعر الطعام بمكة وان كان مثليا وأراد تقويم مثله من النعم ليرجع الى الاطعام أو الصيام فالعبرة في قيمته بمكة يومئذ لانها محل الذبح لو كان يذبح ولا جزاء على المحرم بأكل الصيد سواء ذبحه بنفسه أو اصطاده أو بدلالته لانه ليس بنام بعد الذبح ولا يؤول الى النماء فلا يتعلق باتلافه الجزاء كما لو أتلف بيضة مذرة هذا في الجديد من قولي الشافعي وفي قوله القديم وبه قال مالك وأحمد يلزمه القيمة بعد ما أكل واذا ذبح المحرم صيدا لم يحل له الأكل منه ولا لغيره في الجديد وبه قال مالك وأحمد وأبو حنيفة لانه يكون ميتة كذبيحة المجوسي حتى لو كان مملوكا وجب مع الجزاء القيمة للمالك وهل يحل له بعد زوال الاحرام أظهر الوجهين لا وكذا الكلام في صيد الحرم اذا ذبح أما قوله ليذوق فانه متعلق بقوله فجزاء أي فعليه أن يجازى أو يكفر ليذوق ويحتمل أن يقال يتعلق بمحذوف أي شرعنا ما شرعنا ليذوق سوء عاقبة

يفيدهم به فائدة وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذى قلنا خبر وان كان بعض نقلته يقف به على ناقله عنه من الصحابة وذلك ما حدثنا به هناد بن السرى قال ثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن عمرو قال ثنا أبو سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم قال طعامه ما لفظه ميتا فهو طعامه وقد وقف هذا الحديث بعضهم على أبى هريرة حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة فى قوله أحل لكم صيد البحر وطعامه قال طعامه ما لفظه ميتا * القول فى تأويل قوله (متاعا لكم وللسيارة) يعنى تعالى ذكره بقوله متاعا لكم منفعة لمن كان منكم مقيما أو حاضرا فى بلده يستمتع بأكله وينتفع به وللسيارة يقول ومنفعة أيضا ومتعة للسائرين من أرض الى أرض ومسافرين يتزودونه فى سفرهم مليحا والسيارة جمع سيار وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنى أبو اسحق عن عكرمة أنه قال فى قوله متاعا لكم وللسيارة قال لمن كان بحضرة البحر وللسيارة السفر حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة فى قوله وطعامه متاعا لكم وللسيارة ما قذف البحر وما يتزودون فى أسفارهم من هذا المالح يتأولها على هذا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة وطعامه متاعا لكم وللسيارة مملوح السمك ما يتزودون فى أسفارهم حدثنا سليمان بن عمرو بن خالد البرقى قال ثنا مسكين بن بكير قال ثنا عبد السلام بن حبيب النجارى عن الحسن فى قوله وللسيارة قال هم المحرمون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى وطعامه متاعا لكم وللسيارة أما طعامه فهو المالح منه بلاغ يأكل منه السيارة فى الاسفار حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية ابن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وطعامه متاعا لكم وللسيارة قال طعامه مالحه وما قذف البحر منه يتزوده المسافر وقال مرة أخرى مالحه وما قذف البحر فمالحه يتزوده المسافر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وطعامه متاعا لكم وللسيارة يعنى المالح فيتزوده وكان مجاهد يقول فى ذلك بما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وطعامه متاعا لكم قال أهل القرى وللسيارة أهل الامصار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله متاعا لكم قال لأهل القرى وللسيارة قال أهل الامصار وأجناس الناس كلهم وهذا الذى قاله مجاهد من أن السيارة هم أهل الامصار لا وجه له مفهوم الا أن يكون أراد بقوله هم أهل الامصارهم المسافرون من أهل الامصار فيجب أن يدخل فى ذلك كل سيارة من أهل الامصار كانوا أو من أهل القرى فأما السيارة فلا يشمل المقيمين فى أمصارهم * القول فى تأويل قوله (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما) يعنى تعالى ذكره وحرم الله عليكم أيها المؤمنون صيد البر ما دمتم حرما يقول ما كنتم محرمين لم تحلوا من احرامكم ثم اختلف أهل العلم فى المعنى الذى عنى الله تعالى ذكره بقوله وحرم عليكم صيد البر فقال بعضهم عنى بذلك أنه حرم علينا كل معانى صيد البر من اصطياد وأكل وقتل وبيع وشراء وامساك وتملك ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الله بن الحرث عن نوفل عن أبيه قال حج عثمان بن عفان فحج على معه قال فأتى عثمان بلحم صيد صاده حلال فأكل منه ولم يأكل على فقال عثمان والله ما صدنا ولا أمرنا ولا أشرنا فقال على وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما حدثنا ابن حميد قال ثنا هارون بن المغيرة عن عمرو بن أبى قيس عن سماك عن صبيح بن عبيد الله العبسى قال بعث عثمان بن عفان أبا سفيان

فعله وهو هتك حرمة الحرم والاحرام والتركيب يدور على الثقل يقال مرعى وبيل اذا كان فيه وخامة وطعام وبيل ثقيل على الطبع والمعدة والامور الثلاثة اثنان منها نقص فى المال فيثقل على الطبع والثالث وهو الصوم ثقيل على البدن أيضا وكل منها نوع عقوبة عفا الله عما سلف فى الجاهلية لانهم متعبدون بشرع من قبلهم أو عما سلف قبل التحريم فى الاسلام وعلى مذهب داود عفا الله عما سلف فى المرة الاولى بسبب أداء الجزاء ومن عاد فانه أعظم من أن يعفى بالجزاء فينتقم الله منه أى فهو ينتقم الله منه والا لم يحتج الى ادخال فاء الجزاء لارتباطه بنفسه أحل لكم صيد البحر أى مصيداته ويعنى بالبحر جميع هذه المياه والانهار وجملة ما يصاد منه ثلاثة أجناس الحيتان وجميع أنواعها حلال والضفادع وجميع أنواعها حرام وفيما سوى هذين خلاف فقال أبو حنيفة حرام وقال ابن أبى ليلى والاكثرون حلال قوله وطعامه العطف يقتضى المغايرة وفيه وجوه يروى عن أبى بكر الصديق أن الصيد ما صيد بالحيلة حال حياته والطعام ما يوجد مما لفظه البحر أو نضب عنه الماء من غير معالجة فى أخذه وقال جمع من العلماء الاصطياد قد يكون للاكل وقد يكون لغيره كاصطياد الصدف لاجل اللؤلؤ واصطياد بعض الحيوانات البحرية لاجل عظامها وأسنانها فالمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصطاد فى البحر وأحل لكم أكل

ابن الحرث على العروض فنزل قديدا فمرّ به رجل من أهل الشام معه باز وصقر فاستعاره منه
فاصطاد به من اليعاقيب فجعلهن في حظيرة فلما مرّ به عثمان طبخهن ثم قدمهن اليه فقال عثمان
كلوا فقال بعضهم حتى يجيء علي بن أبي طالب فلما جاء فرأى ما بين أيديهم قال علي انا لن نأكل منه
فقال عثمان مالك لا تأكل فقال هو صيد ولا يحل أكله وأنا محرم فقال عثمان بين لنا فقال علي يا أيها
الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم فقال عثمان أو نحن قتلناه فقرأ عليه أحل لكم صيد
البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما حدثنا تميم بن المنتصر وعبد
الحميد بن بيان القناد قالا أخبرنا أبو اسحق الازرق عن شريك عن سماك بن حرب عن صبيح بن
عبد الله العبسي قال استعمل عثمان بن عفان أبا سفيان بن الحرث على العروض ثم ذكر نحوه
وزاد فيه قال فمكث عثمان ما شاء الله أن يمكث ثم أتى فقيل له بمكة هل لك في ابن أبي طالب أهدي
له صفيف حمار فهو يأكل منه فارسل اليه عثمان وسأله عن أكل الصفيف فقال أما أنت
فتأكل وأما نحن فتنهانا فقال انه صيد عام أول وأنا حلال فليس علي بأكله بأس وصيد ذلك يعني
اليعاقيب وأنا محرم وذبحن وأنا حرام حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث بن
سعيد قال ثنا يونس عن الحسن أن عمر بن الخطاب لم يكن يرى بأسا بلحم الصيد للمحرم وكرهه علي
ابن أبي طالب رضي الله عنه حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل قال
ثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن عليا كره لحم الصيد للمحرم على كل حال حدثنا
محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث
انه شهد عثمان وعليا أتيا بلحم فأكل عثمان ولم يأكل علي فقال عثمان أنحن صدناه أو صيد لنا فقرأ
علي هذه الآية أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما
حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال حج عثمان بن عفان
فحج معه علي فأتي بلحم صيد صاده حلال فأكل منه وهو محرم ولم يأكل منه علي فقال عثمان انه
صيد قبل أن نحرم فقال له علي ونحن قد بدأنا وأهالينا لنا حلال أفيحللن لنا اليوم حدثنا ابن
حميد قال ثنا هرون عن عمرو بن عبد الكريم عن مجاهد عن عبد الله بن الحرث بن نوفل أن عليا
أتي بشق عجز حمار وهو محرم فقال اني محرم حدثنا ابن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا
سعيد عن يعلى بن حكيم عن عكرمة عن ابن عباس انه كان يكرهه على كل حال ما كان محرما
حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا ابن جريج قال أخبرنا نافع أن ابن عمر كان يكره كل شيء
من الصيد وهو حرام أخذ له أو لم يؤخذ له وشيقة وغيرها حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد
القطان عن عبيد الله قال أخبرني نافع أن ابن عمر كان لا يأكل الصيد وهو محرم وان صاده الحلال
حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني الحسن بن مسلم بن يناق أن
طاوسا كان ينهى الحرام عن أكل الصيد وشيقة وغيرها صيد له أو لم يصد له حدثنا عبد الاعلى
قال ثنا خالد بن الحرث قال ثنا الاشعث قال قال الحسن اذا اصاد الصيد ثم أحرم لم يأكل من لحمه
حتى يحل وان أكل منه وهو محرم لم ير الحسن عليه شيأ حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام وهرون
عن عنبسة عن سالم قال سألت سعيد بن جبير عن الصيد يصيده الحلال أيأكل منه المحرم فقال
سأذكر لك من ذلك ان الله تعالى قال يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم فنهى عن قتله ثم
قال ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم ثم قال تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه
متاعا لكم وللسيارة قال يأتي الرجل أهل البحر فيقول أطعموني فان قال غريضا ألقوا شبكتهم
فصادوا له وان قال أطعموني من طعامكم أطعموه من سمكهم المالح ثم قال وحرم عليكم صيد البر

المأكول منه وعن سعيد بن جبير
أن الصيد هو الطري والطعام هو
القديد منه وفي الفرق ضعف قال
الشافعي السمكة الطافية في البحر
محللة لانه طعام البحر وقد قال
تعالى أحل لكم صيد البحر
وطعامه وقال صلى الله عليه وسلم في
البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته متاعا
لكم في الحضر طريا وللسيارة في السفر
مالحا وانتصب متاعا على أنه مفعول
له ولكنه مختص بالطعام وقال
الزجاج انه مصدر مؤكد لان قوله
أحل لكم في معنى التمتيع وحرم
عليكم صيد البر ما دمتم حرما قال
العلماء صيد البحر هو الذي لا يعيش
الا في الماء أما الذي لا يعيش الا في
البر والذي يمكنه أن يعيش في البر
تارة وفي البحر أخرى فذلك كله
صيد البر كالسلحفاة والسرطان
والضفدع وطير الماء كل ذلك من
صيد البر ويجب على قاتله الجزاء
واتفق المسلمون على أن المحرم
يحرم عليه الصيد الذي صاده أما
الذي صاده الحلال فعن علي وابن
عباس وابن عمر وسعيد بن جبير
وطاوس والثوري واسحق أن الحكم
كذلك لاطلاق الآية ولما روي
عن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم
أهدي اليه لحم وحش وهو محرم
فأبى أن يأكله وقال مالك والشافعي
وأحمد ان لحم الصيد مباح للمحرم
بشرط أن لا يصطاده المحرم ولا
يصطاد له لما روى أبو داود في سننه
عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال صيد البر لكم حلال ما لم
تصيدوه أو يصاد لكم وعن أبي هريرة

مادمتم حرما وهو عليك حرام صدته أو صاده حلال وقال آخرون انما عنى الله تعالى بقوله وحرم
عليكم صيد البر مادمتم حرما ما استحدث المحرم صيده في حال احرامه أو ذبحه أو استحدث له ذلك
في تلك الحال فأما ماذبحه حلال وللحلال فلا بأس بأكله للمحرم وكذلك ما كان في ملكه قبل حال
احرامه فغير محرم عليه امساكه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا
بشر بن المفضل قال ثنا سعيد قال ثنا قتادة أن سعيد بن المسيب حدثه عن أبي هريرة أنه سئل
عن صيد صاده حلال أيأكله المحرم قال فأفتاه هو بأكله ثم لقي عمر بن الخطاب فأخبره بما كان من
أمره فقال لو أفتيتهم بغير هذا لأوجعت لك رأسك حدثنا أحمد بن عبدة الضبي قال ثنا أبو عوانة
عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال نزل عثمان بن عفان العرج وهو محرم فأهدى صاحب العرج
له قطا قال فقال لأصحابه كلوا فانه انما اصطيد على اسمي قال فأكلوا ولم يأكل حدثنا ابن بشار
وابن المثنى قالا ثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة كان بالربذة
فسألوه عن لحم صيد صاده حلال ثم ذكر نحو حديث ابن بزيع عن بشر حدثنا ابن المثنى
قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن عمر
بنحوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن أبي اسحق عن أبي الشعثاء قال سألت
ابن عمر عن لحم صيد يهديه الحلال الى الحرام فقال أكله عمر وكان لا يرى به بأسا قال قلت تأكله
قال عمر خير مني حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال ثنا أبو اسحق عن
أبي الشعثاء قال سألت ابن عمر عن صيد صاده حلال يأكل منه حرام قال كان عمر يأكله قال قلت
فأنت قال كان عمر خيرا مني حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن هشام عن يحيى عن
أبي سلمة عن أبي هريرة قال استفتاني رجل من أهل الشام في لحم صيد أصابه وهو محرم فأمرته
أن يأكله فأتيت عمر بن الخطاب فقلت له ان رجلا من أهل الشام استفتاني في لحم صيد أصابه وهو
محرم قال فما أفتيته قال قلت أفتيته أن يأكله قال فوالذي نفسي بيده لو أفتيته بغير ذلك لعلوتك
بالدرة وقال عمر انما نهيت أن تصطاده حدثنا أبو كريب قال ثنا مصعب بن المقدام قال ثنا
خارجة عن زيد بن أسلم عن عطاء عن كعب قال أقبلت في أناس محرمين فأصبنا لحم حمار وحش
فسألني الناس عن أكله فأفتيتهم بأكله وهم محرمون فقدمنا على عمر فأخبروه أني أفتيتهم بأكل
حمار الوحش وهم محرمون فقال عمر قد أمرته عليكم حتى ترجعوا حدثني يعقوب قال ثنا
هشيم قال أخبرنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال مررت بالربذة فسألني
أهلها عن المحرم يأكل ما صاده الحلال فأفتيتهم أن يأكلوا فلقيت عمر بن الخطاب فذكرت ذلك له
قال فبم أفتيتهم قال أفتيتهم أن يأكلوا قال لو أفتيتهم بغير ذلك لخالفتك حدثنا ابن حميد قال ثنا
يحيى بن واضح عن يونس عن أبي الشعثاء الكندي قال قلت لابن عمر كيف ترى في قوم حرام لقوا
قوما حلالا ومعهم لحم صيد فاما باعوهم واما أطعموهم فقال حلال حدثنا سعيد بن يحيى
الأموي قال ثنا محمد بن سعيد قال ثنا هشام يعني ابن عروة قال ثنا عروة عن يحيى بن عبد الرحمن
ابن حاطب أن عبد الرحمن حدثه أنه اعتمر مع عثمان بن عفان في ركب فيهم عمرو بن العاص حتى
نزلوا بالروحاء فقرب اليهم طير وهم محرمون فقال لهم عثمان كلوا فاني غير آكله فقال عمرو بن العاص
أتأمرنا بما لست آكلا فقال عثمان اني لولا أظن أنه صيد من أجلي لأكلت فأكل القوم حدثنا
ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن هشام بن عروة عن أبيه أن الزبير كان يتزود
لحوم الوحش وهو محرم حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق عن شريك عن سماك
ابن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال ما صيد أو ذبح وأنت حلال فهو لك حلال وما صيد أو ذبح

وعطاء ومجاهد أنهم أجازوا
للمحرم ما صاده الحلال وان صاده
لأجله اذا لم يدل ولم يشر وكذلك
ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب أبي
حنيفة وأصحابه لما روي عن أبي
قتادة أنه اصطاد حمار وحش
وهو حلال في أصحاب محرمين له
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل أشرتم هل أعنتم فقالوا لا فقال
هل بقي من لحمه شئ قالوا معنا رجله
فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم
فأكلها وهذان القولان متفرعان
على تخصيص عموم القرآن بخبر
الواحد وقال في الكشاف أخذ
أبو حنيفة بالمفهوم فكأنه قيل وحرم
عليكم أيها المحرمون ما صدتم في
البر فيخرج عنه مصيد غيرهم
ويرد عليه أن المفهوم ليس بحجة
ثم حث على الطاعة والاجتناب
عن المعاصي بقوله واتقوا الله الذي
اليه تحشرون وهو كلام جامع
للوعد والوعيد ثم ذكر سبب حرمة
الصيد في الحرم وفي الاحرام فقال
جعل الله أي حكم وبين بالخطاب
والتعريف أو صير بخلق دواعي
التعظيم في القلوب قياما للناس
وهم العرب ووجه المجاز أن أهل
بلدة اذا قالوا الناس فعلوا كذا
أرادوا أهل بلدتهم فنطق القرآن
على مجرى عادتهم وبيان القيام
أن قوام المعيشة اما بكثرة المنافع
وقد جعله محلا يجبى اليه ثمرات
كل شئ واما بدفع المضار وقد صيره
حرما آمنا واما بحصول الجاه
والرياسة وتوفر الدواعي والرغبات
وذلك بدعاء ابراهيم عليه السلام

وأنت حرام فهو عليك حرام حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن عمرو عن سماك عن عكرمة عن
ابن عباس قال ما صيد من شيء وأنت حرام فهو عليك حرام وما صيد من شيء وأنت حلال فهو لك
حلال حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس
وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فجعل الصيد حراما على المحرم صيده وأكله ما دام حراما وان
كان الصيد صيد قبل ان يحرم الرجل فهو حلال وان صاده حرام لحلال فلا يحل له أكله حدثني
يعقوب قال ثنا هشيم قال سألت أبا بشر عن المحرم يأكل مما صاده الحلال قال كان سعيد بن جبير
ومجاهد يقولان ما صيد قبل أن يحرم أكل منه وما صيد بعدما أحرم لم يأكل منه حدثنا
ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا ابن جريج قال كان عطاء يقول اذا سئل في العلانية
أيأكل الحرام الوشيقة والشيء اليابس يقول بيني وبينه لا أستطيع أن أبين لك في مجلس ان ذبح
قبل أن يحرم فكل والا فلا تبع لحمه ولا تبع وقال آخرون انما عنى الله تعالى بقوله وحرم عليكم
صيد البر ما دمتم حرما وحرم عليكم اصطياده قالوا فاما شراؤه من مالك يملكه وذبحه وأكله بعد أن
يكون ملكه اياه على غير وجه الاصطياد له وبيعه وشراؤه جائز قالوا والنهي من الله تعالى عن
صيده في حال الاحرام دون سائر المعاني ذكر من قال ذلك حدثني عبد الله بن أحمد بن شبوية
قال ثنا ابن أبي مريم قال ثنا يحيى بن أيوب قال أخبرني يحيى أن أبا سلمة اشترى قطا وهو بالعرج
وهو محرم ومعه محمد بن المنكدر فأكله فعاب عليه ذلك الناس * والصواب في ذلك من القول
عندنا أن يقال ان الله تعالى عم تحريم كل معاني صيد البر على المحرم في حال احرامه من غير أن
يخص من ذلك شيأ دون شيء فكل معاني الصيد حرام على المحرم ما دام حراما بيعه وشراؤه واصطياده
وقتله وغير ذلك من معانيه الا أن يجده مذبوحا قد ذبحه حلال لحلال فيحل له حينئذ أكله للثابت
من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حدثناه يعقوب بن ابراهيم قال ثنا يحيى بن سعيد
عن ابن جريج وحدثني عبد الله بن أبي زياد قال ثنا مكي بن ابراهيم قال ثنا عبد الملك بن
جريج قال أخبرني محمد بن المنكدر عن معاذ بن عبد الرحمن بن عثمان عن أبيه عبد الرحمن بن
عثمان قال كنا مع طلحة بن عبيد الله ونحن حرم فأهدي لنا طائر فمنا من أكل ومنا من تورع فلم
يأكل فلما استيقظ طلحة وافق من أكل وقال أكلناه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قال
قائل فما أنت قائل فيما روي عن الصعب بن جثامة أنه أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجل حمار وحش يقطر دما فرده فقال انا حرم وفيما روي عن عائشة أن وشيقة ظبي أهديت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم فردها وما أشبه ذلك من الاخبار قيل انه ليس في واحد من
هذه الاخبار التي جاءت بهذا المعنى بيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد من ذلك ما رد وقد ذبحه
الذابح اذ ذبحه وهو حلال لحلال ثم أهداه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حرام فرده وقال انه
لا يحل لنا لانا حرم وانما ذكر فيه أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لحم صيد فرده وقد يجوز
أن يكون رده ذلك من أجل أن ذابحه ذبحه أو صائده صاده من أجله صلى الله عليه وسلم وهو محرم
وقد بين خبر جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لحم صيد لمحرم حلال الا ما صاده أو صيد له
معنى ذلك كله فاذ كان كلا الخبرين صحيحا مخرجهما فواجب التصديق بهما وتوجيه كل واحد
منهما الى الصحيح من وجه وأن يقال رده ما رد من ذلك من أجل أنه كان صيد من أجله واذنه
في أكل ما أذن في أكله منه من أجل أنه لم يكن صيد لمحرم ولا صاده محرم فيصح معنى الخبرين
كليهما واختلفوا في صفة الصيد الذي عنى الله تعالى بالتحريم في قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم
حرما فقال بعضهم صيد البر كل ما كان يعيش في البر والبحر وانما صيد البحر ما كان يعيش

فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم
ثم المنافع الدينية الحاصلة من
مناسكها وشعائرها أكثر من أن
تحصى وأظهر من أن تخفى وانتصب
البيت الحرام على أنه عطف بيان
على جهة المدح لا على جهة التوضيح
اذ الكعبة أوضح من أن توضح
ويحتمل أن يراد بالناس عامة
الناس لما يتم لهم من أمر حجهم
وعمرتهم وتجارتهم وأنواع منافعهم
الدينية والدنيوية وعن عطاء بن
أبي رباح لو تركوه عاما واحدا لم
ينظروا ولم يؤخروا وتفسير الشهر
الحرام والهدي والقلائد تقدم
في أول السورة وانما كان الشهر
الحرام سببا لقيام الناس وقوامهم
لانه اذا دخل الشهر الحرام كان
يزول خوفهم ويقدرون على
الاسفار وتحصيل الاقوات قدر
ما يكفيهم طول السنة فلولا حرمة
ذلك لهلكوا من الجوع وأيضا هو
سبب لاكتساب الثواب من قبل
مناسك الحج واقامتها وأما الهدي
فانه نسك للمهدي وقوام لمعايش
الفقراء وكذا القلائد فكان من
قلد الهدي أو قلد نفسه من لحاء
شجر الحرم لم يتعرض له أحد
وكل ذلك لان الله تعالى أوقع في قلوبهم
تعظيم الكعبة وما يتعلق بها ذلك
الذي ذكر من جعل الكعبة قياما
للناس أو من حفظ حرمة الاحرام
والحرم مشروع لتعلموا أن الله يعلم
ما في السموات وما في الارض وذلك
أنه علم في الازل أن مقتضى طباع
العرب الحرص على القتل والغارة

في الماء دون البر ويأوي اليه ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السري قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن عمران بن حدير عن أبي مجلز وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما قال ما كان يعيش في البر والبحر لا يصيده وما كان حياته في الماء فذاك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا الحجاج عن عطاء قال ما كان يعيش في البر فأصابه المحرم فعليه جزاؤه نحو السلحفاة والسرطان والضفادع حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن عمرو بن أبي قيس عن الحجاج عن عطاء قال كل شيء عاش في البر والبحر فأصابه المحرم فعليه الكفارة حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال ثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الملك عن سعيد بن جبير قال خرجنا حجاجا معنا رجل من أهل السواد معه شصوص طير ماء فقال له أبي حين أحرمنا اعزل هذا عنا وحدثنا به أبو كريب مرة أخرى قال ثنا ابن ادريس قال سمعت يزيد بن أبي زياد قال ثنا حجاج عن عطاء أنه كره للمحرم أن يذبح الدجاج الزنجي لان له أصلا في البر وقال بعضهم صيد البر ما كان كونه في البر أكثر من كونه في البحر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ابن جريج أخبرنا قال سألت عطاء عن ابن الماء أصيد بر أم بحر وعن أشباهه فقال حيث يكون أكثر فهو صيده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني وكيع عن سفيان عن رجل عن عطاء بن أبي رباح قال أكثر ما يكون حيث يفرخ فهو منه

القول في تأويل قوله ﴿واتقوا الله الذي اليه تحشرون﴾ وهذا تقدم من الله تعالى ذكره الى خلقه بالحذر من عقابه على معاصيه يقول تعالى واخشوا الله أيها الناس واحذروه بطاعته فيما أمركم به من فرائضه وفيما نهاكم عنه في هذه الآيات التي أنزلها على نبيكم صلى الله عليه وسلم من النهي عن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام وعن اصابة صيد البر وقتله في حال احرامكم وفي غيرها فان لله مصيركم ومرجعكم فيعاقبكم بمعصيتكم اياه ومجازيكم فيثيبكم على طاعتكم له

القول في تأويل قوله ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد﴾ يقول تعالى ذكره صير الله الكعبة البيت الحرام قواما للناس الذين لا قوام لهم من رئيس يحجز قويهم عن ضعيفهم ومسيئهم عن محسنهم وظالمهم عن مظلومهم والشهر الحرام والهدى والقلائد فحجز بكل واحد من ذلك بعضهم عن بعض اذ لم يكن لهم قيام غيره وجعلها معالم لدينهم ومصالح أمورهم والكعبة سميت فيما قيل كعبة لتربيعها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال انما سميت الكعبة لانها مربعة حدثنا ابن وكيع قال ثنا هاشم بن القاسم عن أبي سعيد المؤدب عن النضر بن عربي عن عكرمة قال انما سميت الكعبة لتربيعها وقيل قياما للناس بالياء وهو من ذوات الواو لكسرة القاف وهي فاء الفعل فجعلت العين منه بالكسرة ياء كما قيل في مصدر قمت قياما وصمت صياما فحولت العين من الفعل وهي واو ياء لكسرة فائه وانما هو في الاصل قمت قواما وصمت صواما وكذلك قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس فحولت واوها ياء اذ هي قوام وقد جاء ذلك من كلامهم مقولا على أصله الذي هو أصله قال الراجز * قوام دنيا وقوام دين * فجاء به بالواو على أصله وجعل تعالى ذكره الكعبة والشهر الحرام والهدى والقلائد قواما لمن كان يحترم ذلك من العرب ويعظمه بمنزلة الرئيس الذي يقوم به أمر تباعه وأما الكعبة فالحرم كله وسماها الله تعالى حراما لتحريمه اياها أن يصاد صيدها أو يختلى خلاها أو يعضد شجرها وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل وقوله والشهر الحرام والهدى والقلائد يقول تعالى ذكره وجعل الشهر الحرام والهدى والقلائد أيضا قياما للناس كما جعل الكعبة البيت الحرام لهم قياما والناس الذين جعل ذلك لهم قياما مختلف فيهم

وكان ذلك مما يفضي الى الفناء وانقطاع النسل فدبر هذا التدبير المحكم والفعل المتقن كي يصير سببا للامان في بعض الامكنة وفي بعض الازمان فتستقيم مصالح الانسان ولا ريب أن مثل هذا التقدير والتدبير لا يصح الا ممن يعلم الكائنات وأسبابها وغاياتها بل يعلم المعلومات بأسرها كلياتها وجزئياتها قديمها وحديثها عللها ومعلولها موجودها ومعدومها وذلك قوله وأن الله بكل شيء عليم فما أحسن هذا الترتيب ثم خوفهم وأطمعهم بقوله اعلموا أن الله شديد العقاب لمن انتهك محارمه وأن الله غفور رحيم لمن حافظ عليها وذكر الوصفين في جانب الرحمة دليل على أن جانب الرحمة أغلب كما قال سبقت رحمتي غضبي ثم قرر أن الرسول ما كان مكلفا الا بالتبليغ فاذا بلغ خرج من العهدة وبقي الأمر من جانبكم وانه تعالى يعلم جهركم وسركم وفيه من الوعيد ما فيه عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل حرم عليكم عبادة الاوثان وشرب الخمر والطعن في الانساب ألا وان الخمر لعن الله شاربها وعاصرها وساقيها وبائعها وآكل ثمنها فقام اليه أعرابي فقال يا رسول الله اني كنت رجلا كانت هذه تجارتي واستفدت من بيع الخمر مالا فهل ينفعني ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان أنفقته في حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل عند الله جناح

فقال بعضهم جعل الله ذلك في الجاهلية قياما للناس كلهم وقال بعضهم بل عنى به العرب خاصة وبمثل الذي قلنا في تأويل القوام قال أهل التأويل ذكر من قال عنى الله تعالى بقوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس القوام على نحو ما قلنا حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال أخبرنا من سمع خصيفا يحدث عن مجاهد في جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس قال قواما للناس حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن خصيف عن سعيد بن جبير قياما للناس قال صلاحا لدينهم حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال أخبرنا داود عن ابن جريج عن مجاهد في جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس قال حين لا يرجون جنة ولا يخافون نارا فشدد الله ذلك بالاسلام حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة عن اسرائيل عن أبي الهيثم عن سعيد بن جبير قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس قال شدة لدينهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن أبي الهيثم عن سعيد بن جبير مثله حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس قال قيامها أن يأمن من توجه اليها حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد يعني قياما لدينهم ومعالم لحجهم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد جعل الله هذه الأربعة قياما للناس هو قوام أمرهم وهذه الاقوال وان اختلفت من قائليها ألفاظها فان معانيها آيلة الى ما قلنا في ذلك من أن القوام للشئ هو الذي به صلاحه كالملك الأعظم قوام رعيته ومن في سلطانه لانه مدبر أمرهم وحاجز ظالمهم عن مظلومهم والدافع عنهم مكروه من بغاهم وعاداهم وكذلك كانت الكعبة والشهر الحرام والهدي والقلائد قوام أمر العرب الذي كان به صلاحهم في الجاهلية وهي في الاسلام لأهله معالم حجهم ومناسكهم ومتوجههم لصلاتهم وقبلتهم التي باستقبالها يتم فرضهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قالت جماعة أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية فكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يتناول ولم يقرب وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في الشهر الحرام لم يعرض له ولم يقربه وكان الرجل اذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر فأحمته ومنعته من الناس وكان اذا نفر تقلد قلادة من الاذخر أو من لحاء السمر فمنعته من الناس حتى يأتي أهله حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد قال كان الناس كلهم فيهم ملوك تدفع بعضهم عن بعض قال ولم يكن في العرب ملوك تدفع بعضهم عن بعض فجعل الله تعالى لهم البيت الحرام قياما يدفع بعضهم عن بعض به والشهر الحرام كذلك يدفع الله بعضهم عن بعض بالأشهر الحرام والقلائد قال ويلقى الرجل قاتل أخيه أو ابن عمه فلا يعرض له وهذا كله قد نسخ حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس والقلائد كان ناس يتقلدون لحاء الشجر في الجاهلية اذا أرادوا الحج فيعرفون بذلك وقد أتينا على البيان عن ذكر الشهر الحرام والهدي والقلائد فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ❁ القول في تأويل قوله ﴿ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض وأن الله بكل شئ عليم﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ذلك تصييره

بعوضة ان الله لا يقبل الا الطيب وأنزل الله عز وجل تصديقا لقول رسوله قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث وهو عام في حرام الاموال وحلالها وفاسد الاعمال وصالحها وسقيم المذاهب وصحيحها ورديء النفوس وجيدها وأخبث الخبائث الروحانية الجهل والمعصية وأطيب الطيبات الروحانية معرفة الله تعالى وطاعته والبون بين الصنفين في العالم الروحاني أبعد منه في العالم الجسماني لان أثرهما في عالم الارواح أبقى وأدوم وأجل وأعظم فلا تستبدل الخبيث يا انسان بالطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث لان كثرته في التحقيق قلة ولذته في نفس الامر ذلة ونقده زيف وصرف العمر في طلبه حيف (التأويل) لا تحرموا على أنفسكم بالاستمتاعات النفسانية طيبات ما أحل الله لكم دون سائر المخلوقات من المواهب الربانية ولا تعتدوا ولا تجاوزوا عن حد العبودية وكلوا مما رزقكم الله واجتهدوا في طلب ما خصكم به الله من تجلي جماله وجلاله حلالا طيبا يحل فيكم بريئا من سمات النقائص (باللغو في أيمانكم) أن تحلفوا بالله عن التبرم من ولائه لملالة النفوس وكلالة القوى واستيلاء النفس وغلبة سلطان الهوى في أثناء المجاهدات واعواز المشاهدات ولكن يؤاخذكم اذا عزمتم على الهجران وتعرضتم للخذلان فكفارته حينئذ اطعام عشرة مساكين الحواس الظاهرة

الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد يقول تعالى ذكره صيرت لكم أيها الناس ذلك قياما كي تعلموا أن من أحدث لكم لمصالح دنياكم ما أحدث مما به قوامكم علما منه بمنافعكم ومضاركم أنه كذلك يعلم جميع ما في السموات وما في الارض مما فيه صلاح عاجلكم وآجلكم ولتعلموا أنه بكل شيء عليم لا يخفى عليه شيء من أموركم وأعمالكم وهو محصيها عليكم حتى يجازي المحسن منكم باحسانه والمسيء منكم باساءته القول في تأويل قوله ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره اعلموا أيها الناس أن ربكم الذي يعلم ما في السموات وما في الارض ولا يخفى عليه شيء من سرائر أعمالكم وعلانيتها وهو يحصيها عليكم ليجازيكم بها شديد عقابه من عصاه وتمرد عليه على معصيته اياه وهو غفور لذنوب من أطاعه وأناب اليه فساتر عليه وتارك فضيحته بها رحيم به أن يعاقبه على ما سلف من ذنوبه بعد انابته وتوبته منها القول في تأويل قوله ﴿ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ وهذا من الله تعالى ذكره تهديد لعباده ووعيد يقول تعالى ذكره ليس على رسولنا الذي أرسلناه اليكم أيها الناس بانذاركم عقابنا بين يدي عذاب شديد واعذارنا اليكم بما فيه قطع حججكم الا أن يؤدي اليكم رسالتنا ثم الينا الثواب على الطاعة والينا العقاب على المعصية والله يعلم ما تبدون وما تكتمون يقول وغير خفي علينا المطيع منكم القابل رسالتنا العامل بما أمرته بالعمل به من العاصي التارك العمل بما أمرته بالعمل به لأنا نعلم ما عمله العامل منكم فأظهره بجوارحه ونطق به بلسانه وما تكتمون يعني ما تخفونه في أنفسكم من ايمان وكفر أو يقين وشك ونفاق يقول تعالى ذكره فمن كان كذلك لا يخفى عليه شيء من ضمائر الصدور وظواهر أعمال النفوس مما في السموات وما في الارض وبيده الثواب والعقاب فحقيق أن يتقى وأن يطاع فلا يعصى القول في تأويل قوله ﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لا يعتدل الرديء والجيد والصالح والطالح والمطيع والعاصي ولو أعجبك كثرة الخبيث يقول لا يعتدل العاصي والمطيع لله عند الله ولو كثر أهل المعاصي فعجبت من كثرتهم لأن أهل طاعة الله هم المفلحون الفائزون بثواب الله يوم القيامة وان قلوا دون أهل معصيته وان أهل معاصيه هم الأخسرون الخائبون وان كثروا يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم فلا تعجبن من كثرة من يعصي الله فيمهله ولا يعاجله بالعقوبة فان العقبى الصالحة لأهل طاعة الله عنده دونهم كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث قال الخبيث هم المشركون والطيب هم المؤمنون وهذا الكلام وان كان مخرجه مخرج الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد به بعض أتباعه يدل على ذلك قوله فاتقوا الله يا أولي الالباب لعلكم تفلحون ۞ القول في تأويل قوله ﴿فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون﴾ يقول تعالى ذكره واتقوا الله بطاعته فيما أمركم ونهاكم واحذروا أن يستحوذ عليكم الشيطان باعجابكم كثرة الخبيث فتصيروا منهم يا أولي الالباب يعني بذلك أهل العقول والحجا الذين عقلوا عن الله آياته وعرفوا مواقع حججه لعلكم تفلحون يقول اتقوا الله لتفلحوا أي كي تنجحوا في طلبتكم ما عنده ۞ القول في تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم﴾ ذكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب مسائل كان يسألها اياه أقوام امتحانا له أحيانا واستهزاء أحيانا فيقول له بعضهم من أبي ويقول له بعضهم اذا ضلت ناقته أين ناقتي فقال لهم تعالى ذكره لا تسألوا عن أشياء من ذلك كمسألة عبد الله بن حذافة اياه من أبوه ان تبد لكم تسؤكم يقول ان أبدينا لكم حقيقة ما تسألون عنه ساءكم

والباطنة من أوسط ما تطعمون أهليكم وهم القلب والسر والروح والخفاء طعامهم الشوق والمحبة والصدق والاخلاص والتفويض والتسليم والرضا والانس والهيبة والشهود والكشوف وأوسطه الذكر والتذكر والفكر والتفكر والشوق والتوكل والتعبد والخوف والرجاء يشغل الحواس العشرة بهذه الامور أو يكسوهم لباس التقوى أو يحرر رقبة النفس من عبودية الحرص والهوى فمن لم يجد أمسك في اليوم الماضي عما عزم عليه وفي اليوم الحاضر عما لا يعنيه وفي اليوم المستقبل عن العود اليه ومن لغو اليمين عند أرباب اليقين ان الطالب الصادق عند غلبات الشوق ووجدان الذوق يقسم عليه بجماله وجلاله أن يرزقه شيأ من أفضاله ووصاله وذلك في شريعة الرضا لغو وفي مذهب التسليم سهو ولكن يرجى له عفو فلا يؤاخذه عليه لعلمه بضعف حاله والكمال في الثبات والاستقامة

أريد وصاله ويريد هجري
فأترك ما أريد لما يريد

ومن اللغو في اليمين عندهم ما يجري على لسانهم في حال غلبات الوجد من تجديد العهد وتأكيد العقد كقول بعضهم

وحقك ما نظرت الى سواكا
بعين مودة حتى أراكا

فان هذا ينافي التوحيد وأين في الدار ديار كلا بل هو الله الواحد القهار ليس على الذين آمنوا بالتقليد

ابدأوها وإظهارها ونحو الذي قلنا في ذلك تظاهرت الأخبار عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذكر الرواية بذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا بعض بني نفيل قال ثنا زهير بن معاوية قال
ثنا أبو الجويرية قال قال ابن عباس لأعرابي من بني سليم هل تدري فيما أنزلت هذه الآية يا أيها
الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم حتى فرغ من الآية فقال كان قوم يسألون
رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من أبي والرجل تضل ناقته فيقول أين ناقتي
فأنزل الله فيهم هذه الآية حدثني محمد بن المثنى قال ثنا أبو عامر وأبو داود قالا ثنا هشام
عن قتادة عن أنس قال سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه بالمسألة فصعد المنبر
ذات يوم فقال لا تسألوني عن شيء إلا بينته لكم قال أنس فجعلت أنظر يمينا وشمالا فأرى كل إنسان
لاف ثوبه يبكي فأنشأ رجل كان إذا لاحى يدعى إلى غير أبيه فقال يا رسول الله من أبي فقال أبوك
حذافة قال فأنشأ عمر فقال رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وأعوذ
بالله من سوء الفتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أر في الشر والخير كاليوم قط إنه صورت
لي الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط وكان قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية لا تسألوا
عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم حدثني محمد بن معمر البحراني قال ثنا روح بن عبادة قال
ثنا شعبة قال أخبرني موسى بن أنس قال سمعت أنسا يقول قال رجل يا رسول الله من أبي قال أبوك
فلان قال فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم حدثنا بشر بن
معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن
أشياء إن تبد لكم تسؤكم قال حدثنا أن أنس بن مالك حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم سألوه حتى أحفوه بالمسألة فخرج عليهم ذات يوم فصعد المنبر فقال لا تسألوني اليوم عن شيء إلا
بينته لكم فأشفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بين يديه أمر قد حضر فجعلت
لا ألتفت يمينا ولا شمالا إلا وجدت كلا لاف رأسه في ثوبه يبكي فأنشأ رجل كان يلاحى فيدعى إلى
غير أبيه فقال يا نبي الله من أبي قال أبوك حذافة قال ثم قام عمر أو قال فأنشأ عمر فقال رضينا بالله
ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا عائذا بالله أو قال أعوذ بالله من سوء الفتن قال
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أر في الخير والشر كاليوم قط صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهما
دون الحائط حدثنا أحمد بن هشام وسفيان بن وكيع قالا ثنا معاذ بن معاذ قال ثنا ابن عون
قال سألت عكرمة مولى ابن عباس عن قوله يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم
قال ذاك يوم قام فيهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به قال فقام
رجل فكره المسلمون مقامه يومئذ فقال يا رسول الله من أبي قال أبوك حذافة قال فنزلت هذه
الآية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه
قال نزلت لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم في رجل قال يا رسول الله من أبي قال أبوك فلان
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني سفيان عن معمر عن قتادة قال سألوا النبي صلى الله
عليه وسلم حتى أكثروا عليه فقام مغضبا خطيبا فقال سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت
في مقامي إلا حدثتكم فقام رجل فقال من أبي قال أبوك حذافة واشتد غضبه وقال سلوني فلما
رأى الناس ذلك كثر بكاؤهم فجثا عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا قال معمر قال الزهري قال
أنس مثل ذلك فجثا عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم
رسولا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والذي نفسي بيده لقد صورت لي الجنة والنار آنفا في
عرض هذا الحائط فلم أر كاليوم في الخير والشر قال الزهري فقالت أم عبد الله بن حذافة ما رأيت

وعملوا الصالحات الأعمال البدنية
الشرعية جناح فيما طعموا من
المباحات إذا ما اتقوا الشبهة
والإسراف وآمنوا بالتحقيق بعد
التقليد وعملوا الصالحات الأعمال
القلبية الحقيقية من تخلية القلب عما
سواه ومن تحليته بالأخلاق المضادة
لهواه كالصدق والإخلاص والتوكل
والتسليم وما عداه ثم اتقوا شرك
الأنانية وآمنوا بهويته ثم اتقوا
هذا الشرك وهو الفناء في الفناء
وأحسنوا وهو البقاء به فإنهم
جعل الله البلاء للولاء كاللهب
للذهب فقال يا أيها الذين آمنوا
إيمان المحسنين الذين تجردوا عن
ملاذ الدنيا وشهواتها الحلال
وأحرموا بحج الوصول وعمرة
الوصال ليبلونكم الله في أثناء السلوك
بشيء من الصيد وهو المطالب
النفسانية والمقاصد الدنيوية الدنية
تناله أيديكم يعني اللذات البدنية
ورماحكم يعني اللذات الخيالية فله
عذاب الرد والصد لا تقتلوا الصيد
وأنتم حرم يعني من أحرم لزيارة
كعبة الوصال فعليه حسم الأطماع
من الحرام والحلال متعمدا أي
عالما عامدا في الالتفات إلى غيره من
المضار مثل ما قتل من النعم يجازي
نفسه برياضة ومجاهدة بما نال ألمها
تلك اللذة ذوا عدل هما القلب
والروح يحكمان على مقدار الإسلام
وعلى حسب قوة السالك بتقليل
الطعام والشراب أو ببذل المال
أو بترك الجاه أو بالعزلة وضبط
الحواس هديا بالغ الكعبة خالصا
عن الخلق لأجل الحق طعام

ولداً أعق منك قط أتأمن أن تكون أمك قارفت ما قارف أهل الجاهلية فتفضحها على رؤس الناس فقال والله لو ألحقني بعبد أسود للحقته **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم قال غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً من الايام فقام خطيباً فقال سلوني فانكم لا تسألوني عن شئ الا أنبأتكم به فقام اليه رجل من قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان يطعن فيه قال فقال يا رسول الله من أبي قال أبوك فلان فدعاه لأبيه فقام اليه عمر فقبل رجله وقال يا رسول الله رضينا بالله رباً وبك نبياً وبالاسلام ديناً وبالقرآن اماماً فاعف عنا عفا الله عنك فلم يزل به حتى رضي فيومئذ قال الولد للفراش وللعاهر الحجر **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان محمار وجهه حتى جلس على المنبر فقام اليه رجل فقال أين أبي قال في النار فقام آخر فقال من أبي قال أبوك حذافة فقام عمر بن الخطاب فقال رضينا بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً وبالقرآن اماماً انا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك والله يعلم من آباؤنا قال فسكن غضبه ونزلت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم * وقال آخرون نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل مسألة سائل سأله عن شئ في أمر الحج ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا منصور بن وردان الاسدي قال ثنا علي بن عبد الاعلى قال لما نزلت هذه الآية ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قالوا يا رسول الله أفي كل عام فسكت ثم قالوا أفي كل عام فسكت ثم قال لا ولو قلت نعم لوجبت فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن سليمان عن ابراهيم بن مسلم الهجري عن ابن عياض عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب عليكم الحج فقال رجل أفي كل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى عاد مرتين أو ثلاثاً فقال من السائل فقال فلان فقال والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت عليكم ما أطقتموه ولو تركتموه لكفرتم فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم حتى ختم الآية **حدثني** محمد بن علي بن الحسين بن شقيق قال سمعت أبي قال أخبرنا الحسين بن واقد عن محمد بن زياد قال سمعت أبا هريرة يقول خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس كتب الله عليكم الحج فقام محصن الاسدي فقال أفي كل عام يا رسول الله فقال أما اني لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ثم تركتم لضللتم اسكتوا عني ما سكت عنكم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم الى آخر الآية **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن محمد بن زياد قال سمعت أبا هريرة يقول خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر مثله الا أنه قال فقام عكاشة بن محصن الاسدي **حدثنا** زكريا بن يحيى بن أبان المصري قال ثنا أبو زيد عبد الرحمن بن أبي الغمر قال ثنا أبو مطيع معاوية بن يحيى عن صفوان بن عمرو قال ثني سليم بن عامر قال سمعت أبا أمامة الباهلي يقول قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فقال كتب عليكم الحج فقام رجل من الاعراب فقال أفي كل عام قال فعلا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسكت وأغضب واستغضب فمكث طويلاً ثم تكلم فقال من السائل فقال الاعرابي أنا ذا فقال ويحك ماذا يؤمنك أن أقول نعم ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لكفرتم ألا انه انما أهلك الذين قبلكم أئمة الحرج والله لو أني أحللت لكم جميع ما في الارض وحرمت عليكم منها موضع خف

مساكين هم العقل والقلب والسر والروح والخفاء كانوا محرومين عن أغذيتهم الروحانية فيطعمهم المعاملات الروحانية من صدق التوجه والصبر على المكاره والفطام عن المألوفات ومن الشكر والرضا وغير ذلك أو عدل ذلك صياما هو الامساك عن الاغيار والركون الى الواحد القهار لتذوق النفس الامارة وبال أمرها فان كل هذه الامور على خلاف طبعها ذو انتقام ينتقم من أحبائه بنقاب الدلال ومن أعدائه بحجاب الملام والملال أحل لكم صيد بحر المعارف والكشوف تنتفعون بالواردات وتطعمون منها السائرين الى الله من أهل الارادات صيد البر ما سنح للسائرين من مطالب الدنيا ما دمتم حرماً أي في حال الحول لا في حال الصحو جعل الله الكعبة كعبة الظاهر قياماً للعوام والخواص يستنجحون بها حاجاتهم الدنيوية والاخروية وكعبة القلب قواماً للخواص ولخواص الخواص يلوذون بها بدوام الذكر ونفي الخواطر حتى يعلموا أن لا موجود الا هو ولا وجود الا له البيت الحرام حرام أن يسكن في كعبة القلب غيره والشهر الحرام هو أيام الطلب حرام على الطالب فيها مخالطة الخلق وملاحظة ما سوى الحق والهدي هو النفس البهيمية تساق الى كعبة القلب مع قلائد أركان الشريعة فتذبح على عتبة القلب بسكين آداب الطريقة عن شهواتها فاذا وصل

لو قعلتم فيه قال فأنزل الله تعالى عند ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء الى آخر الآية حدثني
محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا
لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في الناس فقال
يا قوم كتب عليكم الحج فقام رجل من بني أسد فقال يا رسول الله أفي كل عام فأغضب رسول الله صلى
الله عليه وسلم غضبا شديدا فقال والذي نفس محمد بيده لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم
واذا لكفرتم فاتركوني ما تركتكم واذا أمرتكم بشئ فافعلوا واذا نهيتكم عن شئ فانتهوا عنه
فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم نهاهم أن يسألوا عن
مثل الذي سألت النصارى من المائدة فأصبحوا بها كافرين فنهى الله تعالى عن ذلك وقال
لا تسألوا عن أشياء ان نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك ولكن انتظروا فاذا نزل القرآن فانكم
لا تسألون عن شئ الا وجدتم تبيانه حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية
ابن صالح قال ثنا علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان
تبدلكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم قال لما أنزلت آية الحج نادى النبي
صلى الله عليه وسلم في الناس فقال يا أيها الناس ان الله قد كتب عليكم الحج فحجوا فقالوا يا رسول الله
أعاما واحدا أم كل عام فقال لا بل عاما واحدا ولو قلت كل عام لوجبت ولو وجبت لكفرتم قال الله
تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم قال سألوا النبي صلى الله عليه
وسلم عن أشياء فوعظهم فانتهوا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن
أبي نجيح عن مجاهد في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم قال
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج فقيل أواجب هو يا رسول الله كل عام قال لا لو قلتها لوجبت
ولو وجبت ما أطقتم ولو لم تطيقوا لكفرتم ثم قال سلوني فلا يسألني رجل في مجلسي هذا عن شئ الا
أخبرته وان سألني عن أبيه فقام اليه رجل فقال من أبي قال أبوك حذافة بن قيس فقام عمر فقال
يا رسول الله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ونعوذ بالله من غضبه
وغضب رسوله * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية من أجل أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي ذكر من قال ذلك حدثني اسحق بن ابراهيم بن حبيب
ابن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن مجاهد عن ابن عباس لا تسألوا عن أشياء قال
هي البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ألا ترى أنه يقول بعد ذلك ما جعل الله من كذا ولا كذا
قال وأما عكرمة فانه قال انهم كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك ثم قال قد سألها قوم من قبلكم
ثم أصبحوا بها كافرين قال فقلت قد حدثني مجاهد بخلاف هذا عن ابن عباس فمالك تقول
هذا فقال هيه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن ابن عون عن عكرمة قال
هو الذي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي وقال سعيد بن جبير هم الذين سألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن البحيرة والسائبة * وأولى الاقوال بالصواب في ذلك قول من قال نزلت
هذه الآية من أجل اكثار السائلين رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل كمسئلة ابن حذافة
اياه من أبوه ومسئلة سائله اذ قال ان الله فرض عليكم الحج أفي كل عام وما أشبه ذلك من المسائل
لتظاهر الاخبار بذلك عن الصحابة والتابعين وعامة أهل التأويل وأما القول الذي رواه مجاهد عن
ابن عباس فقول غير بعيد من الصواب ولكن الاخبار المتظاهرة عن الصحابة والتابعين بخلافه
وكرهنا القول به من أجل ذلك على أنه غير مستنكر أن تكون المسئلة عن البحيرة والسائبة والوصيلة
والحام كانت فيما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عنه من المسائل التي كره الله لهم السؤال عنها كما

العبد الى كعبة القلب شاهد بأنواره
ان الله ما في السموات وما في الارض
شديد العقاب بسدل الحجاب لغير
الاحباء غفور رحيم للصادقين في
الطلب بفتح الابواب الا البلاغ
بالقال يتلو عليهم آياته وبالحال
ويزكيهم ما تبدون باقرار اللسان
وما تكتمون من تصديق الجنان
الخبيث ما يشغلك عن الله والطيب
ما يوصلك الى الله بل الطيب هو الله
والخبيث ما سوى الله وفي ذلك كثرة
والله أعلم قوله عز وجل ﴿يا أيها
الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان
تبدلكم تسؤكم وان تسألوا عنها
حين ينزل القرآن تبدلكم عفا الله
عنها والله غفور حليم قد سألها قوم
من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين
ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا
وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا
يفترون على الله الكذب وأكثرهم
لا يعقلون واذا قيل لهم تعالوا الى
ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا
ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم
لا يعلمون شيأ ولا يهتدون يا أيها
الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم
جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون
يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا
حضر أحدكم الموت حين الوصية
اثنان ذوا عدل منكم أو آخران
من غيركم ان أنتم ضربتم في الارض
فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما
من بعد الصلاة فيقسمان بالله ان
ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا
قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن

كره الله لهم المسئلة عن الحج أكل عام هو أم عاما واحدا وكما كره لعبد الله بن حذافة مسئلته عن أبيه فنزلت الآية بالنهي عن المسائل كلها فأخبر كل مخبر منهم ببعض ما نزلت الآية من أجله وأجل غيره وهذا القول أولى الأقوال في ذلك عندي بالصحة لأن مخارج الأخبار بجميع المعاني التي ذكرت صحاح فتوجيهها الى الصواب من وجوهها أولى ۞ القول في تأويل قوله ﴿وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم﴾ يقول تعالى ذكره للذين نهاهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما نهاهم عن مسألتهم اياه عنه من فرائض لم يفرضها الله عليهم وتحليل أمور لم يحللها لهم وتحريم أشياء لم يحرمها عليهم قبل نزول القرآن بذلك أيها المؤمنون السائلون عما سألوا عنه رسولي مما لم أنزل به كتابا ولا وحيا لا تسألوا عنه فانكم ان أظهر ذلك لكم تبيان بوحي وتنزيل ساءكم لأن التنزيل بذلك اذا جاءكم انما يجيئكم بما فيه امتحانكم واختباركم اما بايجاب عمل عليكم ولزوم فرض لكم وفي ذلك عليكم مشقة ولزوم مؤنة وكلفة واما بتحريم ما لم يأتكم بتحريمه وحي كنتم من التقدم عليه في فسحة وسعة واما بتحليل ما تعتقدون تحريمه وفي ذلك لكم مساءة لنقلكم عما كنتم ترونه حقا الى ما كنتم ترونه باطلا ولكنكم ان سألتم عنها بعد نزول القرآن بها وبعد ابتدائكم شأن أمرها في كتابي الى رسولي اليكم بين لكم ما أنزلته اليه من بيان كتابي وتأويل تنزيلي ووحيي وذلك نظير الخبر الذي روي عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حدثنا به هناد بن السري قال ثنا أبو معاوية عن داود بن أبي هند عن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني قال ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن أشيا فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء قال كان عبيد ابن عمير يقول ان الله تعالى أحل وحرم فما أحل فاستحلوه وما حرم فاجتنبوه وترك من ذلك أشياء لم يحلها ولم يحرمها فذلك عفو من الله عفاه ثم يتلو يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم حدثنا ابن المثنى قال ثنا الضحاك قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني عطاء عن عبيد ابن عمير أنه كان يقول ان الله حرم وأحل ثم ذكر نحوه وأما قوله عفا الله عنها فانه يعني به عفا الله لكم عن مسألتكم عن الأشياء التي سألتم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كره الله لكم مسألتكم اياه عنها أن يؤاخذكم بها أو يعاقبكم عليها ان عرف منها توبتكم وانابتكم والله غفور يقول والله ساتر ذنوب من تاب منها فتارك أن يفضحه في الآخرة حليم أن يعاقبه بها لتغمده التائب منها برحمته وعفوه عن عقوبته عليها وبنحو الذي قلنا في ذلك روي الخبر عن ابن عباس الذي ذكرناه آنفا وذلك ما حدثني به محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس لا تسألوا عن أشياء يقول لا تسألوا عن أشياء ان نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك ولكن انتظروا فاذا نزل القرآن فانكم لا تسألون عن شيء الا وجدتم تبيانه ۞ القول في تأويل قوله ﴿قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين﴾ يقول تعالى ذكره قد سأل الآيات قوم من قبلكم فلما آتاهموها الله أصبحوا بها جاحدين منكرين أن تكون دلالة على حقيقة ما احتج بها عليهم وبرهانا على صحة ما جعلت برهانا على تصحيحه كقوم صالح الذين سألوا الآية فلما جاءتهم الناقة آية عقروها وكالذين سألوا عيسى مائدة تنزل عليهم من السماء فلما أعطوها كفروا بها وما أشبه ذلك فحذر الله تعالى المؤمنين بنبيه صلى الله عليه وسلم أن يسلكوا سبيل من قبلهم من الامم التي هلكت بكفرهم بآيات الله لما جاءتهم عند مسألتهموها فقال لهم لا تسألوا الآيات ولا تبحثوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم فقد سأل الآيات من قبلكم قوم فلما أوتوها أصبحوا بها

الآثمين فان عثر على أنهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الأكمه والأبرص باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله اني منزلها

كافرين كالذى حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم نهاهم أن يسألوا عن مثل الذى سألت النصارى من المائدة فأصبحوا بها كافرين فنهى الله عن ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قد سألها قوم من قبلكم قد سأل الآيات قوم من قبلكم وذلك حين قيل له غير لنا الصفا ذهبا ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾ يقول تعالى ذكره ما بحر الله بحيرة ولا سيب سائبة ولا وصل وصيلة ولا حمى حاميا ولكنكم الذين فعلتم ذلك أيها الكفرة فحرمتموه افتراء على ربكم كالذى حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنى أبى وشعيب بن الليث عن الليث عن ابن الهاد وحدثنى يونس قال ثنا عبد الله بن يوسف قال ثنى الليث قال ثنى ابن الهاد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجر قصبه فى النار وكان أول من سيب السائبة حدثنا هناد بن السرى قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن ابراهيم بن الحرث عن أبى صالح عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجون يا أكثم رأيت عمرو بن لحى بن قمعة ابن خندف يجر قصبه فى النار فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ولا به منك فقال أكثم أتخشى أن يضرنى شبهه يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا انك مؤمن وهو كافر انه أول من غير دين اسمعيل وبحر البحيرة وسيب السائبة وحمى الحامى حدثنا هناد قال ثنا يونس قال ثنى هشام بن سعد عن زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد عرفت أول من بحر البحائر رجل من مدلج كانت له ناقتان فجدع آذانهما وحرم ألبانهما وظهورهما وقال هاتان لله ثم احتاج اليهما فشرب ألبانهما وركب ظهورهما قال فلقد رأيته فى النار يؤذى أهل النار ريح قصبه حدثنا هناد قال ثنا عبدة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علىّ النار فرأيت فيها عمرو بن فلان بن فلان ابن خندف يجر قصبه فى النار وهو أول من غير دين ابراهيم وسيب السائبة وأشبه من رأيت به أكثم بن الجون فقال أكثم يا رسول الله أيضرنى شبهه قال لا لأنك مسلم وانه كافر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجر قصبه فى النار وهو أول من سيب السوائب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأعرف أول من سيب السوائب وأول من غير عهد ابراهيم قالوا من هو يا رسول الله قال عمرو بن لحى أخو بنى كعب لقد رأيته يجر قصبه فى النار يؤذى ريحه أهل النار وانى لأعرف أول من بحر البحائر قالوا من هو يا رسول الله قال رجل من بنى مدلج كانت له ناقتان فجدع آذانهما وحرم ألبانهما ثم شرب ألبانهما بعد ذلك فلقد رأيته فى النار هو وهما يعضانه بأفواههما ويخبطانه بأخفافهما والبحيرة الفعيلة من قول القائل بحرت أذن هذه الناقة اذا شقها أبحرها بحرا والناقة مبحورة ثم تصرف المفعولة الى فعيلة فيقال هى بحيرة وأما البحر من الابل فهو الذى قد أصابه داء من كثرة شرب الماء يقال منه بحر البعير يبحر بحرا ومنه قول الشاعر

لأعلطنك وسما لا يفارقه * كما يحز بحمى الميسم البحر

وبنحو الذى قلنا فى معنى البحيرة جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا محمد بن يزيد عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن أبيه قال

عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شئ قدير﴾

القراآت ينزل من الانزال أبو عمرو وابن كثير وسهل ويعقوب شهادة بالتنوين الله بالمد روح وزيد الباقون بالاضافة استحق على البناء للفاعل حفص والاعشى فى اختياره الباقون على البناء للمفعول الاولين جمع الاول نقيض الآخر سهل ويعقوب وحمزة وخلف وعاصم غير حفص والاعشى فى اختياره الباقون الاوليان تثنية الاولى لاحق الغيوب بكسر الغين حيث كان حمزة وحماد وأبو بكر غير الشمونى والبرجمى والخزاعى عن ابن فليح فى ساحر وكذلك فى هود والصف

دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرأيت ابلك ألست تنتجها مسلمة آذانها فتأخذ الموسى فتجدعها تقول هذه بحيرة وتشق آذانها تقول هذه حرم قال نعم قال فان ساعد الله أشد وموسى الله أحد كل مالك لك حلال لا يحرم عليك منه شئ **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت أبا الاحوص عن أبيه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تنتج ابل قومك صحاحا آذانها فتعمد الى الموسى فتقطع آذانها فتقول هذه بحر وتشقها أو تشق جلودها فتقول هذه حرم فتحرمها عليك وعلى أهلك قال نعم قال فان ما آتاك الله لك حل وساعد الله أشد وموسى الله أحد وربما قال ساعد الله أشد من ساعدك وموسى الله أحد من موسالك وأما السائبة فانها المسيبة المخلاة وكانت الجاهلية يفعل ذلك أحدهم ببعض مواشيه فيحرم الانتفاع به على نفسه كما كان بعض أهل الاسلام يعتق عبده سائبة فلا ينتفع به ولا بولائه وأخرجت المسيبة بلفظ السائبة كما قيل عيشة راضية بمعنى مرضية وأما الوصيلة فان الانثى من نعمهم في الجاهلية كانت اذا أتأمت بطنا بذكر وأنثى قيل قد وصلت الانثى أخاها بدفعها عنه الذبح فسموها وصيلة وأما الحامي فانه الفحل من النعم يحمي ظهره من الركوب والانتفاع بسبب تتابع أولاد تحدث من فحلته وقد اختلف أهل التأويل في صفات المسميات بهذه الاسماء وما السبب الذي من أجله كانت تفعل ذلك ذكر الرواية بما قيل في ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل عن أبي اسحق عن محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمي أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم ابن الجون الخزاعي يا أكثم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار فما رأيت من رجل أشبه برجل منك به ولا به منك فقال أكثم أيضرني شبهه يا نبي الله قال لا انك مؤمن وهو كافر وانه كان أول من غير دين اسمعيل ونصب الأوثان وسيب السوائب فيهم وذلك أن الناقة اذا تابعت ثنتي عشرة اناثا ليس فيهن ذكر سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك من أنثى شق أذنها ثم خلي سبيلها مع أمها في الابل فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف كما فعل بأمها فهي البحيرة ابنة السائبة والوصيلة ان الشاة اذا نتجت عشر اناث متتابعات في خمسة أبطن ليس فيهن ذكر جعلت وصيلة قالوا وصلت فكان ما ولدت بعد ذلك لذكورهم دون اناثهم الا أن يموت منها شئ فيشتركون في أكله ذكورهم واناثهم والحامي ان الفحل اذا نتج له عشر اناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمي ظهره ولم يركب ولم يجز وبره ويخلى في ابله يضرب فيها لا ينتفع به بغير ذلك يقول الله تعالى ذكره ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام الى قوله ولا يهتدون **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق في هذه الآية ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام قال أبو جعفر سقط علي فيما أظن كلام منه قال فأتيت علقمة فسألته فقال ما تريد الى شئ كانت تصنعه أهل الجاهلية **حدثني** يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثنا أبي عن أبيه عن جده عن الاعمش عن مسلم قال أتيت علقمة فسألته عن قول الله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام فقال وما تصنع بهذا انما هذا شئ من فعل الجاهلية قال فأتيت مسروقا فسألته فقال البحيرة كانت الناقة اذا ولدت بطنا خمسا أو سبعا شقوا أذنها وقالوا هذه بحيرة قال ولا سائبة قال كان الرجل يأخذ بعض ماله فيقول هذه سائبة قال ولا وصيلة قال كانوا اذا ولدت الناقة الذكر أكله الذكور دون الاناث واذا ولدت ذكرا وأنثى في بطن قالوا وصلت أخاها فلا يأكلونهما قال فاذا مات الذكر أكله الذكور دون الاناث قال ولا حام قال كان البعير اذا ولد وولد ولده قالوا قد قضى هذا الذي عليه فلم ينتفعوا بظهره

حمزة وعلي وخلف الباقون سحر هل تستطيع بتاء الخطاب ربك بالنصب علي والاعشى في اختياره الباقون بالياء وبالرفع أن ينزل بالتخفيف من الانزال ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالتشديد منزلها بالتشديد عاصم وأبو جعفر ونافع وابن عامر الباقون بالتخفيف فاني أعذبه بفتح ياء المتكلم أبو جعفر ونافع وأمي بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص لي أن بالفتح ابن كثير وأبو جعفر ونافع وأبو عمرو الباقون بالسكون يوم ينفع بفتح الميم نافع الباقون بالرفع * الوقوف تسؤكم ج لابتداء شرط آخر مع واو العطف تبد لكم ط عنها ط حليم ○ كافرين ○ ولا حام لا للاستدراك الكذب ط لا يعقلون ○ آباءنا ط ولا يهتدون ○ أنفسكم ج لاحتمال الاستئناف أو الحال أي احفظوا أنفسكم غير مضرورين اذا اهتديتم ط تعملون ○ مصيبة الموت ط قربى ز لأن قوله ولا نكتم من جواب القسم شهادة ط لمن قرأ آلله بالمد الآثمين ○ وما اعتدينا ز لظاهر ان والوصل أجوز لتعلق اذا بقوله وما اعتدينا الظالمين ○ أيمانهم ط لابتداء الامر واسمعوا ط الفاسقين ○ أجبتم ط لنا ط الغيوب ○ والدتك لا لئلا يوهم انه ظرف لاذكر بل عامله محذوف والتقدير واذكر اذ أيدتك وكهلا ج والانجيل ج والابرص باذني ج الموتى ج لان اذ يجوز تعلقه بما تعلق به اذ الاول ويمكن تعلق كل واحد

قالوا هذا حام حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن عبيد عن الاعمش عن مسلم بن صبيح قال سألت علقمة عن قوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة قال ما تصنع بهذا هذا شئ كان يفعله أهل الجاهلية حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن عمان ويحيى بن آدم عن اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي الاحوص ما جعل الله من بحيرة قال البحيرة التي قد ولدت خمسة أبطن ثم تركت حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير بن عبد الحميد عن مغيرة عن الشعبي ما جعل الله من بحيرة قال البحيرة المخضرمة ولا سائبة والسائبة ما سيب للهدى والوصيلة اذا ولدت بعد أربعة أبطن فيما يرى جرير ثم ولدت الخامس ذكرا وأنثى وصلت أخاها والحام الذي قد ضرب أولاد أولاده في الابل حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي بنحوه الا أنه قال والوصيلة التي ولدت بعد أربعة أبطن ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها وسائر الحديث مثل حديث ابن حميد حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق الازرق عن زكريا عن الشعبي أنه سئل عن البحيرة فقال هي التي تجدع آذانها وسئل عن السائبة فقال كانوا يهدون لآلهتهم الابل والغنم فيتركونها عند آلهتهم لتذبح فتختلط بغنم الناس فلا يشرب ألبانها الا الرجال فاذا مات منها شئ أكله الرجال والنساء جميعا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى ما جعل الله من بحيرة زعم أهل الجاهلية من البحيرة من الابل يحرم أهل الجاهلية وبرها وظهرها ولحمها ولبنها الا على الرجال فما ولدت من ذكر وأنثى فهو على هيئتها وان ماتت اشترك الرجال والنساء في أكل لحمها فاذا ضرب الجمل من ولد البحيرة فهو الحامي والسائبة من الغنم على نحو ذلك الا أنها ما ولدت من ولد بينها وبين ستة أولاد كان على هيئتها فاذا ولدت في السابع ذكرا أو أنثى أو ذكرين ذبحوه فأكله رجالهم دون نسائهم وان توأمت أنثى وذكرا فهي وصيلة ترك ذبح الذكر بالانثى وان كانتا أنثيين تركتا حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة فالبحيرة الناقة كان الرجل اذا ولدت خمسة أبطن فيعمد الى الخامسة فما لم يكن سقبا فيبتك آذانها ولا يجز لها وبرا ولا يذوق لها لبنا فتلك البحيرة ولا سائبة كان الرجل يسيب من ماله ما شاء ولا وصيلة فهي الشاة اذا ولدت سبعا عمد الى السابع فان كان ذكرا ذبح وان كان أنثى تركت وان كان في بطنها اثنان ذكر وأنثى فولدتهما قالوا وصلت أخاها فيتركان جميعا لا يذبحان فتلك الوصيلة وقوله ولا حام كان الرجل يكون له الفحل فاذا لقح عشرا قيل حام فاتركوه حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ليسيبوها لاصنامهم ولا وصيلة يقول الشاة ولا حام يقول الفحل من الابل حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام تشديد شدده الشيطان على أهل الجاهلية في أموالهم وتغليظ عليهم فكانت البحيرة من الابل اذا نتج الرجل خمسا من ابله نظر البطن الخامس فان كانت سقبا ذبح فأكله الرجال دون النساء وان كان ميتة اشترك فيه ذكرهم وأنثاهم وان كانت حائلا وهي الانثى تركت فبتكت أذنها فلم يجز لها وبر ولم يشرب لها لبن ولم يركب لها ظهر ولم يذكر لله عليها اسم وكانت السائبة يسيبون ما بدا لهم من أموالهم فلا تمنع من حوض أن تشرع فيه ولا من حمى أن ترتع فيه وكانت الوصيلة من الشاء من البطن السابع اذا كان جديا ذبح فأكله الرجال دون النساء وان كانت ميتة اشترك فيه ذكرهم وأنثاهم وان جاءت بذكر وأنثى قيل وصلت أخاها فمنعته الذبح والحام كان الفحل اذا ركب من بني بنيه عشرة أو ولد ولده قيل حام حمى ظهره فلم يزم ولم يخطم ولم يركب حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا

محذوف آخر لتفصيل النعم سحر مبين ٥ وبرسولي ط لاحتمال ان قالوا مستأنف أو عامل في اذ أوحيت مسلمون ٥ من السماء الاولى ط مؤمنين ٥ الشاهدين ٥ وآية منك ج لاتفاق الجملتين مع وقوع العارض الرازقين ٥ عليكم ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب العالمين ٥ من دون الله ط ما ليس لي ط قد قيل وهو تعسف لان المنكر لا يقسم به والقسم لا يجاب بالشرط بل الوقف على بحق علمته ط نفسك ط الغيوب ٥ وربكم ج على أن الواو للاستئناف أو الحال أي وقد كنت فيهم ط لان عامل لما متأخر وفاء التعقيب دخلتها عليهم ط لان الواو لا يحتمل الحال للتعميم في كل شئ شهيد ٥ عبادك ج لابتداء الشرط مع الواو الحكيم ٥ صدقهم ط لاختلاف الجملتين بلا عطف أبدا ط عنه ط العظيم ٥ وما فيهن ط قدير ٥ (التفسير) عن أنس أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكثروا المسألة فقام على المنبر فقال سلوني فوالله لا تسألوني عن شئ ما دمت في مقامي هذا الا حدثتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي وكان يطعن في نسبه فقال يا نبي الله من أبي فقال أبوك حذافة بن قيس وقال سراقة بن مالك ويروى عكاشة بن محصن يا رسول الله الحج علينا في كل عام فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد مرتين أو ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك

أسباط عن السدى ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام فالبحيرة من الابل كانت
الناقة اذا انتجت خمسة أبطن ان كان الخامس سقبا ذبحوه فأهدوه الى آلهتهم وكانت أمه من
عرض الابل وان كانت ربعة استحيوها وشقوا أذن أمها وجزوا وبرها وخلوها فى البطحاء فلم تجز
لهم فى دية ولم يحلبوا لها لبنا ولم يجزوا لها وبرا ولم يحملوا على ظهرها وهى من الانعام التى حرمت
ظهورها وأما السائبة فهو الرجل يسيب من ماله ما شاء على وجه الشكران كثر ماله أو برأ من
وجع أو ركب ناقة فأنجح فانه يسمى السائبة يرسلها فلا يعرض لها أحد من العرب الا أصابته
عقوبة فى الدنيا وأما الوصيلة فمن الغنم هى الشاة اذا ولدت ثلاثة أبطن أو خمسة فكان آخر ذلك
جديا ذبحوه وأهدوه لبيت الآلهة وان كانت عناقا استحيوها وان كانت جديا وعناقا استحيوا
الجدى من أجل العناق فانها وصيلة وصلت أخاها وأما الحام فالفحل يضرب فى الابل عشر سنين
ويقال اذا ضرب ولد ولده قيل قد حمى ظهره فيتركونه لا يمس ولا ينحر أبدا ولا يمنع من كلأ يريده
وهو من الانعام التى حرمت ظهورها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا
معمر عن الزهرى عن ابن المسيب فى قوله ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام قال
البحيرة من الابل التى يمنع درها للطواغيت والسائبة من الابل كانوا يسيبونها لطواغيتهم والوصيلة
من الابل كانت الناقة تبتكر بانثى ثم تثنى بانثى فيسمونها الوصيلة يقولون وصلت اثنتين ليس
بينهما ذكر فكانوا يجدعونها لطواغيتهم أو يذبحونها الشك من أبى جعفر والحام الفحل من الابل
كان يضرب الضراب المعدود فاذا بلغ ذلك قالوا هذا حام قد حمى ظهره فترك فسموه الحام قال معمر
قال قتادة اذا ضرب عشرة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن
قتادة قال البحيرة من الابل كانت الناقة اذا انتجت خمسة أبطن فان كان الخامس ذكرا كان
للرجال دون النساء وان كانت أنثى بتكوا آذانها ثم أرسلوها فلم ينحروا لها ولدا ولم يشربوا لها لبنا
ولم يركبوا لها ظهرا وأما السائبة فانهم كانوا يسيبون بعض ابلهم فلا تمنع حوضا أن تشرع فيه ولا
مرعى أن ترتع فيه والوصيلة الشاة كانت اذا ولدت سبعة أبطن فان كان السابع ذكرا ذبح وأكله
الرجال دون النساء وان كانت أنثى تركت حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ
الفضل بن خالد قال ثنا عبيد بن سلمان عن الضحاك ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة
ولا حام أما البحيرة فكانت الناقة اذا انتجوها خمسة أبطن نحروا الخامس ان كان سقبا وان كان
ربعة شقوا أذنها واستحيوها وهى بحيرة وأما السقب فلا يأكل نساؤهم منه وهو خالص
لرجالهم فان ماتت الناقة أو نتجوها ميتا فرجالهم ونساؤهم فيه سواء يأكلون منه وأما السائبة
فكان يسيب الرجل من ماله من الانعام فيهمل فى الحمى فلا ينتفع بظهره ولا بولده ولا بلبنه ولا بشعره
ولا بصوفه وأما الوصيلة فكانت الشاة اذا ولدت سبعة أبطن ذبحوا السابع اذا كان جديا وان كان
عناقا استحيوه وان كان جديا وعناقا استحيوهما كليهما وقالوا ان الجدى وصلته أخته فحرمته
علينا وأما الحامى فالفحل اذا ركبوا أولاد ولده قالوا قد حمى هذا ظهره وأحرز أولاد ولده فلا يركبونه
ولا يمنعونه من حمى شجر ولا حوض ما شرع فيه وان لم يكن الحوض لصاحبه وكانت من ابلهم
طائفة لا يذكرون اسم الله عليها فى شئ من شأنهم لا ان ركبوا ولا ان حملوا ولا ان حلبوا ولا ان
نتجوا ولا ان باعوا ففى ذلك أنزل الله تعالى ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة الى قوله وأكثرهم
لا يعقلون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ماجعل الله من بحيرة
ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام قال هذا شئ كانت تعمل به أهل الجاهلية وقد ذهب قال البحيرة كان
الرجل يجدع أذنى ناقته ثم يعتقها كما يعتق جاريته وغلامه لا تحلب ولا تركب والسائبة يسيبها

أن أقول نعم والله ان قلت نعم لوجبت
ولو وجبت لتركتم ولو تركتم
لكفرتم فاتركونى ما تركتكم فانما
هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم
فاذا أمرتكم بشئ فأتوا منه
ما استطعتم واذا نهيتكم عن شئ
فاجتنبوه وقام آخر فقال يارسول
الله أين أبى فقال فى النار ولما اشتد
غضب الرسول صلى الله عليه وسلم
قام عمر فقال رضينا بالله ربا
وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله
عليه وسلم نبيا فأنزل الله هذه
الآية فهى عائدة الى قوله ما على
الرسول الا البلاغ كأنه قال ما آتاكم
الرسول فخذوه ولا تخوضوا فى غيره
فلعله يجيئكم بما يشق عليكم وأيضا
كان المشركون يطالبونه بعد ظهور
المعجزات بمعجزات أخر كقوله
حاكيا عنهم لن نؤمن لك حتى
تفجر لنا من الارض ينبوعا الى تمام
الآية وكان لبعض المسلمين أيضا
ميل الى ظهورها فمنعوا ذلك لان
طلب الزيادة بعد ثبوت الرسالة من
باب التحكم ولعلها لو ظهرت ثم
أنكرت استحق المنكر العقاب العاجل
ويحتمل أن يكون وجه النظم قوله
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
فاتركوا الامور على ظواهرها ولا
تسألوا عن أشياء مخفية ان تبد لكم
تسؤكم وللنحويين فى منع صرف
أشياء وجوه فقال الخليل وسيبويه
أصلها شيئاء على وزن حمراء فهو اسم
جمع لشئ استثقلوا الهمزتين فى
آخره فنقلوا الهمزة التى هى لام
الفعل الى أول الكلمة فصار وزنه
لفعاء وقال الفراء أصلها أفعلاء بناء

بغير تحد يع والحام اذا نتج له سبع اناث متواليات قد حمى ظهره ولا يركب ولا يعمل عليه والوصيلة
من الغنم اذا ولدت سبع اناث متواليات حمت لحمها أن يؤكل حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب
قال ثنا عبد الله بن يوسف قال ثنا الليث بن سعد قال ثنى ابن الهاد عن ابن شهاب قال قال سعيد
ابن المسيب السائبة التى كانت تسيب فلا تحمل عليها شئ والبحيرة التى يمنع درها للطواغيت فلا
يحلبها أحد والوصيلة الناقة البكر تبكر أول نتاج الابل بانثى ثم تثنى بعد بانثى وكانوا يسمونها
للطواغيت يدعونها الوصيلة ان وصلت احداهما بالاخرى والحامى فحل الابل يضرب العشر من
الابل فاذا انقض ضرابه يدعونه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحملوا عليه شيأ وسموه الحامى وهذه
أمور كانت فى الجاهلية فأبطلها الاسلام فلا نعرف قوما يعملون بها اليوم فاذا كان ذلك كذلك
وكان ما كانت الجاهلية تعمل به لا توصل الى علمه اذ لم يكن له فى الاسلام اليوم أثر ولا فى الشرك
نعرفه الا بخبر وكانت الاخبار عما كانوا يفعلون من ذلك مختلفة الاختلاف الذى ذكرنا فالصواب
من القول فى ذلك أن يقال أما معانى هذه الاسماء فما بينا فى ابتداء القول فى تأويل هذه الآية
وأما كيفية عمل القوم فى ذلك فلا علم لنا به وقد وردت الاخبار بوصف عملهم ذلك على ما قد حكينا
وغير ضائر الجهل بذلك اذا كان المراد من علمه المحتاج اليه موصلا الى حقيقته وهو أن القوم كانوا
محرمين من أنعامهم على أنفسهم ما لم يحرمه الله اتباعا منهم خطوات الشيطان فوبخهم الله تعالى
بذلك وأخبرهم أن كل ذلك حلال فالحرام من كل شئ عندنا ما حرم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه
وسلم بنص أو دليل والحلال منه ما أحله الله ورسوله كذلك ❊ القول فى تأويل قوله ﴿ولكن
الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾ اختلف أهل التأويل فى المعنى
بالذين كفروا فى هذا الموضع والمراد بقوله وأكثرهم لا يعقلون فقال بعضهم المعنى بالذين كفروا
اليهود وبالذين لا يعقلون أهل الاوثان ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة
عن سفيان عن داود بن أبى هند عن محمد بن أبى موسى ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب
قال أهل الكتاب وأكثرهم لا يعقلون قال أهل الاوثان وقال آخرون بل هم أهل ملة واحدة
ولكن المفترين المتبوعون والذين لا يعقلون الأتباع ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين
ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا خارجة عن داود بن أبى هند عن الشعبى فى قوله ولكن
الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون هم الأتباع وأما الذين افتروا فيعقلون
أنهم افتروا وأولى الاقوال فى ذلك عندنا بالصواب أن يقال ان المعنيين بقوله ولكن الذين كفروا
يفترون على الله الكذب الذين بحروا البحائر وسيبوا السوائب ووصلوا الوصائل وحموا الحوامى
مثل عمرو بن لحى واشكاله ممن سنوا لاهل الشرك السنن الرديئة وغيروا دين الله دين الحق وأضافوا
الى الله تعالى أنه هو الذى حرم ما حرموا وأحل ما أحلوا افتراء على الله الكذب وهم يعلمون
واختلاقا عليه الافك وهم يعمهون فكذبهم الله تعالى فى قيلهم ذلك واضافتهم اليه ما أضافوا من
تحليل ما أحلوا وتحريم ما حرموا فقال تعالى ذكره ما جعلت من بحيرة ولا سائبة ولكن الكفار
هم الذين يفعلون ذلك ويفترون على الله الكذب وأن يقال ان المعنيين بقوله وأكثرهم
لا يعقلون هم أتباع من سن لهم هذه السنن من جهلة المشركين فهم لا شك أنهم أكثر من الذين
سنوا ذلك لهم فوصفهم الله تعالى بأنهم لا يعقلون لانهم لم يكونوا يعقلون أن الذين سنوا لهم تلك
السنن وأخبروهم أنها من عند الله كذبة فى اخبارهم أفكة بل ظنوا أنهم فيما يقولون محقون
فى اخبارهم صادقون وانما معنى الكلام وأكثرهم لا يعقلون أن ذلك التحريم الذى
حرمه هؤلاء المشركون وأضافوه الى الله تعالى كذب وباطل وهذا القول الذى قلنا فى ذلك

على أن شيأ مخفف شئ كما يقال هين
فى هين وقد يجمع فيعل على أفعلاء
كنبى وأنبياء لكنهم استثقلوا اجتماع
الياء والهمزتين فحذفوا اللام فبقى
أشياء على وزن أفعاء وقال الكسائى
وزنها أفعال ومنع الصرف تشبيها
له بحمراء ولا يلزم منه منع صرف
أبناء وأسماء لان ما ثبت على خلاف
الدليل لا يلزم اطراده ولكنه
يكون مقصورا على المسموع
والحاصل أن السؤال عن الاشياء
ربما يؤدى الى ظهور أحوال مكتومة
يكره ظهورها وربما ترتب عليها
تكاليف شاقة صعبة فالذى سأل
عن أبيه لم يأمن أن يلحق بغير أبيه
فيفتضح والسائل عن الحج كاد أن
يوجبه فى كل عام وقد قال صلى الله عليه
وسلم ان أعظم المسلمين فى المسلمين
جرما من سأل عن شئ لم يحرم فحرم من
أجل مسألته وكان عبيد بن عمير يقول
ان الله أحل وحرم فما أحل فاستحلوه
وما حرم فاجتنبوه وترك بين ذلك
أشياء لم يحللها ولم يحرمها فذلك عفو
من الله تعالى فاقبلوه وقال أبو ثعلبة
ان الله تعالى فرض فرائض فلا
تضيعوها ونهى عن أشياء فلا
تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها
وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا
تبحثوا عنها ثم لما رتب المساءة على
السؤال ذكر أن الابداء سيكون
لان الوحى غير منقطع فقال وان
تسألوا عنها حين ينزل القرآن أى
فى زمان الوحى لان الرسول بين
أظهركم تبد لكم تلك الامور أو
التكاليف والحاصل أنهم ان سألوا
عنها أبديت لهم وان أبديت لهم

نظير قول الشعبي الذي ذكرناه ولا معنى لقول من قال عنى بالذين كفروا أهل الكتاب وذلك أن
النكير في ابتداء الآية من الله تعالى على مشركي العرب فالختم بهم أولى من غيرهم اذ لم يكن عرض
في الكلام ما يصرف من أجله عنهم الى غيرهم. وبنحو ذلك كان يقول قتادة حدثنا بشر بن معاذ
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأكثرهم لا يعقلون يقول لا يعقلون تحريم الشيطان
الذي يحرم عليهم انما كان من الشيطان ولا يعقلون. القول في تأويل قوله ﴿واذا قيل لهم تعالوا الى
ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيأ ولا يهتدون﴾
يقول تعالى ذكره واذا قيل لهؤلاء الذين يبحرون البحائر ويسيبون السوائب الذين لا يعقلون أنهم
باضافتهم تحريم ذلك الى الله تعالى يفترون على الله الكذب تعالوا الى تنزيل الله وآي كتابه والى
رسوله ليتبين لكم كذب قيلكم فيما تضيفونه الى الله تعالى من تحريمكم ما تحرمون من هذه الاشياء
أجابوا من دعاهم الى ذلك بأن يقولوا حسبنا ما وجدنا عليه من قبلنا آباءنا يعملون به ويقولون نحن
لهم تبع وهم لنا أئمة وقادة وقد اكتفينا بما أخذنا عنهم ورضينا بما كانوا عليه من تحريم وتحليل
قال الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو كان آباء هؤلاء القائلين هذه المقالة لا يعلمون
شيأ يقول لم يكونوا يعلمون أن ما يضيفونه الى الله تعالى من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام
كذب وفرية على الله لا حقيقة لذلك ولا صحة لانهم كانوا أتباع المفترين الذين ابتدؤا تحريم ذلك
افتراء على الله بقيلهم ما كانوا يقولون من اضافتهم الى الله تعالى ما يضيفون ما كانوا فيما هم به
عاملون من ذلك على استقامة وصواب بل كانوا على ضلالة وخطإ. القول في تأويل قوله ﴿يا أيها
الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا
عليكم أنفسكم فأصلحوها واعملوا في خلاصها من عقاب الله تعالى والنظر لها فيما يقربها من ربها
فانه لا يضركم من ضل يقول لا يضركم من كفر وسلك غير سبيل الحق اذا أنتم اهتديتم وآمنتم بربكم
وأطعتموه فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه فحرمتم حرامه وحللتم حلاله ونصب قوله أنفسكم
بالاغراء والعرب تغري من الصفات بعليك وعندك ودونك واليك واختلف أهل التأويل في تأويل
ذلك فقال بعضهم معناه يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم اذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم
يقبل منكم ذكر من قال ذلك حدثنا سوار بن عبد الله قال ثنا أبي قال ثنا أبو الاشهب عن الحسن
أن هذه الآية قرئت على ابن مسعود يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
فقال ابن مسعود ليس هذا بزمانها قولوها ما قبلت منكم فاذا ردت عليكم فعليكم أنفسكم حدثنا
ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن أبي الاشهب عن الحسن قال ذكر ابن مسعود يا أيها الذين آمنوا
ثم ذكر نحوه حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن قال قال رجل لابن مسعود
ألم يقل الله يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال ليس هذا بزمانها
قولوها ما قبلت منكم فاذا ردت عليكم فعليكم أنفسكم حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا شبابة
ابن سوار قال ثنا الربيع بن صبيح عن سفيان بن عقال قال قيل لابن عمر لو جلست في هذه الأيام
فلم تأمر ولم تنه فان الله تعالى يقول عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال ابن عمر انها
ليست لي ولا لأصحابي لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا فليبلغ الشاهد الغائب فكنا نحن
الشهود وأنتم الغيب ولكن هذه الآية لأقوام يجيؤن من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم حدثنا أحمد
ابن المقدام قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أبي قال ثنا قتادة عن أبي مازن قال انطلقت
على عهد عثمان الى المدينة فاذا قوم من المسلمين جلوس فقرأ أحدهم هذه الآية عليكم أنفسكم فقال
أكثرهم لم يجئ تأويل هذه الآية اليوم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عمرو بن عاصم قال ثنا

سائهم فيلزم من المقدمتين أنهم
ان سألوا عنها ساءتهم وقيل السؤال
قسمان أحدهما السؤال عن شئ
لم يجر ذكره في الكتاب والسنة
فنهى عنه بقوله لا تسألوا والثاني
السؤال عن شئ نزل به القرآن لكن
السامع لم يفهمه كما ينبغي وهذا
السؤال غير مذموم فأشار الى هذا
القسم بقوله وان تسألوا رفعا للحرج
وتمييزا لهذا القسم من الاول وانما
حسن عود الضمير في عنها الى الاشياء
وان كانا في الحقيقة نوعين مختلفين
لان كلا منهما مسؤل عنه في الجملة
وقيل المعنى وان تسألوا عن تلك
السؤالات هل هي جائزة أم لا تبد
لكم والمراد أن تطلب الرخصة
في السؤال أولا ثم يسأل عفا الله عنها
أي عما سلف من مسألتكم
واغضابكم الرسول فلا تعودوا اليها
أو المراد بالعفو أنه تعالى ما أظهر
عند تلك المسائل ما يشق عليهم من
التكاليف وقيل ان الجملة صفة
أخرى للاشياء كما أن الجملة الشرطية
والمعطوف عليها صفة لها والمعنى
لا تسألوا عن أشياء أمسك الله عنها
وكف عن ذكرها كما جاء في الحديث
عفوت عن صدقة الخيل والرقيق
أي خففت عنكم باسقاطها قد سألها
يعني المسئلة التي دل عليها لا تسألوا
قوم من قبلكم سأل الناقة قوم
صالح فعقروها وسأل الرؤية قوم
موسى عليه السلام فصار وبالا
عليهم وسأل المائدة قوم عيسى
عليه السلام فكفروا بها ويحتمل أن
يعود الضمير في سألها الى الاشياء
فكان أمة محمد صلى الله عليه وسلم

المعتمر عن أبيه عن قتادة عن أبي مازن بنحوه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر وأبو عاصم قالا ثنا عوف عن سوار بن شبيب قال كنت عند ابن عمر اذ أتاه رجل جليد في العين شديد اللسان فقال يا أبا عبد الرحمن نحن ستة كلهم قد قرأ القرآن فأسرع فيه وكلهم مجتهد لا يألو وكلهم بغيض اليه أن يأتي دناءة وهم في ذلك يشهد بعضهم على بعض بالشرك فقال رجل من القوم وأي دناءة تريد أكثر من أن يشهد بعضهم على بعض بالشرك قال فقال الرجل اني لست اياك أسأل أنا أسأل الشيخ فأعاد على عبد الله الحديث فقال عبد الله بن عمر لعلك ترى لا أبا لك أني سآمرك أن تذهب فتقتلهم عظهم وانههم فان عصوك فعليك بنفسك فان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن أن ابن مسعود سأله رجل عن قوله عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكنه قد أوشك أن يأتي زمان تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا أو قال فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن رجل قال كنت في خلافة عثمان بالمدينة في حلقة فيهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيهم شيخ يسندون اليه فقرأ رجل عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال الشيخ انما تأويلها آخر الزمان حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا أبو مازن رجل من صالحي الازد من بني الحدان قال انطلقت في حياة عثمان الى المدينة فقعدت الى حلقة فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ رجل من القوم هذه الآية لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال فقال رجل من أسن القوم دع هذه الآية فانما تأويلها في آخر الزمان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا ابن فضالة عن معاوية بن صالح عن جبير بن نفير قال كنت في حلقة فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واني لأصغر القوم فتذاكروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقلت أنا أليس الله يقول في كتابه يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فأقبلوا علي بلسان واحد وقالوا تنزع بآية من القرآن لا تعرفها ولا تدري ما تأويلها حتى تمنيت أني لم أكن تكلمت ثم أقبلوا يتحدثون فلما حضر قيامهم قالوا انك غلام حدث السن وانك نزعت بآية لا تدري ما هي وعسى أن تدرك ذلك الزمان اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك لا يضرك من ضل اذا اهتديت حدثني هناد قال ثنا الليث بن هرون قال ثنا اسحق الرازي عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن عبد الله بن مسعود في قوله يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون قال كانوا عند عبد الله بن مسعود جلوسا فكان بين رجلين ما يكون بين الناس حتى قام كل واحد منهما الى صاحبه فقال رجل من جلساء عبد الله ألا أقوم فآمرهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر فقال آخر الى جنبه عليك بنفسك فان الله تعالى يقول عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال فسمعها ابن مسعود فقال مه لم يجئ تأويل هذه بعد ان القرآن أنزل حيث أنزل ومنه آي قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ومنه ما وقع تأويلهن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومنه آي قد وقع تأويلهن بعد النبي صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه آي يقع تأويلهن بعد اليوم ومنه آي يقع تأويلهن عند الساعة على ما ذكر من أمر الساعة ومنه آي يقع تأويلهن يوم الحساب على ما ذكر من أمر الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم واحدة وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا وانهوا فاذا

سألوا عن أحوال الاشياء والمتقدمين سألوا نفس الاشياء كالناقة والمائدة والرؤية فلما اختلفت الاسئلة اختلفت العبارة الا أن كل واحد من القسمين يشتركان في وصف هو الخوض في الفضول والشروع فيما لا يعني فتوجه الذم عليهما جميعا ولما منعهم عن أمور تكلفوا البحث عنها ذم سيرة قوم تكلفوا التزام أمور لم يؤمروا بها ومعنى ما جعل ما حكم بذلك ولا شرع والبحيرة فعيلة من البحر الشق وبحر ناقته اذا شق أذنها وهي بمعنى المفعول قال أبو عبيدة والزجاج كان أهل الجاهلية اذا انتجت الناقة خمسة أبطن وكان آخرها ذكرا شقوا أذن الناقة ومنعوا ركوبها وسيبوها لآلهتهم لا تنحر ولا يحمل على ظهرها ولا تطرد عن ماء ولا ترد عن مرعى ولا ينتفع بها حتى لو لقيها المعي لا يركبها تحرجا وأما السائبة فانها فاعلة من ساب اذا جرى على وجه الارض يقال ساب الماء وسابت الحية فالسائبة هي التي تركت حتى تسيب الى حيث شاءت قال أبو عبيدة كان الرجل اذا مرض أو قدم من سفر أو نذر نذرا أو شكر نعمة سيب بعيره فكان بمنزلة البحيرة في أحكامها وقيل هي أم البحيرة كانت الناقة اذا ولدت عشرة أبطن كلهن اناث سيبت فلم تركب ولم يشرب لبنها الا ولدها أو الضيف حتى تموت فاذا ماتت أكلها الرجال والنساء جميعا وبحرت أذن بنتها الاخيرة وكانت بمنزلة أمها في أنها سائبة وقال ابن عباس السائبة هي التي تسيب للاصنام أي تعتق لها

اختلفت القلوب والاهواء وألبستم شيعا وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبي جعفر الرازي عن الربيع ابن أنس عن أبي العالية عن ابن مسعود أنه كان بين رجلين بعض ما يكون بين الناس حتى قام كل واحد منهما الى صاحبه ثم ذكر نحوه حدثني أحمد بن المقدام قال ثنا حزمي قال سمعت الحسن يقول تأول بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال بعض أصحابه دعوا هذه الآية فليست لكم حدثني اسمعيل ابن اسرائيل اللال الرملي قال ثنا أيوب بن سويد قال ثنا عتبة بن أبي حكيم عن عمرو بن خالد اللخمي عن أبي أمية الشعباني قال سألت أبا ثعلبة الخشني عن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم فقال لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ثعلبة ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فاذا رأيت دنيا مؤثرة وشحا مطاعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك أرى من بعدكم أيام الصبر للمتمسك يومئذ بمثل الذي أنتم عليه كأجر خمسين عاملا قالوا يا رسول الله كأجر خمسين عاملا منهم قال لا كأجر خمسين عاملا منكم حدثنا علي بن سهل قال أخبرنا الوليد بن مسلم عن ابن المبارك وغيره عن عتبة بن أبي حكيم عن أبي أمية الشعباني قال سألت أبا ثعلبة الخشني كيف نصنع بهذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال أبو ثعلبة سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك وذر عوامهم فان وراءكم أياما أجر العامل فيها كأجر خمسين منكم * وقال آخرون معنى ذلك أن العبد اذا عمل بطاعة الله لم يضره من ضل بعده وهلك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل يقول اذا ما العبد أطاعني فيما أمرته من الحلال والحرام فلا يضره من ضل بعد اذا عمل بما أمرته به حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يقول أطيعوا أمري واحفظوا وصيتي حدثنا هناد قال ثنا ليث بن هرون قال ثنا اسحق الرازي عن أبي جعفر الرازي عن صفوان بن الجون قال دخل عليه شاب من أصحاب الاهواء فذكر شيأ من أمره فقال صفوان ألا أدلك على خاصة الله التي خص بها أولياءه يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل الآية حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير قال ثنا أبو المطرف المخزومي قال ثنا جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ما لم يكن سيف أو سوط حدثنا علي بن سهل قال ثنا ضمرة بن ربيعة قال تلا الحسن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال الحسن الحمد لله بها والحمد لله عليها ما كان مؤمن فيما مضى ولا مؤمن فيما بقي الا والى جانبه منافق يكره عمله * وقال آخرون بل معنى ذلك يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم فاعملوا بطاعة الله لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن عنبسة عن سعد البقال عن سعيد بن المسيب لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال اذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر لا يضرك من ضل اذا اهتديت حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن أبي العميس عن أبي البختري عن حذيفة عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال اذا أمرتم ونهيتم حدثنا هناد قال

وكان الرجل يسيب من ماله ما يشاء فيجيء به الى السدنة وهم خدم آلهتهم فيطعمون من لبنها أبناء السبيل وقيل هي العبد يعتق على أن لا يكون عليه ولاء ولا ميراث وأما الوصيلة فاذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم فالوصيلة بمعنى الموصولة كأنها وصلت بغيرها أو بمعنى الواصلة لأنها وصلت أخاها وأما الحامي فيقال حماه يحميه اذا حفظه قال السدي هو الفحل الذي يضرب في الابل عشر سنين فيخلى وقيل ان الفحل اذا ركب ولد ولده قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى الى أن يموت فان قيل اذا جاز اعتاق العبيد والاماء فلم لا يجوز اعتاق البهائم من الذبح والايلام فالجواب أن الانسان خلق لعبادة الله تعالى فاذا أزيل الرق عنه كان ذلك معينا له على ما خلق لاجله أما العجم من الحيوانات فانما خلقت لمنافع المكلفين فتركها يقتضي تفويت كمالها عليها وأيضا الانسان اذا أعتق قدر على تحصيل المنافع ودفع المضار بخلاف البهائم فانها عاجزة عن جلب الملائم ودفع المنافي في الاغلب فاعتاقها يفضي الى ضياعها فظهر الفرق (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) قال ابن عباس يريد عمرو بن لحي وأصحابه كان قد ملك مكة شرفها الله وكان أول من غير دين اسمعيل فاتخذ الاصنام ونصب الاوثان

ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن ابن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال قال أبو بكر
تقرؤن هذه الآية لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وان الناس اذا رأوا الظالم قال ابن وكيع
فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقابه حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير وابن فضيل
عن بيان عن قيس قال قال أبو بكر انكم تقرؤن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وان القوم اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه يعمهم الله بعقابه
حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن اسمعيل عن قيس عن أبي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم
فذكر نحوه حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله
يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يقول مروا بالمعروف وانهوا عن
المنكر قال أبو بكر بن أبي قحافة يا أيها الناس لا تغتروا بقول الله عليكم أنفسكم فيقول أحدكم
علي نفسي والله لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو لتستعملن عليكم شراركم فليسومنكم سوء
العذاب ثم ليدعون الله خياركم فلا يستجيب لهم حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا ابن فضيل
قال ثنا بيان عن قيس بن أبي حازم قال قال أبو بكر وهو على المنبر يا أيها الناس انكم تقرؤن هذه
الآية على غير موضعها لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه
عمهم الله بعقابه حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثني عيسى بن المسيب البجلي ثنا قيس
ابن أبي حازم قال سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقرأ هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم
أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا رأى
الناس المنكر فلم يغيروه والظالم فلم يأخذوا على يديه فيوشك أن يعمهم الله منه بعقاب حدثنا الربيع
قال ثنا أسد بن موسى قال ثنا سعيد بن سالم قال ثنا منصور بن دينار عن عبد الملك بن ميسرة عن
قيس بن أبي حازم قال صعد أبو بكر المنبر منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم
قال يا أيها الناس انكم لتتلون آية من كتاب الله وتعدونها رخصة والله ما أنزل الله في كتابه أشد
منها يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون
عن المنكر أو ليعمنكم الله منه بعقاب حدثني محمد بن بشار قال ثنا اسحق بن ادريس قال ثنا
سعيد بن زيد قال ثنا مجالد بن سعيد عن قيس بن أبي حازم قال سمعت أبا بكر يقول وهو يخطب
الناس يا أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية ولا تدرون ما هي يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا
منكرا فلم يغيروه عمهم الله بعقاب * وقال آخرون بل معنى هذه الآية لا يضركم من حاد عن قصد
السبيل وكفر بالله من أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن أبي
بشر عن سعيد بن جبير في قوله لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال يعني من ضل من أهل الكتاب
حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه
الآية لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال نزلت في أهل الكتاب * وقال آخرون عني بذلك كل
من ضل عن دين الله الحق ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب
قال قال ابن زيد في قوله يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال كان
الرجل اذا أسلم قالوا له سفهت آباءك وضللتهم وفعلت وفعلت وجعلت آباءك كذا وكذا كان ينبغي
لك أن تنصرهم وتفعل فقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا
اهتديتم * وأولى هذه الأقوال وأصح التأويلات عندنا بتأويل هذه الآية ما روي عن أبي بكر
الصديق فيها وهو يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم الزموا العمل بطاعة الله وبما أمركم به وانتهوا

وشرع البحيرة والسائبة والوصيلة
والحام وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم في حقه لقد رأيته في النار
يؤذي أهل النار ريح قصبه والقصب
الامعاء هذا حال رؤسائهم (وأكثرهم
لا يعقلون) يعني العوام والاتباع ثم
رد على أهل التقليد بقوله واذا قيل
لهم الآية وقد مر تفسير مثله في سورة
البقرة ونفى العقل عنهم هناك والعلم
ههنا مع نفي الاهتداء في الموضعين
وفيه دليل على ان الاقتداء لا يجوز
الا بالعاقل العالم المهتدي لابتناء
قوله على الحجة والدليل لا على التقليد
والاضاليل قال أهل البرهان العلم
أبلغ درجة من العقل ولهذا يوصف
الله تعالى بالعلم ولا يوصف بالعقل
وكان دعواهم ههنا أبلغ لقولهم
حسبنا ما وجدنا فناسب أن ينفي
عنهم العلم الذي هو أبلغ ثم ذكر أن
هؤلاء الجهال مع ما تقدم من أنواع
المبالغة في الاعذار والانذار والترغيب
والترهيب لم ينتفعوا بشيء منه بل
أصروا على جهالتهم وضلالتهم
فلا تبالوا أيها المؤمنون فان
جهلهم لا يضركم اذا كنتم منقادين
لتكاليف الله مطيعين لأوامره
ونواهيه تقول العرب عليك زيدا
وعندك عمرا يعدونهما الى المفعول
كأنه قيل خذ زيدا فقد علاك أي
أشرف عليك وحضرك عمرو فخذه
وليس المراد في عليك انه حرف جر
مع مجروره متعلق بمحذوف بل
الجار والمجرور معا نقلوا الى معنى
الفعل نقل الاعلام ولهذا سمي اسم
فعل فان قيل ظاهر الآية يوهم

عما نهاكم الله عنه لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يقول فانه لا يضركم ضلال من ضل اذا أنتم رمتم العمل بطاعة الله وأديتم فيمن ضل من الناس ما ألزمكم الله به فيه من فرض الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى يركبه أو يحاول ركوبه والاخذ على يديه اذا رام ظلما لمسلم أو معاهد ومنعه منه فأبى النزوع عن ذلك ولا ضير عليكم فى تماديه فى غيه وضلاله اذا أنتم اهتديتم وأديتم حق الله تعالى فيه وانما قلنا ذلك أولى التأويلات فى ذلك بالصواب لان الله تعالى أمر المؤمنين أن يقوموا بالقسط ويتعاونوا على البر والتقوى ومن القيام بالقسط الاخذ على يدى الظالم ومن التعاون على البر والتقوى الامر بالمعروف وهذا مع ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمره بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولو كان للناس ترك ذلك لم يكن للامر به معنى الا فى الحال التى رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك ذلك وهى حال العجز عن القيام به بالجوارح الظاهرة فيكون مرخصا له تركه اذا قام حينئذ بأداء فرض الله عليه فى ذلك بقلبه واذا كان ما وصفنا من التأويل بالآية أولى فبين أنه قد دخل فى معنى قوله اذا اهتديتم ما قاله حذيفة وسعيد بن المسيب من أن ذلك اذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر ومعنى ما رواه أبو ثعلبة الخشنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ¤ القول فى تأويل قوله ﴿الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده اعملوا أيها المؤمنون بما أمرتكم به وانتهوا عما نهيتكم عنه ومروا أهل الزيغ والضلال ومن حاد عن سبيلى بالمعروف وانهوهم عن المنكر فان قبلوا فلهم ولكم وان تمادوا فى غيهم وضلالهم فان الى مرجع جميعكم ومصيركم فى الآخرة ومصيرهم وأنا العالم بما يعمل جميعكم من خير وشر فأخبر هنالك كل فريق منكم بما كان يعمله فى الدنيا ثم أجازيه على عمله الذى قدم به على جزاءه حسب استحقاقه فانه لا يخفى على عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ¤ القول فى تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم يقول ليشهد بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية يقول وقت الوصية اثنان ذوا عدل منكم يقول ذوا رشد وعقل وحجا من المسلمين كما حدثنا محمد بن بشار وعبيد الله بن يوسف الجبيرى قالا ثنا مؤمل ابن اسمعيل قال ثنا شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب فى قوله وأشهدوا ذوى عدل منكم قال ذوى عقل ¤ واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ذوا عدل منكم قال بعضهم عنى به من أهل ملتكم ذكر من قال ذلك حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال شاهدان ذوا عدل منكم من المسلمين حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا اسحق بن سويد عن يحيى بن يعمر فى قوله اثنان ذوا عدل منكم من المسلمين حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب فى قوله اثنان ذوا عدل منكم قال اثنان من أهل دينكم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن أشعث عن ابن سيرين عن عبيدة قال سألته عن قول الله تعالى اثنان ذوا عدل منكم قال من الملة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن هشام عن ابن سيرين عن عبيدة بمثله الا أنه قال فيه من أهل الملة حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن هشام عن ابن سيرين قال سألت عبيدة عن هذه الآية اثنان ذوا عدل منكم قال من أهل الملة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن عون عن ابن سيرين عن عبيدة مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا حسين عن زائدة عن هشام عن ابن سيرين قال سألت عبيدة فذكر مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدى عن حماد عن ابن أبى نجيح وقال ثنا مالك بن اسمعيل عن حماد بن زيد

أن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ليس بواجب والجواب المنع وان الآية لا تدل الا على أن المطيع لربه غير مؤاخذ بذنب العاصى ولهذا خطب أبو بكر فقال انكم تقرؤن هذه الآية وتضعونها فى غير موضعها وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا رأوا المنكر فلم ينكروه يوشك أن يعمهم الله بعقاب وعن عبد الله بن المبارك ان هذه الآية آكد آية فى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لان معنى عليكم أنفسكم احفظوها والزموا صلاحها بأن يعظ بعضكم بعضا ويرغبه فى الخيرات وينفره عن القبائح والسيئات لا يضركم ضلال من ضل اذا اهتديتم فأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فانكم خرجتم عن عهدة تكليفكم كما قال الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وقيل ان الآية مخصوصة بما اذا خاف الانسان عند الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على نفسه أو على عرضه أو على ماله وكان ابن شبرمة يقول من فر من اثنين فقد فر ومن فر من ثلاثة فلم يفر وقيل انها مختصة بالكفار الذين علم الله أنه لا ينفعهم الوعظ يؤكده ما روى فى سبب النزول عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أقر مجوس هجر بالجزية قال منافقو العرب عجبا من محمد يزعم أن الله بعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا ولا يقبل الجزية الا من أهل الكتاب فلا نراه الا قد قبل من مشركى أهل

عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ذوا عدل منكم قال ذوا عدل من أهل الاسلام حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ذوا عدل منكم قال من المسلمين حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان سعيد بن المسيب يقول اثنان ذوا عدل منكم أي من أهل الاسلام * وقال آخرون عني بذلك ذوا عدل من حي الموصي وذلك قول روي عن عكرمة وعبيدة وعدة غيرهما واختلفوا في صفة الاثنين اللذين ذكرهما الله في هذه الآية ما هي وما هما فقال بعضهم هما شاهدان يشهدان على وصية الموصي * وقال آخرون هما وصيان وتأويل الذين زعموا أنهما شاهدان قوله شهادة بينكم ليشهد شاهدان ذوا عدل منكم على وصيتكم وتأويل الذين قالوا هما وصيان لا شاهدان قوله شهادة بينكم بمعنى الحضور والشهود لما يوصيهما به المريض من قولك شهدت وصية فلان بمعنى حضرته * وأولى التأويلين بقوله اثنان ذوا عدل منكم تأويل من تأوله بمعنى أنهما من أهل الملة دون من تأوله أنهما من حي الموصي وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية لان الله تعالى عم المؤمنين بخطابهم بذلك في قوله يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم فغير جائز أن يصرف ما عمه الله تعالى الى الخصوص الا بحجة يجب التسليم لها واذ كان ذلك كذلك فالواجب أن يكون العائد من ذكرهم على العموم كما كان ذكرهم ابتداء على العموم * وأولى المعنيين بقوله شهادة بينكم اليمين لا الشهادة التي يقوم بها من عنده شهادة لغيره لمن هي عنده على من هي عليه عند الحكام لانا لا نعلم لله تعالى حكما يجب فيه على الشاهد اليمين فيكون جائزا صرف الشهادة في هذا الموضع الى الشهادة التي يقوم بها بعض الناس عند الحكام والأئمة وفي حكم الآية في هذه اليمين على ذوي العدل وعلى من قام مقامهم في اليمين بقوله تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله أوضح الدليل على صحة ما قلنا في ذلك من أن الشهادة فيه الأيمان دون الشهادة التي يقضى بها للمشهود له على المشهود عليه وفساد ما خالفه فان قال قائل فهل وجدت في حكم الله تعالى يمينا يجب على المدعي فتوجه قولك في الشهادة في هذا الموضع الى الصحة فان قلت لا تبين فساد تأويلك ذلك على ما تأولت لانه يجب على هذا التأويل أن يكون المقسمان في قوله فان عثر على أنهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما هما المدعيين وان قلت بلى قيل لك وفي أي حكم الله تعالى وجدت ذلك قيل وجدنا ذلك في أكثر المعاني وذلك في حكم الرجل يدعي قبل رجل مالا فيقر به المدعى عليه قبله ذلك ويدعي قضاءه فيكون القول قول رب الدين والرجل يعترف في يد الرجل السلعة فيزعم المعترفة في يده أنه اشتراها من المدعي أو أن المدعي وهبها له وما أشبه ذلك مما يكثر احصاؤه وعلى هذا الوجه أوجب الله تعالى في هذا الموضع اليمين على المدعيين اللذين عثرا على الجانيين فيما جنيا فيه * واختلف أهل العربية في الرافع قوله شهادة بينكم وقوله اثنان ذوا عدل منكم فقال بعض نحويي البصرة معنى قوله شهادة بينكم شهادة اثنين ذوي عدل ثم ألقيت الشهادة وأقيم الاثنان مقامها فارتفعا بما كانت الشهادة به مرتفعة لو جعلت في الكلام قال وذلك في حذف ما حذف منه واقامة ما أقيم مقام المحذوف نظير قوله واسأل القرية وانما يريد واسأل أهل القرية وانتصبت القرية بانتصاب الاهل وقامت مقامه ثم عطف قوله أو آخران على الاثنين * وقال بعض نحويي الكوفة رفع الاثنين بالشهادة أي ليشهدكم اثنان من المسلمين أو آخران من غيركم وقال آخر منهم رفعت الشهادة باذا حضر وقال انما رفعت بذلك لانه قال اذا حضر فجعلها

هجر ما رد على مشركي العرب فأنزل الله تعالى الآية أي لا يضركم ملامة اللائمين اذا كنتم على الهدى والحق وقيل كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل العناد من الكفرة فنزلت تسلية لهم كما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وعن ابن مسعود ان الآية قرئت عنده فقال ان هذا في آخر الزمان ومثله ما روي عن أبي ثعلبة الخشني أنه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا ما رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع أمر العوام وان من ورائكم أياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا أسلم قالوا له سفهت آباءك ولاموه فنزلت ثم انه سبحانه لما أمر بحفظ النفس في قوله عليكم أنفسكم أمر بحفظ المال عن ابن عباس ان تميما الداري وأخاه عديا وكانا نصرانيين خرجا الى الشأم ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا خرجوا للتجارة فلما قدموا الشأم مرض بديل فكتب كتابا فيه نسخة جميع ما معه وأخفاه بين الاقمشة ولم يخبر صاحبيه بذلك ثم أوصى اليهما وأمرهما أن يدفعا متاعه الى أهله ومات ففتشا متاعه فأخذا اناء من فضة فيه ثلثمائة

شهادة محذوفة مستأنفة ليست بالشهادة التي قد رفعت لكل الخلق لانه قال تعالى ذكره أو آخران
من غيركم وهذه شهادة لا تقع الا في هذا الحال وليست مما ثبت * وأولى هذه الاقوال في ذلك
عندي بالصواب قول من قال الشهادة مرفوعة بقوله اذا حضر لأن قوله اذا حضر بمعنى عند
حضور أحدكم الموت والاثنان مرفوع بالمعنى المتوهم وهو أن يشهد اثنان فاكتفى من قيل
أن يشهد بما قد جرى من ذكر الشهادة في قوله شهادة بينكم وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان
الشهادة مصدر في هذا الموضع والاثنان اسم والاسم لا يكون مصدرا غير أن العرب قد تضع الاسماء
مواضع الافعال فالامر وان كان كذلك فصرف كل ذلك الى أصح وجوهه ما وجدنا اليه سبيلا أولى
بنا من صرفه الى أضعفها (القول في تأويل قوله (أو آخران من غيركم) يقول تعالى ذكره
للمؤمنين ليشهد بينكم اذا حضر أحدكم الموت عدلان من المسلمين أو آخران من غير المسلمين
* وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله أو آخران من غيركم فقال بعضهم معناه أو آخران
من غير أهل ملتكم نحو الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا حميد بن مسعدة و يونس بن معاذ
قالا ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب أو آخران من غيركم من أهل
الكتاب حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت
قتادة يحدث عن سعيد بن المسيب أو آخران من غيركم من أهل الكتاب حدثني
أبو حفص الجبيري عبيد الله بن يوسف قال ثنا مؤمل بن اسمعيل قال ثنا شعبة عن قتادة
عن سعيد بن المسيب مثله حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة
عن سعيد مثله حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم وسليمان التيمي
عن سعيد بن المسيب انهما قالا في قوله أو آخران من غيركم قالا من غير أهل ملتكم حدثني
يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة قال ثني من سمع سعيد بن جبير يقول مثل ذلك حدثني
يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا التيمي عن أبي مجلز قال من غير أهل ملتكم وحدثنا ابن بشار
قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن مغيرة عن ابراهيم مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا
جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال ان كان قربه أحد من المسلمين أشهدهم والا أشهد رجلين من
المشركين حدثنا عمرو بن علي قال ثنا قتيبة قال ثنا هشيم عن المغيرة عن ابراهيم وسعيد بن
جبير في قوله أو آخران من غيركم قالا من غير أهل ملتكم حدثنا عمرو قال ثنا يحيى بن سعيد
قال ثنا سعيد عن قتادة عن سعيد أو آخران من غيركم قال من أهل الكتاب حدثنا عمرو قال
ثنا محمد بن سوار قال ثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب مثله حدثنا هناد قال ثنا
وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب مثله حدثنا
عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا اسحق بن سويد عن يحيى بن يعمر في قوله
اثنان ذوا عدل منكم من المسلمين فان لم تجدوا من المسلمين فمن غير المسلمين حدثنا المثنى قال ثنا
عبد الاعلى قال ثنا داود عن عامر عن شريح في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر
أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم قال اذا كان الرجل بأرض
غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته فأشهد يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا فشهادتهما جائزة فان جاء
رجلان مسلمان فشهدا بخلاف شهادتهما أجيزت شهادة المسلمين وأبطلت شهادة الآخرين
حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا الاعمش عن ابراهيم عن شريح أنه كان لا يجيز
شهادة اليهود والنصارى على مسلم الا في الوصية ولا يجيز شهادتهما على الوصية الا اذا كانوا في سفر
حدثنا عمرو بن علي قال ثنا أبو معاوية ووكيع قالا ثنا الاعمش عن ابراهيم عن شريح قال

مثقال منقوشا بالذهب ودفعا باقي
المتاع الى أهله لما قدما فأصاب أهل
بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء
فجحدا فرفعوهما الى النبي صلى الله
عليه وسلم فنزلت ومعنى شهادة
بينكم شهادة ما بينكم أي من
التنازع والتشاجر وانما أضيفت
الشهادة الى التنازع لان الشهود
انما يحتاج اليهم عند النزاع واذا
حضر ظرف للشهادة وحين الوصية
بدل منه وفي هذا دليل أن الوصية
مما لا ينبغي أن يتهاون بها المسلم عند
ظهور أمارات الموت فكأن وقتيهما
واحد وهما متلازمان وارتفع
اثنان على أنه قام مقام الخبرية أي
شهادة بينكم شهادة اثنين أو على
انه فاعل فعل محذوف والتقدير
شهادة ما بينكم أن يشهد اثنان وفي
قوله منكم ومن غيركم قولان فعن
الحسن والزهري وعليه جمهور
الفقهاء ان منكم أي من أقاربكم
ومن غيركم أي من الاجانب والمعنى
ان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم
أحد من أقاربكم فاستشهدوا على
الوصية أجنبيين وجعل الاقارب أولى
لانهم أعلم بحال الميت وأرأف به وعن
ابن عباس وأبي موسى الاشعري
وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير
وشريح ومجاهد وابن جريج وابن
سيرين ان منكم أي من أهل ملتكم
ومن غيركم أي من كافر كان يهوديا
أو نصرانيا أو مجوسيا أو عابد وثن قال
الشافعي مرض رجل من المسلمين
في الغربة فلم يجد أحدا من المسلمين
يشهده على وصيته فأشهد رجلين من
أهل الكتاب فقدما الكوفة وأتيا

لاتجوز شهادة اليهود والنصارى الا فى سفر ولا تجوز فى سفر الا فى وصية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الاعمش عن ابراهيم عن شريح نحوه حدثنا عمرو بن على قال ثنا محمد بن عبد الله ابن الزبير الاسدى قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم قال كتب هشام بن هبيرة لمسلمة عن شهادة المشركين على المسلمين فكتب لاتجوز شهادة المشركين على المسلمين الا فى وصية ولا تجوز فى وصية الا أن يكون الرجل مسافرا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن أشعث عن ابن سيرين عن عبيدة قال سألته عن قول الله تعالى أو آخران من غيركم قال من غير الملة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن هشام عن ابن سيرين عن عبيدة مثله حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن هشام عن ابن سيرين قال سألت عبيدة عن ذلك فقال من غير أهل الملة حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن هشام عن ابن سيرين عن عبيدة قال من غير أهل الصلاة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن هشام عن ابن سيرين عن عبيدة قال من غير أهل دينكم حدثنا ابن وكيع قال ثنا حسين عن زائدة عن هشام عن ابن سيرين عن عبيدة قال من غير أهل الملة حدثنا عمرو بن على قال ثنا أبو داود قال ثنا أبو حرة عن محمد بن سيرين عن عبيدة أو آخران من غيركم قال من غير أهل ملتكم حدثنا عمرو بن على قال ثنا عبد الرحمن بن عثمان قال ثنا هشام بن محمد قال سألت سعيد بن جبير عن قول الله أو آخران من غيركم قال من غير أهل ملتكم حدثنا ابن وكيع قال ثنا مالك بن اسمعيل عن حماد بن زيد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا عمرو قال ثنا أبو داود قال ثنا حماد بن زيد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال من غير أهل ملتكم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أو آخران من غيركم من غير أهل الاسلام حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر ابن عياش قال قال أبو اسحق أو آخران من غيركم قال من اليهود والنصارى قال قال شريح لاتجوز شهادة اليهودى والنصرانى الا فى وصية ولا تجوز فى وصية الا فى سفر حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا زكريا عن الشعبى أن رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا ولم يجد أحدا من المسلمين يشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب فقدما الكوفة فأتيا الاشعرى فأخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال الاشعرى هذا أمر لم يكن بعد الذى كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحلفهما وأمضى شهادتهما حدثنا عمرو بن على قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن مغيرة الازرق عن الشعبى أن أبا موسى قضى بها بدقوقا حدثنا عمرو قال ثنا عثمان بن الهيثم قال ثنا عوف عن محمد أنه كان يقول فى قوله اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم شاهدان من المسلمين وغير المسلمين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أو آخران من غيركم من غير أهل الاسلام حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو حفص عن ليث عن مجاهد قال من غير أهل الاسلام حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عبد الله بن عياش قال قال زيد بن أسلم فى هذه الآية شهادة بينكم الآية كلها قال كان ذلك فى رجل توفى وليس عنده أحد من أهل الاسلام وذلك فى أول الاسلام والارض حرب والناس كفار الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالمدينة وكان الناس يتوارثون بالوصية ثم نسخت الوصية وفرضت الفرائض وعمل المسلمون بها * وقال آخرون بل معنى ذلك أو آخران من غير حيكم وعشيرتكم ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن على قال ثنا عثمان بن الهيثم بن الجهم قال ثنا عوف عن الحسن فى قوله اثنان ذوا عدل منكم

أبا موسى الاشعرى وكان واليا عليها فاخبراه بالواقعة فقال أبو موسى هذا أمر لم يقع بعد النبى صلى الله عليه وسلم فحلفهما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد العصر بالله العظيم انهما ما كذبا وما بدلا وأجاز شهادتهما والذاهبون الى هذا القول احتجوا بأن الخطاب فى منكم لجميع المؤمنين فيلزم أن يكون غيرهم كافرين وبأن هذين الشاهدين لو كانا مسلمين لم يكن الاستشهاد بهما مشروطا بالسفر لجواز ذلك فى الحضر أيضا بالاتفاق وبانه تعالى أوجب الحلف عليهما والشاهد المسلم لا يجب تحليفه البتة وبان الشاهدين فى سبب النزول كانا نصرانيين وبان أبا موسى قضى بذلك ولم ينكر عليه أحد من الصحابة وبان الضرورات تبيح المحظورات كالتيمم والافطار وأكل الميتة والمسلم اذا قرب أجله ولم يجد مسلما ولا تقبل شهادة الكفار ضاع أكثر مهماته فقد يكون عليه زكوات وكفارات وديون وله ديون وودائع وله مصالح ولمثل هذه الضرورة جوزنا شهادة النساء فيما يتعلق باحوال النساء كالحيض والحبل والولادة وللاولين أن يجيبوا بان حذف المضاف غير عزيز وبان ذكر السفر ليس لأجل اشتراط قبول الشهادة ولكن لأجل أن الغالب فى السفر فقدان الاقارب ووجود الاجانب وبان التحليف مشروط بالريبة وقد روى عن على كرم الله وجهه أنه كان يحلف الشاهد والراوى اذا اتهمهما وبان سبب

أوآخران من غيركم قال شاهدان من قومكم ومن غير قومكم حدثنا عمرو قال ثنا أبو داود قال
ثنا صالح بن أبي الاخضر عن الزهري قال مضت السنة أن لا تجوز شهادة كافر في حضر ولا سفر
انما هي في المسلمين حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن
يقول اثنان ذوا عدل منكم أي من عشيرته أوآخران من غيركم قال من غير عشيرته حدثنا
ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن ثابت بن زيد عن عاصم عن عكرمة أوآخران من غيركم قال من
غير أهل حيكم حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدي عن ثابت بن زيد عن عاصم عن عكرمة
أوآخران من غيركم قال من غير حيكم حدثنا عمرو بن علي قال ثنا أبو داود قال ثنا ثابت
ابن زيد عن عاصم الاحول عن عكرمة في قول الله تعالى أوآخران من غيركم قال من غير أهل حيه
يعني من المسلمين حدثني الحرث بن محمد قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك عن الحسن
أوآخران من غيركم قال من غير عشيرتك ومن غير قومك كلهم من المسلمين حدثنا الحسن
ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة قوله أوآخران
من غيركم قال مسلمين من غير حيكم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني
الليث قال ثني عقيل قال سألت ابن شهاب عن قول الله تعالى ياأيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا
حضر أحدكم الموت الى قوله والله لا يهدي القوم الفاسقين قلت أرأيت الاثنين اللذين ذكر الله من
غير أهل المرء الموصي أهما من المسلمين أم هما من أهل الكتاب وأرأيت الآخرين اللذين يقومان
مقامهما أتراهما من أهل المرء الموصي أم هما من غير المسلمين قال ابن شهاب لم نسمع في هذه الآية
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أئمة العامة سنة أذكرها وقد كنا نتذاكرها أناسا من علمائنا
أحيانا فلا يذكرون فيها سنة معلومة ولا قضاء من امام عادل ولكنه يختلف فيها رأيهم وكان أعجبهم
فيها رأيا الينا الذين كانوا يقولون هي فيما بين أهل الميراث من المسلمين يشهد بعضهم الميت الذي
يرثونه ويغيب عنه بعضهم ويشهد من شهده على ما أوصى به لذوي القربى فيخبرون من غاب عنه
منهم بما حضر وامن وصية فان سلموا جازت وصيته وان ارتابوا أن يكونوا بدلوا قول الميت وآثروا
بالوصية من أرادوا ممن لم يوص لهم الميت بشئ حلف اللذان يشهدان على ذلك بعد الصلاة وهي
صلاة المسلمين فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن
الآثمين فاذا أقسما على ذلك جازت شهادتهما وأيمانهما مالم يعثر على أنهما استحقا اثما في شئ
من ذلك فان عثر قام آخران مقامهما من أهل الميراث من الخصم الذين ينكرون ما شهد به عليه
الاولان المستحلفان أول مرة فيقسمان بالله لشهادتنا على تكذيبكما أو ابطال ما شهدتما به وما
اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد
أيمانهم الآية * وأولى التأويلين في ذلك عندنا بالصواب تأويل من تأوله أوآخران من غير
أهل الاسلام وذلك أن الله تعالى عرف عباده المؤمنين عند الوصية شهادة اثنين من عدول المؤمنين
أواثنين من غير المؤمنين ولا وجه لأن يقال في الكلام صفة شهادة مؤمنين منكم أو رجلين من غير
عشيرتكم وانما يقال صفة شهادة رجلين من عشيرتكم أو من غير عشيرتكم أو رجلين من المؤمنين
أومن غير المؤمنين فاذ كان لا وجه لذلك في الكلام فغير جائز صرف مغلق كلام الله تعالى الا الى
أحسن وجوهه وقد دللنا قبل على أن قوله تعالى ذوا عدل منكم انما هو من أهل دينكم وملتكم بما
فيه كفاية لمن وفق لفهمه واذا صح ذلك بما دللنا عليه فمعلوم أن معنى قوله أوآخران من غيركم انما
هو أوآخران من غير أهل دينكم وملتكم واذ كان ذلك كذلك فسواء كان الآخران اللذان من غير أهل
ديننا يهوديين كانا أو نصرانيين أو مجوسيين أو عابدي وثن أو على أي دين كانا لأن الله تعالى

النزول لا يلزم أن ينطبق على الحكم
حذو القذة بالقذة وبان قصة أبي
موسى خبر الواحد وبان الضرورة
كانت في أول الاسلام لقلة المسلمين
وتعذرهم في السفر غالبا ومما
يصلح أن يكون مؤكدا لهذا الآية
وان لم يجز أن يكون ناسخا لها عند
من يرى أن المائدة من آخر القرآن
نزولا قوله تعالى وأشهدوا ذوي عدل
منكم وليس المراد من العدالة
الاحتراز عن الكذب في النطق فقط بل
في الدين والاعتقاد ولا كذب أعظم
من الفرية على الله تعالى وعلى
رسله وانما تقبل شهادة أهل البدع
والاهواء من هذه الأمة احتشاما
لكلمة الاسلام وموقع تحبسونهما
أي توقفونهما وتصبرونهما
استئناف كأنه قيل فكيف نعمل
ان ارتبنا فقيل تحبسونهما من بعد
الصلاة قال ابن عباس من بعد صلاة
دينهما وقال عامة المفسرين من
بعد صلاة العصر لان هذا الوقت
كان معروفا عندهم بالتحليف بعده
ولفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث دعا بعدي وتميم فاستحلفهما
عند المنبر بعد صلاة العصر ولان
جميع أهل الاديان يعظمون هذا
الوقت ويذكرون الله تعالى فيه
ويحترزون عن الحلف الكاذب
وأهل الكتاب يصلون لطلوع الشمس
وغروبها وقال الحسن المراد بعد
الظهر وبعد العصر لان أهل الحجاز
كانوا يقعدون للحكومة بعدهما
وقيل بعد أي صلاة كانت لان
الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
قال الشافعي الايمان تغلظ في الدماء

لم يخصص آخرين من أهل ملة بعينها دون ملة بعد أن يكونا من أهل الاسلام ﴿القول في تأويل
قوله ﴿ان أنتم ضربتم في الارض فأصابتكم مصيبة الموت﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين صفة
شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت وقت الوصية أن يشهد اثنان ذوا عدل منكم أيها المؤمنون أو
رجلان آخران من غير أهل ملتكم ان أنتم سافرتم ذاهبين وراجعين في الارض وقد بينا فيما مضى
السبب الذي من أجله قيل للمسافر الضارب في الارض فأصابتكم مصيبة الموت يقول فنزل بكم الموت
ووجه أكثر أهل التأويل هذا الموضع الى معنى التعقيب دون التخيير وقالوا معناه شهادة بينكم اذا
حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم ان وجدا فان لم يوجدا فآخران من غيركم
وانما فعل ذلك من فعله لانه وجه معنى الشهادة في قوله شهادة بينكم الى معنى الشهادة التي توجب
للقوم قيام صاحبها عند الحاكم أو يبطلها ذكر بعض من تأول ذلك كذلك حدثنا عمران بن موسى
القزاز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا اسحق بن سويد عن يحيى بن يعمر في قوله ذوا عدل
منكم من المسلمين فان لم تجدوا من المسلمين فمن غير المسلمين حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى
قالا ثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب في قوله اثنان ذوا عدل منكم
أو آخران من غيركم قال اثنان من أهل دينكم أو آخران من غيركم من أهل الكتاب اذا كان
ببلاد لا يجد غيرهم حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عامر عن شريح في
هذه الآية شهادة بينكم الى قوله أو آخران من غيركم قال اذا كان الرجل بأرض غربة ولم يجد
مسلما يشهده على وصيته فأشهد يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا فشهادتهم جائزة حدثني محمد
ابن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم
اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم قال هذا في الحضر أو آخران من غيركم
في السفر ان أنتم ضربتم في الارض فأصابتكم مصيبة الموت هذا في الرجل يدركه الموت في سفره
وليس بحضرته أحد من المسلمين فيدعو رجلين من اليهود والنصارى والمجوس فيوصي اليهما
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم وسعيد بن جبير
أنهما قالا في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم الآية قال اذا حضر الرجل الوفاة في سفر
فيشهد رجلين من المسلمين فان لم يجد رجلين من المسلمين فرجلين من أهل الكتاب حدثني
المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يا أيها الذين
آمنوا شهادة بينكم الى قوله ذوا عدل منكم فهذا لمن مات وعنده المسلمون فأمره الله أن يشهد
على وصيته عدلين من المسلمين ثم قال أو آخران من غيركم ان أنتم ضربتم في الارض فأصابتكم
مصيبة الموت فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين فامره الله تعالى بشهادة رجلين من غير
المسلمين ووجه ذلك آخرون الى معنى التخيير وقالوا انما عنى بالشهادة في هذا الموضع الأيمان على
الوصية التي أوصى اليهما وائتمان الميت اياهما على ما ائتمنهما عليه من مال ليؤدياه الى ورثته بعد
وفاته ان ارتيب بهما قالوا وقد يأمن الرجل على ماله من رآه موضعا للامانة من مؤمن وكافر في
السفر والحضر وقد ذكرنا الرواية عن بعض من قال هذا القول فيما مضى وسنذكر بقيته ان شاء
الله تعالى بعد القول في تأويل قوله ﴿فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى﴾
يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت ان شهد اثنان ذوا
عدل منكم أو كان أوصى اليهما أو آخران من غيركم ان كنتم في سفر فحضرتكم المنية فأوصيتم
اليهما ودفعتم اليهما ما كان معكم من مال وتركة لورثتكم فاذا أنتم أوصيتم اليهما ودفعتم اليهما
ما كان معكم من مال فأصابتكم مصيبة الموت فأديا الى ورثتكم ما ائتمنتموهما وادعوا عليهما

والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ
مائتي درهم بالزمان والمكان فيحلف
بعد العصر بمكة بين الركن
والمقام وبالمدينة عند المنبر وفي بيت
المقدس عند الصخرة وفي سائر
البلدان في أشرف المساجد وقد
تغلظ بالتكرير والتعديل كما في
القسامة واللعان أو بزيادة الاسماء
والصفات وقال أبو حنيفة يحلف من
غير التغليظ بزمان أو مكان ولا يخفى أن
قول الشافعي أوفق للآية والمقسم
عليه قوله لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا
قربى وقوله ان ارتبتم اعتراض
والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم
له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله
عرضا من الدنيا ولو كان من يقسم له
قريبا منا أرادوا أن هذه عادتهم
في صدقهم وأمانتهم أبدا كقوله
شهداء لله ولو على أنفسكم وخص
ذا القربى بالذكر لان الميل اليهم أتم
والمداهنة بينهم أكمل ولا نكتم
شهادة الله التي أمر بحفظها
وتعظيمها وأدائها انا اذا لمن الآثمين
أي اذا كتمناها كنا من الآثمين ونقل
عن الشعبي أنه وقف على قول
الله عز وجل شهادة ثم ابتدأ آلله
بالمد على حذف حرف القسم
وتعويض حرف الاستفهام
منه وروي عنه بغير مد على ما ذكره
سيبويه ان منهم من يقول الله لقد
كان كذا والمعنى بالله فان عثر قال
الليث عثر الرجل يعثر عثورا اذا هجم
على أمر لم يهجم عليه غيره وقريب
منه العثار لان العاثر انما يعثر بشيء
كان لا يراه والمعنى فان حصل الاطلاع
على أنهما استحقا اثما وهو كناية

خيانة خاناها انما ائتمنا عليه فان الحكم فيهما حينئذ أن تحبسونهما يقول تستوقفونهما بعد الصلاة
وفي الكلام محذوف اجتزئ بدلالة ما ظهر منه على ما حذف وهو فأصابتكم مصيبة الموت وقد
أسندتم وصيتكم اليهما ودفعتم اليهما ما كان معكم من مال فانكم تحبسونهما من بعد الصلاة
فيقسمان بالله ان ارتبتم يقول فيحلفان بالله ان اتهمتموهما بخيانة فيما ائتمنا عليه من تغيير وصية
أوصى اليهما بها أو تبديلها والارتياب هو الاتهام لا نشترى به ثمنا يقول يحلفان بالله لا نشترى
بأيماننا بالله ثمنا يقول لا نحلف كاذبين على عوض نأخذه عليه وعلى مال نذهب به أو لحق نجحده
لهؤلاء القوم الذين أوصى الينا واليهم وصيتهم والهاء في قوله به من ذكر الله والمعنى به الحلف
والقسم ولكنه لما كان قد جرى قبل ذلك ذكر القسم به فيعرف من معنى الكلام اكتفى به من اعادة
ذكر القسم والحلف ولو كان ذا قربى يقول يقسمان بالله لا نطلب باقسامنا بالله عوضا فنكذب
فيها لأحد ولو كان الذي نقسم به له ذا قرابة منا وبنحو الذي قلنا في ذلك روى الخبر عن ابن عباس
ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على
ابن أبي طلحة عن ابن عباس قوله أو آخران من غيركم ان أنتم ضربتم في الارض فأصابتكم مصيبة
الموت فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين فأمره الله بشهادة رجلين من غير المسلمين
فان ارتيب في شهادتهما استحلفا بعد الصلاة بالله لم نشتر بشهادتنا ثمنا قليلا وقوله تحبسونهما من
بعد الصلاة من صلاة الآخرين ومعنى الكلام أو آخران من غيركم تحبسونهما من بعد الصلاة
ان ارتبتم بهما فيقسمان بالله لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى واختلفوا في الصلاة التي ذكرها الله
تعالى في هذه الآية فقال تحبسونهما من بعد الصلاة فقال بعضهم هي صلاة العصر ذكر من قال
ذلك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا زكريا عن الشعبي أن رجلا من المسلمين حضرته
الوفاة بدقوقا فلم يجد أحدا من المسلمين يشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب قال
فقدما الكوفة فأتيا الاشعري فأخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال الاشعري هذا أمر لم يكن بعد
الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا
ولا كتما ولا غيرا وانها لوصية الرجل وتركته قال فأمضى شهادتهما حدثنا ابن بشار وعمرو بن على
قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير أو آخران من غيركم قال اذا كان
الرجل بأرض الشرك فأوصى الى رجلين من أهل الكتاب فانهما يحلفان بعد العصر حدثنا
ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن مغيرة عن ابراهيم بمثله حدثنا بشر قال
ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم الى فأصابتكم مصيبة
الموت فهذا رجل مات بغربة من الارض وترك تركته وأوصى بوصيته وشهد على وصيته رجلان
فان ارتيب في شهادتهما استحلفا بعد العصر وكان يقال عندها تصبر الايمان حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثنى هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم وسعيد بن جبير أنهما قالا في هذه
الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم قالا اذا حضر الرجل الوفاة في سفر فليشهد رجلين من المسلمين
فان لم يجد فرجلين من أهل الكتاب فاذا قدما بتركته فان صدقهما الورثة قبل قولهما وان اتهموهما
أحلفا بعد صلاة العصر بالله ما كذبنا ولا كتمنا ولا خنا ولا غيرنا حدثنا عمرو بن على قال ثنا
يحيى القطان قال ثنا زكريا قال ثنا عامر أن رجلا توفى بدقوقا فلم يجد من يشهده على وصيته الا
رجلين نصرانيين من أهلها فأحلفهما أبو موسى دبر صلاة العصر في مسجد الكوفة بالله ما كتما
ولا غيرا وان هذه الوصية فأجازها * وقال آخرون بل يستحلفان بعد صلاة أهل دينهما وملتهما
ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط

عن الخيانة والحنث في الحلف فآخران
خبر مبتدا محذوف أو فاعل فعل
محذوف أو صفة مبتدا محذوف أي
فالشاهدان آخران أو فليشهد آخران أو فشاهدان
آخران يقومان مقامهما من الذين
استحق عليهم قال في الكشاف أي
الاثم ومعناه من الذين جنى عليهم
وهم أهل الميت وعشيرته وفي
التفسير الكبير أنه المال وانما وصف
والى الميت بذلك لانه أخذ ماله
وكل من أخذ ماله غيره فقد حاول
ذلك الغير أن يكون تعلقه بذلك
المال مستعليا على تعلق مالكه به
فصح أن يوصف المالك بأنه قد استحق
عليه ذلك المال وارتفع الاوليان
على أنهما خبر مبتدا محذوف فكأنه
قيل ومن الآخران فقيل هما
الأوليان ويجوز أن يكون بدلا من
الضمير في يقومان أو من آخران
ويجوز أن يرتفع باستحق أي من
الذين استحق عليهم انتداب الاولين
منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة
الحال قاله في الكشاف ومعنى
الاوليان الاقربان الى الميت أو
الاوليان الأحقان بالشهادة
لقرابتهما ومعرفتهما أو الأحقان
باليمين اما على تقدير الرد وذلك عند
الشافعي وكل من يرى رد اليمين على
المدعي واما لانقلاب القضية عند
من لا يرى ذلك كأبي حنيفة
وأصحابه فان من أقر لآخر
بدين ثم ادعى أنه قضاه حكم برد اليمين
الى الذي ادعى الدين أولا لأنه صار
مدعى عليه أنه قد استوفاه وفي هذه
القصة ادعى الوصيان أن الميت باع
منهما الاناء والورثة أنكروا فكان

عن السدى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم الى قوله ذوا عدل منكم قال هذا فى الوصية عند الموت
يوصى و يشهد رجلين من المسلمين على ماله وعليه قال هذا فى الحضر أو آخران من غيركم
فى السفر ان أنتم ضربتم فى الارض فأصابتكم مصيبة الموت هذا الرجل يدركه الموت فى سفره
وليس بحضرته أحد من المسلمين فيدعو رجلين من اليهود والنصارى والمجوس فيوصى
اليهما و يدفع اليهما ميراثه فيقبلان به فان رضى أهل الميت الوصية وعرفوا مال صاحبهم
تركوا الرجلين وان ارتابوا رفعوهما الى السلطان فذلك قوله تحبسونهما من بعد الصلاة ان ارتبتم
قال عبد الله بن عباس كأنى أنظر الى العلجين حين انتهى بهما الى أبى موسى الاشعرى فى داره
ففتح الصحيفة فأنكر أهل الميت وخونوهما فأراد أبو موسى أن يستحلفهما بعد العصر فقلت له
انهما لا يباليان صلاة العصر ولكن استحلفهما بعد صلاة دينهما فيوقف الرجلان بعد
صلاتهما فى دينهما و يحلفان بالله لا نشترى به ثمنا قليلا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن
الآثمين ان صاحبهم لبهذا أوصى وان هذه لتركته فيقول لهما الامام قبل أن يحلفا انكما ان
كتمتما أو خنتما فضحتكما فى قومكما ولم تجز لكما شهادة وعاقبتكما فاذا قال لهما ذلك فان
ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها * وأولى القولين فى ذلك بالصواب عندنا قول من قال
تحبسونهما من بعد صلاة العصر لان الله تعالى عرّف الصلاة فى هذا الموضع بادخال الالف
واللام فيها ولا تدخلهما العرب الا فى معروف اما فى جنس أو فى واحد معهود معروف عند
المتخاطبين فاذ كان كذلك وكانت الصلاة فى هذا الموضع مجمعا على أنه لم يعن بها جميع الصلوات
لم يجز أن يكون مرادا بها صلاة المستحلف من اليهود والنصارى لأن لهم صلوات ليست واحدة
فيكون معلوما أنها المعنية بذلك واذ كان ذلك كذلك صح أنها صلاة بعينها من صلوات
المسلمين واذ كان ذلك كذلك وكان النبى صلى الله عليه وسلم صحيحا عنه أنه اذ لاعن بين
العجلانيين لاعن بينهما بعد العصر دون غيرها من الصلوات كان معلوما أن التى عنيت بقوله
تحبسونهما من بعد الصلاة هى الصلاة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخيرها الاستحلاف
من أراد تغليظ اليمين عليه هذا مع ما عند أهل الكفر بالله من تعظيم ذلك الوقت وذلك لقربه من
غروب الشمس وكان ابن زيد يقول فى قوله لا نشترى به ثمنا ما حدثنى به يونس بن عبد الاعلى
قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا نشترى به ثمنا قال نأخذ به رشوة * القول
فى تأويل قوله (ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة
قراء الامصار ولا نكتم شهادة الله باضافة الشهادة الى الله وخفض اسم الله تعالى يعنى لا نكتم
شهادة الله عندنا وذكر عن الشعبى أنه كان يقرؤه كالذى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة
عن ابن عون عن عامر أنه كان يقرأ ولا نكتم شهادة آلله انا اذا لمن الآثمين بقطع الالف وخفض
اسم الله هكذا حدثنا به ابن وكيع وكأن الشعبى وجه معنى الكلام الى أنهما يقسمان بالله
لا نشترى به ثمنا ولا نكتم شهادة عندنا ثم ابتدأ يمينا باستفهام بالله انهما ان اشتريا بأيمانهما ثمنا
أو كتما شهادته عندهما لمن الآثمين وقد روى عن الشعبى فى قراءة ذلك رواية تخالف هذه
الرواية وذلك ما حدثنى أحمد بن يوسف التغلبى قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا عباد بن
عباد عن ابن عون عن الشعبى أنه قرأ ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين قال أحمد قال أبو عبيد
تنون شهادة ويخفض الله على الاتصال قال وقد رواها بعضهم بقطع الالف على الاستفهام
وخفض انا القراءة الشعبى بترك الاستفهام وقرأها بعضهم ولا نكتم شهادة الله بتنوين الشهادة
ونصب اسم الله بمعنى ولا نكتم الله شهادة عندنا * وأولى القراآت فى ذلك عندنا بالصواب قراءة

اليمين حقا لهم ومن قرأ الاولين على
الجمع فعلى أنه نعت للذين استحق عليهم
أو منصوب على المدح ومعنى الاولية
التقدم على الاجانب فى الشهادة أو
التقدم فى الذكر فى قوله يا أيها الذين
آمنوا وكذلك اثنان ذوا عدل منكم
ذكرا قبل قوله أو آخران من غيركم
ومن قرأ استحق على البناء للفاعل
عليهم الاوليان فقد قال فى الكشاف
معناه من الورثة الذين استحق
عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة
أن يجردوهما للقيام بالشهادة
و يظهروا بهما كذب الكاذبين
وفى التفسير الكبير أن الوصيين
اللذين ظهرت خيانتهما هما أولى
من غيرهما بسبب أن الميت عينهما
للوصية ولما خانا فى مال الوصية صح
أن يقال ان الورثة قد استحق عليهم
الاوليان أى خان فى مالهم الاوليان
روى أنه لما نزلت الآية الاولى صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة
العصر ودعا بعدى وتميم فاستحلفهما
عند المنبر بالله الذى لا اله الا هو انه لم
يوجد منا خيانة فى هذا المال فخلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبيلهما وكتما الاناء مدة ثم باعاه
فوجد بمكة وقيل لما طالت المدة
أظهراه فبلغ ذلك ورثته فطلبوه
منهما فقالا كنا قد اشتريناه فقالوا
ألم نقل لكم هل باع صاحبنا شيأ فقلتم
لا فقالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا
أن نقر وكتمنا فرفعوا القصة الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأنزل الله تعالى فان عثر على أنهما
استحقا الآية فقام عمرو بن العاص
والمطلب بن وداعة فحلفا بالله بعد

من قرأ ولا نكتم شهادة الله باضافة الشهادة الى اسم الله وخفض اسم الله لانها القراءة المستفيضة في قراءة الامصار التي لا يتناكر صحتها الامة وكان ابن زيد يقول في معنى ذلك ولا نكتم شهادة الله وان كان صاحبها بعيدا حدثني بذلك يونس قال أخبرنا ابن زيد عنه ❊ القول في تأويل قوله ﴿فان عثر على أنهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان﴾ يعني تعالى ذكره بقوله فان عثر فان اطلع فيهما أو ظهر وأصل العثر الوقوع على الشئ والسقوط عليه ومن ذلك قولهم عثرت اصبع فلان بكذا اذا صدمته وأصابته ووقعت عليه ومنه قول الاعشى ميمون بن قيس

بذات لوث عفرناة اذا عثرت ❊ فالتعس أدنى لها من أن أقول لعا

يعني بقوله عثرت أصاب ميسم خفها حجرا أو غيره ثم يستعمل ذلك في كل واقع على شئ كان عنه خفيا كقولهم عثرت على الغزل بأخرة فلم تدع بنجد قردة بمعنى وقعت وأما قوله على أنهما استحقا اثما فانه يقول تعالى ذكره فان اطلع من الوصيين اللذين ذكر الله أمرهما في هذه الآية بعد حلفهما بالله لا نشتري بأيماننا ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله على أنهما استحقا اثما يقول على أنهما استوجبا بأيمانهما التي حلفا بها اثما وذلك أن يطلع على أنهما كانا كاذبين في أيمانهما بالله ما خنا ولا بدلنا ولا غيرنا فان وجدا قد خانا من مال الميت شيأ أو غيرا وصيته أو بدلا فأثما بذلك من حلفهما بربهما فآخران يقومان مقامهما يقول يقوم حينئذ مقامهما من ورثة الميت الأوليان الموصى اليهما وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير أو آخران من غيركم قال اذا كان الرجل بأرض الشرك فأوصى الى رجلين من أهل الكتاب فانهما يحلفان بعد العصر فاذا اطلع عليهما بعد حلفهما أنهما خانا شيأ حلف أولياء الميت انه كان كذا وكذا ثم استحقوا حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن مغيرة عن ابراهيم بمثله حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله أو آخران من غيركم من غير المسلمين تحبسونهما من بعد الصلاة فان ارتيب في شهادتهما استحلفا بعد الصلاة بالله ما اشترينا بشهادتنا ثمنا قليلا وان اطلع الأولياء على أن الكافرين كذبا في شهادتهما قام رجلان من الأولياء فحلفا بالله ان شهادة الكافرين باطلة وانا لم نعتد فذلك قوله فان عثر على أنهما استحقا اثما يقول ان اطلع على أن الكافرين كذبا فآخران يقومان مقامهما يقول من الاولياء فحلفا بالله ان شهادة الكافرين باطلة وانا لم نعتد فترد شهادة الكافرين وتجوز شهادة الاولياء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان عثر على أنهما استحقا اثما أي اطلع منهما على خيانة أنهما كذبا أو كتما واختلف أهل التأويل في المعنى الذي له حكم الله تعالى ذكره على الشاهدين بالأيمان فنقلها الى الآخرين بعد أن عثر عليهما أنهما استحقا اثما فقال بعضهم انما ألزمهما اليمين اذا ارتيب في شهادتهما على الميت في وصيته أنه أوصى لغير الذي يجوز في حكم الاسلام وذلك أن يشهد أنه أوصى بماله كله أو أوصى أن يفضل بعض ولده ببعض ماله ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت الى قوله ذوا عدل منكم من أهل الاسلام أو آخران من غيركم من غير أهل الاسلام ان أنتم ضربتم في الارض الى فيقسمان بالله يقول فيحلفان بالله بعد الصلاة فان حلفا على شئ يخالف ما أنزل الله تعالى من الفريضة يعني اللذين ليسا من أهل الاسلام فآخران يقومان مقامهما من أولياء الميت

العصر لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا في طلب هذا المال وفي نسبتهم الى الكذب والخيانة فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الاناء اليهما والى أولياء الميت وكان تميم الداري يقول بعد اسلامه صدق الله وصدق رسوله أنا أخذت الاناء فأتوب الى الله تعالى وعن ابن عباس انه بقيت تلك الواقعة مخفية الى أن أسلم تميم الداري فقال حلفت كاذبا وقد بعت الاناء أنا وصاحبي بألف وقسمنا الثمن ثم دفع خمسمائة من نفسه ونزع من صاحبه خمسمائة أخرى ودفع الالف الى أولياء الميت ذلك الحكم الذي شرعناه والطريق الذي نهجناه أقرب الى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أي كما هو في الواقع أو يخافوا أن ترد في مثل هذه القضية أيمان على الورثة بعد أيمانهم وهذا تفسير من يرى رد اليمين وأما من لا يرى ذلك فالمعنى عنده أن تكرر أيمان شهود آخرين لانقلاب المدعى عليه مدعيا وعلى التقديرين يظهر كذبهم والحاصل أن هذا الحكم يصير باعثا للشهود على أداء حق الشهادة للداعي أو الصارف واتقوا الله في الأيمان واسمعوا مواعظه سماع قبول والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن مناهج شرائعه وأحكامه وفيه من الوعيد ما فيه قال المفسرون هذه الآية في غاية الصعوبة اعرابا ونظما وحكما وروى الواحدي في البسيط عن عمر بن الخطاب أن هذه الآية أعضل ما في هذه السورة من الاحكام ولهذا ذهب أكثر الفقهاء الى أن حكم هذه الآية منسوخ ثم انه سبحانه ختم الاحكام بوصف

فيحلفان بالله ما كان صاحبنا ليوصى بهذا أو انهما الكاذبان ولشهادتنا أحق من شهادتهما
حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال يوقف
الرجلان بعد صلاتهما في دينهما يحلفان بالله لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله
انا اذا لمن الآثمين ان صاحبكم لبهذا أوصى وان هذه لتركته فاذا شهدا وأجاز الامام شهادتهما على
ما شهدا قال لاولياء الرجل اذهبوا فاضربوا في الارض واسألوا عنهما فان أنتم وجدتم عليهما
خيانة أو أحدا يطعن عليهما رددنا شهادتهما فينطلق الاولياء فيسألون فان وجدوا أحدا يطعن
عليهما أو هما غير مرضيين عندهم أو اطلع على أنهما خانا شيأ من المال وجدوه عندهما أقبل
الاولياء فشهدوا عند الامام وحلفوا بالله لشهادتنا أنهما لخائنان متهمان في دينهما مطعون
عليهما أحق من شهادتهما بما شهدا وما اعتدينا فذلك قوله فان عثر على أنهما استحقا اثما
فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان وقال آخرون بل انما ألزم الشاهدان
اليمين لانهما ادعيا أنه أوصى لهما ببعض المال وانما ينقل الى الآخرين من أجل ذلك اذا
ارتابوا بدعواهما ذكر من قال ذلك حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث
ابن سعد قال ثنا اسحق بن سويد عن يحيى بن يعمر في قوله تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان
بالله قال زعما أنه أوصى لهما بكذا وكذا فان عثر على أنهما استحقا اثما أى بدعواهما لانفسهما
فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان ان صاحبنا لم يوص اليكما بشئ مما
تقولان * والصواب من القول في ذلك عندنا أن الشاهدين ألزما اليمين في ذلك باتهام ورثة
الميت اياهما فيما دفع اليهما الميت من ماله ودعواهم قبلهما خيانة مال معلوم المبلغ ونقلت بعد
الى الورثة عند ظهور الريبة التى كانت من الورثة فيهما وصحة التهمة عليهما بشهادة شاهد عليهما
أو على أحدهما فيحلف الوارث حينئذ مع شهادة الشاهد عليهما أو على أحدهما انما صحح
دعواه اذ حقق حقه أو الاقرار يكون من الشهود ببعض ما ادعى عليهما الوارث أو بجميعه
ثم دعواهما في الذى أقرا به من مال الميت ما لا يقبل فيه دعواهما الا ببينة ثم لا يكون لهما على
دعواهما تلك بينة فينقل حينئذ اليمين الى أولياء الميت وانما قلنا ذلك أولى الاقوال في ذلك
بالصحة لانا لا نعلم من أحكام الاسلام حكما يجب فيه اليمين على الشهود ارتيب بشهادتهما أو لم
يرتب بها فيكون الحكم في هذه الشهادة نظيرا لذلك ولم نجد ذلك كذلك صح بخبر عن الرسول
صلى الله عليه وسلم ولا باجماع من الامة لان استحلاف الشهود في هذا الموضع من حكم الله
تعالى فيكون أصلا مسلما والقول اذا خرج من أن يكون أصلا أو نظيرا لاصل فيما تنازعت
فيه الامة كان واضحا فساده واذا فسد هذا القول بما ذكرنا فالقول بأن الشاهدين استحلفا
من أجل أنهما ادعيا على الميت وصية لهما بمال من ماله أفسد من أجل أن أهل العلم لا خلاف
بينهم في أن من حكم الله تعالى أن مدعيا لو ادعى في مال ميت وصية أن القول قول ورثة المدعى
في ماله الوصية مع أيمانهم دون قول مدعى ذلك مع يمينه وذلك اذا لم يكن للمدعى بينة وقد جعل
الله تعالى اليمين في هذه الآية على الشهود اذا ارتيب بهما وانما نقل الايمان عنهم الى أولياء الميت
اذا عثر على أن الشهود استحقوا اثما في أيمانهم فمعلوم بذلك فساد قول من قال ألزم اليمين الشهود
لدعواهم لانفسهم وصية أوصى بها لهم الميت من ماله على أن ما قلنا في ذلك عن أهل التأويل
هو التأويل الذى وردت به الاخبار عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قضى به حين نزلت هذه الآية بين الذين نزلت فيهم وبسببهم ذكر من قال ذلك
حدثني ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن يحيى بن أبي زائدة عن محمد بن أبي القاسم عن

عبد

أحوال القيامة وذكر بعض
ما سيجرى هنالك من الخطاب والعتاب
جريا على عادته في هذا الكتاب
من خلط التكاليف بالالهيات
والنبوات وأحوال المعاد فقال (يوم
يجمع الله الرسل) قال الزجاج تقديره
واتقوا الله يوم كذا الا على أنه ظرف
لانهم غير مأمورين بالتقوى في ذلك
اليوم ولكن على أنه بدل اشتمال من
اسم الله ويجوز أن يكون ظرفا لقوله
لا يهدى أى لا يهديهم طريق
الجنة يومئذ أو منصوبا باضمار
اذكر أو ظرفا لما يجئ بعده وهو
قالوا وعلى هذين الوجهين تكون
الآية منقطعة عما قبلها وماذا
منصوب بأجبتم ولكن انتصاب
المصدر على معنى أى اجابة أجبتم
ولو أريد الجواب لقيل بماذا أجبتم
وفائدة السؤال توبيخ قومهم كما
كان سؤال الموؤدة توبيخا للوائد
ثم ظاهر قوله لا علم لنا يدل على أن
الانبياء لا يشهدون لامهم فالجمع
بين هذا وبين قوله فكيف اذا جئنا
من كل أمة بشهيد الآية مشكل
فقال جمع من المفسرين ان للقيامة
زلازل وأهوالا تزيل العقول
فالانبياء عندها ينسون أكثر
الامور فهنالك يقولون لا علم لنا
واذا عادت اليهم عقولهم شهدوا للامم
ولا يرد عليه قوله لا يحزنهم
الفزع الاكبر ألا ان أولياء الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لان
مواقف القيامة مختلفة ولان عدم
الخوف في العاقبة لا ينافي الحيرة
والدهشة أولا وقال آخرون المراد
منه المبالغة في توبيخ الكفرة وان
ذلك هو المقصود من السؤال كما

عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس قال خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري
وعدي بن بداء فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة مخوصا
بالذهب فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وجد الجام بمكة فقالوا اشتريناه من تميم الداري
وعدي بن بداء فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا لشهادتنا أحق من شهادتهما وان الجام
لصاحبهم قال وفيهم أنزلت يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم **حدثنا** الحسن بن أبي شعيب
الحراني قال ثنا محمد بن سلمة الحراني قال ثنا محمد بن اسحق عن أبي النضر عن زاذان مولى أم
هانئ ابنة أبي طالب عن ابن عباس عن تميم الداري في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم
اذا حضر أحدكم الموت قال برئ الناس منها غيري وغير عدي بن بداء وكانا نصرانيين يختلفان الى
الشام قبل الاسلام فأتيا الشام لتجارتهما وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل بن أبي مريم
بتجارة ومعه جام فضة يريد به الملك وهو عظم تجارته فمرض فأوصى اليهما وأمرهما أن يبلغا ما ترك
أهله قال تميم فلما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بألف درهم فقسمناه أنا وعدي بن بداء فقلنا
ما ترك غير هذا وما دفع الينا غيره قال تميم فلما أسلمت بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة تأثمت من ذلك فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر وأديت اليهم خمسمائة درهم وأخبرتهم
أن عند صاحبي مثلها فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم البينة فلم يجدوا فأمرهم أن
يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه فحلف فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم الى
قوله أن ترد أيمان بعد أيمانهم فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا فنزعت الخمسمائة
من عدي بن بداء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة
وابن سيرين وغيره قال وثنا الحجاج عن ابن جريج عن عكرمة دخل حديث بعضهم في بعض
يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم الآية قال كان عدي وتميم الداري وهما من لخم نصرانيان يتجران
الى مكة في الجاهلية فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حولا متجرهما الى المدينة فقدم ابن أبي
مارية (١) مولى عمرو بن العاص المدينة وهو يريد الشام تاجرا فخرجوا جميعا حتى اذا كانوا
ببعض الطريق مرض ابن أبي مارية فكتب وصيته بيده ثم دسها في متاعه ثم أوصى اليهما فلما مات
فتحا متاعه فأخذا ما أرادا ثم قدما على أهله فدفعا ما أرادا ففتح أهله متاعه فوجدوا كتابه وعهده
وما خرج به وفقدوا شيأ فسألوهما عنه فقالوا هذا الذي قبضناه ودفع الينا قال لهما أهله فباع
شيأ أو ابتاعه قالا لا قالوا فهل استهلك من متاعه شيأ قالا لا قالوا فهل تجر تجارة قالا لا قالوا فانا
فقدنا بعضه فاتهما فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا
شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت الى قوله انا اذا لمن الآثمين قال فأمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يستحلفوهما في دبر صلاة العصر بالله الذي لا اله الا هو ما قبضناه غير هذا ولا كتمنا قال
فمكثنا ما شاء الله أن نمكث ثم ظهر معهما على اناء من فضة منقوش مموه بذهب فقال أهله هذا
من متاعه قالا نعم ولكنا اشتريناه منه ونسينا أن نذكره حين حلفنا فكرهنا أن نكذب أنفسنا
فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية الاخرى فان عثر على أنهما استحقا اثما
فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلين من أهل الميت أن يحلفا على ما كتما وغيبا ويستحقانه ثم ان تميما الداري أسلم وبايع
النبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول صدق الله ورسوله أنا أخذت الاناء **حدثني** يونس قال

(١) قوله ابن أبي مارية ويقال له ابن أبي مريم كما تقدم كذا في الشهاب كتبه مصححه

يقول الواحد لغيره ما تقول في فلان
فيقول أنت أعلم به مني فكأنك
قلت لا يحتاج فيه الى الشهادة
لظهوره وفيه مع التوبيخ اظهار
لتشكي الانبياء ممن كذبوهم وعادوهم
وقال ابن عباس نفوا العلم عن
أنفسهم عند علام الغيوب ليعلم أن
علمهم هنالك كلا علم وقيل المراد
نفي العلم بخاتمة أحوالهم وما كان
منهم بعد وفاتهم وانما الامور
بخواتيمها وقال في التفسير الكبير
ان الذي عرفوه منهم في الدنيا كان
مبنيا على ظاهر أحوالهم كما قال
نحن نحكم بالظاهر وكان ظنا غالبا
والاحكام في الآخرة مبنية على
حقائق الامور وبواطنها فلهذا
نفوا العلم فان الظن لا عبرة به في
القيامة مع أن السكوت وتفويض
الامر الى الاعلم الاعدل أقرب الى
الادب وقرئ علام الغيوب بالنصب
على أن الكلام قد تم عند قوله
أنت أي أنت الموصوف بالجلال
والكبرياء ثم نصب علام الغيوب
على الاختصاص أو على النداء
ثم عدد أنواع نعمه على عيسى عليه
السلام واحدة فواحدة تنبيها على
أنه عبد وليس باله وتوبيخا للمتمردين
من الامم وأولى الامم بذلك النصارى
الطاعنون في ذات الله سبحانه
باتخاذ الصاحبة والولد وموضع اذ
قال رفع بالابتداء على معنى ذلك
اذ قال الله أو نصب باضمار اذكر
أو هو بدل من يوم يجمع وانما ذكر
القول بلفظ الماضي دلالة على قرب
القيامة حتى كأنها قد قامت ووقعت
كما يقال الجيش قد أتى اذا قرب

وماله وذلك مذهب صحيح وقراءة غير مدفوعة صحتها غير أنا نختار الاخرى لاجماع الحجة من
القراء عليها مع موافقتها التأويل الذى ذكرنا عن الصحابة والتابعين **حدثنا** ابن وكيع قال
ثنا يحيى بن آدم عن اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى عبد الرحمن وكريب عن على أنه كان يقرأ
من الذين استحق عليهم الاوليان **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا مالك بن اسمعيل عن حماد بن
زيد عن واثل مولى أبى عيينة عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبى بن كعب أنه كان يقرأ
من الذين استحق عليهم الاوليان وأما أولى القراآت بالصواب فى قوله الاوليان عندى فقراءة
من قرأ الاوليان بصحة معناها وذلك لان معنى فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق فيهم
الاثم ثم حذف الاثم وأقيم مقامه الاوليان لانهما هما اللذان ظلما وأثما فيهما بما كان من خيانة
اللذين استحقا الاثم وعثر عليهما بالخيانة منهما فيما كان ائتمنهما عليه الميت كما قد بينا فيما مضى
من فعل العرب مثل ذلك من حذفهم الفعل اجتزاء بالاسم وحذفهم الاسم اجتزاء بالفعل ومن ذلك
ما قد ذكرنا فى تأويل هذه القصة وهو قوله شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان
ومعناه أن يشهد اثنان وكما قال فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشترى به ثمنا فقال به فعاد بالهاء على
اسم الله وانما المعنى لا نشترى بقسمنا بالله فاجتزئ بالعود على اسم الله بالذكر والمراد به لا نشترى
بالقسم بالله استغناء بفهم السامع بمعناه عن ذكر اسم القسم وكذلك اجتزئ بذكر الاوليين
من ذكر الاثم الذى استحقه الخائنان لخيانتهما اياهما اذ كان قد جرى ذكر ذلك بما أغنى السامع
عند سماعه اياه عن اعادته وذلك قوله فان عثر على أنهما استحقا اثما وأما الذين قرؤا ذلك
الاولين فانهم قصدوا فى معناه الى الترجمة به عن الذين فأخرجوا ذلك على وجه الجمع اذ كان الذين
جمعا وخفضا اذ كان الذين مخفوضا وذلك وجه من التأويل غير أنه انما يقال للشئ أول اذا كان له
آخر هو له أول وليس للذين استحق عليهم الاثم آخر هم له أول بل كانت أيمان الذين عثر على أنهما
استحقا اثما قبل أيمانهم فهم الى أن يكونوا اذ كانت أيمانهم آخرا أولى أن يكونوا آخرين من أن
يكونوا أولين وأيمانهم آخرة لاولى قبلها وأما القراءة التى حكيت عن الحسن فقراءة عن قراءة الحجة
من القراء شاذة وكفى بشذوذها عن قراءتهم دليلا على بعدها من الصواب واختلف أهل العربية
فى الرافع لقوله الاوليان اذا قرئ كذلك فقال بعض نحويى البصرة يزعم أنه رفع ذلك بدلا من آخران
فى قوله فآخران يقومان مقامهما وقال انما جاز أن يبدل الاوليان وهو معرفة من آخران وهو نكرة
لانه حين قال يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم كان كأنه قد حدهما حتى صارا كالمعرفة فى
المعنى فقال الاوليان فأجرى المعرفة عليهما بدلا قال ومثل هذا مما يجرى على المعنى كثير واستشهد
لصحة قوله ذلك بقول الراجز

علىّ يوم يملك الامورا * صوم شهور وجبت نذورا * وبادنا مقلدا منحورا

قال فجعله علىّ واجب لانه فى المعنى قد أوجب * وكان بعض نحويى الكوفة ينكر ذلك ويقول
لا يجوز أن يكون الاوليان بدلا من آخران من أجل أنه قد نسق فيقسمان على يقومان فى قوله
فآخران يقومان فلم يتم الخبر عند من قال لا يجوز الابدال قبل اتمام الخبر كما قال غير جائز مررت برجل
قام زيد وقعد وزيد بدل من رجل والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال الاوليان مرفوعان
بما لم يسم فاعله وهو قوله استحق عليهم وأنهما موضع الخبر عنهما فعمل فيهما ما كان عاملا فى الخبر
عنهما وذلك أن معنى الكلام فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاثم بالخيانة
فوضع الاوليان موضع الاثم كما قال تعالى فى موضع آخر أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد
الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر ومعناه أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كايمان

شك فى اقتدار الله تعالى وأجيب
بوجوه منها أن حكاية الايمان
عنهم لا يوجب كمالهم واخلاصهم
فى ذلك ولهذا قال لهم عيسى اتقوا
الله ان كنتم مؤمنين ومنها أنهم
طلبوا مزيد الايقان والطمأنينة
ولهذا قالوا وتطمئن قلوبنا ومنها
أنهم أرادوا هل هو جائز فى الحكمة
أم لا وهذا على أصول المعتزلة من
وجوب رعاية الاصلح أو أرادوا هل
قضى بذلك وعلم وقوعه أم لا فان
خلاف معلومه غير مقدور وهذا
عند الاشاعرة ومنها قول السدى
ان السين زائدة وكذا التاء أى هل
يطيع ربك ومنها لعل المراد بالرب
جبريل لانه كان يربيه ومنها أن
المراد بالاستفهام التقرير كمن
يأخذ بيد ضعيف ويقول هل
يقدر السلطان على اشباع هذا
يريد أن ذلك أمر جلى لا يجوز
للعاقل أن يشك فيه قال الزجاج
المائدة فاعلة من ماد يميد اذا تحرك
فكأنها تميد بما عليها وذلك أنها
لا تسمى مائدة الا اذا كان عليها
طعام واذا لم يكن عليها طعام فهى
خوان وقال ابن الانبارى هى من
ماده اذا أعطاه كأنها تعطى من
تقدم اليه وقال أبو عبيدة هى بمعنى
مفعولة مثل عيشة راضية أى
مرضية كأن صاحبها أعطاها
الحاضرين قال عيسى اتقوا الله فى
تعيين المعجزة فانه كالتحكم وأيضا
فاقتراح معجزة بعد ظهور معجزات
كثيرة تعنت أو أمرهم بالتقوى
ليتوسلوا بها الى المطلوب ومن يتق
الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب فأجاب الحواريون

من آمن بالله واليوم الآخر وكما قال وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم وكما قال بعض الهذليين

يمشى بيننا حانوت خمر * من الخرس الصراصرة القطاط

وهو يعنى صاحب حانوت خمر فأقام الحانوت مقامه لانه معلوم أن الحانوت لا يمشى ولكن لما كان معلوما عنده أنه لا يخفى على سامعه ماقصد اليه من معناه حذف الصاحب واجتزأ بذكر الحانوت منه فكذلك قوله من الذين استحق عليهم الأوليان انما هو من الذين استحق فيهم خيانتهما فحذفت الخيانة وأقيم المختانان مقامها فعمل فيهما ما كان يعمل فى المحذوف لو ظهر وأما قوله عليهم فى هذا الموضع فان معناها فيهم كما قال تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان يعنى فى ملك سليمان وكما قال ولأصلبنكم فى جذوع النخل ففى توضع موضع على وعلى فى موضع فى كل واحدة منهما تعاقب صاحبتها فى الكلام ومنه قول الشاعر

متى ما تنكروها تعرفوها * على أقطارها علق نفيث

وقد تأولت جماعة من أهل التأويل قول الله تعالى فان عثر على أنهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان أنهما رجلان آخران من المسلمين أو رجلان أعدل من المقسمين الاولين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود بن أبى هند عن عامر عن شريح فى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم قال اذا كان الرجل بأرض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته فأشهد يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا فشهادتهم جائزة فان جاء رجلان مسلمان فشهدا بخلاف شهادتهم أجيزت شهادة المسلمين وأبطلت شهادة الآخرين حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان عثر أى اطلع منهما على خيانة على أنهما كذبا أو كتما فشهد رجلان هما أعدل منهما بخلاف ما قالا أجيزت شهادة الآخرين وأبطلت شهادة الاولين حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن عبد الملك عن عطاء قال كان ابن عباس يقرأ من الذين استحق عليهم الاولين وقال كيف يكون الاوليان أرأيت لو كان الاوليان صغيرين حدثنا هناد وابن وكيع قالا ثنا عبدة عن عبد الملك عن عطاء عن ابن عباس قال كان يقرأ من الذين استحق عليهم الاولين قال وقال أرأيت لو كان الاوليان صغيرين كيف يقومان مقامهما * قال الامام أبو جعفر فذهب ابن عباس فيما أرى الى نحو القول الذى حكيت عن شريح وقتادة من أن ذلك رجلان آخران من المسلمين يقومان مقام النصرانيين أو عدلان من المسلمين هما أعدل وأجوز شهادة من الشاهدين الاولين أو المقسمين وفى اجماع جميع أهل العلم على أن لا حكم لله تعالى يجب فيه على شاهد يمين فيما قام به من الشهادة دليل واضح على أن غير هذا التأويل الذى قاله الحسن ومن قال بقوله فى قول الله تعالى فآخران يقومان مقامهما أولى به وأما قوله الاوليان فان معناه عندنا الأولى بالميت من المقسمين الاولين فالاولى وقد يحتمل أن يكون معناه الاولى باليمين منهما فالاولى ثم حذف فيهما والعرب تفعل ذلك فتقول فلان أفضل وهى تريد أفضل منك وذلك اذا وضع أفعل موضع الخبر وان وقع موقع الاسم وأدخلت فيه الالف واللام فعلوا ذلك أيضا اذا كان جوابا لكلام قد مضى فقالوا هذا الافضل وهذا الاشرف يريدون هو الاشرف منك وقال ابن زيد معنى ذلك الاوليان بالميت حدثنى يونس عن ابن وهب عنه

القول فى تأويل قوله ﴿ فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ﴾ يقول تعالى ذكره فيقسم الآخران اللذان يقومان مقام اللذين عثر على أنهما استحقا اثما بخيانتهما مال الميت الاوليان باليمين والميت من الخائنين لشهادتنا أحق من شهادتهما يقول لأيماننا أحق من أيمان المقسمين المستحقين الاثم وأيمانهما

بأنا لا نطلب هذه المعجزة بمجردها ولكنا نريد أن نأكل منها فان الجوع قد غلب علينا ولا نجد طعاما آخر فقد يروى أنهم سألوها فى مفازة على غير ماء ولا طعام وأن نزداد يقينا وعرفانا وطمأنينة فان التى شاهدناها منك معجزات أرضية وهذه سماوية فتكون أعجب وأغرب وأن نعلم صدقك فى دعوى النبوة أو فيما وعدتنا وذلك أنه كان قال لهم صوموا ثلاثين يوما واذا تم صومكم فكل ما سألتموه الله تعالى فانه يعطيكم واذا شاهدنا المعجزة كنا عليها من الشاهدين للذين لم يحضروها من بنى اسرائيل أو نكون من الشاهدين لله تعالى بالقدرة ولك بالنبوة تكون لنا عيدا صفة للمائدة أو استئناف وقرئ بالجزم جوابا للأمر كان نزولها يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا والعيد ما يعود اليك فى وقت معلوم ومنه العيد لانه يعود كل سنة بفرح جديد لأولنا وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل أى لمن فى زماننا من أهل ديننا ولمن يأتى بعدنا أو يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم أو للمتقدمين منا والاتباع وقرئ لأولانا وأخرانا بمعنى الامة أو الجماعة فقول عيسى ربنا ابتداء بذكر الحق وأنزل علينا انتقال من الذات الى الصفات وقوله تكون لنا عيدا اشارة الى ابتهاج الروح بالنعمة لا من حيث انها نعمة بل من حيث انها صادرة عن المنعم وقوله وآية منك اشارة الى كون المائدة دليلا لاصحاب النظر

الكاذبة فى أنهما قد خانا فى كذا وكذا من مال ميتنا وكذا فى أيمانهما التى حلفا بها وما اعتدينا يقول وما تجاوزنا الحق فى أيماننا وقد بينا أن معنى الاعتداء المجاوزة فى الشئ حده انا اذا لمن الظالمين يقول انا ان كنا اعتدينا فى أيماننا فحلفنا مبطلين فيها كاذبين لمن الظالمين يقول لمن عدا ومن يأخذ ما ليس له أخذه ويقتطع بأيمانه الفاجرة أموال الناس ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك هذا الذى قلت لكم فى أمر الأوصياء اذا ارتبتم فى أمرهم واتهمتموهم بخيانة لمال من أوصى اليهم من حبسهم بعد الصلاة واستحلافكم اياهم على ما ادعى قبلهم أولياء الميت أدنى لهم أن يأتوا بالشهادة على وجهها يقول هذا الفعل اذا فعلتم بهم أقرب لهم أن يصدقوا فى أيمانهم ولا يكتموا ويقروا بالحق ولا يخونوا أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم يقول أو يخاف هؤلاء الاوصياء ان عثر عليهم أنهم استحقوا اثما فى أيمانهم بالله أن ترد أيمانهم على أولياء الميت بعد أيمانهم التى عثر عليها أنها كذب فيستحقوا بها ما ادعوا قبلهم من حقوقهم فيصدقوا حينئذ فى أيمانهم وشهادتهم مخافة الفضيحة على أنفسهم وحذرا أن يستحق عليهم ما خانوا فيه أولياء الميت وورثته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وقد تقدمت الرواية بذلك عن بعضهم ونحن ذاكرو الرواية فى ذلك عن بعض من بقى منهم **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فان عثر على أنهما استحقا اثما يقول ان اطلع على أن الكافرين كذبا فآخران يقومان مقامهما يقول من الاولياء فحلفا بالله أن شهادة الكافرين باطلة وانا لم نعتد فترد شهادة الكافرين وتجوز شهادة الاولياء يقول تعالى ذكره ذلك أدنى أن يأتى الكافرون بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم وليس على شهود المسلمين اقسام وانما الاقسام اذا كانوا كافرين **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد ابن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة الآية يقول ذلك أحرى أن يصدقوا فى شهادتهم وأن يخافوا العقاب **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم قال فتبطل أيمانهم وتؤخذ أيمان هؤلاء ﴿ وقال آخرون معنى ذلك تحبسونهما من بعد الصلاة ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها وعلى أنهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال يوقف الرجلان بعد صلاتهما فى دينهما فيحلفان بالله لا نشترى به ثمنا قليلا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين ان صاحبكم لبهذا أوصى وان هذه لتركته فيقول لهما الامام قبل أن يحلفا انكما ان كنتما كتمتما أو خنتما فضحتكما فى قومكما ولم أجز لكما شهادة وعاقبتكما فان قال لهما ذلك فان ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾ يقول تعالى ذكره وخافوا الله أيها الناس وراقبوه فى أيمانكم أن تحلفوا بها كاذبة وأن تذهبوا بها مال من يحرم عليكم ماله وأن تخونوا من ائتمنكم واسمعوا يقول اسمعوا ما يقال لكم وما توعظون به فاعملوا به وانتهوا اليه والله لا يهدى القوم الفاسقين يقول والله لا يوفق من فسق عن أمر ربه فخالفه وأطاع الشيطان وعصى ربه وكان ابن زيد يقول الفاسق فى هذا الموضع هو الكاذب **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد والله لا يهدى القوم الفاسقين الكاذبين يحلفون على الكذب وليس الذى قال ابن زيد من ذلك عندى بمدفوع الا أن الله تعالى عم الخبر بأنه لا يهدى جميع الفساق ولم يخصص منهم بعضا دون بعض بخبر ولا عقل فذلك

والاستدلال وقوله وارزقنا اشارة الى حصة النفس فالحواريون قدموا غرض النفس وأخروا الاغراض الدينية وان عيسى بدأ بالاشرف حتى انتهى الى الأخس ثم قال وأنت خير الرازقين وهو عروج مرة أخرى من الخلق الى الخالق وعند هذا يظهر التفاوت بين النفوس الكاملة والناقصة والمشرقة والمظلمة اللهم اجعلنا من أهل الكمال والاشراق بعميم فضلك وجسيم طولك (منزلها) بالتخفيف والتشديد بمعنى وقيل بالتشديد للتكثير وبالتخفيف مرة واحدة (عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) قال ابن عباس يريد مسخهم خنازير وقيل قردة وقيل جنسا من العذاب لا يكون مؤخرا الى الآخرة وعذابا نصب على المصدر أى تعذيبا والضمير فى لا أعذبه للمصدر ولو أريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء فى الموضعين فقيل أعذبه بعذاب لا أعذب به أحدا وأراد بالعالمين عالمى زمانهم واختلف فى ان عيسى عليه السلام سأل المائدة لنفسه أو سألها لقومه وان كان أضافها الى نفسه فى الظاهر وكلاهما محتمل أما نزولها فقد قال مجاهد والحسن ان المائدة ما نزلت بل القوم لما سمعوا العذاب استغفروا وقالوا لا نريدها وأكدوا هذا القول بأنه وصف المائدة بكونها عيدا لأولهم وآخرهم فلو نزلت لبقى العيد الى يوم القيامة وقال جمهور المفسرين انها نزلت لانه سبحانه وعد انزالها بقوله انى منزلها عليكم ثم ان يوم نزولها كان

على معاني الفسق كلها حتى يخصص شيأ منها ما يجب التسليم له فيسلم له ثم اختلف أهل العلم في حكم هاتين الآيتين هل هو منسوخ أو هو محكم ثابت فقال بعضهم هو منسوخ ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن رجل قد سماه عن حماد عن ابراهيم قال هي منسوخة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال هي منسوخة يعني هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم الآية وقال جماعة هي محكمة وليست بمنسوخة وقد ذكرنا قول أكثرهم فيما مضى والصواب من القول في ذلك أن حكم الآية منسوخ وذلك أن من حكم الله تعالى ذكره الذي عليه أهل الاسلام من لدن بعث الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا أن من ادعى عليه دعوى مما يملكه بنو آدم أن المدعى عليه لا يبرئه مما ادعى عليه الا اليمين اذا لم يكن للمدعي بينة تصحح دعواه وأنه ان اعترف وفي يدي المدعى سلعة له فادعى أنها له دون الذي في يده فقال الذي هي في يده بل هي لي اشتريتها من هذا المدعي أن القول قول من زعم الذي هي في يده أنه اشتراها منه دون من هي في يده مع يمينه اذا لم يكن للذي هي في يده بينة تحقق به دعواه الشراء منه فاذ كان ذلك حكم الله الذي لا خلاف فيه بين أهل العلم وكانت الآيتان اللتان ذكر الله تعالى ذكره فيهما أمر وصية الموصي الى عدلين من المسلمين أو الى آخرين من غيرهم انما ألزم النبي صلى الله عليه وسلم فيما ذكر عنه الوصيين اليمين حين ادعى عليهما الورثة ما ادعوا ثم لم يلزم المدعى عليهما شيأ اذ حلفا حتى اعترفت الورثة في أيديهما ما اعترفوا من الجام أو الابريق أو غير ذلك من أموالهم فزعما أنهما اشترياه من ميتهم فحينئذ ألزم النبي صلى الله عليه وسلم ورثة الميت اليمين لان الوصيين تحولا مدعيين بدعواهما ما وجد في أيديهما من مال الميت أنه لهما اشترياه منه فصارا مقرين بالمال للميت مدعيين منه الشراء فاحتاجا حينئذ الى بينة تصحح دعواهما وورثة الميت رب السلعة أولى باليمين منهما فذلك قوله تعالى فان عثر على أنهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما الآية فاذ كان تأويل ذلك كذلك فلا وجه لدعوى مدع أن هذه الآية منسوخة لانه غير جائز أن يقضى على حكم من أحكام الله تعالى ذكره أنه منسوخ الا بخبر يقطع العذر اما من عند الله أو من عند رسوله صلى الله عليه وسلم أو بورود النقل المستفيض بذلك فأما ولا خبر بذلك ولا يدفع صحته عقل فغير جائز أن يقضى عليه بأنه منسوخ * القول في تأويل قوله (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب) يقول تعالى ذكره واتقوا الله أيها الناس واسمعوا وعظه اياكم وتذكيره لكم واحذروا يوم يجمع الله الرسل ثم حذف واحذروا واكتفى بقوله واتقوا الله واسمعوا عن اظهاره كما قال الراجز

علفتها تبنا وماء باردا * حتى غدت همالة عيناها

يريد وسقيتها ماء باردا فاستغنى بقوله علفتها تبنا من اظهار سقيتها اذ كان السامع اذا سمعه عرف معناه فكذلك في قوله يوم يجمع الله الرسل حذف واحذروا لعلم السامع معناه اكتفاء بقوله واتقوا الله واسمعوا اذ كان ذلك تحذيرا من أمر الله تعالى خلقه عقابه على معاصيه وأما قوله ماذا أجبتم فانه يعني به ما الذي أجابتكم به أممكم حين دعوتموهم الى توحيدي والاقرار بي والعمل بطاعتي والانتهاء عن معصيتي قالوا لا علم لنا اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى قولهم لا علم لنا لم يكن ذلك من الرسل انكارا أن يكونوا كانوا عالمين بما عملت أممهم ولكنهم ذهلوا عن الجواب من هول ذلك اليوم ثم أجابوا بعد أن ثابت اليهم عقولهم بالشهادة على أممهم ذكر من

عيدا لهم ولمن بعدهم ممن كان على شرعهم روى أن عيسى عليه السلام لما أراد الدعاء لبس الصوف ثم قال اللهم أنزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها وأخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قال لهم ليقم أحسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين أنت أولى بذلك فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكن شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير

قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى
يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا قال ذلك أنهم لما نزلوا منزلا ذهلت فيه العقول
فلما سئلوا قالوا لا علم لنا ثم نزلوا منزلا آخر فشهدوا على قومهم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام
عن عنبسة قال سمعت الحسن يقول في قوله يوم يجمع الله الرسل الآية قال من هول ذلك اليوم
حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن الأعمش عن مجاهد في
قوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم فيفزعون فيقول ماذا أجبتم فيقولون لا علم لنا
وقال آخرون معنى ذلك لا علم لنا إلا ما علمتنا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال
ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الأعمش عن مجاهد في قوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا
أجبتم فيقولون لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت علام الغيوب وقال آخرون معنى ذلك قالوا لا علم
لنا إلا علم أنت أعلم به منا ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال
ثنى معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا
أجبتم قالوا لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا * وقال آخرون معنى ذلك ماذا أجبتم ماذا عملوا بعدكم
وماذا أحدثوا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن
جريج قوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ماذا عملوا بعدكم وماذا أحدثوا بعدكم قالوا لا علم
لنا إنك أنت علام الغيوب * وأولى الأقوال بالصواب قول من قال معناه لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به
منا لأنه تعالى ذكره أخبر عنهم أنهم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب أي إنك لا يخفى عليك
ما عندنا من علم ذلك ولا غيره من خفي العلوم وجليها فإنما نفى القوم أن يكون لهم بما سئلوا عنه من
ذلك علم لا يعلمه هو تعالى ذكره لا أنهم نفوا أن يكونوا علموا ما شاهدوا كيف يجوز أن يكون ذلك
كذلك وهو تعالى ذكره يخبر عنهم أنهم يخبرون بما أجابتهم به الأمم وأنهم سيشهدون على تبليغهم
الرسالة شهداء فقال تعالى ذكره وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا وأما الذي قاله ابن جريج من أن معناه ماذا عملت الأمم بعدكم وماذا أحدثوا
فتأويل لا معنى له لأن الأنبياء لم يكن عندها من العلم بما تحدث بعدها إلا ما أعلمها الله من ذلك
وإذا سئلت عما عملت الأمم بعدها والأمر كذلك فإنما يقال لها ماذا عرفناك أنه كائن منهم بعدك
وظاهر خبر الله تعالى ذكره عن مسئلته إياهم يدل على غير ذلك القول في تأويل قوله ﴿إذ قال الله
يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس﴾ يقول تعالى ذكره لعباده
احذروا يوم يجمع الله الرسل فيقول لهم ماذا أجابتكم أممكم في الدنيا إذ قال الله يا عيسى بن مريم
اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس فإذ من صلة أجبتم كأن معناها ماذا أجابت
عيسى الأمم التي أرسل إليها عيسى فإن قال قائل وكيف سئلت الرسل عن إجابة الأمم إياها في عهد
عيسى ولم يكن في عهد عيسى من الرسل إلا أقل من ذلك قيل جائز أن يكون الله تعالى عنى بقوله
فيقول ماذا أجبتم الرسل الذين كانوا أرسلوا في عهد عيسى فخرج الخبر مخرج الجمع والمراد منهم
من كان في عهد عيسى كما قال تعالى الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم والمراد واحد من
الناس وإن كان مخرج الكلام على جميع الناس ومعنى الكلام إذ قال الله حين قال يا عيسى ابن
مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس يقول يا عيسى اذكر أيادي عندك
وعند والدتك إذ قويتك بروح القدس وأعنتك به وقد اختلف أهل العربية في أيدتك ما هو من
الفعل فقال بعضهم هو فعلتك كما في قولك قويتك فعلت من القوة وقال آخرون بل هو فاعلتك
من الأيد وروى عن مجاهد أنه قرأ إذ آيدتك بمعنى أفعلتك من القوة والأيد وقوله بروح القدس يعنى

بجبريل

وقيل إن عيسى عليه السلام كان
شرط عليهم أن لا يسرفوا في الأكل
ولا يدخروا فعصوا وادخروا فمسخوا
وإذ قال الله معطوف على مثله والجمهور
أن هذا القول أيضا يوم القيامة
لقوله عقيب ذلك هذا يوم ينفع
الصادقين صدقهم وقيل هذا
عند رفع عيسى عليه السلام نظرا
إلى أن إذ للماضي وقد مر توجيه ذلك
أأنت قلت استفهام بطريق الإنكار
والغرض منه توبيخ النصارى قال
بعض المشككين إن أحدا من
النصارى لم يذهب إلى القول بإلهية
عيسى عليه السلام وأمه مع القول
بنفي إلهية الله تعالى وأجيب بأن
الإله هو الخالق وأنهم يعتقدون
أن خالق المعجزات والكرامات
التي ظهرت على يد عيسى ومريم
هو عيسى ومريم وليس لقدرة الله
سبحانه في ذلك مدخل فبهذا
التأويل صح ما حكي عنهم وأقول
يشبه أن يكون المراد بقوله من دون
الله أي بعد الله فيكون التوبيخ
على التثليث أو المراد أنه لما دل
البرهان على نفي تعدد الإله فمن قال
بإلهية عيسى وأمه لزمه القول بنفي
المعبود الحق تعالى عن ذلك ولهذا
قال عيسى سبحانك أي أنزهك
تنزيها من أن يكون لك شريك ثم لم
يجب بأني قلت أو ما قلت لأن ذلك
يجري مجرى الطهارة والتبرئة بل
أجاب بقوله ما يكون أي ما ينبغي
لي أن أقول قولا لا يحق لي أن أقوله
إظهارا لغاية الخضوع والاستكانة
ثم فوض الأمر إلى علمه المحيط

بجبريل يقول اذ أعنتك بجبريل وقد بينت معنى ذلك وما معنى القدس فيما مضى بما أغنى عن
اعادته في هذا الموضع ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب
والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني
وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم
بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله لعيسى
اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس في حال تكليمك الناس في المهد وكهلا
وانما هذا خبر من الله تعالى ذكره أنه أيده بروح القدس صغيرا في المهد وكهلا كبيرا فرد الكهل
على قوله في المهد لان معنى ذلك صغيرا كما قال الله تعالى ذكره دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما
وقوله واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل يقول واذكر أيضا نعمتي عليك اذ علمتك
الكتاب وهو الخط والحكمة وهي الفهم بمعاني الكتاب الذي أنزلته اليك وهو الانجيل واذ تخلق من
الطين كهيئة الطير يقول كصورة الطير باذني يعني بقوله تخلق تعمل وتصلح من الطين كهيئة الطير
باذني يقول بعوني على ذلك وعلم مني به فتنفخ فيها يقول فتنفخ في الهيئة فتكون الهيئة والصورة
طيرا باذني وتبرئ الاكمه يقول وتشفى الاكمه وهو الاعمى الذي لا يبصر شيأ المطموس البصر
والابرص باذني وقد بينت معاني هذه الحروف فيما مضى من كتابنا هذا مفسرا بشواهده بما
أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات يقول
واذكر أيضا نعمتي عليك بكفي عنك بني اسرائيل اذ كففتهم عنك وقد هموا بقتلك اذ جئتهم
بالبينات يقول اذ جئتهم بالأدلة والاعلام المعجزة على نبوتك وحقيقة ما أرسلتك به اليهم فقال الذين
كفروا منهم يقول تعالى ذكره فقال الذين جحدوا نبوتك وكذبوك من بني اسرائيل ان هذا الا سحر
مبين * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة ان هذا
الا سحر مبين يعني يبين عما أتى به لمن رآه ونظر اليه أنه سحر لا حقيقة له وقرأ ذلك عامة قراء
الكوفة ان هذا الا ساحر مبين بمعنى ما هذا يعني به عيسى الا ساحر مبين يقول يبين بأفعاله وما يأتي
به من هذه الامور العجيبة عن نفسه أنه ساحر لا نبي صادق والصواب من القول في ذلك أنهما
قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى متفقتان غير مختلفتين وذلك أن كل من كان موصوفا بفعل
السحر فهو موصوف بأنه ساحر ومن كان موصوفا بأنه ساحر فانه موصوف بفعل السحر فالفعل
دال على فاعله والصفة تدل على موصوفها والموصوف يدل على صفته والفاعل يدل على فعله
فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب الصواب في قراءته ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ واذ أوحيت الى
الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾ يقول تعالى ذكره واذكر أيضا
يا عيسى اذ ألقيت الى الحواريين وهم وزراء عيسى على دينه وقد بينا معنى ذلك ولم قيل لهم الحواريون
فيما مضى بما أغنى عن اعادته وقد اختلفت ألفاظ أهل التأويل في تأويل قوله واذ أوحيت
وان كانت متفقة المعاني فقال بعضهم بما حدثني به محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل
قال ثنا أسباط عن السدي واذ أوحيت الى الحواريين يقول قذفت في قلوبهم * وقال آخرون
معنى ذلك ألهمتهم فتأويل الكلام اذا واذ ألقيت الى الحواريين أن صدقوا بي وبرسولي عيسى فقالوا
آمنا أي صدقنا بما أمرتنا أن نؤمن يا ربنا واشهد علينا بأننا مسلمون يقول واشهد علينا بأننا
خاضعون لك بالذلة سامعون مطيعون لأمرك * القول في تأويل قوله ﴿ اذ قال الحواريون يا عيسى
ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ﴾
يقول تعالى ذكره واذكر يا عيسى أيضا نعمتي عليك اذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي

بالكل فقال ان كنت قلته فقد
علمته ثم علل ذلك بقوله تعلم
ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك
أي تعلم معلومي ولا أعلم معلومك
وذكر النفس ثانيا لاجل المشاكلة
وهو من فصيح الكلام أو تعلم
ما أخفي ولا أعلم ما تخفي أو تعلم
ما عندي ولا أعلم ما عندك أو تعلم
ما أقول وأفعل ولا أعلم ما تقول
وتفعل عبارات للمفسرين ثم أكد
ما ذكر بقوله انك أنت علام
الغيوب أن في قوله أن اعبدوا
الله ان جعلتها مفسرة فالمفسر اما
فعل القول أو فعل الامر ولا وجه
لكليهما أما فعل القول فيحكى
بعده الكلام بلا أن فيقال ما قلت
لهم الا اعبدوا الله اللهم الا أن يقال
ان المضاف محذوف والتقدير
ما أمرتني بقوله فيكون التفسير
الصريح القول المقدر وصريح
القول المقدر كالفعل المؤول بالقول
في عدم الظهور حتى يجوز توسيط
أن وأما فعل الامر فمسند الى ضمير
الله فلو فسرته باعبدوا الله لم يستقم
لان الله لا يقول اعبدوا الله ربي
وربكم وان جعلتها مصدرية عند
من يجوز دخولها على الطلبية فان
كان بدلا من ما أمرتني والمبدل في
حكم السقوط كان المعنى ما قلت لهم
الا عبادته ولا يستقيم لان العبادة
لا تقال وان جعلته بدلا من الهاء في
به لم يصح أيضا لانه يؤل المعنى بعد
طرح المبدل الى قولك الا ما أمرتني
بأن اعبدوا الله فيبقى الموصول بلا
عائد فاذن الوجه أن يحمل فعل
القول على معناه فيكون أصل

اذ قالوا لعيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء فاذ الثانية من صلة
أوحيت واختلفت القراء في قراءة قوله يستطيع ربك فقرأ ذلك جماعة من الصحابة والتابعين هل
تستطيع بالتاء ربك بالنصب بمعنى هل تستطيع أن تسأل ربك وهل تستطيع أن تدعو ربك
أو هل تستطيع وترى أن تدعوه وقالوا لم يكن الحواريون شاكين أن الله تعالى ذكره قادر أن ينزل
عليهم ذلك وانما قالوا لعيسى هل تستطيع أنت ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن
بشر عن نافع عن ابن عمر عن ابن أبي مليكة قال قالت عائشة كان الحواريون لا يشكون أن الله قادر
أن ينزل عليهم مائدة ولكن قالوا يا عيسى هل تستطيع ربك **حدثني** أحمد بن يوسف الثعلبي قال
ثنا القاسم بن سلام قال ثنا ابن مهدي عن جابر بن يزيد بن رفاعة عن حيان بن مخارق عن سعيد
ابن جبير أنه قرأها كذلك هل تستطيع ربك وقال تستطيع أن تسأل ربك وقال ألا ترى أنهم
مؤمنون وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والعراق هل يستطيع بالياء ربك بمعنى أن ينزل علينا ربك كما
يقول الرجل لصاحبه أتستطيع أن تنهض معنا في كذا وهو يعلم أنه يستطيع ولكنه انما يريد
انتهض معنا فيه وقد يجوز أن يكون مراد قارئه كذلك هل يستجيب لك ربك ويطيعك أن تنزل
علينا وأولى القراءتين عندي بالصواب قراءة من قرأ ذلك هل يستطيع بالياء ربك برفع الرب بمعنى
هل يستجيب لك ان سألته ذلك ويطيعك فيه وانما قلنا ذلك أولى القراءتين بالصواب لما بينا قبل
من أن قوله اذ قال الحواريون من صلة اذ أوحيت وان معنى الكلام واذ أوحيت الى الحواريين أن
آمنوا بي وبرسولي اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك فبين اذ كان ذلك كذلك
أن الله تعالى ذكره قد كره منهم ما قالوا من ذلك واستعظمه وأمرهم بالتوبة ومراجعة الايمان من
قيلهم ذلك والاقرار لله بالقدرة على كل شيء وتصديق رسوله فيما أخبرهم عن ربهم من الاخبار وقد
قال عيسى لهم عند قيلهم ذلك له استعظاما منه لما قالوا اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ففي استتابة الله
اياهم ودعائه لهم الى الايمان به وبرسوله صلى الله عليه وسلم عند قيلهم ما قالوا من ذلك واستعظام نبي
الله صلى الله عليه وسلم كلمتهم الدلالة الكافية من غيرها على صحة القراءة في ذلك بالياء ورفع الرب اذ
كان لا معنى في قولهم لعيسى لو كانوا قالوا له هل تستطيع أن تسأل ربك أن ينزل علينا مائدة من
السماء أن تستكبر هذا الاستكبار فان ظن ظان أن قولهم ذلك له انما هو استعظام منهم لان ذلك منهم
كان مسألة آية فان الآية انما يسألها الانبياء من كان بها مكذبا ليتقرر عنده حقيقة ثبوتها
وصحة أمرها كما كانت مسألة قريش نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يحول لهم الصفا ذهبا
ويفجر فجاج مكة أنهارا من سأله من مشركي قومه وكما كانت مسألة صالح الناقة من مكذبي قومه
ومسألة شعيب أن يسقط كسفا من السماء من كفار من أرسل اليهم وكان الذين سألوا عيسى
أن يسأل ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء على هذا الوجه كانت مسألتهم فقد أحلهم الذين
قرؤا ذلك بالتاء ونصب الرب محلا أعظم من المحل الذي ظنوا أنهم نزهوا ربهم عنه أو يكونوا سألوا
ذلك عيسى وهم موقنون بانه لله نبي مبعوث ورسول مرسل وأن الله تعالى على ما سألوا من ذلك
قادر فان كانوا سألوا ذلك وهم كذلك وانما كانت مسألتهم اياه ذلك على نحو ما يسأل أحدهم نبيه
اذ كان فقيرا أن يسأل له ربه أن يغنيه وان عرضت به حاجة أن يسأل له ربه أن يقضيها فاني
ذلك من مسألة الآية في شيء بل ذلك سؤال ذي حاجة عرضت له الى ربه فسأل نبيه مسئلة ربه أن
يقضيها له وخبر الله تعالى عن القوم ينبئ بخلاف ذلك وذلك أنهم قالوا لعيسى **اذ قال لهم اتقوا الله**
ان كنتم مؤمنين نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا فقد أنبأ هذا عن قيلهم

المعنى ما أمرتهم الا بما أمرتني به
حتى يستقيم تفسيره بأن اعبدوا الله
ربي وربكم الا أنه وضع القول موضع
الامر رعاية للادب لئلا يجعل
نفسه وربه آمرين ودل على الاصل
بذكر أن المفسرة قال في الكشاف
ويجوز أن تكون أن مصدرية
عطف بيان للهاء لا بدلا وحينئذ
يبقى العائد بحاله وكنت عليهم شهيدا
كالشاهد على المشهود عليه أمنعهم
من التدين بما يوجب التكفير مادمت
فيهم مدة دوامي فيما بينهم فلما توفيتني
بالرفع الى السماء كنت أنت الرقيب
الحافظ عليهم المراقب لاحوالهم
وأنت على كل شيء شهيد من الشهادة
أو من الشهود بمعنى الحضور وان
تغفر لهم فيه سؤال وهو أنه كيف
جاز لعيسى هذا القول والله تعالى
لا يغفر الشرك والجواب أن قوله
لعيسى عليه السلام أأنت
قلت للناس مبني على أن قوما من
النصارى حكوا عنه هذا الكلام
والحاكي لهذا الكفر عنه لا يكون
كافرا بل يكون مذنبا فقط ولو سلم أنه
شرك فغفران الشرك جائز عندنا
وعند جمهور البصريين من المعتزلة
لان العقاب حق الله على المذنب
وليس في اسقاطه على الله تعالى
مضرة بل كلما كان الجرم أعظم كان
العفو أحسن الا أن الدليل السمعي
في شرعنا دل على أنه لا يكون
فلعل هذا الدليل السمعي لم يكن
موجودا في شرع عيسى عليه السلام
أو لعل عيسى جوز أن يكون بعضهم
قد تاب عنه أما من زعم أن هذه

أنهم لم يكونوا يعلمون أن عيسى قد صدقهم ولا اطمأنت قلوبهم الى حقيقة نبوته فلا بيان أبين من
هذا الكلام فى أن القوم كانوا قد خالط قلوبهم مرض وشك فى دينهم وتصديق رسولهم وانهم
سألوا ما سألوا من ذلك اختبارا او بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا
القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ليث عن عقيل عن ابن عباس أنه كان يحدث عن
عيسى صلى الله عليه وسلم أنه قال لبنى اسرائيل هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوما ثم تسألوه
فيعطيكم ما سألتم فان أجر العامل على من عمل له ففعلوا ثم قالوا يا معلم الخير قلت لنا ان أجر العامل
على من عمل له وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوما ففعلنا ولم نكن نعمل لأحد ثلاثين يوما الا أطعمنا
حين نفرغ طعاما فهل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال عيسى اتقوا الله ان كنتم
مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين الى
قوله لا أعذبه أحدا من العالمين قال فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء عليها سبعة أحوات
وسبعة أرغفة حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم حدثنى محمد
ابن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى هل يستطيع ربك أن ينزل
علينا مائدة من السماء قالوا هل يطيعك ربك ان سألته فأنزل الله عليهم مائدة من السماء فيها جميع
الطعام الا اللحم فأكلوا منها وأما المائدة فانها الفاعلة من ماد فلان القوم يميدهم ميدا اذا أطعمهم
ومارهم ومنه قول رؤبة

تهدى رؤس المترفين الانداد * الى أمير المؤمنين الممتاد

يعنى بقوله الممتاد المستعطى فالمائدة المطعمة سميت الخوان بذلك لانها تطعم الآكل مما عليها
والمائد المدار به فى البحر يقال ماد يميد ميدا وأما قوله قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين فانه يعنى
قال عيسى للحواريين القائلين له هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء راقبوا الله
أيها القوم وخافوا أن ينزل بكم من الله عقوبة على قولكم هذا فان الله لا يعجزه شئ أراده وفى
شككم فى قدرة الله على انزال مائدة من السماء كفر به فاتقوا الله أن ينزل بكم نقمته ان كنتم
مؤمنين يقول ان كنتم مصدقىّ على ما أوعدكم به من عقوبة الله اياكم على قولكم هل يستطيع
ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء * القول فى تأويل قوله (قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن
قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين) يعنى تعالى ذكره بذلك قال الحواريون
مجيبى عيسى على قوله لهم اتقوا الله ان كنتم مؤمنين فى قولكم لى هل يستطيع ربك أن ينزل علينا
مائدة من السماء انا انما قلنا ذلك وسألناك أن تسأل لنا ربك لنأكل من المائدة فنعلم يقينا قدرته
على كل شئ وتطمئن قلوبنا يقول وتسكن قلوبنا وتستقر على وحدانيته وقدرته على كل ما شاء
وأراد ونعلم أن قد صدقتنا ونعلم أنك لم تكذبنا فى خبرك أنك لله رسول مرسل ونبى مبعوث ونكون
عليها يقول ونكون على المائدة من الشاهدين يقول ممن يشهد أن الله أنزلها حجة لنفسه علينا
فى توحيده وقدرته على ما شاء ولك على صدقك فى نبوتك * القول فى تأويل قوله (قال عيسى بن
مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت
خير الرازقين) وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم أنه أجاب القوم الى
ما سألوه من مسألة ربه مائدة تنزل عليهم من السماء ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تكون
لنا عيدا لاولنا وآخرنا فقال بعضهم معناه نتخذ اليوم الذى نزلت فيه عيدا نعظمه نحن ومن بعدنا
ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن
السدى قوله تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا يقول نتخذ اليوم الذى نزلت فيه عيدا نعظمه نحن ومن

المناظرة والمحاورة انما كانت عند
رفعه الى السماء فلا اشكال أصلا
لان المراد ان توفيتهم على هذا الكفر
وعذبتهم فانهم عبادك فلك ذلك وان
أخرجتهم بتوفيقك من ظلمة الكفر
الى نور الايمان وغفرت لهم ما سلف
منهم فانك أنت العزيز القادر على
ما تريد الحكيم فى كل ما تفعل
لا اعتراض لأحد عليك وفى مصحف
عبد الله فانك أنت الغفور الرحيم
وضعفه العلماء لان ذلك يشعر
بكونه شفيعا لهم لا على تفويض
الامر بالكلية الى حكمه تعالى والمقام
مقام هذا الاذلال وعن بعضهم أن
ذكر الغفور والرحيم يشبه الحالة
الموجبة للمغفرة والرحمة وأما العزة
والحكمة فلا يوجبان الا التعالى عن
جميع جهات الاستحقاق لحصول
المغفرة بعد ثبوت هذا الاستغناء
والعزة يكون أدل على كمال العفو
والرحمة فان العفو عند المقدرة قال
بعض العلماء فى الآية نوع شفاعة
من عيسى عليه السلام لفساق
أمته فلأن يثبت ذلك من محمد
صلى الله عليه وسلم لفساق أمته
أولى هذا يوم ينفع من قرأ بالرفع
فظاهر وأنه فى تقدير الاضافة أى
هذا يوم منفعة الصادقين ومن قرأ
بالنصب فاما على أنه ظرف لقال
واما على أن هذا مبتدأ والظرف خبر
أى هذا الذى ذكرنا من كلام عيسى
واقع فى هذا اليوم كقولك القتال
يوم السبت وقال الفراء يوم أضيف
الى ما ليس باسم فبنى على الفتح كما فى
يومئذ وخطأه البصريون وقالوا انما

بعدنا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تكون لنا عيدا لاولنا
وآخرنا قال أرادوا أن تكون لعقبهم من بعدهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى
حجاج عن ابن جريج قوله أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا قال الذين هم أحياء منهم
يومئذ وآخرنا من بعدهم منهم حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال قال سفيان تكون لنا
عيدا قالوا نصلى فيه قال نزلت مرتين * وقال آخرون معناه نأكل منها جميعا ذكر من قال ذلك
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ليث عن عقيل عن ابن عباس أنه قال أكل
منها يعنى من المائدة حين وضعت بين أيديهم آخر الناس كما أكل منها أولهم * وقال آخرون معنى
قوله عيدا عائدة من الله تعالى علينا وحجة وبرهانا * وأولى الاقوال بالصواب قول من قال معناه
تكون لنا عيدا نعبد ربنا فى اليوم الذى تنزل فيه ونصلى له فيه كما يعيد الناس فى أعيادهم لأن
المعروف من كلام الناس المستعمل بينهم فى العيد ما ذكرنا دون القول الذى قاله من قال معناه
عائدة من الله علينا وتوجيه معانى كلام الله الى المعروف من كلام من خوطب به أولى من توجيهه
الى المجهول منه ما وجد اليه السبيل وأما قوله لاولنا وآخرنا فان الاولى من تأويله بالصواب قول
من قال تأويله للاحياء منا اليوم ومن يجىء بعدنا منا للعلة التى ذكرناها فى قوله تكون لنا عيدا لان
ذلك هو الاغلب من معناه وأما قوله وآية منك فان معناه وعلامة وحجة منك يارب على عبادك فى
وحدانيتك وفى صدقى على أنى رسول اليهم بما أرسلتنى به وارزقنا وأنت خير الرازقين وأعطنا من
عطائك فانك يارب خير من يعطى وأجود من تفضل لانه لا يدخل عطاءه منّ ولا نكد وقد اختلف
أهل التأويل فى المائدة هل أنزلت عليهم أم لا وما كانت فقال بعضهم نزلت وكانت حوتا وطعاما
فأكل القوم منها ولكنها رفعت بعدما نزلت بأحداث منهم أحدثوها فيما بينهم وبين الله تعالى ذكر
من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق عن أبى
عبد الرحمن السلمى قال نزلت المائدة خبزا وسمكا حدثنى الحسين بن على الصدائى قال ثنا أبى
عن الفضيل عن عطية قال المائدة سمكة فيها طعم كل طعام حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله
عن فضيل عن مسروق عن عطية قال المائدة سمك فيه من طعم كل طعام حدثنا ابن وكيع
قال ثنا يحيى بن آدم عن اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى عبد الرحمن قال نزلت المائدة خبزا وسمكا
حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال
نزلت على عيسى بن مريم والحواريين خوان عليه خبز وسمك يأكلون منه أينما نزلوا اذا شاؤا
حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا المنذر بن النعمان أنه سمع وهب
ابن منبه يقول فى قوله أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا قال نزل عليهم قرصة من شعير
وأحوات قال الحسن قال أبو بكر فحدثت به عبد الصمد بن معقل فقال سمعت وهبا وقيل له
وما كان ذلك يغنى عنهم فقال لاشئ ولكن الله حثا بين أضعافهن البركة فكان قوم يأكلون
ثم يخرجون ويجىء آخرون فيأكلون ثم يخرجون حتى أكل جميعهم وأفضلوا حدثنا ابن وكيع
قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد قال هو الطعام ينزل عليهم حيث نزلوا
حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله
تعالى مائدة من السماء قال مائدة عليها طعام أبوها حين عرض عليهم العذاب ان كفروا فأبوا أن
تنزل عليهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن اسحق بن
عبد الله ان المائدة نزلت على عيسى بن مريم عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات يأكلون منها ما شاؤا

يبنى الظرف اذا أضيف الى المبنى
كالماضى فى قول النابغة
على حين عاتبت المشيب على الصبا
أو مثل لا فى قوله تعالى يوم لا تملك
وأجمعوا على أن هذا اليوم يوم القيامة
والمراد أن صدقهم فى الدنيا ينفعهم
فى القيامة كما قال قتادة متكلمان
تكلما يوم القيامة أما ابليس فقال
ان الله وعدكم وعد الحق فصدق
وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه وأما
عيسى فكان صادقا فى الدنيا وفى
الآخرة فنفعه صدقه وفى هذا الكلام
تصديق من الله تعالى لعيسى
فى قوله ما قلت لهم الا ما أمرتنى به
(رضى الله عنهم ورضوا عنه) هما
متلازمان لان رضا الله عن العبد
فى رعاية وظائف العبودية وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون
واذا صحح الانسان نسبة العبودية
علم أن العبد لا يكون له ارادة واختيار
فتكون ارادته مغمورة فى ارادة ربه
(ذلك الفوز العظيم) اشارة الى جميع
المذكورات أو الى الجزء الاشرف
لاقرب وهو الرضوان وما فيهن لم
يقل ومن فيهن ليكون أدل على العموم
ولينبه على أن عقول ذوى العقول
وعلوم أرباب العلوم بالنسبة الى علمه
كلا علم وانما هم وغيرهم تحت قهره
وتسخيره سواء واعلم أنه سبحانه
افتتح السورة بقوله أوفوا بالعقود
وهو الشريعة والبداية وختم السورة
بهذه الآية الدالة على فناء الكل فى
جنب جلاله وكبريائه وهو الحقيقة
والنهاية فأحسن بهذا النسق وأيضا
فى السورة بيان الشرائع والاحكام

قال فسرق بعضهم منها وقال لعلها لا تنزل غدا فرفعت حدثنا المثنى قال ثنا عبد الاعلى
قال ثنا داود عن سماك بن حرب عن رجل من بني عجل قال صليت الى جنب عمار بن ياسر فلما
فرغ قال هل تدرى كيف كان شأن مائدة بني اسرائيل قال فقلت لا قال انهم سألوا عيسى بن
مريم مائدة يكون عليها طعام يأكلون منه لا ينفد قال فقيل لهم فانها مقيمة لكم ما لم تخبؤا
أو تخونوا أو ترفعوا فان فعلتم فاني أعذبكم عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين قال فما تم يومهم
حتى خبؤا ورفعوا وخانوا فعذبوا عذابا لم يعذبه أحدا من العالمين وانكم معشر العرب كنتم
تتبعون أذناب الابل والشاء فبعث الله فيكم رسولا من أنفسكم تعرفون حسبه ونسبه وأخبركم
على لسان نبيكم أنكم ستظهرون على العرب ونهاكم أن تكنزوا الذهب والفضة وأيم الله
لا يذهب الليل والنهار حتى تكنزوهما ويعذبكم عذابا أليما حدثنا الحسن بن قزعة البصرى
قال ثنا سفيان بن حبيب قال ثنا سعيد عن قتادة عن جلاس بن عمرو عن عمار بن ياسر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت المائدة خبزا ولحما وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا ولا
يرفعوا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا فمسخوا قردة وخنازير حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع
قال ثنا يوسف بن خالد قال ثنا نافع بن مالك عن عكرمة عن ابن عباس في المائدة قال كانت
طعاما ينزل عليهم من السماء حيثما نزلوا * وقال آخرون كانت المائدة تنزل وعليها ثمر من
ثمار الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبي عدى عن سعيد عن
قتادة عن جلاس بن عمرو عن عمار قال نزلت المائدة وعليها ثمر من ثمر الجنة فأمروا أن لا يخبؤا ولا
يخونوا ولا يدخروا قال فخان القوم وخبؤا وادخروا فحولهم الله قردة وخنازير حدثنا بشر قال
ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أنها كانت مائدة ينزل عليها الثمر من ثمار الجنة
وأمروا أن لا يخبؤا ولا يخونوا ولا يدخروا لغد بلاء أبلاهم الله به وكانوا اذا فعلوا شيأ من ذلك أنبأهم
به عيسى فخان القوم فيه فخبؤا وادخروا لغد * وقال آخرون كان عليها من كل طعام الا اللحم
ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر عن عطاء عن ميسرة قال كانت اذا وضعت
المائدة لبني اسرائيل اختلفت عليها الايدى بكل طعام حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم
عن شريك عن عطاء عن ميسرة وزاذان قالا كانت الايدى تختلف عليها بكل طعام حدثني
الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان الثورى عن عطاء بن السائب عن زاذان وميسرة
في هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قالا رأوا الايدى تختلف عليها بكل شئ
الا اللحم * وقال آخرون لم ينزل الله على بني اسرائيل مائدة ثم اختلف قائلو هذه المقالة فقال بعضهم
انما هذا مثل ضربه الله تعالى لخلقه نهاهم به عن مسألة نبي الله الآيات ذكر من قال ذلك حدثنا
ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن ليث عن مجاهد في قوله أنزل علينا مائدة من السماء
قال مثل ضرب لم ينزل عليهم شئ * وقال آخرون ان القوم لما قيل لهم فمن يكفر بعد منكم فاني
أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين استعفوا منها فلم تنزل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن
معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول لما قيل لهم فمن يكفر
بعد منكم الى آخر الآية قالوا لا حاجة لنا فيها فلم تنزل حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر
قال ثنا شعبة عن منصور بن زاذان عن الحسن أنه قال في المائدة لم تنزل حدثني الحرث
قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال مائدة عليها طعام أبوها
حين عرض عليهم العذاب ان كفروا فأبوا أن تنزل عليهم * والصواب من القول عندنا في ذلك

الكثيرة والمناظرة مع اليهود
والنصارى فهذا الاختتام ذكر فيه
أنه سبحانه مالك لجميع الممكنات
والكائنات موجد لجميع الارواح
والاجساد ليصح التكليف على أي
وجه أراد وليكون ردا على اليهود
بحكم المالكية في نسخ شريعة
موسى ووضع شريعة محمد صلى الله
عليه وسلم وليكون ردا على النصارى
في أن عيسى ومريم عليهما السلام
داخلان في المخلوقات موجودان
بايجاد الله ولا معنى للعبودية
الا هذا وانما لما أخبر عن فناء
وجودهم المجازى لم يبق هنالك
مجيب فأجاب بنفسه لله ملك
السموات والارض كقوله لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار ولعل في
هذه الخاتمة من الاسرار أضعاف
ما عثرنا عليه والله تعالى أعلم بأسرار
كتابه ﴿التأويل﴾ أخبر عن كثرة
السؤال أنها تورث الملال وذلك أن
علوم القال غير علوم الحال والصنف
الاول يحمد فيه السؤال والثاني يذم
فيه ذلك اذ يحصل بالعيان لا بالبرهان
كما كان حال الانبياء عليهم السلام
مع الله وكذلك نرى ابراهيم لقد
رأى من آيات ربه الكبرى وقال
صلى الله عليه وسلم أرنا الاشياء كما هي
وقال الخضر لموسى عليه السلام
فان اتبعتني فلا تسألني عن شئ
وقال موسى في الثالثة ان سألتك عن
شئ بعدها فلا تصاحبني فان تعلم
العلم اللدني بالحال في الصحبة والمتابعة
والتسليم وفي السؤال الانقطاع
عن الصحبة وان تسألوا عنها حين

أن يقال ان الله تعالى أنزل المائدة على الذين سألوا عيسى مسألته ذلك ربه وانما قلنا ذلك للخبر الذى
روينا بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأهل التأويل من بعدهم غير من انفرد بما
ذكرنا عنه وبعد فان الله تعالى لا يخلف وعده ولا يقع فى خبره الخلف وقد قال تعالى مخبرا فى كتابه
عن اجابة نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم حين سأله ما سأله من ذلك انى منزلها عليكم وغير جائز أن
يقول تعالى ذكره انى منزلها عليكم ثم لا ينزلها لأن ذلك منه تعالى خبر ولا يكون منه خلاف ما يخبر
ولو جاز أن يقول انى منزلها عليكم ثم لا ينزلها عليهم جاز أن يقول فمن يكفر بعد منكم فانى معذبه
عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ثم يكفر منهم بعد ذلك فلا يعذبه فلا يكون لوعده ولا لوعيده
حقيقة ولا صحة وغير جائز أن يوصف ربنا تعالى بذلك وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة
فأن يقال كان عليها مأكول وجائز أن يكون كان سمكا وخبزا وجائز أن يكون كان ثمرا من ثمر
الجنة وغير نافع العلم به ولا ضار الجهل به اذا أقر تالى الآية بظاهر ما احتمله التنزيل ❊ القول
فى تأويل قوله ﴿قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من
العالمين﴾ وهذا جواب من الله تعالى القوم فيما سألوا نبيهم عيسى مسألته ربهم من انزاله مائدة
عليهم فقال تعالى ذكره انى منزلها عليكم أيها الحواريون فمطعمكموها فمن يكفر بعد منكم يقول
فمن يجحد بعد انزالها عليكم واطعاميكموها منكم رسالتى اليه وينكر نبوة نبيى عيسى صلى الله عليه
وسلم ويخالف طاعتى فيما أمرته ونهيته فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من عالمى زمانه ففعل
القوم فجحدوا وكفروا بعد ما أنزلت عليهم فيما ذكر لنا فعذبوا فيما بلغنا بأن مسخوا قردة وخنازير
كالذى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انى منزلها عليكم الآية
ذكر لنا أنهم حولوا خنازير حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الوهاب ومحمد بن أبى عدى ومحمد
ابن جعفر عن عوف عن أبى المغيرة القواس عن عبد الله بن عمرو قال ان أشد الناس عذابا ثلاثة
المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا المعتمر
ابن سليمن عن عوف قال سمعت أبا المغيرة القواس يقول قال عبد الله بن عمرو ان أشد الناس عذابا
يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة والمنافقون وآل فرعون حدثنا محمد بن الحسين قال
ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله فمن يكفر بعد منكم بعد ما جاءته المائدة
فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين يقول أعذبه بعذاب لا أعذبه أحدا من العالمين غير
أهل المائدة ❊ القول فى تأويل قوله ﴿واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى
وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته﴾
يقول تعالى ذكره يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم اذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت
للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وقيل ان الله قال هذا القول لعيسى حين رفعه اليه فى الدنيا
ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن
السدى واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال لما رفع
الله عيسى بن مريم اليه قالت النصارى ما قالت وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك فسأله عن قوله فقال
سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى
نفسك انك أنت علام الغيوب الى قوله وأنت على كل شئ شهيد * وقال آخرون بل هذا خبر من
الله تعالى ذكره عن أنه يقول لعيسى ذلك فى القيامة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى
وأمى الهين من دون الله قال والناس يسمعون فراجعه بما قد رأيت وأقر له بالعبودية على نفسه فيعلم

ينزل القرآن أى ان كان لا بد لكم
من السؤال عن حقائق فاسألوا
عنها بعد نزول القرآن ليخبركم
عن حقائقها على قدر عقولكم
والله غفور لمن تاب من طلب علوم
الحقائق بالقال حليم لمن يطلب
بالحال فيصدر عنه فى أثناء الطلب
سؤال قد سألها قوم من قبلكم
كقدماء الفلاسفة أعرضوا عن
متابعة الانبياء وأقبلوا على مجرد
القيل والقال فوقعوا فى أودية
الشبهات والضلال ما جعل الله من
بحيرة قال الشيخ المحقق نجم الدين
المعروف بداية هم الحيدرية
والقلندرية يشقون آذانهم
وذكورهم ويجعلون فيها حلق
الحديد ويحلقون لحيتهم ولا سائبة
هم الذين يضربون فى الارض
خليعى العذار بلا لجام الشريعة
وقيد الطريقة ويدعون أنهم أهل
الحقيقة ولا وصيلة هم أهل
الاباحة الذين يتصلون بالاجانب
بطريق المؤاخاة والاتحاد ويرفضون
صحبة الاقارب لاجل العصبية
والعناد ولا حام وهو المغرور بالله
يظن أنه بلغ مقام الحقيقة فلا
يضره مخالفات الشريعة واذا قيل
لهم تعالوا الى ما أنزل الله من
الاحكام والى الرسول لمتابعته قالوا
حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أى
مشايخنا وأهل صحبتنا أولو كان
آباؤهم لا يعلمون شيأ من الشريعة
والطريقة ولا يهتدون الى الحقيقة
عليكم أنفسكم أى اشتغلوا أولا
بتزكية نفوسكم ثم بارشاد الغير وان

من كان يقول في عيسى ما يقول أنه إنما كان يقول باطلا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن ميسرة قال قال الله يا عيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله فأرعدت مفاصله وخشي أن يكون قد قال فقال سبحانك إن كنت قلته فقد علمته الآية حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله متى يكون ذلك قال يوم القيامة ألا ترى أنه يقول هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم فعلى هذا التأويل الذي تأوله ابن جريج يجب أن يكون وإذ بمعنى وإذا كما قال في موضع آخر ولو ترى إذ فزعوا بمعنى يفزعون وكما قال أبو النجم

ثم جزاه الله عنا إذ جزى * جنات عدن في العلالي العلى

والمعنى إذا جزى وكما قال الأسود

فالآن إذ هازلتهن فإنما * يقلن ألا لم يذهب الشيخ مذهبا

بمعنى إذا هازلتهن وكأن من قال في ذلك بقول ابن جريج هذا وجه تأويل الآية إلى فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين في الدنيا وأعذبه أيضا في الآخرة إذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله * وأولى القولين عندنا بالصواب في ذلك قول من قال بقول السدي وهو أن الله تعالى قال ذلك لعيسى حين رفعه إليه وأن الخبر خبر عما مضى لعلتين إحداهما أن إذ إنما تصاحب في الأغلب من كلام العرب المستعمل بينها الماضي من الفعل وإن كانت قد تدخلها أحيانا في موضع الخبر عما يحدث إذا عرف السامعون معناها وذلك غير فاش ولا فصيح في كلامهم فتوجيه معاني كلام الله تعالى إلى الأشهر الأعرف ما وجد إليه السبيل أولى من توجيهها إلى الأجهل الأنكر والأخرى أن عيسى لم يشكك هو ولا أحد من الأنبياء أن الله لا يغفر لمشرك مات على شركه فيجوز أن يتوهم على عيسى أن يقول في الآخرة مجيبا لربه تعالى إن تعذب من اتخذني وأمي إلهين من دونك فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم

فإن قال قائل وما كان وجه سؤال الله عيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله وهو العالم بأن عيسى لم يقل ذلك قيل يحتمل ذلك وجهين من التأويل أحدهما تحذير عيسى عن قيل ذلك ونهيه كما يقول القائل لآخر أفعلت كذا وكذا مما يعلم المقول له ذلك أن القائل يستعظم فعل ما قال له أفعلته على وجه النهي عن فعله والتهديد له فيه والآخر إعلامه أن قومه الذين فارقهم قد خالفوا عهده وبدلوا دينهم بعده فيكون بذلك جامعا إعلامه حالهم بعده وتحذيره له قيله وأما تأويل الكلام فإنه أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين أي معبودين تعبدونهما من دون الله قال عيسى تنزيها لك يا رب وتعظيما أن أفعل ذلك أو أتكلم به ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق يقول ليس لي أن أقول ذلك لأني عبد مخلوق وأمي أمة لك فهل يكون للعبد والأمة ادعاء ربوبية إن كنت قلته فقد علمته يقول إنك لا يخفى عليك شيء وأنت عالم أني لم أقل ذلك ولم آمرهم به

القول في تأويل قوله ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم أنه يبرأ إليه مما قالت فيه وفي أمه الكفرة من النصارى أن يكون دعاهم إليه أو أمرهم به فقال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته ثم قال تعلم ما في نفسي يقول إنك يا رب لا يخفى عليك ما أضمرته نفسي مما لم أنطق به ولم أظهره بجوارحي فكيف بما قد نطقت به وأظهرته بجوارحي يقول لو كنت قد قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله كنت قد علمته لأنك تعلم ضمائر النفوس مما لم تنطق به

الفريق الذي لم يتعلم السباحة إذا تشبث به مثله هلكا معا إلى الله مرجعكم جميعا فالطالبين بجذبات العناية وللمضلين بسلاسل القهر والنكاية إذا حضر أحدكم الموت أي النفس تموت عن صفاتها الذميمة بالرياضة والمجاهدة فتوصي بصفاتها لورثتها وهم القلب وأوصافه والوصيان اثنان ذوا عدل منكم هما العقل والسر من الروحانيات أو آخران من غير الروحانيات هما الوهم والخيال من النفسانيات والعقل والسر يشهدان الحق وإن كان على ذي قرابة من الروحانيات والوهم والخيال شهادتهما الصدق والكذب إن أنتم ضربتم في الأرض أي سافرتم في السفليات فأصابتكم مصيبة الموت أي فتصيب النفس جذبة الحق فتموت تحبسونهما إن كنتم في بعد من الروحانيات من بعد الصلاة من بعد حضورهما مع الله وتوجههما إلى الحق ومراقبة تامة فيشدد على الشاهدين بالقسم والتخويف بالله أن يؤديا شهادة الحق ويقعا تركة النفس وهي صفاتها إلى ورثتها وهم القلب وصفاته ولا يصرفانها في شيء من السفليات فإن كل خلق إذا استعملته النفس كان صفة ذميمة وإذا استعمله القلب صار وصفا محمودا كالحرص إذا استعملته النفس في طلب الدنيا ولذاتها كان وصفا مذموما وإذا استعمله القلب في طلب العلوم والكمالات صار ممدوحا فإن عثر

فكيف عما قد نطقت به ولا أعلم ما في نفسك يقول ولا أعلم أنا ما أخفيته عني فلم تطلعني عليه لأني انما أعلم من الأشياء ما أعلمتنيه انك أنت علام الغيوب يقول انك أنت العالم بخفيات الامور التي لا يطلع عليها سواك ولا يعلمها غيرك ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول عيسى يقول ما قلت لهم الا الذي أمرتني به من القول أن أقوله لهم وهو أن قلت لهم اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا يقول وكنت على ما يفعلونه وأنا بين أظهرهم شاهدا عليهم وعلى أفعالهم وأقوالهم فلما توفيتني يقول فلما قبضتني اليك كنت أنت الرقيب عليهم يقول كنت أنت الحفيظ عليهم دوني لأني انما شهدت من أعمالهم ما عملوه وأنا بين أظهرهم وفي هذا تبيان أن الله تعالى انما عرفه أفعال القوم ومقالتهم بعد ما قبضه اليه وتوفاه بقوله أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وأنت على كل شيء شهيد يقول وأنت تشهد على كل شيء لأنه لا يخفى عليك شيء وأما أنا فانما شهدت بعض الأشياء وذلك ما عاينت وأنا مقيم بين أظهر القوم فانما أنا أشهد على ذلك الذي عاينت ورأيت وشهدت وبنحو الذي قلنا في قوله كنت أنت الرقيب عليهم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي كنت أنت الرقيب عليهم أما الرقيب فهو الحفيظ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج كنت أنت الرقيب عليهم قال الحفيظ وكانت جماعة من أهل العلم تقول كان جواب عيسى الذي أجاب به ربه من الله تعالى توفيقا منه له فيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن سفيان عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق قال الله وفقه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو داود الحفري قال قرئ على سفيان عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه طاوس قال احتج عيسى والله وفقه أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن عطاء عن ميسرة قال قال الله تعالى يا عيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال فأرعدت مفاصله وخشي أن يكون قد قالها فقال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم﴾ يقول تعالى ذكره ان تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة بإماتتك اياهم عليها فانهم عبادك مستسلمون لك لا يمتنعون مما أردت بهم ولا يدفعون عن أنفسهم ضرا ولا أمرا تنالهم به وان تغفر لهم بهدايتك اياهم الى التوبة منها فتستر عليهم فانك أنت العزيز في انتقامه ممن أراد الانتقام منه لا يقدر أحد يدفعه عنه الحكيم في هدايته من هدى من خلقه الى التوبة وتوفيقه من وفق منهم لسبيل النجاة من العقاب كالذي حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فتخرجهم من النصرانية وتهديهم الى الاسلام فانك أنت العزيز الحكيم وهذا قول عيسى في الدنيا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم قال والله ما كانوا طعانين ولا لعانين ﴿ القول في تأويل قوله ﴿قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله هذا يوم ينفع الصادقين فقرأ ذلك بعض أهل الحجاز والمدينة هذا يوم ينفع الصادقين بنصب

على أنهما استحقا اثما بأن مالا الى حظ من الحظوظ السفلية فآخران من صفات القلب هما التذكر والفكر الصائب يتطران في عواقب الامور ويشهدان على أن الآخرة خير من الدنيا والباقي خير من الفاني لشهادتنا أحق من شهادتهما لأن الوهم والخيال مالا الى الحظوظ بكتمان الحقوق والتذكر والتفكر مالا الى حفظ الحقوق بترك الحظوظ أن يأتوا بالشهادة على وجهها أي العقل والسر يأتيان في بدو الأمر باستعمال صفات النفس في السعادات الاخروية أو يخافوا ان عواقب الامور بأن يشهدوا على أنفسهم بالاستهمال وتضييع الأعمال وافساد الاستعداد ثم بالتفكر والتذكر يرد الأمر الى وجوب رعاية الحقوق فيحتاجان الى كثرة الرياضة ماذا أجبتم قالوا وهم مستغرقون في بحر الشهود لا علم لنا أي ببواطن الأمور وحقائقها واذ أوحيت الى الحواريين أي في عالم الارواح يوم الميثاق قالوا بسبب ذلك التعارف في عالم الاشباح آمنا ان بعض الحواريين المقلدين في الايمان قالوا يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك فما راعوا الأدب مع نبيهم حيث لم يقولوا يا رسول الله أو يا روح الله ولا مع ربهم حيث تشككوا في كمال قدرته ثم أظهروا دناءتهم حيث طلبوا بواسطة مثل عيسى بن

يوم وقرأ بعض أهل الحجاز وبعض أهل المدينة وعامة قراء أهل العراق هذا يوم ينفع الصادقين برفع يوم فمن رفعه رفعه بهذا وجعل يوم اسما وان كانت اضافته غير محضة لانه صار كالمنعوت وكان بعض أهل العربية يزعم أن العرب يعملون في اعراب الاوقات مثل اليوم والليلة عملهم فيما بعدها ان كان ما بعدها رفعا رفعوها كقولهم هذا يوم يركب الامير وليلة يصدر الحاج ويوم أخوك منطلق وان كان ما بعدها نصبا نصبوها وذلك كقولهم هذا يوم خرج الجيش وسار الناس وليلة قتل زيد ونحو ذلك وان كان معناها في الحالين اذ واذا وكأن من قرأ هذا هكذا رفعا وجه الكلام الى أنه من قيل الله يوم القيامة وكذلك كان السدى يقول في ذلك **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم هذا فصل من كلام عيسى وهذا يوم القيامة يعني السدى بقوله هذا فصل من كلام عيسى أن قوله سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق الى قوله فانك أنت العزيز الحكيم من خبر الله عز وجل عن عيسى أنه قاله في الدنيا بعد أن رفعه اليه وأن ما بعد ذلك من كلام الله لعباده يوم القيامة وأما النصب في ذلك فانه يتوجه من وجهين أحدهما أن اضافة يوم ما لم تكن الى اسم تجعله نصبا لان الاضافة غير محضة وانما تكون الاضافة محضة اذا أضيف الى اسم صحيح ونظير اليوم في ذلك الحين والزمان وما أشبههما من الازمنة كما قال النابغة

على حين عاتبت المشيب على الصبا * وقلت ألما أصح والشيب وازع

والوجه الآخر أن يكون مرادا بالكلام هذا الأمر وهذا الشأن يوم ينفع الصادقين فيكون اليوم حينئذ منصوبا على الوقت والصفة بمعنى هذا الأمر في يوم ينفع الصادقين صدقهم * وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب هذا يوم ينفع الصادقين بنصب اليوم على أنه منصوب على الوقت والصفة لان معنى الكلام أن الله تعالى أجاب عيسى حين قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته الى قوله فانك أنت العزيز الحكيم فقال له عز وجل هذا القول النافع أو هذا الصدق النافع يوم ينفع الصادقين صدقهم فاليوم وقت القول والصدق النافع فان قال قائل فما موضع هذا قيل رفع فان قال فأين رافعه قيل مضمر وكأنه قال قال الله عز وجل هذا هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم كما قال الشاعر

أما ترى السحاب كيف يجري * هذا ولا خيلك يا ابن بشر

يريد هذا هذا ولا خيلك فتأويل الكلام اذ كان الأمر على ما وصفنا لما بينا قال الله لعيسى هذا القول النافع في يوم ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم ذلك في الآخرة عند الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار يقول للصادقين في الدنيا جنات تجري من تحتها الانهار في الآخرة ثوابا لهم من الله عز وجل على ما كان من صدقهم الذي صدقوا الله فيما وعدوه فوفوا به لله فوفى الله عز وجل لهم ما وعدهم من ثوابه خالدين فيها أبدا يقول باقين في الجنات التي أعطاهموها أبدا دائما لهم فيها نعيم لا ينتقل عنهم ولا يزول وقد بينا فيما مضى أن معنى الخلود الدوام والبقاء * القول في تأويل قوله (رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم) يقول تعالى ذكره رضي الله عن هؤلاء الصادقين الذين صدقوا في الوفاء له بما وعدوه من العمل بطاعته واجتناب معاصيه ورضوا عنه يقول ورضوا هم عن الله تعالى في وفائه لهم بما وعدهم على طاعتهم اياه فيما أمرهم ونهاهم من جزيل ثوابه ذلك الفوز العظيم يقول هذا الذي أعطاهم الله من الجنات التي تجري من تحتها الانهار خالدين فيها مرضيا عنهم وراضين عن ربهم هو الظفر العظيم بالطلبة وادراك الحاجة التي كانوا

واهب المواهب مائدة جسمانية لا فائدة روحانية فقال عيسى اللهم ربنا أنزل علينا مائدة الاسرار والحقائق من سماء العناية علينا أطعمة الهداية تكون لنا أي لاهل الحق والصدق عيدا نفرح بها لأولنا وآخرنا أي لأول أنفاسنا وآخرها فان أهل الحق يراقبون الانفاس لتصعد مع الله وتهوى مع الله وأنت خير الرازقين لان الذي ترزق رزق منك والذي يرزق ظاهرا من غيرك فهو أيضا منك بالواسطة وما بالذات خير مما بالواسطة فمن يكفر بعد منكم بأن لا يقوم بحقها ويجعلها شبكة يصطاد بها الدنيا فاني أرده من المراتب الروحانية الى المهالك الحيوانية وهو المسخ الحقيقي ويوم القيامة أيضا يحشرون على صفاتهم التي ماتوا عليها كما قال صلى الله عليه وسلم يموت المرء على ما عاش فيه ويحشر على ما مات عليه أأنت قلت للناس الخطاب مع الامة الا أن من سنته سبحانه أن لا يكلم الكفار فكلم عيسى بدلا منهم أو المراد بالقول أمر التكوين فالمعنى أأنت خلقت فيهم اتخاذك وأمك الهين أم أنا خلقت ذلك فيهم خذلانا لهم انك أنت علام الغيوب الغيب ما غاب عن الخلق ويحتمل أن سيعلمه الخلق وغيب الغيب ما غاب عنهم ولا يمكنهم أن يعلموه والله حسبي ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

يطلبونها في الدنيا ولها كانوا يعملون فيها فنالوا ما طلبوا وأدركوا ما أملوا ✿ القول في تأويل قوله ﴿لله ملك السموات والارض ومافيهن وهو على كل شيء قدير﴾ يقول تعالى ذكره أيها النصارى لله ملك السموات والارض يقول له سلطان السموات والارض ومافيهن دون عيسى الذي تزعمون أنه الهكم ودون أمه ودون جميع من في السموات ومن في الارض فان السموات والارض خلق من خلقه ومافيهن وعيسى وأمه من بعض ذلك بالحلول والانتقال يدلان بكونهما في المكان الذي هما فيه بالحلول فيه والانتقال أنهما عبدان مملوكان لمن له ملك السموات والارض ومافيهن ينبههم وجميع خلقه على موضع حجته عليهم ليدبروه ويعتبروه فيعقلوا عنه وهو على كل شيء قدير يقول تعالى ذكره والله الذي له ملك السموات والارض ومافيهن قادر على إفنائهن وعلى إهلاكهن واهلاك عيسى وأمه ومن في الارض جميعا كما ابتدأ خلقهم لا يعجزه ذلك ولا شيء أراده لأن قدرته القدرة التي لا يشبهها قدرة وسلطانه السلطان الذي لا يشبهه سلطان ولا مملكة

﴿تفسير سورة الأنعام﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

✿ القول في تأويل قوله ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والارض﴾ يعني تعالى ذكره بقوله الحمد لله الحمد الكامل لله وحده لا شريك له دون جميع الأنداد والآلهة ودون ماسواه مما تعبده كفرة خلقه من الأوثان والأصنام وهذا كلام مخرجه مخرج الخبر ينحى به نحو الامر يقول أخلصوا الحمد والشكر للذي خلقكم أيها الناس وخلق السموات والارض ولا تشركوا معه في ذلك أحدا شيئا فانه المستوجب عليكم الحمد بأياديه عندكم ونعمه عليكم لا من تعبدونه من دونه وتجعلونه له شريكا من خلقه وقد بينا الفصل بين معنى الحمد والشكر بشواهده فيما مضى قبل ✿ القول في تأويل قوله ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ يقول تعالى ذكره الحمد لله الذي خلق السموات والارض وأظلم الليل وأنار النهار كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي وجعل الظلمات والنور قال الظلمات ظلمة الليل والنور نور النهار حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة أما قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور فانه خلق السموات قبل الارض والظلمة قبل النور والجنة قبل النار فان قال قائل فما معنى قوله اذا جعل قيل ان العرب تجعلها ظرفا للخبر والفعل فتقول جعلت أفعل كذا وجعلت أقوم وأقعد تدل بقولها جعلت على اتصال الفعل كما تقول علقت أفعل كذا لا أنها في نفسها فعل يدل على ذلك قول القائل جعلت أقوم وانه لا جعل هناك سوى القيام وانما دل بقوله جعلت على اتصال الفعل ودوامه ومن ذلك قول الشاعر

وزعمت أنك سوف تسلك قادرا ✿ والموت متسع طريق قادر
فاجعل تحلل من يمينك انما ✿ حنث اليمين على الاثيم الفاجر

يقول فاجعل تحلل بمعنى تحلل شيأ بعد شيء لأن هناك جعلا من غير التحليل فكذلك كل جعل في الكلام انما هو دليل على فعل له اتصال لأن له حظا في معنى الفعل فقوله وجعل الظلمات والنور انما هو أظلم ليلهما وأنار نهارهما ✿ القول في تأويل قوله ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ يقول تعالى ذكره معجبا خلقه المؤمنين من كفرة عباده ومحتجا على الكافرين ان الاله الذي يجب عليكم

(تفسير سورة الانعام وهي مائة وخمس وستون آية وهي مكية الا ثلاث آيات قل تعالوا الى قوله ثم آتينا موسى الكتاب)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) ✿ القراآت

أيها الناس حمده هو الذى خلق السموات والارض الذى جعل منهما معايشكم وأقواتكم وأقوات أنعامكم التى بها حياتكم فمن السموات ينزل عليكم الغيث وفيها تجرى الشمس والقمر باعتقاب واختلاف لمصالحكم ومن الارض ينبت الحب الذى به غذاؤكم والثمار التى فيها ملاذكم مع غير ذلك من الامور التى فيها مصالحكم ومنافعكم بها والذين يجحدون نعمة الله عليهم بما أنعم به عليهم من خلق ذلك لهم ولكم أيها الناس بربهم الذى فعل ذلك وأحدثه يعدلون يجعلون له شريكا فى عبادتهم اياه فيعبدون معه الآلهة والأنداد والأصنام والأوثان وليس منها شئ شركه فى خلق شئ من ذلك ولا فى إنعامه عليهم بما أنعم به عليهم بل هو المنفرد بذلك كله وهم يشركون فى عبادتهم اياه غيره فسبحان الله ما أبلغها من حجة وأوجزها من عظة لمن فكر فيها بعقل وتدبرها بفهم ولقد قيل انها فاتحة التوراة حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمى عن أبى عمران الجونى عن عبد الله بن رباح عن كعب قال فاتحة التوراة فاتحة الانعام الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن جعفر بن سليمن عن أبى عمران الجونى عن عبد الله بن رباح عن كعب مثله وزاد فيه وخاتمة التوراة خاتمة هود يقال من مساواة الشئ بالشئ عدلت هذا بهذا اذا ساويته به عدلا وأما فى الحكم اذا أنصفت فيه فانك تقول عدلت فيه أعدل عدلا وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله يعدلون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يعدلون قال يشركون ثم اختلف أهل التأويل فيمن عنى بذلك فقال بعضهم عنى به أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر بن أبى المغيرة عن ابن أبزى قال جاءه رجل من الخوارج يقرأ عليه هذه الآية الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قال له أليس الذين كفروا بربهم يعدلون قال بلى قال وانصرف عنه الرجل فقال له رجل من القوم يا ابن أبزى ان هذا قد أراد تفسير هذه غير هذا انه رجل من الخوارج فقال ردوه علىّ فلما جاءه قال هل تدرى فيمن نزلت هذه الآية قال لا قال انها نزلت فى أهل الكتاب اذهب ولا تضعها على غير حدها وقال آخرون بل عنى بها المشركون من عبدة الاوثان ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قال هؤلاء أهل صراحة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قال هم المشركون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قال الآلهة التى عبدوها عدلوها بالله قال وليس لله عدل ولاند وليس معه آلهة ولا اتخذ صاحبة ولا ولدا وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب عندى أن يقال ان الله تعالى أخبر أن الذين كفروا بربهم يعدلون فعم بذلك جميع الكفار ولم يخصص منهم بعضا دون بعض فجميعهم داخلون فى ذلك يهودهم ونصاراهم ومجوسهم وعبدة الاوثان منهم ومن غيرهم من سائر أصناف الكفر القول فى تأويل قوله ﴿هو الذى خلقكم من طين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله هو الذى خلقكم من طين ان الله الذى خلق السموات والارض وأظلم ليلهما وأنار نهارهما فكفر به مع انعامه عليهم الكافرون وعدلوا به من لا ينفعهم ولا يضرهم هو الذى خلقكم أيها الناس من طين وانما يعنى بذلك تعالى ذكره أن الناس ولد من خلقه من طين فأخرج ذلك مخرج الخطاب لهم اذ كانوا ولده وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله

وأنشانا بغير همز حيث كان أبو عمرو ويزيد والاعشى وورش من طريق الاصفهانى وحمزة فى الوقف ولقد استهزئ وبابه بالهمز أبو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وقرأ يزيد والشمونى وحمزة فى الوقف بغير همز الباقون بغير همز مطلقا حاق بالامالة حيث كان حمزة ❁ الوقوف والنور ط لأن ثم لاستبعاد ترتيب الاخبار يعدلون ه أجلا ط تمترون ه وفى الأرض ج وقيل لا وقف لتيسير التقدير وهو الله يعلم سركم وجهركم فى السموات وفى الأرض وفيه بعد بل المعنى وهو المستحق للعبودية فى أهل السموات وأهل الأرض تكسبون ه معرضين ه لما جاءهم ط للابتداء بالتهديد يستهزؤن ه مدرارا ص لعطف المتفقين آخرين ه سحر مبين ه عليه ملك ط لا ينظرون ه يلبسون ه يستهزؤن ه المكذبين ه ❁ التفسير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نزلت الأنعام جملة واحدة وتنزلت معها من الملائكة سبعون ألف ملك فلؤا ما بين الأخشبين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب فكتبوها من ليلتهم سوى آيات معدودات وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد بعث الىّ بها جبريل مع خمسين ملكا أو خمسين

هو الذي خلقكم من طين بدء الخلق خلق الله آدم من طين حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد هو الذي خلقكم من طين قال هو آدم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما خلقكم من طين فآدم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن عبيد بن سليمن عن الضحاك ابن مزاحم قال خلق آدم من طين وخلق الناس من سلالة من ماء مهين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله خلقكم من طين قال خلق آدم من طين ثم خلقنا من آدم حين أخذنا من ظهره * القول في تأويل قوله (ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى قوله ثم قضى أجلا ثم قضى لكم أيها الناس أجلا وذلك ما بين أن يخلق الى أن يموت وأجل مسمى عنده وذلك ما بين أن يموت الى أن يبعث ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع وهناد بن السري قالا ثنا وكيع قال ثنا أبي عن أبي بكر الهذلي عن الحسن في قوله قضى أجلا قال ما بين أن يخلق الى أن يموت وأجل مسمى عنده قال ما بين أن يموت الى أن يبعث حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده كان يقول أجل حياتك الى أن تموت وأجل موتك الى أن تبعث فأنت بين أجلين من الله تعالى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن عبيد ابن سليمن عن الضحاك بن مزاحم قضى أجلا وأجل مسمى عنده قال قضى أجل الموت وكل نفس أجلها الموت قال ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها وأجل مسمى عنده يعني أجل الساعة ذهاب الدنيا والافضاء الى الله * وقال آخرون بل معنى ذلك ثم قضى الدنيا وعنده الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله أجلا قال الدنيا وأجل مسمى عنده الآخرة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو عاصم عن زكريا بن اسحق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قضى أجلا قال الآخرة عنده وأجل مسمى الدنيا حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أجلا قال الآخرة عنده وأجل مسمى قال الدنيا حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أجلا قال الآخرة عنده وأجل مسمى قال الدنيا حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة والحسن ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده قالا قضى أجل الدنيا من حين خلقك الى أن تموت وأجل مسمى عنده يوم القيامة حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن جابر عن مجاهد وعكرمة ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده قال قضى أجل الدنيا وأجل مسمى عنده قال هو أجل البعث حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن مجاهد وعكرمة ثم قضى أجلا قال الموت وأجل مسمى عنده الآخرة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن في قوله قضى أجلا وأجل مسمى عنده قالا قضى أجل الدنيا منذ يوم خلقت الى أن تموت وأجل مسمى عنده يوم القيامة حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قضى أجلا قال أجل الدنيا وأجل مسمى عنده قال البعث حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية ابن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده يعني أجل الموت والأجل المسمى أجل الساعة والوقوف عند الله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قضى أجلا قال أما قضى أجلا فأجل الموت وأجل مسمى عنده يوم القيامة * وقال آخرون في ذلك بما حدثني به محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني

ألف ملك تحف بها حتى أقروها في صدري كما يقر الماء في الحوض ولقد أعزني الله تعالى واياكم بها عزا لا يذل لنا بعدها أبدا فيها دحض حجج المشركين ووعد من الله لا يخلفه ولاشتمال هذه السورة على دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ولنزولها جملة ذهب علماء الكلام الى أن علم الاصول مع جلالة قدره يجب تعلمه على الفور لا على التراخي بخلاف الاحكام فانها نزلت وفاء المصالح وبحسب الحوادث والنوازل * واعلم أن قوله الحمد لله مذكور في أوائل سور خمس واختص كل منها بصفة لكن أمها صدر فاتحة الكتاب الحمد لله رب العالمين فان العالم كل موجود سوى الله سبحانه فكان سائر السور تفاصيل لهذه الجملة أثنى الله سبحانه على نفسه بقوله (الحمد لله الذي خلق السموات والارض) والثناء على النفس قبيح في الشاهد ففيه دليل على أنه لا يمكن قياس الحق على الخلق فكما أنه واحد في ذاته فهو واحد في صفاته وأفعاله لا اعتراض لأحد عليه والتحقيق فيه أن استحقاق المدح بحسب الفضيلة والكمال ولا يوجد في الممكن صفة كمال الا وهي مشوبة بالنقص والاختلال أدناه الافول في أفق الامكان بخلاف واجب الوجود فانه لا غاية لكماله ولا نهاية لعظمته وجلاله فلا ينبغي أن يمدح الا هو ولا أن يثنى الا عليه ولا أن يشكر ويحمد الا الله ثم الاوصاف الجارية

عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده قال أما قوله قضى أجلا فهو النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع الى صاحبها حين اليقظة وأجل مسمى عنده هو أجل موت الانسان * وقال آخرون بما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب فى قوله هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون قال خلق آدم من طين ثم خلقنا من آدم أخذنا من ظهره ثم أخذ الأجل والميثاق فى أجل واحد مسمى فى هذه الحياة الدنيا * وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال معناه ثم قضى أجل الحياة الدنيا وأجل مسمى عنده وهو أجل البعث عنده وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لانه تعالى نبه خلقه على موضع حجته عليهم من أنفسهم فقال لهم أيها الناس ان الذى يعدل به كفاركم الآلهة والانداد هو الذى خلقكم فابتدأكم وأنشأكم من طين فجعلكم صورا أجساما أحياء بعد اذ كنتم طينا جمادا ثم قضى آجال حياتكم لفنائكم ومماتكم ليعيدكم ترابا وطينا كالذى كنتم قبل أن ينشأكم ويخلقكم وأجل مسمى عنده لاعادتكم أحياء وأجساما كالذى كنتم قبل مماتكم وذلك نظير قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون * القول فى تأويل قوله ﴿ثم أنتم تمترون﴾ يقول تعالى ذكره ثم أنتم تشكون فى قدرة من قدر على خلق السموات والارض واظلام الليل وانارة النهار وخلقكم من طين حتى صيركم بالهيئة التى أنتم بها وعلى انشائه اياكم من بعد مماتكم وفنائكم وايجاده اياكم بعد عدمكم والمرية فى كلام العرب هى الشك وقد بينت ذلك بشواهده فى غير هذا الموضع فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته وقد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ثم أنتم تمترون قال الشك قال وقرأ قول الله فى مرية منه قال فى شك منه حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ثم أنتم تمترون بمثله * القول فى تأويل قوله ﴿وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾ يقول تعالى ذكره ان الذى له الالوهة التى لا تنبغى لغيره المستحق عليكم اخلاص الحمد له بآلائه عندكم أيها الناس الذى يعدل به كفاركم من سواه هو الله الذى هو فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم فلا يخفى عليه شئ يقول فربكم الذى يستحق عليكم الحمد ويجب عليكم اخلاص العبادة له هو هذا الذى صفته لا من لا يقدر لكم على ضر ولا نفع ولا يعمل شيأ ولا يدفع عن نفسه سوأ أريد بها وأما قوله ويعلم ما تكسبون يقول ويعلم ما تعملون وتجرحون فيحصى ذلك عليكم ليجازيكم به عند معادكم اليه * القول فى تأويل قوله ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين﴾ يقول تعالى ذكره وما تأتى هؤلاء الكفار الذين بربهم يعدلون أوثانهم وآلهتهم آية من آيات ربهم يقول حجة وعلامة ودلالة من حجج ربهم ودلالاته وأعلامه على وحدانيته وحقيقة نبوتك يا محمد وصدق ما أتيتهم به من عندى إلا كانوا عنها معرضين يقول الا أعرضوا عنها يعنى عن الآية فصدوا عن قبولها والاقرار بما شهدت على حقيقته ودلت على صحته جهلا منهم بالله واغترارا بحلمه عنهم * القول فى تأويل قوله ﴿فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن﴾ يقول تعالى ذكره فقد كذب هؤلاء العادلون بالله الحق لما جاءهم وذلك الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم كذبوا به وجحدوا نبوته لما جاءهم قال الله لهم متوعدا على تكذيبهم اياه وجحودهم نبوته سوف يأتى المكذبين بك يا محمد من قومك وغيرهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن يقول سوف يأتيهم أخبار استهزائهم بما كانوا به يستهزؤن من آياتى وأدلتى التى أتيتهم ثم وفى لهم بوعيده لما تمادوا فى غيهم وعتوا على ربهم فقتلهم

عليه سبحانه انما تذكر زيادة فى المدح لا لاجل التوضيح والكشف أساميا لم تزده معرفة *

وانما لذة ذكرناها

وقد تقدم فى الاسماء أن معنى الخلق راجع الى التقدير والتقدير عائد الى العلم فالمراد أنه أوجد السموات والارض على حسب علمه الأزلى قال بعض العلماء السماء كالدائرة والارض كالمركز وحصول الدائرة يوجب تعين المركز ولا ينعكس لامكان أن يحيط بالمركز الواحد دوائر لانهاية لها فلهذا ذكر السماء قبل الارض مع أن ظاهر التنزيل يدل على أن خلق الارض مقدم على خلق السماء وجمع السموات حقيقة وكذا افراد الارض وقد تجمع الارض باعتبار الطبقات وسوف يجىء تقرير ذلك فى قوله ومن الارض مثلهن والمقصود من هذا الوصف الزام المشركين وأن تخصيص حجم الفلك بمقدار معين وتخصيص كل من أجزائه بحيز معين وتخصيص الفلك بالحركة والارض بالسكون مع اشتراكهما فى الطبيعة الجسمية وتخصيص كل حركة بحد معين من السرعة والبطء وبجهة معينة دلائل ظاهرة على وجود فاعل مختار واحد فى ذاته وفى صفاته وفى أفعاله وأيضا ان لحركة كل فلك أولا لأن حقيقة الحركة انتقال من حالة الى حالة فتقتضى المسبوقية بالغير وعدم الاولية ينافى المسبوقية بالغير والجمع بينهما محال واذا ثبت أن لكل حركة أولا فاختصاص

يوم بدر بالسيف ❁ القول فى تأويل قوله ﴿ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتى الجاحدون نبوتك كثرة من أهلكت من قبلهم من القرون وهم الامم الذين وطأت لهم البلاد والارض وطاءة لم أوطئها لهم وأعطيتهم فيها مالم أعطهم كما حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم يقول أعطيناهم مالم نعطكم «قال أبو جعفر» أمطرت فأخرجت لهم الأشجار ثمارها وأعطتهم الارض ريع نباتها وجابوا صخور جبالها ودرت عليهم السماء بأمطارها وتفجرت من تحتهم عيون المياه بينابيعها بإذنى فغمطوا نعمة ربهم وعصوا رسول خالقهم وخالفوا أمر بارئهم وبغوا حتى حق عليهم قولى فأخذتهم بما اجترحوا من ذنوبهم وعاقبتهم بما كسبت أيديهم وأهلكت بعضهم بالرجفة وبعضهم بالصيحة وغير ذلك من أنواع العذاب ومعنى قوله وأرسلنا السماء عليهم مدرارا المطر ويعنى بقوله مدرارا غزيرة دائمة وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين يقول وأحدثنا من بعد الذين أهلكناهم قرنا آخرين فابتدأنا سواهم فان قال قائل فما وجه قوله مكناهم فى الأرض مالم نمكن لكم ومن المخاطب بذلك فقد ابتدأ الخبر فى أول الآية عن قوم غيب بقوله ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن قيل ان المخاطب بقوله مالم نمكن لكم هو المخبر عنهم بقوله ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن ولكن فى الخبر معنى القول ومعناه قل يا محمد لهؤلاء القوم الذين كذبوا بالحق لما جاءهم ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم والعرب اذا أخبرت خبرا عن غائب وأدخلت فيه قولا فعلت ذلك فوجهت الخبر أحيانا الى الخبر عن الغائب وأحيانا الى الخطاب فتقول قلت لعبد الله ما أكرمه وقلت لعبد الله ما أكرمك وتخبر عنه أحيانا على وجه الخبر عن الغائب ثم تعود الى الخطاب وتخبر على وجه الخطاب له ثم تعود الى الخبر عن الغائب وذلك فى كلامها وأشعارها كثير فاش وقد ذكرنا بعض ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقد كان بعض نحويى البصرة يقول فى ذلك كأنه أخبر النبى صلى الله عليه وسلم ثم خاطبه معهم وقال حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة فجاء بلفظ الغائب وهو يخاطب لانه المخاطب ❁ القول فى تأويل قوله ﴿ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين﴾ وهذا اخبار من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء القوم الذين يعدلون بربهم الأوثان والآلهة والأصنام يقول تعالى ذكره وكيف يتفقهون الآيات أم كيف يستدلون على بطلان ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله وجحود نبوتك بحجج الله وآياته وأدلته وهم لعنادهم الحق وبعدهم من الرشد لو أنزلت عليك يا محمد الوحى الذى أنزلته عليك مع رسولى فى قرطاس يعاينونه ويمسونه بأيديهم وينظرون اليه ويقرؤنه منه معلقا بين السماء والارض بحقيقة ما تدعوهم اليه وصحة ما تأتيهم به من توحيدى وتنزيلى لقال الذين يعدلون بى غيرى فيشركون فى توحيدى سواى ان هذا الا سحر مبين أى ما هذا الذى جئتنا به الا سحر سحرت به أعيننا ليست له حقيقة ولا صحة مبين يقول مبين لمن تدبره وتأمله أنه سحر لا حقيقة له وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ❁ ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم قال فمسوه ونظروا اليه لم يصدقوا به حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم يقول فعاينوه

ابتداء حدوثه بوقت معين يدل على الفاعل المختار وكذا اتصاف بعض الاجسام بالفلكية وبعضها بالعنصرية مع تساوى الكل فى تمام الماهية وأيضا فخارج العالم الجسمانى خلاء لا نهاية له كما ثبت فى الكلام فحصول هذا العالم فى حيزه الذى حصل فيه دون سائر الاحياز أمر ممكن يحتاج الى مرجح قادر مختار حكيم يفعل ما يشاء كما يشاء هذا اذا نظرنا فى ذوات هذه الاجرام أما ان اعتبرنا منافعها وكيفية تأثير الاثيريات وهى الآباء فى العنصريات وهى الامهات لتحصيل المواليد الثلاثة المعادن والنباتات والحيوانات ارتقينا من ذلك أيضا الى وجود صانع قدير وحكيم خبير رتبته أعلى وأجل من رتب الممكنات أما قوله (وجعل الظلمات والنور) فمعناه أحدث وأنشأ ولهذا اقتصر على مفعول واحد ولو كان بمعنى صير اقتضى مفعولين وانما لم يقل وخلق لانه أراد التضمين أعنى انشاء شئ من شئ كقوله وجعل منها زوجها والنور والظلمة لما تعاقبا صار كأن كل واحد منهما تولد من الآخر وقيل لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار ولهذا جمع الظلمات اذ لكل جرم ظل والظل ظلمة ووحد النور لان النار واحد وهو منها والظلمة والنور ههنا هما الامران المحسوسان بالبصر لان الاصل فى الاطلاق الحقيقة والقرينة ذكر السموات والارض وعن ابن عباس

معاينة لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين **حدثني** محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم يقول لو نزلنا من السماء صحفا فيها كتاب فلمسوه بأيديهم لزادهم ذلك تكذيبا **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس الصحف **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله في قرطاس يقول في صحيفة فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ۞ القول في تأويل قوله ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون﴾ يقول تعالى ذكره قال هؤلاء المكذبون بآياتى العادلون بى الانداد والآلهة يا محمد لك لو دعوتهم الى توحيدى والاقرار بربوبيتى واذا أتيتهم من الآيات والعبر بما أتيتهم به واحتججت عليهم بما احتججت عليهم مما قطعت به عذرهم هلا نزل عليك ملك من السماء في صورته يصدقك على ما جئتنا به ويشهد لك بحقيقة ما تدعى من أن الله أرسلك الينا كما قال تعالى مخبرا عن المشركين في قيلهم لنبى الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون يقول ولو أنزلنا ملكا على ما سألوا ثم كفروا ولم يؤمنوا بى وبرسولى لجاءهم العذاب عاجلا غير آجل ولم ينظروا فيؤخروا بالعقوبة مراجعة التوبة كما فعلت عن قبلهم من الامم التى سألت الآيات ثم كفرت بعد مجيئها من تعجيل النقمة وترك الانظار كما **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون يقول لجاءهم العذاب **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون يقول ولو أنهم أنزلنا اليهم ملكا ثم لم يؤمنوا لم ينظروا **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى لولا أنزل عليه ملك في صورته ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر لقامت الساعة **حدثنا** ابن وكيع عن أبيه قال ثنا أبو أسامة عن سفيان الثورى عن عكرمة لقضى الامر قال لقامت الساعة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر قال يقول لو أنزل الله ملكا ثم لم يؤمنوا لعجل لهم العذاب ۞ وقال آخرون في ذلك بما **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال أخبرنا بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قوله ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون قال لو أتاهم ملك في صورته لماتوا ثم لم يؤخروا طرفة عين ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا﴾ يقول تعالى ذكره ولو جعلنا رسولنا الى هؤلاء العادلين بى القائلين لولا أنزل على محمد ملك بتصديقه ملكا ينزل عليهم من السماء يشهد بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ويأمرهم باتباعه لجعلناه رجلا يقول لجعلناه في صورة رجل من البشر لانهم لا يقدرون أن يروا الملك في صورته يقول واذ كان ذلك كذلك فسواء أنزلت عليهم بذلك ملكا أو بشرا اذ كنت اذا أنزلت عليهم ملكا انما أنزله بصورة انسى وحججى في كلتا الحالتين عليهم ثابتة بأنك صادق وأن ما جئتهم به حق ۞ وبنحو الذى قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل ۞ ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا يقول ما أتاهم الا في صورة رجل لانهم لا يستطيعون النظر الى الملائكة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولو جعلناه

أن الظلمة ظلمة الشرك والنفاق والنور نور الاسلام واليقين وعلى الاول فانما جمع الظلمات ووحد النور لان النور عبارة عن تلك الكيفية الكاملة القوية ثم انها تقبل التناقص قليلا قليلا وتلك المراتب كثيرة أو لأنه قصد بالنور الجنس وعلى الثانى فذلك لان الحق واحد والباطل أكثر من أن يحصى وانما قدمت الظلمة على النور لان عدم المحدثات سابق على وجودها والظلمة عدمية عند من يجعلها عدم النور أو شبيهة بالعدم عند من يجعلها هيئة مضادة للنور وقد ورد في الاخبار ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره ۞ قوله (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) معطوف على قوله الحمد لله والمعنى انه حقيق بالحمد على ما خلق ثم الذين كفروا يعدلون عن طريق الانصاف فيكفرون بربهم أو على خلق السموات معناه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون أى يسوون به ما لا يقدر على شئ من ذلك فعلى المعنى الاول يعدلون من العدول وعلى الثانى هو من العدل ومعنى ثم ههنا وفي قوله ثم أنتم تمترون تراخى الرتبة واستبعاد مضمونى الجملتين أحدهما عن الآخر ثم ذكر دليلا آخر على اثبات الصانع وعلى صحة المعاد الجسمانى فقال (هو الذى خلقكم من طين) أى من آدم لانه مخلوق من الطين أو خلقكم من النطفة المتولدة من الاغذية المنتهية الى العناصر ولا

ملكا لجعلناه رجلا فى صورة رجل فى خلق رجل حدثنا بشر قال ثنا يزيد بن زريع
قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا يقول لو بعثنا اليهم ملكا لجعلناه
فى صورة آدمى حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا يقول فى صورة آدمى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا
معمر عن قتادة مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا قال لجعلنا ذلك الملك فى صورة رجل لم نرسله فى صورة الملائكة ❁ القول فى تأويل
قوله ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وللبسنا عليهم ولو أنزلنا ملكا من السماء
مصدقا لك يا محمد شاهدا لك عند هؤلاء العادلين بى الجاحدين آياتك على حقيقة نبوتك لجعلناه
فى صورة رجل من بنى آدم اذ كانوا لا يطيقون رؤية الملك بصورته التى خلقته بها التبس عليهم
أمره فلم يدروا أملك هو أم إنسى فلم يوقنوا به أنه ملك ولم يصدقوا به وقالوا ليس هذا ملكا وللبسنا
عليهم ما يلبسونه على أنفسهم من حقيقة أمرك وصحة برهانك وشاهدك على نبوتك يقال منه
لبست عليهم الامر ألبسه لبسا اذا خلطته عليهم ولبست الثوب ألبسه لبسا واللبوس اسم الثياب
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله
ابن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وللبسنا عليهم
ما يلبسون يقول لشبهنا عليهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وللبسنا
عليهم ما يلبسون يقول ما لبس قوم على أنفسهم إلا لبس الله عليهم واللبس انما هو من الناس
حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى وللبسنا عليهم
ما يلبسون يقول شبهنا عليهم ما يشبهون على أنفسهم * وقد روى عن ابن عباس فى ذلك قول آخر
وهو ما حدثنى به محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن
عباس قوله وللبسنا عليهم ما يلبسون فهم أهل الكتاب فارقوا دينهم وكذبوا رسلهم وهو تحريف
الكلام عن مواضعه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال
سمعت الضحاك فى قوله وللبسنا عليهم ما يلبسون يعنى التحريف هم أهل الكتاب فرقوا كتبهم
ودينهم وكذبوا رسلهم فلبس الله عليهم ما لبسوا على أنفسهم وقد بينا فيما مضى قبل أن هذه الآيات
من أول السورة بأن تكون فى أمر المشركين من عبدة الأوثان أشبه منها بأمر أهل الكتاب من
اليهود والنصارى بما أغنى عن اعادته ❁ القول فى تأويل قوله ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك
فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
مسليا عنه بوعيده المستهزئين به عقوبة ما يلقى منهم من أذى الاستهزاء به والاستخفاف فى ذات الله
هون عليك يا محمد ما أنت لاق من هؤلاء المستهزئين بك المستخفين بحقك فى وفى طاعتى وامض لما
أمرتك به من الدعاء الى توحيدى والاقرار بى والاذعان لطاعتى فانهم ان تمادوا فى غيهم وأصروا على
المقام على كفرهم نسلك بهم سبيل أسلافهم من سائر الأمم من غيرهم من تعجيل النقمة لهم وحلول
المثلات بهم فقد استهزأت أمم من قبلك برسل أرسلتهم اليهم بمثل الذى أرسلتك به الى قومك وفعلوا
مثل ما فعل قومك بك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن يعنى بقوله فحاق فنزل وأحاط
بالذين هزؤا من رسلهم ما كانوا به يستهزؤن يقول العذاب الذى كانوا يهزؤن به وينكرون أن
يكون واقعا بهم على ما أنذرتهم رسلهم يقال منه حاق بهم هذا الأمر يحيق بهم حيقا وحيوقا
وحيقانا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى
محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فحاق بالذين سخروا

منهم

ريب أن خلق الاغذية المتنوعة
من العناصر المتشابهة الاجزاء ثم
توليد النطفة المتشابهة الاجزاء من
تلك الاغذية المختلفة ثم تخليق
الاعضاء المختلفة فى الصفة والصورة
واللون والشكل كالقلب والدماغ
والكبد والعظام والغضاريف
والرباطات والاوتار وغيرها من
المادة المتشابهة لا يمكن الا بتقدير
مقدر حكيم ومدبر رحيم ثم ان تلك
القدرة والحكمة باقية بعد موت
الحيوان فيكون قادرا على اعادتها
واعادة الحياة فيها وذلك يدل على
صحة القول بالمعاد أما قوله (ثم قضى
أجلا) فاعلم أن لفظ القضاء قد يرد
بمعنى الحكم والامر وقضى ربك
ألا تعبدوا الا اياه وبمعنى الخبر
والاعلام وقضينا الى بنى اسرائيل
وبمعنى صفة الفعل اذا تم فقضاهن
سبع سموات ومنه قولك قضى
فلان حاجة فلان والأنسب ههنا
هو الاول والأجل فى اللغة بمعنى
الوقت المضروب لانقضاء الأمد
وأصله من التأخير ومنه الآجل
نقيض العاجل ثم ان صريح الآية
يدل على حصول أجلين لكل
انسان فقال أبو مسلم الاول آجال
الماضين لانهم لما ماتوا صارت
آجالهم معلومة والثانى آجال
الباقين لانها غير معلومة بعد وانما
هى مسماة عند الله تعالى وقيل
الاول أجل الموت والثانى أجل
القيامة لانه لا آخر له ولا يعلم أحد
كيفية الحال فى هذا الاجل الا الله
تعالى وقيل الاول ما بين أن يخلق

منهم من الرسل ما كانوا به يستهزؤن يقول وقع بهم العذاب الذي استهزؤا به ۞ القول في تأويل قوله ﴿قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء العادلين بي الأوثان والأنداد المكذبين بك الجاحدين حقيقة ما جئتهم به من عندي سيروا في الارض يقول جولوا في بلاد المكذبين رسلهم الجاحدين آياتي من قبلهم من ضربائهم وأشكالهم من الناس ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين يقول ثم انظروا كيف أعقبهم تكذيبهم ذلك الهلاك والعطب وخزي الدنيا وعارها وما حل بهم من سخط الله عليهم من البوار وخراب الديار وعفو الآثار فاعتبروا به ان لم تنهكم حلومكم ولم تزجركم حجج الله عليكم عما أنتم مقيمون من التكذيب فاحذروا مثل مصارعهم واتقوا أن يحل بكم مثل الذي حل بهم وكان قتادة يقول في ذلك بما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين دمر الله عليهم وأهلكهم ثم صيرهم الى النار ۞ القول في تأويل قوله ﴿قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم لمن ما في السموات والارض يقول لمن ملك ما في السموات والارض ثم أخبرهم أن ذلك لله الذي استعبد كل شئ وقهر كل شئ بملكه وسلطانه لا للأوثان والأنداد ولا لما يعبدونه و يتخذونه إلها من الاصنام التي لا تملك لأنفسها نفعا ولا تدفع عنها ضرا وقوله كتب على نفسه الرحمة يقول قضى أنه بعباده رحيم لا يعجل عليهم بالعقوبة و يقبل منهم الانابة والتوبة وهذا من الله تعالى ذكره استعطاف للمعرضين عنه الى الاقبال اليه بالتوبة يقول تعالى ذكره ان هؤلاء العادلين بي الجاحدين نبوتك يا محمد إن تابوا وأنابوا قبلت توبتهم واني قد قضيت في خلقي أن رحمتي وسعت كل شئ كالذي حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الاعمش عن ذكوان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله من الخلق كتب كتابا ان رحمتي سبقت غضبي حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن أبي عثمان عن سلمان قال ان الله تعالى لما خلق السماء والارض خلق مائة رحمة كل رحمة ملء ما بين السماء الى الأرض فعنده تسع وتسعون رحمة وقسم رحمة بين الخلائق فيها يتعاطفون وبها تشرب الوحش والطير الماء فاذا كان يوم القيامة قصرها الله على المتقين وزادهم تسعا وتسعين حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن داود عن أبي عثمان عن سلمان بنحوه الا أن ابن أبي عدي لم يذكر في حديثه وبها تشرب الوحش والطير الماء حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عاصم بن سليمن عن أبي عثمان عن سلمان قال نجد في التوراة عطفتين ان الله خلق السموات والارض ثم خلق مائة رحمة أو جعل مائة رحمة قبل أن يخلق الخلق ثم خلق الخلق فوضع بينهم رحمة واحدة وأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة قال فبها يتراحمون و بها يتباذلون و بها يتعاطفون و بها يتزاورون و بها تحن الناقة و بها تثج البقرة و بها تيعر الشاة و بها تتابع الطير و بها تتابع الحيتان في البحر فاذا كان يوم القيامة جمع الله تلك الرحمة الى ما عنده ورحمته أفضل وأوسع حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عاصم بن سليمن عن أبي عثمان النهدي عن سلمان في قوله كتب على نفسه الرحمة الآية قال انا نجد في التوراة عطفتين ثم ذكر نحوه الا أنه ما قال و بها تتابع الطير وبها تتابع الحيتان في البحر حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال ابن طاوس عن أبيه ان الله تعالى لما خلق الخلق لم يعطف شئ على شئ حتى خلق مائة رحمة فوضع بينهم رحمة واحدة فعطف بعض الخلق على بعض ٭ حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر

الى أن يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول مقدار ما انقضى من عمر كل أحد والثاني ما بقي من عمره وقال حكماء الاسلام الاول الاجل الطبيعي الذي يمكن بالنسبة الى المزاج الأول لكل شخص لو بقي مصونا عن الآفات الخارجية والثاني الاجل الاخترامي الذي يحصل بسبب من الاسباب الخارجية كالغرق والحرق والقتل واللدغ وغيرها من الامور المنفصلة ومعنى (مسمى) أي مذكور اسمه في اللوح المحفوظ ومعنى (عنده) أي في حكمه وعلمه كما تقول هذه المسئلة عند الشافعي كذا وعند أبي حنيفة كذا وارتفع أجل بالابتداء و جاز ذلك مع تنكيره لمكان وصفه فقارب المعرفة واتمام يقل وعنده أجل مسمى تعظيما لشأن هذا الأجل فكأنه قيل وأي أجل مسمى عنده والمرية والامتراء الشك ومعنى ثم تبعيد الامتراء عن مثل هذه الحجة الباهرة الموجبة للتيقن في أمر المبدا والمعاد ثم قرر أنه سبحانه عالم بجميع المعلومات ردا على من زعم أنه غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز المطيع من العاصي ولا تمييز أجزاء بدن زيد عن أجزاء بدن عمرو فقال (وهو الله في السموات وفي الارض) وزعمت المجسمة بهذا و بنحو قوله أأمنتم من في السماء أنه سبحانه مستقر في السماء قالوا و يؤكده وقف بعض القراء على السموات والابتداء بقوله وفي

عن ابن طاوس عن أبيه مثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال
وأخبرني الحكم بن أبان عن عكرمة حسبته أسنده قال اذا فرغ الله عز وجل من القضاء بين خلقه
أخرج كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين قال فيخرج من النار
مثل أهل الجنة أو قال مثلا أهل الجنة (٣) ولا أعلمه الا قال مثلا وأما مثل فلا أشك مكتوبا ههنا
وأشار الحكم الى نحره عتقاء الله فقال رجل لعكرمة يا أبا عبد الله فان الله يقول يريدون أن يخرجوا
من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم قال ويلك أولئك أهلها الذين هم أهلها حدثنا
الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة حسبت
أنه أسنده قال اذا كان يوم القيامة أخرج الله كتابا من تحت العرش ثم ذكر نحوه غير أنه قال فقال
رجل يا أبا عبد الله أرأيت قوله يريدون أن يخرجوا من النار وسائر الحديث مثل حديث ابن عبد
الأعلى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال
سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو
عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال
ثنا سعيد عن قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو أنه كان يقول ان لله مائة رحمة فأهبط
رحمة الى أهل الدنيا يتراحم بها الجن والانس وطائر السماء وحيتان الماء ودواب الارض وهوامها
وما بين الهواء واختزن عنده تسعا وتسعين رحمة حتى اذا كان يوم القيامة اختلج الرحمة التي كان
أهبطها الى أهل الدنيا فحواها الى ما عنده فجعلها في قلوب أهل الجنة وعلى أهل الجنة حدثنا
الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال قال عبد الله بن عمرو ان لله
مائة رحمة أهبط منها الى الارض رحمة واحدة يتراحم بها الجن والانس والطير والبهائم وهوام
الارض حدثنا محمد بن عوف قال أخبرنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج قال ثنا صفوان
ابن عمرو قال ثني أبو المخارق زهير بن سالم قال قال عمر لكعب ما أول شئ ابتدأه الله من
خلقه فقال كعب كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد ولكن كتبه باصبعه يتلوها الزبرجد
واللؤلؤ والياقوت أنا الله لا اله الا أنا سبقت رحمتي غضبي ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ليجمعنكم
الى يوم القيامة لا ريب فيه﴾ وهذه اللام التي في قوله ليجمعنكم لام قسم ثم اختلف أهل العربية
في جالبها فكان بعض نحويي الكوفة يقول ان شئت جعلت الرحمة غاية كلام ثم استأنفت بعدها
ليجمعنكم قال وان شئت جعلته في موضع نصب يعني كتب ليجمعنكم كما قال كتب ربكم على نفسه
الرحمة أنه من عمل منكم سوأ بجهالة يريد كتب أنه من عمل منكم قال والعرب تقول في الحروف
التي يصلح معها جواب كلام الأيمان بأن المفتوحة وباللام فيقولون أرسلت اليه أن يقوم
وأرسلت اليه ليقومن قال وكذلك قوله ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين قال
وهو في القرآن كثير ألا ترى أنك لو قلت بدا لهم أن يسجنوه لكان صوابا وكان بعض نحويي
البصرة يقول نصبت لام ليجمعنكم (١) لان معنى كتب كأنه قال والله ليجمعنكم * والصواب من
القول في ذلك عندي أن يكون قوله كتب على نفسه الرحمة غاية وأن يكون قوله ليجمعنكم خبرا
مبتدأ ويكون معنى الكلام حينئذ ليجمعنكم الله أيها العادلون بالله ليوم القيامة الذي لا ريب
فيه لينتقم منكم بكفركم به وانما قلت هذا القول أولى بالصواب من اعمال كتب في ليجمعنكم
لان قوله كتب قد عمل في الرحمة فغير جائز وقد عمل في الرحمة أن يعمل في ليجمعنكم لانه لا يتعدى الى

(١) لعل الأصل لان معنى كتب القسم كأنه الخ كتبه مصححه

الارض يعلم سركم أي يعلم سرائركم
الموجودة في الارض ولو سلم أن
لا وقف فالاجماع حاصل على أنه
ليس موجودا في الأرض ولا يلزم
من ترك العمل بأحد الظاهرين
ترك العمل بالظاهر الآخر من غير
دليل ونوقض بأنه تعالى قال في
مواضع لله ما في السموات فلو كان
هو في السماء لزم أن يكون مالكا
لنفسه ولا يخفى ضعف هذا
النقض لانه مخصوص بالقرينة
كقوله ان الله على كل شئ قدير
وبأنه اما أن يراد كونه في سماء
واحدة وهو ترك الظاهر أو في جميع
السموات وهو يقتضي كونه
ذا أجزاء أو حصول المتحيز الواحد
في مكانين وكلاهما محال والحق
أنه لا يلزم من استصحاب المكان
الافتقار اليه ولا التجسيم والتجزئة
وهو دقيق يفهمه من وفق له وبأنه
لو كان موجودا في السموات
لكان محدودا متناهيا فيكون
قابلا للزيادة والنقصان فيكون
اختصاصه بمقدار معين لمخصص
فيكون محدثا ورد عليه انه لم
لا يجوز أن يكون في السموات
وفوقها الى ما لا يتناهى لاسيما
عند من يقول ان وراء هذا العالم
خلاء غير متناه وبأنه لو كان في
السموات فان لم يقدر على عالم آخر
فوقها لزم تعجيزه وان قدر فلو
فعل لحصل تحت ذلك العالم
والقوم ينكرون كونه تحت
العالم والاعتراض أنه لا يلزم من
القدرة الايجاد وقال غير المجسمة

اثنين فان قال قائل فما أنت قائل فى قراءة من قرأ كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه بفتح أن قيل ان ذلك اذا قرئ كذلك فان أن بيان عن الرحمة وترجمة عنها لان معنى الكلام كتب على نفسه الرحمة أن يرحم من عباده بعد اقتراف السوء بجهالة و يعفو والرحمة يترجم عنها ويبين معناها بصفتها وليس من صفة الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيامة فيكون مبينا به عنها فان كان ذلك كذلك فلم يبق الا أن ينصب بنية تكرير كتب مرة أخرى معه ولا ضرورة بالكلام الى ذلك فتوجيهه الى ماليس بموجود فى ظاهره وأما تأويل قوله لاريب فيه فانه لاشك فيه يقول فى أن الله يجمعكم الى يوم القيامة فيحشركم اليه جميعا ثم يؤتى كل عامل منكم أجر ما عمل من حسن أو سيئ ۞ القول فى تأويل قوله ﴿الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله الذين خسروا أنفسهم العادلين به الاوثان والأصنام يقول تعالى ذكره ليجمعن الله الذين خسروا أنفسهم يقول الذين أهلكوا أنفسهم وغبنوها بادعائهم لله الند والعديل فأوبقوها بايجابهم سخط الله وأليم عقابه فى المعاد وأصل الخسار الغبن يقال منه خسر الرجل فى البيع اذا غبن كما قال الاعشى

لا يأخذ الرشوة فى حكمه * ولا يبالى خسر الخاسر

وقد بينا ذلك فى غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته وموضع الذين فى قوله الذين خسروا أنفسهم نصب على الرد على الكاف والميم فى قوله ليجمعنكم على وجه البيان عنها وذلك أن الذين خسروا أنفسهم هم الذين خوطبوا بقوله ليجمعنكم وقوله فهم لا يؤمنون يقول فهم لاهلاكهم أنفسهم وغبنهم اياها حظها لا يؤمنون أى لا يوحدون الله ولا يصدقون بوعده ووعيده ولا يقرون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم﴾ يقول تعالى ذكره لا يؤمن هؤلاء العادلون بالله الأوثان فيخلصوا له التوحيد ويفردوا له الطاعة ويقروا بالالوهية جهلا وله ما سكن فى الليل والنهار يقول وله ملك كل شئ لانه لا شئ من خلق الله الا وهو ساكن فى الليل والنهار فمعلوم بذلك أن معناه ما وصفنا وهو السميع ما يقول هؤلاء المشركون فيه من ادعائهم له شريكا وما يقول غيرهم من خلاف ذلك العليم بما يضمرونه فى أنفسهم وما يظهرونه بجوارحهم لا يخفى عليه شئ من ذلك فهو يحصيه عليهم ليوفى كل انسان ثواب ما اكتسب وجزاء ما عمل وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله سكن قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وله ما سكن فى الليل والنهار يقول ما استقر فى الليل والنهار ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين العادلين بربهم الأوثان والاصنام والمنكرين عليك إخلاص التوحيد لربك الداعين الى عبادة الآلهة والأوثان أشيأ غير الله تعالى أتخذ وليا أستنصره وأستعينه على النوائب والحوادث كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قل أغير الله أتخذ وليا قال أما الولى فالذى يتولونه ويقرون له بالربوبية فاطر السموات والارض يقول أشيأ غير الله فاطر السموات أتخذ وليا ففاطر السموات والارض من نعت الله وصفته ولذلك خفض ويعنى بقوله فاطر السموات والارض مبتدعهما ومبتدئهما وخالقهما كالذى حدثنا به ابن وكيع قال ثنا يحيى بن سعيد القطان عن سفيان عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد قال سمعت ابن عباس يقول كنت لا أدرى ما فاطر السموات والارض حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر فقال أحدهما لصاحبه أنا فطرتها يقول أنا ابتدأتها حدثنا محمد

المراد وهو الله فى تدبير السموات والارض كما يقال فلان فى أمر كذا أى فى تدبيره واصلاحه وعلى هذا يكون فى السموات خبرا بعد خبر ويوقف على اسم الله ثم يبتدأ بما بعد ذلك ويكون المعنى انه يعلم فى السموات والأرض سرائر الملائكة والانس والجن أو المراد وهو المعبود فيهما أو المعروف بالالهية أو المتوحد بها أو هو الذى يقال له الله فيهما لا شريك له فى هذا الاسم والسر من صفات القلوب وهى الدواعى والصوارف والجهر من أعمال الجوارح ولان الاول مقدم على الثانى طبعا فلا جرم قدم عليه وضعا والجملة أعنى قوله (يعلم سركم وجهركم) مقررة لما قبلها أو خبر ثالث أو كلام مبتدأ (ويعلم ما تكسبون) الكسب أخص من الاعمال السرية والجهرية لانه الفعل المفضى الى اجتلاب نفع أو اندفاع ضر ولهذا لا يوصف فعل الله تعالى بأنه كسب وافراد الاخص بالذكر بعد الأعم للتقرير والتأكيد أو لكونه أهم حسن لا يلزم منه عطف الشئ على نفسه والمراد أنه عالم بما يستحقه الانسان على أفعاله من ثواب أو عقاب ثم لما فرغ من دلائل التوحيد والمعاد شرع فى النبوات فرتب أحوال الكفار مع الانبياء فى ثلاث مراتب الاولى كونهم معرضين عن التأمل فى الدلائل وذلك قوله

ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فاطر السموات والارض قال خالق السموات والارض حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فاطر السموات والارض قال خالق السموات والارض يقال من ذلك فطرها الله يفطرها ويفطرها فطرا وفطورا (١) ومنه قوله ترى من فطور يعنى شقوقا وصدوعا يقال سيف فطار اذا كثر فيه التشقق وهو عيب فيه ومنه قول عنترة

وسيفى كالعقيقة فهو كمعى * سلاحى لا أفل ولا فطارا

ومنه يقال فطر ناب الجمل اذا انشق اللحم فخرج ومنه قوله تكاد السموات ينفطرن من فوقهن أى يتشققن ويتصدعن وأما قوله وهو يطعم ولا يطعم فانه يعنى وهو يرزق خلقه ولا يرزق كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وهو يطعم ولا يطعم قال يرزق ولا يرزق وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقول ذلك وهو يطعم ولا يطعم أى انه يطعم خلقه ولا يأكل هو ولا معنى لذلك لقلة القراءة به ۞ القول فى تأويل قوله (قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للذين يدعونك الى اتخاذ الآلهة أولياء من دون الله ويحثونك على عبادتها أغير الله فاطر السموات والارض وهو يرزقنى وغيرى ولا يرزقه أحد أتخذ وليا هو له عبد مملوك وخلق مخلوق وقل لهم أيضا انى أمرنى ربى أن أكون أول من أسلم يقول أول من خضع له بالعبودية وتذلل لامره ونهيه وانقاد له من أهل دهرى وزمانى ولا تكونن من المشركين يقول وقل وقيل لى لا تكونن من المشركين بالله الذين يجعلون الآلهة والانداد شركاء وجعل قوله أمرت بدلا من قيل لى لان قوله أمرت معناه قيل لى فكأنه قيل قل انى قيل لى كن أول من أسلم ولا تكونن من المشركين فاجتزئ بذكر الامر من ذكر القول اذ كان الامر معلوما أنه قول ۞ القول فى تأويل قوله (قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين العادلين بالله الذين يدعونك الى عبادة أوثانهم ان ربى نهانى عن عبادة شئ سواه وانى أخاف ان عصيت ربى فعبدتها عذاب يوم عظيم يعنى عذاب يوم القيامة ووصفه تعالى بالعظم لعظم هوله وفظاعة شأنه ۞ القول فى تأويل قوله (من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين) اختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة من يصرف عنه يومئذ بضم الياء وفتح الراء بمعنى من يصرف عنه العذاب يومئذ وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة من يصرف عنه بفتح الياء وكسر الراء بمعنى من يصرف الله عنه العذاب يومئذ وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندى قراءة من قرأه يصرف عنه بفتح الياء وكسر الراء لدلالة قوله فقد رحمه على صحة ذلك وأن القراءة فيه بتسمية فاعله ولو كانت القراءة فى قوله من يصرف على وجه ما لم يسم فاعله كان الوجه فى قوله فقد رحمه أن يقال فقد رحم غير مسمى فاعله وفى تسمية الفاعل فى قوله فقد رحمه دليل بين على أن ذلك كذلك فى قوله من يصرف عنه واذ كان ذلك هو الوجه الاولى بالقراءة فتأويل الكلام من يصرف عنه من خلقه يومئذ عذابه فقد رحمه وذلك هو الفوز المبين ويعنى بقوله وذلك وصرف الله عنه العذاب يوم القيامة ورحمته اياه الفوز أى النجاة من الهلكة والظفر بالطلبة المبين يعنى الذى بين لمن رآه أنه الظفر بالحاجة وادراك الطلبة وبنحو الذى قلنا فى قوله من يصرف عنه يومئذ قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه قال من يصرف عنه العذاب

(١) قوله ومنه قوله ترى الخ هذا لا يلائم ما قبله فلعل فيه سقطا والأصل والفطر أيضا الشق ومنه الخ

(وما تأتيهم من آية من آيات ربهم) من الاولى للاستغراق والثانية للتبعيض والمراد وما يظهر لهم دليل قط من الأدلة التى يجب فيها النظر والاعتبار الا وهم على حالة الاعراض لقلة تدبرهم وفرط غفلتهم * الثانية كونهم مكذبين وهذه مرتبة أشد مما قبلها لان الاعراض قد يكون للغفلة لا للتكذيب واذا كذب فقد أعرض وزاد قال علماء المعانى ههنا حذف كأنه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو أعظم آية وهو الحق قال أنس هو انشقاق القمر بمكة انفلق فلقتين فذهبت فلقة وبقيت فلقة وقيل هو القرآن الذى تحدوا به فعجزوا عنه وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل شرعه وقيل وعده ووعيده وتبشيره وانذاره والأولى الحمل على الكل * المرتبة الثالثة كونهم مستهزئين لان التكذيب اذا انضم معه الاستهزاء كان غاية فى الغواية وذلك قوله (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا) أى أخبار الشئ الذى كانوا (به يستهزؤن) وهو القرآن وغيره من المعجزات وليس المراد نفس الانباء بل العذاب الذى أنبأ الله تعالى به كقوله ولتعلمن نبأه بعد حين والحكيم اذا توعد فربما قال ستعرف نبأ هذا اذا نزل بك ما تحذره وذلك أن الغرض من الخبر حصول العلم بالمخبر عنه وذلك انما يتحقق بعد المعاينة ومعنى الآية سيعلمون بأى شئ

﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ان يصبك الله بضر يقول بشدة فى دنياك وشظف فى عيشك وضيق فيه فلن يكشف ذلك عنك الا الله الذى أمرك أن تكون أول من أسلم لأمره ونهيه وأذعن له من أهل زمانك دون ما يدعوك العادلون به الى عبادته من الاوثان والاصنام ودون كل شئ سواها من خلقه وان يمسسك بخير يقول وان يصبك بخير أى برخاء فى عيش وسعة فى الرزق وكثرة فى المال فتقر أنه أصابك بذلك فهو على كل شئ قدير يقول تعالى ذكره والله الذى أصابك بذلك فهو على كل شئ قدير هو القادر على نفعك وضرك وهو على كل شئ يريده قادر لا يعجزه شئ يريده ولا يمتنع منه شئ طلبه ليس كالآلهة الذليلة المهينة التى لا تقدر على اجتلاب نفع على أنفسها ولا غيرها ولا دفع ضر عنها ولا غيرها يقول تعالى ذكره فكيف تعبد من كان هكذا أم كيف لا تخلص العبادة وتقر لمن كان بيده الضر والنفع والثواب والعقاب وله القدرة الكاملة والعزة الظاهرة ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وهو نفسه يقول والله القاهر فوق عباده ويعنى بقوله القاهر المذلل المستعبد خلقه العالى عليهم وانما قال فوق عباده لانه وصف نفسه تعالى بقهره اياهم ومن صفة كل قاهر شيأ أن يكون مستعليا عليه فمعنى الكلام اذا والله الغالب عباده المذللهم العالى عليهم بتذليله لهم وخلقه اياهم فهو فوقهم بقهره اياهم وهم دونه وهو الحكيم يقول والله الحكيم فى علوه على عباده وقهره اياهم بقدرته وفى سائر تدبيره الخبير بمصالح الاشياء ومضارها الذى لا يخفى عليه عواقب الامور وبواديها ولا يقع فى تدبيره خلل ولا يدخل حكمه دخل ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿قل أى شئ أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبون ويجحدون نبوتك من قومك أى شئ أعظم شهادة وأكبر ثم أخبرهم بأن أكبر الاشياء شهادة الله الذى لا يجوز أن يقع فى شهادته ما يجوز أن يقع فى غيره من خلقه من السهو والخطا والغلط والكذب ثم قل لهم ان الذى هو أكبر الاشياء شهادة شهيد بينى وبينكم بالمحق منا من المبطل والرشيد منا فى فعله وقوله من السفيه وقد رضيناه حكما بيننا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى أى شئ أكبر شهادة قال أمر محمد أن يسأل قريشا ثم أمر أن يخبرهم فيقول الله شهيد بينى وبينكم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين الذين يكذبونك الله شهيد بينى وبينكم وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به عقابه وأنذر به من بلغه من سائر الناس غيركم ان لم ينته الى العمل بما فيه وتحليل حلاله وتحريم حرامه والايمان بجميعه نزول نقمة الله به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أى شئ أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول يا أيها الناس بلغوا ولو آية من كتاب الله فانه من بلغه آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله أخذه أو تركه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لأنذركم به ومن بلغ ان النبى صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عن الله فمن بلغه آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله حدثنا هناد قال ثنا وكيع

استهزؤا وأنه لم يكن موضع استهزاء وذلك عند نزول العقاب بهم فى الدنيا كيوم بدر وغيره أو فى الآخرة ثم لما زجرهم عن الاعراض والتكذيب والاستهزاء وأوعدهم على ذلك عاد الى الموعظة والنصيحة بتذكير أحوال الأمم الماضية والقرون الخالية والقرن القوم المقترنون فى زمان من الدهر المفترقون بعد ذلك بالموت وذلك الزمان فى الاغلب ستون سنة وقيل سبعون وقيل ثمانون والأقرب أنه غير مقدر بزمان لا يقع فيه زيادة ولا نقصان ولكنه اذا انقضى الأكثر من أهل كل عصر فقد انقضى القرن وليس المراد أن يصدق الكفار محمدا فى هذه الأخبار لانهم بصدد التكذيب فسيكذبونه فيها أيضا وانما المراد أن ما يختص بالمتقدمين منهم مشهور بين الناس فيبعد أن يقال انهم ما سمعوا تلك الحكايات ومجرد سماعها يكفى فى الاعتبار ثم وصف تلك القرون بثلاثة أوصاف الاول تمكينهم فى الارض مكن له فى الارض جعل له مكانا ومكنه فيها أثبته وهما متقاربان ولهذا جمع بينهما فى الآية والمعنى لم نعط أهل مكة نحو ما آتينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة فى الاجسام والسعة فى الاموال وأسباب الدنيا الثانى ارسال السماء عليهم مدرارا يعنى الغيث أو السحاب أو الخضراء لان المطر ينزل من ذلك الصوب والمدرار كثير الدر والدر اللبن اذا أقبل على

وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي لأنذركم به ومن بلغ قال من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قرأ ومن بلغ أئنكم لتشهدون حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن حسن بن صالح قال سألت ليثا هل بقي أحد لم تبلغه الدعوة قال كان مجاهد يقول حيثما يأتي القرآن فهو داع وهو نذير ثم قرأ لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ومن بلغ من أسلم من العجم وغيرهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا خالد بن يزيد قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب في قوله لأنذركم به ومن بلغ قال من بلغه القرآن فقد أبلغه محمد صلى الله عليه وسلم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وأوحي الي هذا القرآن لأنذركم به يعني أهل مكة ومن بلغ يعني ومن بلغه هذا القرآن فهو له نذير حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت سفيان الثوري يحدث لا أعلمه الا عن مجاهد أنه قال في قوله وأوحي الي هذا القرآن لأنذركم به العرب ومن بلغ العجم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي لأنذركم به ومن بلغ أما من بلغ فمن بلغه القرآن فهو له نذير حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأوحي الي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ قال يقول من بلغه هذا القرآن فأنا نذيره وقرأ يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا قال فمن بلغه القرآن فرسول الله صلى الله عليه وسلم نذيره فمعنى هذا الكلام لأنذركم بالقرآن أيها المشركون وأنذر من بلغه القرآن من الناس كلهم فمن في موضع نصب بوقوع أنذر عليه وبلغ في صلته وأسقطت الهاء العائدة على من في قوله بلغ لاستعمال العرب ذلك في صلات من وما والذي ۞ القول في تأويل قوله ﴿أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين الجاحدين نبوتك العادلين بالله ربا غيره أئنكم أيها المشركون لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى يقول تشهدون أن معه معبودات غيره من الاوثان والاصنام وقال أخرى ولم يقل أخر والآلهة جمع لان الجموع يلحقها التأنيث كما قال تعالى فما بال القرون الأولى ولم يقل الأول ولا الأولين ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لا أشهد بما تشهدون أن مع الله آلهة أخرى بل أجحد ذلك وأنكره انما هو اله واحد يقول انما هو معبود واحد لا شريك له فيما يستوجب على خلقه من العبادة وانني بريء مما تشركون يقول قل وانني بريء من كل شريك تدعونه لله وتضيفونه الى شركته وتعبدونه معه لا أعبد سوى الله شيأ ولا أدعو غيره الها وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود بأعيانهم من وجه لم تثبت صحته وذلك ما حدثنا به هناد بن السري وأبو كريب قالا ثنا يونس بن بكير قال ثني محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال جاء النحام بن زيد وقردم بن كعب وبحري بن عمير فقالوا يا محمد ما تعلم مع الله الها غيره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله بذلك بعثت والى ذلك أدعو فأنزل الله تعالى فيهم وفي قولهم قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم الى قوله لا يؤمنون ۞ القول في تأويل قوله ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره الذين آتيناهم الكتاب التوراة والانجيل يعرفون أنما هو اله واحد لا جماعة الآلهة

الحالب منه شيء كثير ومدرارا نعت المطر ويقال أيضا سحاب مدرارا اذا تتابع امطاره وهو مفعال من أبنية المبالغة يستوي فيه المذكر والمؤنث الثالث (وجعلنا الانهار تجري من تحتهم) أي من تحت أمكنتهم والمراد أنهم أصحاب البساتين والقصور والمتنزهات فان قيل الهلاك غير مختص بهم وانما يجري ذلك على الانبياء والمؤمنين أيضا قلنا لدفع هذا الاشكال ذكر فقال (فأهلكناهم بذنوبهم) فان الاهلاك بسبب المعاصي والآثام لا يكون الا بالعذاب والايلام ثم نبه بقوله (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) على كمال عزته واستغنائه ونهاية قدرته واستعلائه كقوله إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد فالبلاد بلاده والعباد عباده بيده التخريب والتعمير واليه الاعدام والايجاد ثم ان الذين يتمردون عن قبول دعوة الانبياء طوائف متعددة منهم من بالغ في حب الدنيا وطلب لذاتها وشهواتها على وفق هواه ومناه لا على قانون الخير والعدل فمنعه ذلك عن التزام التكاليف وهو المذكور في الآية وفيه أن لذات الدنيا ذاهبة وعذاب الكفر باق وليس من العقل تحمل العقاب الدائم لاجل اللذات الفانية ومنهم من حملته العصبية والعناد على تكذيب معجزات الانبياء وجعلها من قبيل السحر الذي لا أصل له وهم الذين عناهم بقوله (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس) والمعنى أنه

وأن محمدا نبي مبعوث كما يعرفون أبناءهم وقوله الذين خسروا أنفسهم من نعت الذين الاولى ويعني بقوله خسروا أنفسهم أهلكوها وألقوها في نار جهنم بانكارهم محمدا أنه لله رسول مرسل وهم بحقيقة ذلك عارفون فهم لا يؤمنون يقول فهم بخسارتهم بذلك أنفسهم لا يؤمنون وقد قيل ان معنى خسارتهم أنفسهم أن كل عبد له منزل في الجنة ومنزل في النار فاذا كان يوم القيامة جعل الله لأهل الجنة منازل أهل النار في الجنة وجعل لاهل النار منازل أهل الجنة في النار فذلك خسران الخاسرين منهم لبيعهم منازلهم من الجنة بمنازل أهل الجنة من النار بما فرط منهم في الدنيا من معصيتهم الله وظلمهم أنفسهم وذلك معنى قول الله تعالى الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وبنحو ما قلنا في معنى قوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم يعرفون أن الاسلام دين الله وأن محمدا رسول الله يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم النصارى واليهود يعرفون رسول الله في كتابهم كما يعرفون أبناءهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم (1) حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم يعني النبي صلى الله عليه وسلم قال زعم أهل المدينة عن أهل الكتاب ممن أسلم أنهم قالوا والله لنحن أعرف به من أبنائنا من أجل الصفة والنعت الذي نجده في الكتاب وأما أبناؤنا فلا ندري ما أحدث النساء ✿ القول في تأويل قوله ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون﴾ يقول تعالى ذكره ومن أشد اعتداء وأخطأ فعلا وأخطل قولا ممن افترى على الله كذبا يعني ممن اختلق على الله قيلا باطلا واخترق من نفسه عليه كذبا فزعم أن له شريكا من خلقه والها يعبد من دونه كما قاله المشركون من عبدة الاوثان أو ادعى له ولدا أو صاحبة كما قالته النصارى أو كذب بآياته يقول أو كذب بحججه وأعلامه وأدلته التي أعطاها رسله على حقيقة نبوتهم كذبت بها اليهود انه لا يفلح الظالمون يقول انه لا يفلح القائلون على الله الباطل ولا يدركون البقاء في الجنان والمفترون عليه الكذب والجاحدون نبوة أنبيائه ✿ القول في تأويل قوله ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون﴾ يقول تعالى ذكره ان هؤلاء المفترين على الله كذبا والمكذبين بآياته لا يفلحون اليوم في الدنيا ولا يوم نحشرهم جميعا يعني ولا في الآخرة ففي الكلام محذوف قد استغني بذكر ما ظهر عما حذف وتأويل الكلام انه لا يفلح الظالمون اليوم في الدنيا ويوم نحشرهم جميعا فقوله ويوم نحشرهم مردود على المراد في الكلام لانه وان كان محذوفا منه فكأنه فيه لمعرفة السامعين بمعناه ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم يقول ثم نقول اذا حشرنا هؤلاء المفترين على الله الكذب بادعائهم له في سلطانه شريكا والمكذبين بآياته ورسله فجمعنا جميعهم يوم القيامة أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون أنهم لكم آلهة من دون الله افتراء وكذبا وتدعونهم من دونه أربابا فأتوا بهم ان كنتم صادقين ✿ القول في تأويل قوله ﴿ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ يقول تعالى ذكره ثم لم يكن قولهم اذ قلنا لهم أين شركاؤكم

(1) لم يذكر تفسيرا وعبارة الدر المنثور عن السدي يعني يعرفون النبي كما يعرفون أبناءهم لأن نعته معهم في التوراة اه تأمل كتبه مصححه

لو نزل الكتاب جملة واحدة في صحيفة واحدة فرأوه ولمسوه وشاهدوه بما طعنوا فيه وقالوا انه سحر وههنا سؤال وهو أن نزول الكتاب من السماء جملة ان لم يكن من باب المعجزات لم يكن انكاره منكرا وان كان من قبيل الاعجاز فالملك يقدر على انزاله من السماء وقبل الايمان بصدق الرسل لم تكن عصمة الملائكة معلومة وحينئذ يجوز أن يكون نزول ذلك من قبل بعض الجن والشياطين أو من بعض الملائكة الذين لم تثبت عصمتهم فلا يكون دليلا على الصدق وأجيب بان المقصود من الآية ليس بيان الاعجاز ولكن المراد أنهم اذا لمسوه بأيديهم يقوى الادراك البصري بالادراك اللمسي وبلغ الغاية في القوة والظهور ثم ان هؤلاء يبقون شاكين في أن ذلك الذي رأوه ولمسوه هل هو موجود أم لا وذلك يدل على أنهم بلغوا في الجهالة الى حد السفسطة قال القاضي في الآية دليل على وجوب اللطف لانه بين أنه انما لم ينزل هذا الكتاب من حيث انه لو أنزله لقالوا هذا القول فيفهم منه أنهم لو قبلوه وآمنوا به لأنزله لا محالة وزيف بان المفهوم ليس بحجة ولو سلم فوقوع اللطف لا يدل على وجوبه ومن الكفرة من قابل النبوات بايراد الشبهات والاقتراحات قال الكلبي ان مشركي مكة قالوا يا محمد والله لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة

الذين كنتم تزعمون اجابة منهم لنا عن سؤالنا اياهم ذلك اذ فتناهم فاختبرناهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين كذبا منهم فى أيمانهم على قيلهم ذلك ثم اختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته جماعة من قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ثم لم تكن فتنتهم بالنصب بمعنى لم يكن اختبارنا لهم الا قيلهم والله ربنا ما كنا مشركين غير أنهم يقرؤن تكن بالتاء على التأنيث وان كانت للقول لا للفتنة لمجاورته الفتنة وهى خبر وذلك عند أهل العربية شاذ غير فصيح فى الكلام وقد روى بيت لبيد بنحو ذلك وهو قوله

فمضى وقدمها وكانت عادة * منه اذا هى (١) عردت اقدامها

فقال وكانت بتأنيث الاقدام لمجاورته قوله عادة وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفيين ثم لم يكن بالياء فتنتهم بالنصب الا أن قالوا بنحو المعنى الذى قصده الآخرون الذين ذكرنا قراءتهم غير أنهم ذكروا يكون لتذكير أن ٢ وهذه القراءة عندنا أولى القراءتين بالصواب لأن أن أثبت فى المعرفة من الفتنة * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ثم لم تكن فتنتهم فقال بعضهم معناه ثم لم يكن قولهم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال قتادة فى قوله ثم لم تكن فتنتهم قال مقالتهم قال معمر وسمعت غير قتادة يقول معذرتهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله ثم لم تكن فتنتهم قال قولهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا الآية فهو كلامهم قالوا والله ربنا ما كنا مشركين حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك ثم لم تكن فتنتهم يعنى كلامهم * وقال آخرون معنى ذلك معذرتهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة ثم لم تكن فتنتهم قال معذرتهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين يقول اعتذارهم بالباطل والكذب * والصواب من القول فى ذلك أن يقال معناه ثم لم يكن قيلهم عند فتنتنا اياهم اعتذارا مما سلف منهم من الشرك بالله الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فوضعت الفتنة موضع القول لمعرفة السامعين معنى الكلام وانما الفتنة الاختبار والابتلاء ولكن لما كان الجواب من القوم غير واقع هنالك الا عند الاختبار وضعت الفتنة التى هى الاختبار موضع الخبر عن جوابهم ومعذرتهم * واختلفت القراء أيضا فى قراءة قوله والله ربنا ما كنا مشركين فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين والبصريين والله ربنا خفضا على أن الرب نعت لله وقرأ ذلك جماعة من التابعين والله ربنا بالنصب بمعنى والله يا ربنا وهى قراءة عامة قراء أهل الكوفة * وأولى القراءتين عندى بالصواب فى ذلك قراءة من قرأ والله ربنا بنصب الرب بمعنى يا ربنا وذلك أن هذا جواب من المسؤلين المقول لهم أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون وكان من جواب القوم لربهم والله يا ربنا ما كنا مشركين فنفوا أن يكونوا قالوا ذلك فى الدنيا يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ويعنى بقوله ما كنا مشركين ما كنا ندعو لك شريكا

---

(١) بالعين المهملة يعنى تركت القصد وانهزمت اه كتبه مصححه

(٢) سقط من قلم الناسخ قراءة الرفع كما يؤخذ من بقية كلامه ومراده بقوله وهذه القراءة أى قراءة النصب وقوله لأن أن أثبت الخ أى لانه يشبه المضمر اه تأمل كتبه مصححه

يشهدون أنه من عند الله وأنك رسوله وذلك قوله (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) فأجاب الله تعالى عن مقترحهم بقوله (ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون) ومعنى القضاء الاتمام والالزام كما مر وتقرير الجواب أن انزال الملك على البشر آية باهرة وحينئذ ربما لم يؤمنوا فيجب اهلاكهم بعذاب الاستئصال أولعلهم اذا شاهدوا الملك زهقت أرواحهم ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما رأى جبرائيل على صورته الاصلية غشى عليه وأن جميع الرسل عاينوا الملائكة فى صورة البشر كأضياف ابراهيم ولوط وكالذين تسوروا المحراب وأن جبرائيل تمثل لمريم بشرا سويا وفائدة ثم أن عدم الانظار أشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة أقطع من نفس الشدة ثم انهم كانوا يطعنون فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من جهة أخرى وهى أنه بشر مثلهم ويقولون لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا وتقرير الشبهة أن الرسل اذا كانوا من زمرة الملائكة كانت علومهم أكثر وقدرتهم أشد ومهابتهم أعظم وامتيازهم عن الخلق أكمل والاشتباه فى نبوتهم ورسالتهم أقل والحكيم اذا أراد تحصيل مهم اختار ما هو أسرع افضاء الى المطلوب فأجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله (ولو جعلناه) أى الرسول (ملكا لجعلناه رجلا) لان نزال الملك آية ظاهرة جارية مجرى

ولا

ولاندعو سواك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا
يفترون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد فاعلم كيف كذب هؤلاء
المشركون العادلون بربهم الاوثان والأصنام فى الآخرة عند لقاء الله على أنفسهم بقيلهم والله يا ربنا
ما كنا مشركين واستعملوا هنالك الاخلاق التى كانوا بها متخلقين فى الدنيا من الكذب والفرية
ومعنى النظر فى هذا الموضع النظر بالقلب لا النظر بالبصر وانما معناه تبين فاعلم كيف كذبوا
فى الآخرة وقال كذبوا ومعناه يكذبون لأنه لما كان الخبر قد مضى فى الاية قبلها صار كالشئ الذى
قد كان ووجد وضل عنهم ما كانوا يفترون يقول وفارقهم الانداد والاصنام وتبرؤا منها فسلكوا
غير سبيلها لانها هلكت وأعيد الذين كانوا يعبدونها اجتراء ثم أخذوا بما كانوا يفترونه من قيلهم
فيها على الله وعبادتهم اياها واشراكهم اياها فى سلطان الله فضلت عنهم وعوقب عابدوها بفريتهم
وقد بينا فيما مضى أن معنى الضلال الاخذ على غير الهدى وقد ذكر أن هؤلاء المشركين يقولون
هذا القول عند معاينتهم سعة رحمة الله يومئذ ذكر الرواية بذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا
حكام قال ثنا عمرو عن مطرف عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال أتى رجل ابن عباس
فقال قال الله والله ربنا ما كنا مشركين وقال فى آية أخرى ولا يكتمون الله حديثا قال ابن عباس
أما قوله والله ربنا ما كنا مشركين فانه لما رأوا أنه لا يدخل الجنة الا أهل الاسلام فقالوا تعالوا فلنجحد
قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم ولا يكتمون الله
حديثا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد
فى قول الله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين قال قول أهل الشرك حين رأوا الذنوب تغفر ولا يغفر
الله لمشرك انظر كيف كذبوا على أنفسهم بتكذيب الله اياهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة
قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال
ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله والله ربنا ما كنا مشركين ثم قال ولا
يكتمون الله حديثا بجوارحهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن حمزة الزيات عن رجل يقال له
هشام عن سعيد بن جبير ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين قال حلفوا
واعتذروا قالوا والله ربنا حدثنى المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن سعيد بن جبير
قال أقسموا واعتذروا والله ربنا حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن حمزة الزيات عن رجل يقال له
هشام عن سعيد بن جبير بنحوه حدثنا هناد قال ثنا أبو معاوية عن سفيان بن زياد العصفرى
عن سعيد بن جبير فى قوله والله ربنا ما كنا مشركين قال لما أمر باخراج رجال من النار من أهل
التوحيد قال من فيها من المشركين تعالوا نقول لا اله الا الله لعلنا نخرج مع هؤلاء قال فلم
يصدقوا قال فحلفوا والله ربنا ما كنا مشركين قال فقال الله انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل
عنهم ما كانوا يفترون حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وضل عنهم
ما كانوا يفترون أى يشركون به حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا المنهال بن
عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله والله ربنا ما كنا مشركين قال لما رأى المشركون
أنه لا يدخل الجنة الا مسلم قالوا تعالوا اذا سئلنا قلنا والله ربنا ما كنا مشركين فسئلوا فقالوا
ذلك فختم الله على أفواههم وشهدت عليهم جوارحهم بأعمالهم فود الذين كفروا حين رأوا ذلك
لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا حدثنى الحرث قال ثنى عبد العزيز قال ثنا
مسلم بن خلف عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال يأتى على الناس يوم القيامة ساعة لما رأى أهل
الشرك أهل التوحيد يغفر لهم فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين قال انظر كيف كذبوا على

الالجاء وازالة الاختيار وذلك مناف
لغرض التكليف ولان الجنس الى
الجنس أميل ولان البشر لا يطيق
رؤية الملك ولان طاعات الملك كثيرة
فيحقرون طاعات البشر
ويستعظمون اقدامهم على
المعاصى فلا يصبرون معهم ولأن
انزال الملك يقوى الشبهة من وجه
آخر وذلك أن أى معجزة ظهرت
عليه قالوا هذا فعلك فعلته باختيارك
وقدرتك ولو حصل لنا مثل ما حصل
لك من القدرة والقوة لفعلنا مثل
ما فعلت ثم قال (وللبسنا عليهم
ما يلبسون) لبست الامر على القوم
ألبسه لبسا اذا شبهته عليهم وجعلته
مشكلا ومنه لبس الثوب لانه يفيد
الستر والمعنى اذا جعلنا الملك فى
صورة البشر كان فعلنا نظير فعلهم
فى التلبيس وانما كان ذلك لبسا
لان الناس يظنونه ملكا مع أنه ليس
بملك أو يظنونه بشرا مع أنه ليس
ببشر وانما كان فعلهم لبسا لانهم
يخلطون على أنفسهم ويقولون ان
البشر لا يصلح للرسالة فلا ينقطع
السؤال أبدا ويبقى الامر فى حيز
الاشتباه وعلى هذا التفسير يكون
قوله ما يلبسون مفعولا مطلقا
ويجوز أن يراد ولخلطنا عليهم
ما يخلطون على أنفسهم حينئذ
فيكون مفعولا به يعنى أن القوم
اذا رأوا الملك فى صورة الانسان
اشتبه الامر عليهم واذا كنا قد فعلنا
ذلك كان اللبس منسوبا الينا ثم انه
سبحانه وتعالى سلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عما يلقى من قومه

أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان
عن رجل عن سعيد بن جبير أنه كان يقول والله ربنا ما كنا مشركين يخفضها قال أقسموا
واعتذروا قال الحرث قال عبد العزيز قال سفيان مرة أخرى ثني هشام عن سعيد بن جبير
القول في تأويل قوله (ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم
وقرا) يقول تعالى ذكره ومن هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام من قومك يا محمد من يستمع
إليك يقول من يستمع القرآن منك ويستمع ما تدعوه إليه من توحيد ربك وأمره ونهيه ولا يفقه
ما تقول ولا يوعيه قلبه ولا يتدبره ولا يصغي له سمعه ليتفقهه فيفهم حجج الله عليه في تنزيله الذي
أنزله عليك إنما يسمع صوتك وقراءتك وكلامك ولا يعقل عنك ما تقول لأن الله قد جعل على قلبه
أكنة وهي جمع كنان وهو الغطاء مثل سنان وأسنة يقال منه أكننت الشيء في نفسي بالألف
وكننت الشيء إذا غطيته ومن ذلك بيض مكنون وهو الغطاء ومنه قول الشاعر

تحت عين كناننا ... ظل برد مرحل

يعني غطاءهم الذي يكنهم وفي آذانهم وقرا يقول تعالى ذكره وجعل في آذانهم ثقلا وصمما عن فهم
ما تتلو عليهم والإصغاء لما تدعوهم إليه والعرب تفتح الواو من الوقر في الأذن وهو الثقل فيها
وتكسرها في الحمل فتقول هو وقر الدابة ويقال من الحمل أوقرت الدابة فهي موقرة ومن السمع
وقرت سمعه فهو موقور ومنه قول الشاعر

ولي هامة قد وقر الضرب سمعها ... وقد ذكر سماعا منهم وقرت أذنه إذا ثقلت فهي
موقورة وأوقرت النخلة فهي موقر كما قيل امرأة طامث وحائض لأنه لا حظ فيه للمذكر فإذا
أريد أن الله أوقرها قيل موقرة وقال تعالى ذكره وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه
بمعنى أن لا يفقهوه كما قال يبين الله لكم أن تضلوا بمعنى أن لا تضلوا لأن الكن إنما جعل على
القلب لئلا يفقهه لا ليفقهه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وجعلنا على
قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا قال يسمعونه بآذانهم ولا يعون منه شيئا كمثل البهيمة
التي تسمع النداء ولا تدري ما يقال لها حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا
أسباط عن السدي وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا أما أكنة فالغطاء أكن
قلوبهم لا يفقهون الحق وفي آذانهم وقرا قال صمم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال
ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ومنهم من يستمع إليك قال قريش حدثني
المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله القول في
تأويل قوله (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا
إلا أساطير الأولين) يقول تعالى ذكره وإن ير هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام الذين جعلت
على قلوبهم أكنة أن يفقهوا عنك ما يسمعون منك كل آية يقول كل حجة وعلامة تدل أهل الحجا
والفهم على توحيد الله وصدق قولك وحقيقة نبوتك لا يؤمنوا بها يقول لا يصدقون بها ولا يقرون
بأنها دالة على ما هي عليه دالة حتى إذا جاؤك يجادلونك يقول حتى إذا صاروا إليك بعد معاينتهم
الآيات الدالة على حقيقة ما جئتهم به يجادلونك يقول يخاصمونك يقول الذين كفروا يعني بذلك
الذين جحدوا آيات الله وأنكروا حقيقتها يقولون لنبي الله صلى الله عليه وسلم إذا سمعوا حجج الله
التي احتج بها عليهم وبيانه الذي بينه لهم إن هذا إلا أساطير الأولين أي ما هذا إلا أساطير الأولين
والأساطير جمع إسطارة وأسطورة مثل أفكوهة وأضحوكة وجائز أن يكون الواحد أسطارا مثل

بقوله (ولقد استهزئ برسل
من قبلك فحاق) أي نزل وقال
الفراء عاد عليهم والتركيب يدور على
الاحاطة ومنه الحوق بالضم
ما استدار بالكمرة (ما كانوا) أي
الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو
الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه
وسلم أسند الحيق اليه حيث أهلكوا
لاجل الاستهزاء به ويحتمل أن يراد
بلفظة ما العذاب الذي كان يخوفهم
الرسول بنزوله وهم يستهزئون بذلك
ثم أمر رسوله بأن يقول لهم لا تغتروا
بما وجدتم من زخارف الدنيا
وسيروا في الارض لتشاهدوا آثار
الامم السالفة الذين كذبوا رسلهم
ونزل بهم ما نزل فان الأسفار تورث
الاعتبار وتفيد الاستبصار * واعلم
انه سبحانه قال ههنا ثم انظروا وفي
موضع آخر فانظروا فالفاء لمجرد
اعتبار ترتيب النظر على السير وثم
لتباعد ما بين المباح والواجب فان
السير مباح والنظر واجب وأيضا
شتان بين السير الصوري بقدم
الاشباح وبين السير المعنوي بقدم
الارواح والله أعلم (التأويل)
حمد نفسه القديم الازلي بكلامه
القديم الازلي على أن خلق سموات
القلوب وأرض النفوس وجعل
الظلمات أي الصفات البهيمية
والسبعية في النفوس والنور في
القلوب وهو صفاتها الملكية
والروحانية وخص الجعل بالمعاني
التي هي من عالم الامر والخلق
بالأعيان لأنها من عالم الصورة
ولهذا لما ذكر صورة آدم قال اني

أبيات وأبابيت وأقوال وأقاويل من قول الله تعالى وكتاب مسطور ومن سطر يسطر سطرا فان كان من هذا فان تأويله ما هذا الا ما كتبه الأولون وقد ذكر عن ابن عباس وغيره أنهم كانوا يتأولونه بهذا التأويل ويقولون معناه ان هذا الا أحاديث الاولين حدثنى بذلك المثنى بن ابراهيم قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما أساطير الاولين فأساجيع الاولين وكان بعض أهل العلم «وهو أبو عبيدة معمر بن المثنى» بكلام العرب يقول الاسطارة لغة الخرافات والترهات وكان الاخفش يقول قال بعضهم واحده أسطورة وقال بعضهم اسطارة قال ولا أراه الا من الجمع الذى ليس له واحد نحو العبابيد والمذاكير والأبابيل قال وقال بعضهم واحد الأبابيل إبيل وقال بعضهم إبول مثل عجول ولم أجد العرب تعرف له واحدا وانما هو مثل عباديد لا واحد لها وأما الشماطيط فانهم يزعمون أن واحده شمطاط قال وكل هذه لها واحد الا أنه لم يستعمل ولم يتكلم به لان هذا المثال لا يكون الا جمعا قال وسمعت العرب الفصحاء تقول أرسل خيله أبابيل تريد جماعات فلا تتكلم بها موحدة وكانت مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم التى ذكرها الله فى هذه الآية فيما ذكر ما حدثنى به محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله حتى اذا جاؤك يجادلونك الاية قال هم المشركون يجادلون المسلمين فى الذبيحة يقولون أما ما ذبحتم وقتلتم فتأكلون وأما ما قتل الله فلا تأكلون وأنتم تتبعون أمر الله تعالى القول فى تأويل قوله ﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا أنفسهم وما يشعرون﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله وهم ينهون عنه وينأون عنه فقال بعضهم معناه هؤلاء المشركون المكذبون بآيات الله ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والقبول منه وينأون عنه يتباعدون عنه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث وهانئ بن سعيد عن حجاج عن سالم عن ابن الحنفية وهم ينهون عنه وينأون عنه قال يتخلفون عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا يجيبونه وينهون الناس عنه حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وهم ينهون عنه وينأون عنه يعنى ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به وينأون عنه يعنى يتباعدون عنه حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وهم ينهون عنه وينأون عنه أن يتبع محمد ويتباعدون هم منه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وهم ينهون عنه وينأون عنه يقول لا يلقونه ولا يدعون أحدا يأتيه حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول فى قوله وهم ينهون عنه يقول عن محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهم ينهون عنه وينأون عنه جمعوا النهى والنأى والنأى التباعد وقال بعضهم بل معناه وهم ينهون عنه عن القرآن أن يسمع له ويعمل بما فيه ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وهم ينهون عنه قال ينهون عن القرآن وعن النبى صلى الله عليه وسلم وينأون عنه ويتباعدون عنه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وهم ينهون عنه قال قريش عن الذكر وينأون عنه يقول يتباعدون حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ينهون عنه وينأون عنه قريش عن الذكر ينأون عنه يتباعدون حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وهم

خالق بشرا من طين وحيث أراد معناه قال انى جاعل فى الارض خليفة ثم بعد هذا الجعل والخلق مال نفوس الكفار بغلبات الظلمات الى طاغوت الهوى فجعلوه عدلا لربهم ثم قضى أجلا للروح المفارق عن حضرته لايام فراقه وأجل مسمى عنده وهو أجل الوصال بعد الفراق بجذبة ارجعى الى ربك ثم أنتم تمترون بأهل الوصال كما تمترى أهل الفراق وهذا محال وهو الله فى سموات القلوب وفى أرض النفوس يعلم سر الخلافة الذى أودع فيكم وجهركم الذى يظهر عنكم ويعلم ما تكسبون باستعمال الاستعداد السرى والجهرى فى المأمورات والمنهيات فى الخير أو الشر من آية من آيات ربهم فى الآفاق وفى أنفسهم مكناهم فى طلب الحق من قهر النفس وأسباب الخيرات والطاعات وأرسلنا مطر الواردات من سماء القلوب عليهم مدرارا متواليا وجعلنا أنهار الحكمة تجرى من تحت نظرهم فأهلكنا مع هذه المقدمات أرواحهم بسموم ذنوب طلب الدنيا مالها وجاهها وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين من الطلاب الصادقين التائبين المستقيمين لجعلناه رجلا لينهموا خطابه ويكونوا واقفا على الاحوال البشرية فيعالجهم بما يرى فيه صلاح حالهم كما قال وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم قل سيروا فى أرض النفوس بقدم التقوى ومخالفة

ينهون عنه و ينأون عنه قال ينهون عن القرآن وعن النبي صلى الله عليه وسلم و يتباعدون عنه
حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ينأون عنه قال ينأون عنه يبعدون
• وقال آخرون معنى ذلك وهم ينهون عن أذى محمد صلى الله عليه وسلم و ينأون عنه يتباعدون
عن دينه واتباعه ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا وكيع وقبيصة وحدثنا ابن
وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عمن سمع ابن عباس يقول نزلت في أبي
طالب كان ينهى عن محمد أن يؤذى و ينأى عما جاء به أن يؤمن به حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد
الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت قال ثني من سمع ابن عباس يقول وهم ينهون عنه
و ينأون عنه قال نزلت في أبي طالب ينهى عنه أن يؤذى و ينأى عما جاء به حدثنا الحسن بن
يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عمن سمع ابن عباس وهم
ينهون عنه و ينأون عنه قال نزلت في أبي طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا محمدا و ينأى عما جاء
به حدثنا هناد قال ثنا عبدة عن اسمعيل بن أبي خالد عن القاسم بن مخيمرة قال كان أبو طالب
ينهى عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يصدقه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي ومحمد بن
بشر عن اسمعيل بن أبي خالد عن القاسم بن مخيمرة في قوله وهم ينهون عنه و ينأون عنه قال نزلت
في أبي طالب قال ابن وكيع قال ابن بشر كان أبو طالب ينهى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤذى
ولا يصدق به حدثنا هناد قال ثنا يونس بن بكير عن أبي محمد الاسدي عن حبيب بن أبي ثابت
قال ثني من سمع ابن عباس يقول في قول الله تعالى وهم ينهون عنه و ينأون عنه نزلت في أبي طالب
كان ينهى عن أذى محمد و ينأى عما جاء به أن يتبعه حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن اسمعيل
ابن أبي خالد عن القاسم بن مخيمرة في قوله وهم ينهون عنه و ينأون عنه قال نزلت في أبي طالب
حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن موسى عن عبد العزيز بن سياه عن حبيب قال ذاك
أبو طالب في قوله وهم ينهون عنه و ينأون عنه حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني سعيد
ابن أبي أيوب قال قال عطاء بن دينار في قول الله وهم ينهون عنه و ينأون عنه انها نزلت في أبي
طالب انه كان ينهى الناس عن ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم و ينأى عما جاء به من الهدى
• وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية قول من قال تأويله وهم ينهون عنه عن اتباع محمد صلى
الله عليه وسلم من سواهم من الناس وينأون عن اتباعه وذلك أن الآيات قبلها جرت بذكر جماعة
المشركين العادلين به والخبر عن تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعراض عما جاءهم
به من تنزيل الله ووحيه فالواجب أن يكون قوله وهم ينهون عنه خبرا عنهم اذ لم يأتنا ما يدل على
انصراف الخبر عنهم الى غيرهم بل ما قبل هذه الآية وما بعدها يدل على صحة ما قلنا من أن ذلك خبر
عن جماعة مشركي قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم دون أن يكون خبرا عن خاص منهم واذ كان
ذلك كذلك فتأويل الآية وان ير هؤلاء المشركون يا محمد كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك
يقولون ان هذا الذي جئتنا به الا أحاديث الاولين وأخبارهم وهم ينهون عن استماع التنزيل
و ينأون عنك فيبعدون منك ومن اتباعك وان يهلكون الا أنفسهم يقول وما يهلكون بصدهم
عن سبيل الله واعراضهم عن تنزيله وكفرهم بربهم الا أنفسهم لا غيرها وذلك أنهم يكسبونها
بفعلهم ذلك سخط الله وأليم عقابه وما لا قبل لها به وما يشعرون يقول وما يدرون ما هم مكسبوها
من الهلاك والعطب بفعلهم والعرب تقول لكل من بعد عن شئ قد نأى عنه فهو ينأى
نأيا ومسموع منهم نأيت بمعنى نأيت عنك وأما اذا أرادوا أبعدتك عني قالوا أنأيتك ومن
نأيتك بمعنى نأيت عنك قول الحطيئة

الهوى الى أن تبلغوا سواحل بحار
القلوب فتشاهدوا بأنوار الله المودعة
فيها عاقبة من هلكوا في بوادي
القطيعة اذ ساروا بقدم الطبيعة
(قل لمن ما في السموات والارض
قل لله كتب على نفسه الرحمة
ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب
فيه الذين خسروا أنفسهم فهم
لا يؤمنون وله ما سكن في الليل
والنهار وهو السميع العليم قل أغير
الله أتخذ وليا فاطر السموات
والارض وهو يطعم ولا يطعم قل اني
أمرت أن أكون أول من أسلم ولا
تكونن من المشركين قل اني
أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم
عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد
رحمه وذلك الفوز المبين وان يمسسك
الله بضر فلا كاشف له الا هو وان
يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير
وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم
الخبير قل أي شئ أكبر شهادة قل
الله شهيد بيني وبينكم وأوحي الي
هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ
أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة
أخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد
وانني بريء مما تشركون الذين
آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
أبناءهم الذين خسروا أنفسهم
فهم لا يؤمنون ومن أظلم ممن
افترى على الله كذبا أو كذب بآياته
انه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم
جميعا ثم نقول للذين أشركوا
أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون
ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا
ما كنا مشركين انظر كيف

نأتك أمامة الا سؤالا * وأبصرت منها بطيف خيالا

القول في تأويل قوله (ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو ترى يا محمد هؤلاء العادلين بربهم الأصنام والأوثان الجاحدين نبوتك الذين وصفت لك صفتهم اذ وقفوا يقول اذ حبسوا على النار يعني في النار فوضعت على موضع في كما قال واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن يعني في ملك سليمن وقيل ولو ترى اذ وقفوا ومعناه اذا وقفوا لما وصفنا قبل فيما مضى أن العرب قد تضع اذ مكان اذا واذا مكان اذ وان كان حظ اذ أن تصاحب من الاخبار ما قد وجد فقضى وحظ اذا أن تصاحب من الاخبار ما لم يوجد ولكن ذلك كما قال الراجز وهو أبو النجم مد لنا في عمره رب طه

ثم جزاه الله عنا اذ جزى * جنات عدن في العلالي العلى

فقال ثم جزاه الله عنا اذ جزى فوضع اذ مكان اذا وقيل وقفوا ولم يقل أوقفوا لان ذلك هو الفصيح من كلام العرب يقال وقفت الدابة وغيرها بغير ألف اذا حبستها وكذلك وقفت الارض اذا جعلتها صدقة حبيسا بغير ألف وقد حدثني الحرث بن أبي عبيد قال أخبرني اليزيدي والأصمعي كلاهما عن أبي عمرو قال ما سمعت أحدا من العرب يقول أوقفت الشئ بالالف قال الا أني لو رأيت رجلا بمكان فقلت ما أوقفك ههنا بالالف لرأيته حسنا فقالوا يا ليتنا نرد يقول فقال هؤلاء المشركون بربهم اذ حبسوا في النار يا ليتنا نرد الى الدنيا حتى نتوب ونراجع طاعة الله ولا نكذب بآيات ربنا يقول ولا نكذب بحجج ربنا ولا نجحدها ونكون من المؤمنين يقول ونكون من المصدقين بالله وبحججه ورسله متبعي أمره ونهيه * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة والعراقيين يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بمعنى يا ليتنا نرد ولسنا نكذب بآيات ربنا ولكن نكون من المؤمنين وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بمعنى يا ليتنا نرد وأن لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين وتأولوا في ذلك شيأ حدثنيه أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن هرون قال في حرف ابن مسعود يا ليتنا نرد فلا نكذب بالفاء * وذكر عن بعض قراء أهل الشام أنه قرأ ذلك يا ليتنا نرد ولا نكذب بالرفع ونكون بالنصب كأنه وجه تأويله الى أنهم تمنوا الرد وأن يكونوا من المؤمنين وأخبروا أنهم لا يكذبون بآيات ربهم ان ردوا الى الدنيا * واختلف أهل العربية في معنى ذلك منصوبا ومرفوعا فقال بعض نحويي البصرة لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين نصب لأنه جواب للتمني وما بعد الواو كما بعد الفاء قال وان شئت رفعت وجعلته على غير التمني كأنهم قالوا ولا نكذب والله بآيات ربنا ونكون والله من المؤمنين هذا اذا كان على ذا الوجه كان منقطعا من الاول قال والرفع وجه الكلام لأنه اذا نصب جعلها واو عطف واذا جعلها واو عطف فكأنهم قد تمنوا أن لا يكذبوا وأن يكونوا من المؤمنين قال وهذا والله أعلم لا يكون لأنهم لم يتمنوا هذا انما تمنوا الرد وأخبروا أنهم لا يكذبون ويكونون من المؤمنين وكان بعض نحويي الكوفة يقول لو نصب نكذب ونكون على الجواب بالواو لكان صوابا قال والعرب تجيب بالواو وثم كما تجيب بالفاء يقولون ليت لي مالا فأعطيك وليت لي مالا وأعطيك وثم أعطيك قال وقد تكون نصبا على الصرف كقولك لا يسعني شئ ويعجز عنك * وقال آخر منهم لا أحب النصب في هذا لأنه ليس بتمن منهم انما هو خبر أخبروا به عن أنفسهم ألا ترى أن الله تعالى قد كذبهم فقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانما يكون التكذيب للخبر لا للتمني وكان بعضهم ينكر أن يكون الجواب بالواو وبحرف غير الفاء وكان يقول

كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) القراآت اني أمرت بفتح ياء المتكلم أبو جعفر ونافع اني أخاف بفتح الياء هما وابن كثير وأبو عمرو الباقون بالسكون من يصرف مبنيا للفاعل سهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل الباقون مبنيا للمفعول أئنكم بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة أينكم بالياء بعد الهمز ابن كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد آينكم بالمد والياء أبو عمرو ويزيد وقالون برئ بغير همز حيث كان يزيد وحمزة في الوقف يحشرهم ثم يقول بياء الغيبة فيهما يعقوب الباقون بالنون ثم لم تكن بتاء التأنيث حمزة وعلي وحماد والمفضل وسهل ويعقوب الباقون بالياء فتنتهم بالرفع ابن كثير وابن عامر وحفص والمفضل الباقون بالنصب والله ربنا بالنصب على النداء حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون بالجر على البدل أو البيان الوقوف والارض ط قل لله ط الرحمة ط لأن قوله ليجمعنكم جواب قسم محذوف وقيل لا وقف وليجمعنكم جواب معنى القسم في كتب وفيه نظر لأن كتب وعد ناجز وليجمعنكم وعد منتظر لا ريب فيه ط بناء على أن الذين مبتدأ فيه معنى الشرط لا يؤمنون ○ والنهار ط العليم ○ ولا يطعم ط من المشركين ○ عظيم ○

انما الواو وموضع حال لا يسعنى شئ ويضيق عنك أى وهو يضيق عنك قال وكذلك الصرف
فى جميع العربية قال وأما الفاء فجواب جزاء ماقت فاتيك أى لو قت لأتيناك قال فهذا حكم
الصرف والفاء قال وأما قوله ولا نكذب ونكون فانما جاز لأنهم قالوا ياليتنا نرد فى غير الحال التى
وقفنا فيها على النار فكان وقفهم فى تلك فتمنوا أن لا يكونوا وقفوا فى تلك الحال وكأن معنى صاحب
هذه المقالة فى قوله هذا ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا قد وقفنا عليها مكذبين بآيات ربنا كفارا
فياليتنا نرد اليها فنوقف عليها غير مكذبين بآيات ربنا ولا كفارا وهذا تأويل يدفعه ظاهر
التنزيل وذلك قول الله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فأخبر الله تعالى أنهم
فى قيلهم ذلك كذبة والتكذيب لا يقع فى التمنى ولكن صاحب هذه المقالة أظن به أنه لم يتدبر
التأويل ولزم سنن العربية والقراءة التى لا أختار غيرها فى ذلك ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا
ونكون من المؤمنين بالرفع فى كليهما بمعنى ياليتنا نرد ولسنا نكذب بآيات ربنا ان رددنا ولكنا
نكون من المؤمنين على وجه الخبر منهم عما يفعلون ان هم ردوا الى الدنيا لا على التمنى منهم أن لا
يكذبوا بآيات ربهم ويكونوا من المؤمنين لأن الله تعالى ذكره قد أخبر عنهم أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه وأنهم كذبة فى قيلهم ذلك ولو كان قيلهم ذلك على وجه التمنى لاستحال تكذيبهم فيه لأن
التمنى لا يكذب وانما يكون التصديق والتكذيب فى الأخبار وأما النصب فى ذلك فانى أظن
بقارئه أنه برجاء تأويل قراءة عبد الله التى ذكرناها عنه وذلك قراءته ذلك ياليتنا نرد فلا نكذب
بآيات ربنا ونكون من المؤمنين على وجه جواب التمنى بالفاء وهو اذا قرئ بالفاء كذلك لا شك
فى صحة اعرابه ومعناه فى ذلك أن تأويله اذا قرئ كذلك لو أنا رددنا الى الدنيا ما كذبنا بآيات ربنا
ولكنا من المؤمنين فان يكن الذى حكى من حكى عن العرب من السماع منهم الجواب بالواو وثم
كهيئة الجواب بالفاء صحيحا فلا شك فى صحة قراءة من قرأ ذلك ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا
ونكون نصبا على جواب التمنى بالواو على تأويل قراءة عبد الله ذلك بالفاء والا فان القراءة بذلك
بعيدة المعنى من تأويل التنزيل ولست أعلم سماع ذلك من العرب صحيحا بل المعروف من
كلامها الجواب بالفاء والصرف بالواو ۞ القول فى تأويل قوله ﴿بل بدا لهم ما كانوا يخفون
من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون﴾ يقول تعالى ذكره ما بهم هؤلاء العادلين بربهم
الجاحدين نبوتك يا محمد فى قيلهم اذا وقفوا على النار ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون
من المؤمنين الأسى والندم على ترك الايمان بالله والتصديق بك لكن بهم الاشفاق مما هو نازل
بهم من عقاب الله وأليم عذابه على معاصيهم التى كانوا يخفونها عن أعين الناس ويسترونها منهم
فأبداها الله منهم يوم القيامة وأظهرها على رؤس الأشهاد ففضحهم بها ثم جازاهم بها جزاءهم يقول
بل بدا لهم ما كانوا يخفون من أعمالهم السيئة التى كانوا يخفونها من قبل ذلك فى الدنيا فظهرت
ولو ردوا يقول ولو ردوا الى الدنيا فأمهلوا لعادوا لما نهوا عنه يقول لرجعوا الى مثل العمل
الذى كانوا يعملونه فى الدنيا قبل ذلك من جحود آيات الله والكفر به والعمل بما يسخط عليهم
ربهم وانهم لكاذبون فى قيلهم لو رددنا لم نكذب بآيات ربنا وكنا من المؤمنين لأنهم قالوه حين قالوه
خشية العذاب لا ايمانا بالله وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى
محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى بل بدا لهم ما كانوا يخفون
من قبل يقول بدت لهم أعمالهم فى الآخرة التى أخفوها فى الدنيا حدثنا الحسن بن يحيى قال
أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل قال من
أعمالهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولو ردوا لعادوا لما

نهوا

رحمه ط المبين ه الا هو ط
قدير ه عباده ط الخبير ه
شهادة ط ومن بلغ ط أخرى
ط لانتهاء الاستخبار الى الاخبار
قل لا أشهد ج لاتساق الكلام
بلا عطف يشركون ه أبناءهم
لئلا يوهم أن ما بعده وصف لا يؤمنون
ه بآياته ط الظالمون ه يزعمون
ه مشركين ه يفترون ه
۞ التفسير انه سبحانه لما برهن
على اثبات الصانع وتحقيق النبوات
وتقرير المعاد وانجر الكلام الى
الامر باعتبار أحوال الغابرين عاد
الى اثبات هذه المطالب بطريق
الالزام وأخذ الاعتراف وذلك أن
آثار الحدوث وسمات الامكان
لائحة على صفحات السموات
والارضيات حتى بلغ فى ظهوره الى
حيث لا يقدر منكر على انكاره
فكان فى السؤال تبكيت والجام
وفى الجواب تقرير والزام أى هو لله
بلا امراء وشقاق ولن يتم الملك الا اذا
كان قادرا على الاعادة كما هو قادر
على الابداء وان تحصل حكمة الاعادة
الا بثواب المطيعين وعقاب العاصين
وان يحسن ايصال الثواب والعقاب
الا بعد نصب الدلائل وارسال الرسل
فلأجل ذلك قال (كتب على نفسه
الرحمة) أى بنصب الأدلة وازاحة
العلة ايجاب الفضل والكرم وقيل
هذه الرحمة هى أنه يمهلهم مدة عمرهم
ولا يعاجلهم بالاستئصال أو فرض
على نفسه الرحمة لمن ترك التكذيب
بالرسل وتاب وأناب وصدقهم وقبل
شرائعهم أو تلك الرحمة هى أنه

نهوا عنه يقول ولو وصل الله لهم دنيا كدنياهم لعادوا الى أعمالهم أعمال السوء ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين العادلين به الاوثان والاصنام الذين ابتدأ هذه السورة بالخبر عنهم يقول تعالى ذكره وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا يخبر عنهم أنهم ينكرون أن الله يحيى خلقه بعد أن يميتهم ويقولون لا حياة بعد الممات ولا بعث ولا نشور بعد الفناء فهم بجحودهم ذلك وانكارهم ثواب الله وعقابه فى الدار الآخرة لا يبالون ما أتوا وما ركبوا من اثم ومعصية لأنهم لا يرجون ثوابا على ايمان بالله وتصديق برسوله وعمل صالح بعد موت ولا يخافون عقابا على كفرهم بالله وبرسوله ونهى من عمل يعملونه وكان ابن زيد يقول هذا خبر من الله تعالى عن هؤلاء الكفرة الذين وقفوا على النار أنهم لو ردوا الى الدنيا لقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقالوا حين يردون ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ يقول تعالى ذكره لو ترى يا محمد هؤلاء القائلين ما هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين اذ وقفوا يوم القيامة أى حبسوا على ربهم يعنى على حكم الله وقضائه فيهم قال أليس هذا بالحق يقول فقيل لهم أليس هذا البعث والنشر بعد الممات الذى كنتم تنكرونه فى الدنيا حقا فأجابوا فقالوا بلى والله انه لحق قال فذوقوا العذاب يقول فقال الله تعالى ذكره لهم فذوقوا العذاب الذى كنتم به فى الدنيا تكذبون بما كنتم تكفرون يقول بتكذيبكم به وجحودكموه الذى كان منكم فى الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله قد هلك ووكس فى بيعهم الايمان بالكفر الذين كذبوا بلقاء الله يعنى الذين أنكروا البعث بعد الممات والثواب والعقاب والجنة والنار من مشركى قريش ومن سلك سبيلهم فى ذلك حتى اذا جاءتهم الساعة يقول حتى اذا جاءتهم الساعة التى يبعث الله فيها الموتى من قبورهم وانما أدخلت الالف واللام فى الساعة لأنها معروفة المعنى عند المخاطبين بها وأنها مقصود بها قصد الساعة التى وصفت ويعنى بقوله بغتة فجأة من غير علم من تفجؤه بوقت مفاجأتها اياه يقال منه بغتته أبغته بغتة اذا أخذته كذلك قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها يقول تعالى ذكره وكس الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم منازلهم من الجنة بمنازل من اشتروا منازله من أهل الجنة من النار فاذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا اذا عاينوا ما باعوا وما اشتروا وتبينوا خسارة صفقة بيعهم التى سلفت منهم فى الدنيا تندما وتلهفا على عظيم الغبن الذى غبنوه أنفسهم وجليل الخسران الذى لا خسران أجل منه يا حسرتنا على ما فرطنا فيها يقول يا ندامتنا على ما ضيعنا فيها يعنى فى صفقتهم تلك والهاء والالف فى قوله فيها من ذكر الصفقة ولكن اكتفى بدلالة قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله عليها من ذكرها اذ كان معلوما أن الخسران لا يكون الا فى صفقة بيع قد خسرت وانما معنى الكلام قد وكس الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم الايمان الذى يستوجبون به من الله رضوانه وجنته بالكفر الذى يستوجبون به منه سخطه وعقوبته ولا يشعرون ما عليهم من الخسران فى ذلك حتى تقوم الساعة فاذا جاءتهم الساعة بغتة فرأوا ما لحقهم من الخسران فى بيعهم قالوا حينئذ تندما يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله يا حسرتنا على ما فرطنا فيها أما يا حسرتنا فندامتنا على ما فرطنا فيها فضيعنا من عمل الجنة حدثنا محمد بن عمارة

يجمعهم الى يوم القيامة فانه لولا هذا التهديد لحصل الهرج والمرج وارتفع الضبط وكثر الخبط كأنه قيل لما علمتم أن كل ما فى السموات والارض لله تعالى وأنه مالك الكل واعلموا أن الله المالك الحكيم لا يهمل أمور عبيده ولا يجوز فى حكمته التسوية بين المطيع والعاصى والعامل والساهى ومعنى ليجمعنكم ليضمنكم وقيل فيه حذف أى ليجمعنكم الى المحشر فى يوم القيامة فان الجمع يكون الى المكان لا الى الزمان وقيل ليجمعنكم فى الدنيا بخلقكم قرنا بعد قرن الى يوم القيامة قال الأخفش (الذين خسروا) بدل من ضمير المخاطبين فى ليجمعنكم وقال الزجاج انه مبتدأ خبره (فهم لا يؤمنون) وذلك لتضمنه معنى الشرط وكأنه قيل ما للمشركين مع وضوح الدلائل الباهرة لا يؤمنون فأجيب الذين خسروا أنفسهم أى فى علم الله وسابق قضائه فهم لا يؤمنون فى طرف الأبد فكان امتناعهم الآن عن الايمان مسببا عن سبق القضاء عليهم بالخسران والخذلان وقال فى الكشاف الذين خسروا نصب أو رفع على الذم بمعنى أريد الذين أو أنتم الذين ثم لما بين أن له المكان والمكانيات ارتقى فى البيان كما هو شأن الترتيب التعليمى الى ما هو أخفى من ذلك عند الحس وهو الزمان والزمانيات فقال (وله ما سكن فى الليل والنهار) عن ابن عباس أن كفار مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد

الاسدى قال ثنا يزيد بن مهران قال ثنا أبو بكر بن عياش عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله ياحسرتنا قال يرى أهل النار منازلهم من الجنة فيقولون ياحسرتنا ❁ القول فى تأويل قوله ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون﴾ يقول تعالى ذكره وهؤلاء الذين كذبوا بلقاء الله يحملون أوزارهم على ظهورهم وقوله وهم من ذكرهم يحملون أوزارهم يقول آثامهم وذنوبهم واحدها وزر يقال منه وزر الرجل يزر اذا أثم فان أريد أنهم أثموا قيل قد وزر القوم فهم يوزرون وهم موزرون ٭ قد زعم بعضهم أن الوزر الثقل والحمل ولست أعرف ذلك كذلك فى شاهد ولا من رواية ثقة عن العرب وقال تعالى ذكره على ظهورهم لان الحمل قد يكون على الرأس والمنكب وغير ذلك فبين موضع حملهم ما يحملون من ذلك وذكر أن حملهم أوزارهم يومئذ على ظهورهم نحو الذى **حدثنا** ابن حميد قال ثنا الحكم ابن بشير بن سليمان قال ثنا عمرو بن قيس الملائى قال ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله عمله فى أحسن صورة وأطيبه ريحا فيقول له هل تعرفنى فيقول لا الا أن الله قد طيب ريحك وحسن صورتك فيقول كذلك كنت فى الدنيا أنا عملك الصالح طالما ركبتك فى الدنيا فاركبنى أنت اليوم وتلا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وان الكافر يستقبله أقبح شئ صورة وأنتنه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا الا أن الله قد قبح صورتك وأنتن ريحك فيقول كذلك كنت فى الدنيا أنا عملك السيئ طالما ركبتنى فى الدنيا فأنا اليوم أركبك وتلا وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم قال ليس من رجل ظالم يموت فيدخل قبره الا جاء رجل قبيح الوجه أسود اللون منتن الريح عليه ثياب دنسة حتى يدخل معه قبره فاذا رآه قال له ما أقبح وجهك قال كذلك كان عملك قبيحا قال ما أنتن ريحك قال كذلك كان عملك منتنا قال ما أدنس ثيابك قال فيقول ان عملك كان دنسا قال من أنت قال أنا عملك قال فيكون معه فى قبره فاذا بعث يوم القيامة قال له انى كنت أحملك فى الدنيا باللذات والشهوات فأنت اليوم تحملنى قال فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخله النار فذلك قوله يحملون أوزارهم على ظهورهم وأما قوله تعالى ألا ساء ما يزرون فانه يعنى ألا ساء الوزر الذى يزرون أى الاثم الذى يأثمونه كفرهم بربهم كما **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ألا ساء ما يزرون قال ساء ما يعملون ❁ القول فى تأويل قوله ﴿وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾ وهذا تكذيب من الله تعالى ذكره هؤلاء الكفار المنكرين البعث بعد الممات فى قولهم ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين يقول تعالى ذكره مكذبا لهم فى قيلهم ذلك ما الحياة الدنيا أيها الناس الا لعب ولهو يقول ما باغى لذات الحياة التى أدنيت لكم وقربت منكم فى داركم هذه ونعيمها وسرورها فيها والمتلذذ بها والمنافس عليها الا فى لعب ولهو لانها عما قليل تزول عن المستمتع بها والمتلذذ فيها بملاذها أو تأتيه الايام بفجائعها وصروفها فتمر عليه وتكر كاللاعب اللاهى الذى يسرع اضمحلال لهوه ولعبه عنه ثم يعقبه منه ندما ويورثه منه ترحا يقول لا تغتروا أيها الناس بها فان المغتر بها عما قليل يندم وللدار الآخرة خير للذين يتقون يقول وللعمل بطاعته والاستعداد للدار الآخرة بالصالح من الاعمال التى تبقى منافعها لأهلها ويدوم سرور أهلها فيها خير من الدار التى تفنى فلا يبقى لعمالها فيها سرور ولا يدوم لهم فيها نعيم للذين يتقون يقول للذين يخشون الله فيتقونه بطاعته واجتناب معاصيه والمسارعة الى رضاه أفلا تعقلون يقول أفلا يعقل هؤلاء المكذبون بالبعث حقيقة ما نخبرهم به من أن الحياة الدنيا لعب ولهو وهم يرون من يخترم منهم ومن

بهلك

انا قد علمنا أنه انما يحملك على ما تدعونا اليه الحاجة فنحن نجعل لك نصيبا من أموالنا حتى تكون من أغنانا رجلا وترجع عما أنت عليه فنزل وله ما سكن الآية قيل اشتقاقه من السكون والتقدير كل ما سكن وتحرك كقوله سرابيل تقيكم الحر أى تقيكم الحر والبرد فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر للقرينة والأصوب أن يقال اشتقاقه من السكنى كما يقال فلان سكن ببلد كذا أى حل فيه والمراد كل ما حل فى الوقت والزمان سواء كان متحركا أو ساكنا وذلك أن الدخول تحت الزمان يستلزم التغير والحدوث فلا بد له من محدث يتقدم عليه وعلى نفس الزمان (وهو السميع العليم) الذى يسمع نداء المحتاجين ويعلم حاجات المضطرين فيوصل كل ممكن الى كمال يليق به ويستعد له ثم لما كان لزاعم أن يزعم أن الذى يتعالى عن المكان وعن الزمان قد يكون ممكنا فى نفسه كالمفارقات التى يثبتها الفلاسفة فلا جرم قال (قل أغير الله أتخذ) منكر الاتخاذ غير الله وليا ولذلك قدم المفعول لكونه أهم ولو كان حرف الاستفهام داخلا على الفعل توجه الانكار أولا الى نفس اتخاذ الولى وانه غير مهم (فاطر السموات) عطف بيان من الله أو بدل وقرئ بالرفع على اضمار هو وبالنصب على المدح وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدأتها وقال ابن

يهلك فيموت ومن تنوبه فيها النوائب وتصيبه المصائب وتفجعه الفجائع ففي ذلك لمن عقل مذكر ومزدجر عن الركون اليها واستعباد النفس لها ودليل واضح على أن لها مدبرا ومصرفا يلزم الخلق اخلاص العبادة له بغير اشراك شيء سواه معه ❊ القول في تأويل قوله ﴿قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قد نعلم يا محمد إنه ليحزنك الذي يقول المشركون وذلك قولهم له انه كذاب فانهم لا يكذبونك ❊ واختلفت القراء في قراءة ذلك (١) بمعنى أنهم لا يكذبونك فيما أتيتهم به من وحي الله ولا يدفعون أن يكون ذلك صحيحا بل يعلمون صحته ولكنهم يجحدون حقيقته قولا فلا يؤمنون به وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يحكي عن العرب أنهم يقولون أكذبت الرجل اذا أخبرت أنه جاء بالكذب ورواه قال ويقولون كذبته اذا أخبرت أنه كاذب وقرأته جماعة من قراء المدينة والعراقيين والكوفة والبصرة فانهم لا يكذبونك بمعنى أنهم لا يكذبونك علما بل يعلمون أنك صادق ولكنهم يكذبونك قولا عنادا وحسدا ❊ والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال انهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء ولكل واحدة منهما في الصحة مخرج مفهوم وذلك أن المشركين لا شك أنه كان منهم قوم يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدفعونه عما كان الله تعالى خصه به من النبوة فكان بعضهم يقول هو شاعر وبعضهم يقول هو كاهن وبعضهم يقول هو مجنون وينفي جميعهم أن يكون الذي أتاهم به من وحي السماء ومن تنزيل رب العالمين قولا وكان بعضهم قد تبين أمره وعلم صحة نبوته وهو في ذلك يعاند ويجحد نبوته حسدا له وبغيا فالقارئ فانهم لا يكذبونك يعني به أن الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوتك وصدق قولك فيما تقول يجحدون أن يكون ما تتلوه عليهم من تنزيل الله ومن عند الله قولا وهم يعلمون أن ذلك من عند الله علما صحيحا مصيب لما ذكرنا من أنه قد كان فيهم من هذه صفته وفي قول الله تعالى في هذه السورة الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم أوضح الدليل على أنه قد كان فيهم العناد في جحود نبوته صلى الله عليه وسلم مع علم منهم به وصحة نبوته وكذلك القارئ فانهم لا يكذبونك يعني أنهم لا يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عنادا لا جهلا بنبوته وصدق لهجته مصيب لما ذكرنا من أنه قد كان فيهم من هذه صفته وقد ذهب الى كل واحد من هذين التأويلين جماعة من أهل التأويل ذكر من قال معنى ذلك فانهم لا يكذبونك ولكنهم يجحدون الحق على علم منهم بأنك نبي لله صادق حدثنا هناد قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين فقال له ما يحزنك فقال كذبني هؤلاء قال فقال له جبريل انهم لا يكذبونك هم يعلمون أنك صادق ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل عن أبي صالح قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس حزين فقال له ما يحزنك فقال كذبني هؤلاء فقال له جبريل انهم لا يكذبونك انهم ليعلمون أنك صادق ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون قال يعلمون أنك رسول الله ويجحدون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون لما كان يوم بدر قال الاخنس

(١) فيه سقط من الناسخ ولعل أصله فقرأته جماعة لا يكذبونك بالتخفيف بمعنى الخ تأمل كتبه مصححه

الانباري أصل الفطر الشق وقد يكون شق اصلاح كقوله فاطر السموات والارض أي خالقهما ومنشئهما بالتركيب الذي سبيله أن يحصل فيه الشق والتأليف عند ضمه بعض الاشياء الى بعض وقد يكون شق افساد ومنه قوله تعالى هل ترى من فطور اذا السماء انفطرت (وهو يطعم ولا يطعم) أي هو الرازق لغيره ولا يرزقه أحد والرزق والاطعام وان كانا متغايرين والا لم يحسن العطف في قوله ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون الا انهما متقاربان فحسن جعل أحدهما كناية عن الآخر وقرئ وهو يطعم مبنيا للمفعول على أن الضمير لغير الله وقرئ وهو يطعم ولا يطعم كلاهما للفاعل والمعنى هو يطعم تارة ولا يطعم أخرى كقوله والله يقبض ويبسط أو الثاني بمعنى لا يستطعم وحاصل الآية أنه يجب شغل القلب كله بالله وقطع العلائق بالكلية عما سواه لانه الجواد المطلق الذي يهب لا لعوض ولا انتفاع ثم بين أن النبي أيضا داخل في تكليف المعرفة بل هو أسبق قدما في ذلك فقال (قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم و) قيل لي (لا تكونن من المشركين) وفيه أن الواعظ يجب أن يتعظ أولا بما يقوله فالمريض لا يتصور منه العلاج ثم ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره بصدد المؤاخذة على تقدير المخالفة فقال (قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) ولا

ابن نمير يوثق لبني زهرة يا بني زهرة ان محمدا ابن أختكم فأنتم أحق من كف عنه فانه ان كان نبيا لم
تقاتلوه اليوم وان كان كاذبا كنتم أحق من كف عن ابن أخته قفوا ههنا حتى ألقى أبا الحكم
فان غلب محمد صلى الله عليه وسلم رجعتم سالمين وان غلب محمد فان قومكم لا يصنعون بكم شيأ فيومئذ
سمي الأخنس وكان اسمه أبي فالتقى الأخنس وأبو جهل فخلا الأخنس بأبي جهل فقال يا أبا
الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع
كلامنا فقال أبو جهل ويحك والله ان محمدا الصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو
قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فذلك قوله فانهم لا يكذبونك
ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فآيات الله محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا الحرث بن محمد
قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير فانهم لا يكذبونك
قال ليس يكذبون محمدا ولكنهم بآيات الله يجحدون * ذكر من قال ذلك بمعنى فانهم لا يكذبونك
ولكنهم يكذبون ما جئت به حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا
سفيان عن أبي اسحق عن ناجية قال قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم ما نتهمك ولكن نتهم
الذي جئت به فأنزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون حدثنا
ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن سفيان عن أبي اسحق عن ناجية بن كعب أن أبا جهل
قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب الذي جئت به فأنزل الله تعالى فانهم
لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون * وقال آخرون معنى ذلك فانهم لا يبطلون
ما جئتهم به ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق بن سليمن عن أبي معشر عن
محمد بن كعب فانهم لا يكذبونك قال لا يبطلون ما في يديك وأما قوله ولكن الظالمين بآيات الله
يجحدون فانه يقول ولكن المشركين بالله يجحدون حجج الله وآي كتابه ورسوله يجحدون فينكرون
صحة ذلك كله وكان السدي يقول الآيات في هذا الموضع معني بها محمد صلى الله عليه وسلم وقد
ذكرنا الرواية بذلك عنه قبل * القول في تأويل قوله (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على
ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين) وهذا
تسلية من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وتعزية له عما ناله من المساءة بتكذيب
قومه اياه على ما جاءهم به من الحق من عند الله يقول تعالى ذكره ان يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون
من قومك فيجحدوا نبوتك وينكروا آيات الله أنها من عنده فلا يحزنك ذلك واصبر على تكذيبهم
اياك وما تلقى منهم من المكروه في ذات الله حتى يأتي نصر الله فقد كذبت رسل من قبلك أرسلتهم
الى أممهم فنالوهم بمكروه فصبروا على تكذيب قومهم اياهم ولم يثنهم ذلك من المضي لأمر الله الذي
أمرهم به من دعاء قومهم اليه حتى حكم الله بينهم وبينهم ولا مبدل لكلمات الله يقول ولا مغير لكلمات
الله وكلماته تعالى ما أنزل الله الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من وعده اياه النصر على من خالفه
وضاده والظفر على من تولى عنه وأدبر ولقد جاءك من نبإ المرسلين يقول ولقد جاءك يا محمد من خبر
من كان قبلك من الرسل وخبر أممهم وما صنعت بهم حين جحدوا آياتي وتمادوا في غيهم وضلالهم
أنباء وترك ذكر أنبا لدلالة من عليها يقول تعالى ذكره فانتظر أنت أيضا من النصرة والظفر مثل
الذي كان مني فيمن كان قبلك من الرسل اذ كذبهم قومهم واقتد بهم في صبرهم على ما لقوا من قومهم
وبنحو ذلك تأول من تأول هذه الآية من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ
قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على
ما كذبوا يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم كما تسمعون ويخبره أن الرسل قد كذبت قبله فصبروا على

يلزم من هذا جواز المعصية عنه لان
الفرض قد يتعلق بالمستحيل كقولك
ان كانت الخمسة زوجا فهي منقسمة
بمتساويين من قرأ من يصرف مبنيا
للفاعل فالضمير فيه عائد الى الله
والمفعول وهو العذاب محذوف
لكونه معلوما أو مذكورا قبله قال
في الكشاف ويجوز أن تنصب
يومئذ على انه مفعول به ليصرف
أي من يصرف الله عنه ذلك اليوم
أي هوله ومن قرأ على بناء المفعول
فهو مسند الى ضمير العذاب ولم يسم
الفاعل وهو الله تعالى للعلم به (فقد
رحمه) أي الله الرحمة العظمى كقولك
ان أطعمت زيدا من جوعه فقد
أحسنت اليه يعني كمال الاحسان
أو المراد فقد أدخله الجنة فان من لم
يعذب لم يكن له بد من الثواب تفضلا
أو استحقاقا قالت الاشاعرة في الآية
دلالة على أن ايصال الثواب على
الطاعة غير واجب وانما هو ابتداء
فضل واحسان والا لم يحسن ذكر
الرحمة ههنا ألا ترى أن الذي يقبح
منه أن يضرب زيدا فاذا لم يضربه
لا يقال انه رحمه (وذلك) أي صرف
العذاب وايصال الثواب على سبيل
التفضل أو الاستحقاق (الفوز المبين)
لانه المطلب الأعلى والمقصد الأسنى
لكل مكلف ثم أكد المعنى المذكور
وهو أنه لا يجوز للعاقل أن يرغب
في اتخاذ ولي غير الله بقوله (وان يمسسك
الله بضر) من مرض أو فقر أو غير
ذلك من البليات (فلا كاشف له الا
هو وان يمسسك بخير) من غنى أو صحة
(فهو على كل شيء قدير) تمم الحكم

ما كذبوا حتى حكم الله وهو خير الحاكمين حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك (ولقد كذبت رسل من قبلك) قال يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج (ولقد كذبت رسل من قبلك) الآية قال يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم القول في تأويل قوله (وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية) يقول تعالى ذكره إن كان عظم عليك يا محمد إعراض هؤلاء المشركين عنك وانصرافهم عن تصديقك فيما جئتهم به من الحق الذي بعثتك به فشق ذلك عليك ولم تصبر لمكروه ما ينالك منهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الارض يقول فان استطعت أن تتخذ سربا في الارض مثل نافقاء اليربوع وهي أحد جحرته فتذهب فيه أو سلما في السماء يقول أو مصعدا تصعد فيه كالدرج وما أشبهها كما قال الشاعر

لا يحرز المرء أحجاء البلاد ولا * يبنى له في السموات السلاليم

فتأتيهم بآية منها يعني بعلامة وبرهان على صحة قولك غير الذي أتيتك فافعل وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء والنفق السرب فتذهب فيه فتأتيهم بآية أو تجعل لك سلما في السماء فتصعد عليه فتأتيهم بآية أفضل مما آتيناهم به فافعل حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الارض قال سربا أو سلما في السماء قال يعني الدرج حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء أما النفق فالسرب وأما السلم فالمصعد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله نفقا في الارض قال سربا وترك جواب الجزاء فلم يذكر لدلالة الكلام عليه ومعرفة السامعين بمعناه وقد تفعل العرب ذلك فيما كان يفهم معناه عند المخاطبين به فيقول الرجل منهم للرجل إن استطعت أن تنهض معنا في حاجتنا إن قدرت على معونتنا ويحذف الجواب وهو يريد إن قدرت على معونتنا فافعل فأما اذا لم يعرف المخاطب والسامع معنى الكلام الا باظهار الجواب لم يحذفوه لا يقال إن تقم فتسكت وتحذف الجواب لان المقول ذلك له لا يعرف جوابه الا باظهاره حتى يقال إن تقم تصب خيرا أو إن تقم فحسن وما أشبه ذلك ونظير ما في الآية مما حذف جوابه وهو مراد لفهم المخاطب لمعنى الكلام قول الشاعر

(١) فبحظ مما نعيش ولا تذهب * بك الترهات في الاهوال

والمعنى فبحظ مما نعيش فعيشي القول في تأويل قوله (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) يقول تعالى ذكره إن الذين يكذبونك من هؤلاء الكفار يا محمد فيحزنك تكذيبهم إياك لو أشاء أن أجمعهم على استقامة من الدين وصواب من محجة الاسلام حتى تكون كلمة جميعكم واحدة وملتكم وملتهم واحدة لجمعتهم على ذلك ولم يكن بعيدا علي لأني القادر على ذلك بلطفي ولكني لم أفعل ذلك لسابق علمي في خلقي ونافذ قضائي فيهم من قبل أن أخلقهم وأصور أجسامهم فلا تكونن يا محمد من الجاهلين يقول فلا تكونن ممن لا يعلم أن الله لو شاء لجمع على الهدى جميع خلقه بلطفه وأن من يكفر به من خلقه انما يكفر به لسابق علم الله فيه ونافذ قضائه بانه كائن

ليندرج تحته كل خير والحاصل أن اندفاع جميع المضار بقدرته وكذا حصول جميع الخيرات لأن كل ما عداه فانه [illegible] وقد حصل بايجاده وتكوينه فان الممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته ورأس المضار هو الكفر وسنام الخيرات هو الايمان ولن يحصل نفرة الكفر وداعية الايمان الا بتوفيقه تعالى وكل ما يتصور أنه قد نفع أو ضر من الجمادات أو المختارات فان ذلك ينتهي الى تخليق الله وجعله ذلك الشيء واسطة لذلك النفع أو الضر فلا ضار ولا نافع بالحقيقة الا هو سبحانه ثم زاد لهذا المعنى بيانا فقال (وهو القاهر فوق عباده) وهو اشارة الى كمال القدرة (وهو الحكيم الخبير) وانه اشارة الى كمال العلم فالحكمة أعم من العلم لانها علم وعمل ولكونه خبيرا أخص من العلم لانه العلم ببواطن الامور وخباياها فاذا اجتمعت هذه المعاني حصل العلم بكماله وغايته وقد استدل بظاهر الآية من أثبت الفوقية لله تعالى وعورض بوجوه منها أنه لو كان فوق العالم فان كان في الصغر بحيث لا يتميز منه جانب من جانب كالجوهر الفرد مثلا فذلك لا يقوله عاقل وان كان ذاهبا في الاقطار كلها كان متحيزا والجواب أنه لم لا يجوز أن يكون نورا قائما بذاته غير متناه لا متحيزا ولا متبعضا قاهرا لجميع الانوار غالبا على جميع الاشياء فلا غاية لجوده ولا نهاية لوجوده وأما إنه

(١) كذا في الاصل محرره ولم نعثر عليه فحرر كتبه مصححه

من الكافرين به اختيار الاضطرار افانك اذا علمت صحة ذلك لم يكبر عليك اعراض من أعرض
من المشركين عما تدعوهم اليه من الحق وتكذيب من كذبك منهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض
أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية
ابن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول الله سبحانه لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين
وفي هذا الخبر من الله تعالى الدلالة الواضحة على خطأ ما قال أهل التفويض من القدرية المنكرون
أن يكون عند الله لطائف لمن شاء توفيقه من خلقه يلطف بها له حتى يهتدي للحق فينقاد له وينيب
الى الرشاد فيذعن به ويؤثره على الضلال والكفر بالله وذلك أنه تعالى ذكره أخبر أنه لو شاء الهداية
لجميع من كفر به حتى يجتمعوا على الهدى فعل ولا شك أنه لو فعل ذلك بهم كانوا مهتدين لا ضلالا
وهم لو كانوا مهتدين كان لا شك أن كونهم مهتدين كان خيرا لهم وفي تركه تعالى ذكره أن
يجمعهم على الهدى ترك منه أن يفعل بهم في دينهم بعض ما هو خير لهم فيه مما هو قادر على فعله
بهم وقد ترك فعله بهم وفي تركه فعل ذلك بهم أوضح الدليل أنه لم يعطهم كل الاسباب التي بها
يصلون الى الهداية ويتسببون بها الى الايمان * القول في تأويل قوله ﴿انما يستجيب الذين
يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
لا يكبرن عليك اعراض هؤلاء المعرضين عنك وعن الاستجابة لدعائك اذا دعوتهم الى توحيد ربهم
والاقرار بنبوتك فانه لا يستجيب لدعائك الى ما تدعوه اليه من ذلك الا الذين فتح الله أسماعهم
للاصغاء الى الحق وسهل لهم اتباع الرشد دون من ختم الله على سمعه فلا يفقه من دعائك اياه الى الله
والى اتباع الحق الا ما تفقهه الانعام من أصوات رعاتها فهم كما وصفهم به الله تعالى صم بكم عمي فهم
لا يعقلون والموتى يبعثهم الله يقول والكفار يبعثهم الله مع الموتى فجعلهم تعالى ذكره في عداد الموتى
الذين لا يسمعون صوتا ولا يعقلون دعاء ولا يفقهون قولا اذ كانوا لا يتدبرون حجج الله ولا يعتبرون
آياته ولا يتذكرون فينزجروا عما هم عليه من تكذيب رسل الله وخلافهم وبنحو الذي قلنا في ذلك
قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن
ابن أبي نجيح عن مجاهد انما يستجيب الذين يسمعون المؤمنون للذكر والموتى الكفار حين يبعثهم
الله مع الموتى حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد
مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما يستجيب الذين
يسمعون قال هذا مثل المؤمن سمع كتاب الله فانتفع به وأخذ به وعقله والذين كذبوا بآياتنا صم
وبكم وهذا مثل الكافر أصم أبكم لا يبصر هدى ولا ينتفع به حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة
عن سفيان الثوري عن محمد بن جحادة عن الحسن انما يستجيب الذين يسمعون المؤمنون والموتى
قال الكفار حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن محمد بن جحادة قال
سمعت الحسن يقول في قوله انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله قال الكفار وأما قوله
ثم اليه يرجعون فانه يقول تعالى ثم الى الله يرجعون المؤمنون الذين استجابوا لله والرسول والكفار
الذين يحول الله بينهم وبين أن يفقهوا عنك شيئا فيثيب هذا المؤمن على ما سلف من صالح عمله في
الدنيا بما وعد أهل الايمان به من الثواب ويعاقب هذا الكافر بما أوعد أهل الكفر به من
العقاب لا يظلم أحدا منهم مثقال ذرة * القول في تأويل قوله ﴿وقالوا لولا نزل عليه آية من
ربه قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء
العادلون بربهم المعرضون عن آياته لولا نزل عليه آية من ربه يقول قالوا هلا نزل على محمد آية من ربه
كما قال الشاعر

كيف يتصور نور بلا نهاية مع أنه
لا ينقسم ولا يتبعض فمجرد استبعاد
فلا يصلح حجة وادراك الشيء من هذا
النور محتاج الى نور ومن لم يجعل الله
له نورا فماله من نور ومنها أنه لو
كان غير متناه من كل الجهات لزم
اختلاطه بالقاذورات والجواب أن
هذا كلام مخيل فلا يستعمل في
البرهان ومنها أنه لو لم يكن خارج
العالم خلاء ولا ملاء لم يمكن حصول
ذات الله تعالى فيه وان كان خلاء
فحصوله في جزء من أجزاء ذلك الخلاء
دون سائر أجزائه محتاج الى مخصص
فيكون الواجب مفتقرا فيكون
محدثا هذا خلف والجواب أنا
ذكرنا أن نور الانوار لا يتناهى وأنه
وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى فيسقط
هذا الاعتراض ومنها أنه سبحانه
موجود قبل الخلاء والحيز والجهة
فلا يكون بعد حصول هذه الاشياء
موجودا فيها والا لزم التغير في ذاته
والجواب بالفرق بين المعية وبين
الافتقار ومنها أن العالم كرة فاما أن
يكون الله تعالى فوق أقوام باعيانهم
وحينئذ يلزم أن يكون تحت أقدام
من يقابلهم واما أن يكون فوق
الكل فيكون فلكا محيطا بسائر
الأفلاك وهذا لا يقوله مسلم
والجواب الالزامي بعد تسليم كون
العالم كرة أنا نختار القسم الاول
ولا يلزم التحتية لان التحت
من جميع الجوانب هو ما يلي
المركز والفوق ما يلي السماء أو
القسم الثاني ولا يلزم من احاطته
بجميع الاشياء كونه فلكا كسائر

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم * بنى ضوطرى لولا الكمى المقنعا

يعنى هلا الكمى والآية العلامة وذلك أنهم قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لقائلى هذه المقالة لك ان الله قادر على أن ينزل آية يعنى حجة على ما يريدون ويسألون ولكن أكثرهم لا يعلمون يقول ولكن أكثر الذين يقولون ذلك فيسألونك آية لا يعلمون ما عليهم فى الآية ان نزلها من البلاء ولا يدرون ما وجه ترك انزال ذلك عليك ولو علموا السبب الذى من أجله لم أنزلها عليك لم يقولوا ذلك ولم يسألوكه ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك القول فى تأويل قوله ﴿وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المعرضين عنك المكذبين بآيات الله أيها القوم لا تحسبن الله غافلا عما تعملون أو أنه غير مجازيكم على ما تكسبون وكيف يغفل عن أعمالكم أو يترك مجازاتكم عليها وهو غير غافل عن عمل شئ دب على الارض صغير أو كبير ولا عمل طائر طار بجناحيه فى الهواء بل جعل ذلك كله أجناسا مجنسة وأصنافا مصنفة تعرف كما تعرفون وتتصرف فيما سخرت له كما تتصرفون ومحفوظ عليها ما عملت من عمل لها وعليها ومثبت كل ذلك من أعمالها فى أم الكتاب ثم انه تعالى ذكره مميتها ثم منشرها ومجازيها يوم القيامة جزاء أعمالها يقول فالرب الذى لم يضيع حفظ أعمال البهائم والدواب فى الارض والطير فى الهواء حتى حفظ عليها حركاتها وأفعالها وأثبت ذلك منها فى أم الكتاب وحشرها ثم جازاها على ما سلف منها فى دار البلاء أحرى أن لا يضيع أعمالكم ولا يفرط فى حفظ أفعالكم التى تجترحونها أيها الناس حتى يحشركم فيجازيكم على جميعها ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا اذ كان قد خصكم من نعمه وبسط عليكم من فضله ما لم يعم به غيركم فى الدنيا وكنتم بشكره أحق وبمعرفة واجبه عليكم أولى لما أعطاكم من العقل الذى به بين الاشياء تميزون والفهم الذى لم يعطه البهائم والطير الذى به بين مصالحكم ومضاركم تفرقون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أمم أمثالكم أصناف مصنفة تعرف بأسمائها حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم يقول الطير أمة والانس أمة والجن أمة حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله الا أمم أمثالكم يقول الا خلق أمثالكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم قال الذرة فما فوقها من ألوان ما خلق الله من الدواب وأما قوله ما فرطنا فى الكتاب من شئ فان معناه ما ضيعنا اثبات شئ منه كالذى حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ما فرطنا فى الكتاب من شئ ما تركنا شيأ الا قد كتبناه فى أم الكتاب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ما فرطنا فى الكتاب من شئ قال لم نغفل ما من شئ الا وهو فى الكتاب وحدثنى به يونس مرة أخرى قال فى قوله ما فرطنا فى الكتاب من شئ قال كلهم مكتوب فى أم الكتاب وأما قوله ثم الى ربهم يحشرون فان أهل التأويل اختلفوا فى معنى حشرهم الذى عناه الله تعالى فى هذا الموضع فقال بعضهم حشرها موتها ذكر من قال ذلك

الأفلاك وأما التحقيق فقد مر ومنها أن لفظ الفوق فى الآية مسبوق بالقهر ويراد به القدرة والمكنة وملحوق بلفظ عباده وأنه يشعر بالمملوكية والمقدورية فالمناسب أن يراد بالفوق أيضا فوقية القدرة ولا يلزم التكرار لان المراد أن القهر والقدرة عام فى حق الكل والجواب أن حمل الوسط على الطرفين أولى من العكس بل لا نزاع فى مفهوم العباد وانما النزاع فى مفهومى القاهرية والفوقية وليس حمل أحدهما على الآخر أولى من غيره ومنها ان الآية سيقت ردا على من اتخذ غير الله وليا وهذا انما يحسن لو كان المراد بالفوقية القدرة لا الجهة والجواب أن الفوقية بالوجه الذى قررناه فى جواب الاعتراض الاول يفيد الاستعلاء المطلق وذلك يوجب أن يكون التعويل عليه فى كل الامور اذ لا وجود ولا ظهور لشئ من الاشياء الا بفيضه ونوره وقد يلوح للتأمل فى هذه الاجوبة بعد التنزيه عن التشبيه والتجسيم والحلول والاتحاد أسرار غامضة شريفة ان كان أهلا لها وكل ميسر لما خلق له قال الكلبى ان رؤساء مكة قالوا يا محمد ما نرى أحدا يصدقك بما تقول من أمر الرسالة ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك أنك رسول كما تزعم فنزلت (قل أى شئ أكبر شهادة) الآية قال العلماء انها دلت على أن أكبر الشهادات وأعظمها

حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبدالله بن موسى عن اسرائيل عن سعيد عن مسروق عن عكرمة عن ابن عباس وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم قال ابن عباس موت البهائم حشرها حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ثم الى ربهم يحشرون قال يعنى بالحشر الموت حدثت عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ثم الى ربهم يحشرون يعنى بالحشر الموت * وقال آخرون الحشر فى هذا الموضع يعنى به الجمع لبعث الساعة وقيام القيامة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبدالأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر عن جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبى هريرة فى قوله الا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون قال يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شئ فيبلغ من عدل الله يومئذ أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كونى ترابا فلذلك يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا حدثنا محمد بن عبدالاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر وحدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر عن الاعمش ذكره عن أبى ذر قال بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انتطحت عنزان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون فيما انتطحتا قالوا لا ندرى قال لكن الله يدرى وسيقضى بينهما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق بن سليمن قال ثنا مطر بن خليفة عن منذر الثورى عن أبى ذر قال انتطحت شاتان عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى يا أباذر أتدرى فيم انتطحتا قلت لا قال لكن الله يدرى وسيقضى بينهما قال أبوذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يقلب طائر جناحيه فى السماء الا ذكرنا منه علما • والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال ان الله تعالى أخبر أن كل دابة وطائر محشور اليه وجائز أن يكون معنيا بذلك حشر القيامة وجائز أن يكون معنيا به حشر الموت وجائز أن يكون معنيا به الحشران جميعا ولا دلالة فى ظاهر التنزيل ولا فى خبر عن النبى صلى الله عليه وسلم أى ذلك المراد بقوله ثم الى ربهم يحشرون اذ كان الحشر فى كلام العرب الجمع من ذلك قول الله تعالى والطير محشورة كل له أواب يعنى مجموعة فاذ كان الجمع هو الحشر وكان الله تعالى جامعا خلقه اليه يوم القيامة وجامعهم بالموت كان أصوب القول فى ذلك أن يعم بمعنى الآية ما عمه الله بظاهرها وأن يقال كل دابة وكل طائر محشور الى الله بعد الفناء وبعد بعث القيامة اذ كان الله تعالى قد عم بقوله ثم الى ربهم يحشرون ولم يخصص به حشرا دون حشر فان قال قائل فما وجه قوله ولا طائر يطير بجناحيه وهل يطير الطائر الا بجناحيه فما فى الخبر عن طيرانه بالجناحين من الفائدة قيل قد قدمنا القول فيما مضى أن الله تعالى أنزل هذا الكتاب بلسان قوم وبلغاتهم وما يتعارفونه بينهم ويستعملونه فى منطقهم خاطبهم فاذ كان من كلامهم اذا أرادوا المبالغة فى الكلام أن يقولوا كلمت فلانا بفمى ومشيت اليه برجلى وضربته بيدى خاطبهم تعالى بنظير ما يتعارفونه فى كلامهم ويستعملونه فى خطابهم ومن ذلك قوله تعالى ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات من يشا الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾ يقول تعالى ذكره والذين كذبوا بحجج الله وأعلامه وأدلته صم عن سماع الحق بكم عن القيل به فى الظلمات يعنى فى ظلمة الكفر حائر فيها يقول هو مرتطم فى ظلمات الكفر لا يبصر آيات الله فيعتبر بها ويعلم أن الذى خلقه وأنشأه فدبره وأحكم تدبيره وقدره أحسن تقدير وأعطاه القوة وصحح له آلة جسمه لم يخلقه عبثا ولم يتركه سدى ولم يعطه ما أعطاه من الآلات الا لاستعمالها فى طاعته وما يرضيه دون

شهادة الله ثم بين أن شهادة الله ما هى الا أنها تدل على أن تلك الشهادة لاثبات أى المطالب فقيل انها لاثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لما ذكرنا من سبب النزول والمعنى قل يا محمد أى شئ أكبر شهادة حتى يعترفوا بان أكبر الاشياء شهادة هو الله تعالى فاذا اعترفوا بذلك فقل ان الله شهد لى بالنبوة بان أظهر على وفق دعواى معجز القرآن الذى عجز تم معاشر الفصحاء والبلغاء عن معارضته وقيل ان حصول هذه الشهادة فى وحدانية الله تعالى وذلك أن الوحدانية ليست مما يتوقف صحته على صحة السمع فلا يمتنع اثباتها بالسمع والمعنى (قل الله شهيد بينى وبينكم) فى اثبات الوحدانية والبراءة عن الاضداد والانداد والامثال والاشباه (وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به) وأبلغكم أن الدين هو التوحيد والشرك مردود واستدل الجمهور بالآية على أنه يصح اطلاق الشئ على الله تعالى وخالف جهم محتجا بقوله تعالى الله خالق كل شئ اذ لا يمكن دعوى التخصيص فيه فان التخصيص انما يجوز فى صورة شاذة لا يلتفت اليها الذهن اعتبارها فيطلق لفظ الكل على الاكثر تنبيها على أن البقية جارية مجرى العدم فلو كان البارى تعالى شيئا لكان أعظم الاشياء وأشرفها فيكون اخراجه من هذا العموم محض الكذب وأيضا احتج بأن الشئ يطلق على المعدوم لقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا

معصيته وما يسخطه فهو لحيرته في ظلمات الكفر وتردده في غمراتها غافل عما الله قد أثبت له في أم الكتاب وما هو به فاعل يوم يحشر اليه مع سائر الامم ثم أخبر تعالى أنه المضل من يشاء اضلاله من خلقه عن الايمان الى الكفر والهادي الى الصراط المستقيم منهم من أحب هدايته فموفقه بفضله وطوله للايمان به وترك الكفر به وبرسله وما جاءت به أنبياؤه وانه لا يهتدي من خلقه أحد الا من سبق له في أم الكتاب السعادة ولا يضل منهم أحد الا من سبق له فيها الشقاء وأن بيده الخير كله واليه الفضل كله له الخلق والامر وبنحو الذي قلنا في ذلك قال قتادة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة صم وبكم هذا مثل الكافر أصم أبكم لا يبصر هدى ولا ينتفع به صم عن الحق في الظلمات لا يستطيع منها خروجا له متسكع فيها ❊ القول في تأويل قوله ﴿قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين﴾ اختلف أهل العربية في معنى قوله أرأيتكم فقال بعض نحويي البصرة الكاف التي بعد التاء من قوله أرأيتكم انما جاءت للمخاطبة وتركت التاء مفتوحة كما كانت للواحد قال وهي مثل كاف رويدك زيدا اذا قلت أرود زيدا هذه الكاف ليس لها موضع مسمى بحرف لا رفع ولا نصب وانما هي في المخاطبة مثل كاف ذلك ومثل ذلك قول العرب انصرك زيدا يدخلون الكاف للمخاطبة وقال آخرون منهم معنى أرأيتكم ان أتاكم أرأيتم قال وهذه الكاف تدخل للمخاطبة مع التوكيد والتاء وحدها هي الاسم كما أدخلت الكاف التي تفرق بين الواحد والاثنين والجميع في المخاطبة كقولهم هذا وذاك وتلك وأولئك فتدخل الكاف للمخاطبة وليست باسم والتاء هو الاسم للواحد والجميع تركت على حال واحدة ومثل ذلك قولهم ليسك ثم الا زيد يراد ليس ولا سيك زيد فيراد ولا سيما زيد وبلاك فيراد بلى في معنى نعم ولبئسك رجلا ولنعمك رجلا وقالوا انظرك زيدا ما أصنع به وأبصرك ما أصنع به بمعنى أبصره وحكى بعضهم أبصركم ما أصنع به يراد أبصروا وانظركم زيدا أي انظروا وحكى عن بعض بني كلاب أتعلمك كان أحد أشعر من ذي الرمة فأدخل الكاف وقال بعض نحويي الكوفة أرأيتك عمرا أكثر الكلام فيه ترك الهمز قال والكاف من أرأيتك في موضع نصب كان الاصل أرأيت نفسك على غير هذا الحال قال فهذا يثنى ويجمع ويؤنث فيقال أرأيتما كما وأرأيتموكم وأرأيتن كن أوقع فعله على نفسه وسأله عنها ثم كثر به الكلام حتى تركوا التاء موحدة للتذكير والتأنيث والتثنية والجمع فقالوا أرأيتكم زيدا ما صنع وأرأيتكن زيدا ما صنع فوحدوا التاء وثنوا الكاف وجمعوها فجعلوها بدلا من التاء كما قال هاؤم اقرؤا كتابيه وهاء يا رجل وهاؤما ثم قالوا ها كما كتفى بالكاف والميم مما كان يثنى ويجمع فكان الكاف في موضع رفع اذ كانت بدلا من التاء وربما وحدت للتثنية والجمع والتذكير والتأنيث وهي كقول القائل عليك زيدا الكاف في موضع خفض والتأويل رفع فأما ما يجلب فأكثر ما يقع على الاسماء ثم تأتي بالاستفهام فيقال أرأيتك زيدا هل قام لانها صارت بمعنى أخبرني عن زيد ثم بين عما يستخبر فهذا أكثر الكلام ولم يأت الاستفهام يليها لم يقل أرأيتك هل قمت لانهم أرادوا ان يبينوا عمن يسأل ثم تبين الحالة التي يسأل عنها وربما جاء بالخبر ولم يأت بالاسم فقالوا أرأيت زيدا هل يأتينا وأرأيتك أيضا وأرأيت زيدا ان أتيته هل يأتينا اذا كانت بمعنى أخبرني فيقال باللغات الثلاث وتأويل الكلام قل يا محمد لهؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام أخبروني ان جاءكم أيها القوم عذاب الله كالذي جاء من قبلكم من الأمم الذين هلك بعضهم بالرجفة وبعضهم بالصاعقة أو جاءتكم الساعة التي تنشرون فيها من قبوركم وتبعثون لموقف القيامة أغير الله هناك تدعون لكشف ما نزل بكم من البلاء أو الى غيره من آلهتكم تفزعون لينجيكم مما نزل بكم من عظيم البلاء ان كنتم صادقين يقول ان

الآن يشاء الله والشيء الذي سيفعله غدا معدوم في الحال فالشيء لا يفيد صفة مدح فلا يطلق عليه والجواب عن الاول أن اخراج الأكثر من العموم جائز عندنا ولو سلم فانه تعالى واحد من الأشياء والخارج بهذا الاعتبار أقل عددا من الباقي وعن الثاني أن لفظ الشيء أعم الألفاظ ومتى صدق الخاص كالذات والحقيقة صدق العام بالضرورة قال جهم قل الله شهيد جملة مستقلة بنفسها لا تعلق لها بما قبلها فلا يصح استدلالكم قلنا قل أي شيء سؤال ولا بد له من جواب وهو اما مذكور أي قل الله أكبر الاشيا شهادة ثم ابتدئ فقيل شهيد أي وهو شهيد بيني وبينكم أو محذوف والمعنى قل هو الله والله شهيد بيني وبينكم وحسن الحذف لانه اذا سأل عن أكبر الاشيا شهادة وذكر بعده ذلك أن الله شهيد علم جزما أن أكبر الاشياء شهادة هو الله قوله (ومن بلغ) معطوف على ضمير المخاطبين والعائد الى من محذوف أي لأنذركم يا أهل مكة وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا صلى الله عليه وآله وقيل ومن بلغ أي من احتلم وبلغ أوان التكليف وعلى هذا فلا حاجة الى اضمار العائد ثم استفهم مبكتا فقال (أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) وصف الجمع بصفة الواحدة كما يقال الرجال فعلت ثم دل على ايجاب التوحيد بثلاث جمل أولاها (قل لا أشهد) أي بما تذكرونه من اثبات الشركاء وثانيتها (قل انما هو اله واحد) وكلمة انما تفيد الحصر وثالثتها (وانني بريء مما تشركون) ومن هنا قالت العلماء المستحب لمن أسلم ابتداء أن يأتي بالشهادتين ويضم

كنتم محقين فى دعواكم وزعمكم أن آلهتكم التى تدعونها من دون الله تنفع أو تضر ۞ القول فى تأويل قوله ﴿بل اياه تدعون فيكشف ماتدعون اليه ان شاء وتنسون ماتشركون﴾ يقول تعالى ذكره مكذبا لهؤلاء العادلين به الأوثان ما أنتم أيها المشركون بالله الآلهة والانداد إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة بمستجيرين بشئ غير الله فى حال شدة الهول النازل بكم من آلهة ووثن وصنم بل تدعون هنالك ربكم الذى خلقكم وبه تستغيثون واليه تفزعون دون كل شئ غيره فيكشف ماتدعون اليه يقول فيفرج عنكم عند استغاثتكم به وتضرعكم اليه عظيم البلاء النازل بكم ان شاء أن يفرج ذلك عنكم لانه القادر على كل شئ ومالك كل شئ دون ماتدعونه إلها من الأوثان والأصنام وتنسون ماتشركون يقول وتنسون حين يأتيكم عذاب الله أو تأتيكم الساعة بأهوالها ماتشركونه مع الله فى عبادتكم اياه فتجعلونه له ندا من وثن وصنم وغير ذلك مما تعبدونه من دونه وتدعونه إلها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون﴾ يقول تعالى ذكره متوعدا لهؤلاء العادلين به الأصنام ومحذرهم أن يسلك بهم اذا هم تمادوا فى ضلالهم سبيل من سلك سبيلهم من الامم قبلهم فى تعجيل الله عقوبته لهم فى الدنيا ومخبرا نبيه عن سنته فى الذين خلوا قبلهم من الامم على منهاجهم من تكذيب الرسل لقد أرسلنا يامحمد الى أمم يعنى الى جماعات وقرون من قبلك فأخذناهم بالبأساء يقول فأمرناهم ونهيناهم فكذبوا رسلنا وخالفوا أمرنا ونهينا فامتحناهم بالابتلاء بالبأساء وهى شدة الفقر والضيق فى المعيشة والضراء وهى الاسقام والعلل العارضة فى الاجسام وقد بينا ذلك بشواهده ووجوه اعرابه فى سورة البقرة بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله لعلهم يتضرعون يقول فعلنا ذلك بهم ليتضرعوا الى ويخلصوا الى العبادة ويفردوا رغبتهم الى دون غيرى بالتذلل منهم لى بالطاعة والاستكانة منهم الى بالانابة وفى الكلام محذوف قد استغنى بما دل عليه الظاهر عن اظهاره من قوله ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم وانما كان سبب أخذه اياهم تكذيبهم الرسل وخلافهم أمره لا ارسال الرسل اليهم واذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن معنى الكلام ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك رسلا فكذبوهم فأخذناهم بالبأساء والتضرع هو التفعل من الضراعة وهى الذلة والاستكانة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ وهذا أيضا من الكلام الذى فيه متروك استغنى بدلالة الظاهر عن ذكر ماترك وذلك أنه تعالى ذكره أخبر عن الامم التى كذبت رسلها أنه أخذهم بالبأساء والضراء ليتضرعوا ثم قال فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولم يخبر عما كان منهم من الفعل عند أخذه اياهم بالبأساء والضراء ومعنى الكلام ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلم يتضرعوا فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ومعنى فلولا فى هذا الموضع فهلا والعرب اذا أولت لولا اسما مرفوعا جعلت ما بعدها خبرا وتلقتها بالامر فقالت فلولا أخوك لزرتك ولولا أبوك لضربتك واذا أولتها فعلا أو لم تولها اسما جعلوها استفهاما فقالوا لولا جئتنا فنكرمك ولولا زرت أخاك فنزورك بمعنى هلا كما قال تعالى لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وكذلك تفعل بلوما مثل فعلها بلولا فتأويل الكلام اذ فهلا اذ جاء بأسنا هؤلاء الامم المكذبة رسلها الذين لم يتضرعوا عند أخذناهم بالبأساء والضراء تضرعوا فاستكانوا لربهم وخضعوا لطاعته فيصرف ربهم عنهم بأسه وهو عذابه وقد بينا معنى البأس فى غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ولكن قست قلوبهم يقول ولكن أقاموا على تكذيبهم رسلهم وأصروا على ذلك واستكبروا عن أمر ربهم استهانة بعقاب الله واستخفافا بعذابه وقساوة قلب منهم وزين لهم الشيطان ما كانوا

الهما التبرى عن كل دين سوى دين الاسلام ولما زعم مشركو مكة أنهم سألوا اليهود والنصارى عن نعت محمد صلى الله عليه وآله فقالوا ليس عندنا ذكره كذبهم الله تعالى بقوله (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) أى يعرفون رسول الله بنعوته وحلاه الثابتة فى الكتابين (كما يعرفون أبناءهم) بالنعوت والحلى لا يخفون عليهم ولا يشتبهون بغير أبنائهم (الذين خسروا أنفسهم) إما بدل أو بيان من الذين الاولى ويكون المقصود وعيد المعاندين منهم والجاحدين واما مبتدأ والكلام جملة مستأنفة شاملة لجميع الجاحدين من أهل الكتاب ومن المشركين والمراد بخسران النفس الهلاك الدائم الذى يحصل لهم بسبب الكفر وقيل ما من أحد الا وله منزلة فى الجنة الا أن من كفر صارت منزلته الى من أسلم فيكون قد خسر نفسه وأهله بأن ورث منزلته غيره ثم بين سبب خسرانهم مستفهما على سبيل الانكار فقال (ومن أظلم) وذلك أنهم جمعوا بين أمرين متنافيين اثبات الباطل وهو الافتراء على الله وجحد الحق وهو التكذيب بآيات الله فمن الاول أن المشركين كانوا يقولون للاصنام انهم شركاء الله والله أمرهم بذلك وكانوا يقولون الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله واليهود والنصارى كانوا يزعمون أن التوراة والانجيل ناطقان بعدم النسخ وأنهم أبناء الله وأحباؤه وأن النار لا تمسهم الا أياما معدودة الى غير ذلك من مفترياتهم ومن الثانى قدحهم فى القرآن وفى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله (انه لا يفلح الظالمون) الذين وضعوا الشئ فى غير موضعه الباطل مكان الحق والحق بازاء الباطل ثم كشف عن حالهم يوم القيامة فقال (ويوم نحشرهم) وناصبه

يعملون

يعملون يقول وحسن لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الأعمال التي يكرهها الله ويسخطها منهم

القول في تأويل قوله ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون﴾ يعني تعالى ذكره بقوله فلما نسوا ما ذكروا به فلما تركوا العمل بما أمرناهم به على ألسن رسلنا كالذي حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله فلما نسوا ما ذكروا به يعني تركوا ما ذكروا به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله نسوا ما ذكروا به قال ما دعاهم الله اليه ورسله أبوه وردوه عليهم فتحنا عليهم أبواب كل شئ يقول بدلنا مكان البأساء الرخاء والسعة في العيش ومكان الضراء الصحة والسلامة في الأبدان والأجسام استدراجا منا لهم كالذي حدثني محمد بن عمرو قال ثنا ابو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله فتحنا عليهم أبواب كل شئ قال رخاء الدنيا ويسرها على القرون الأولى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فتحنا عليهم أبواب كل شئ قال يعني الرخاء وسعة الرزق حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله فتحنا عليهم أبواب كل شئ يقول من الرزق فان قال لنا قائل وكيف قيل فتحنا عليهم أبواب كل شئ وقد علمت أن باب الرحمة وباب التوبة لم يفتح لهم وأبواب أخر غيره كثيرة قيل ان معنى ذلك على غير الوجه الذي ظننت من معناه وانما معنى ذلك فتحنا عليهم استدراجا منا لهم أبواب كل ما كنا سددنا عليهم بابه عند أخذنا اياهم بالبأساء والضراء ليتضرعوا اذ لم يتضرعوا وتركوا أمر الله لأن آخر هذا الكلام مردود على أوله وذلك كما قال تعالى في موضع آخر من كتابه وما أرسلنا في قرية من نبي الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ففتح الله على القوم الذين ذكر في هذه الآية ذكرهم بقوله فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ هو تبديله لهم مكان السيئة التي كانوا فيها في حال امتحانه اياهم من ضيق العيش الى الرخاء والسعة ومن الضر في الأجسام الى الصحة والعافية وهو فتح أبواب كل شئ كان أغلق بابه عليهم مما جرى ذكره قبل قوله فتحنا عليهم أبواب كل شئ فرد قوله فتحنا عليهم أبواب كل شئ عليه ويعني تعالى بقوله حتى اذا فرحوا بما أوتوا يقول حتى اذا فرح هؤلاء المكذبون رسلهم بفتحنا عليهم أبواب السعة في المعيشة والصحة في الاجسام كالذي حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي حتى اذا فرحوا بما أوتوا من الرزق حدثنا الحرث قال ثنا القاسم بن سلام قال سمعت عبد الرحمن بن مهدي يحدث عن حماد بن زيد قال كان رجل يقول رحم الله رجلا تلا هذه الآية ثم فكر فيها ماذا أريد بها حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة حدثني الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا ابن أبي رجاء من أهل الثغر عن عبد الله بن المبارك عن محمد بن النضر الحارثي في قوله أخذناهم بغتة قال أمهلوا عشرين سنة ويعني تعالى ذكره بقوله أخذناهم بغتة أتيناهم بالعذاب فجأة وهم غارون لا يشعرون أن ذلك كائن ولا هو بهم حال كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة قال أعجب ما كانت اليهم وأغرها لهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أخذناهم بغتة يقول أخذهم العذاب بغتة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا

محذوف أي ويوم كذا كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو أدخل في الوعيد ويحتمل أن يكون مفعول واذكر أو معطوفا على محذوف أي لا يفلح الظالمون في الدنيا ويوم الحشر (أين شركاؤكم) آلهتكم التي جعلتموهم شركاء (الذين كنتم تزعمون) هم شركاء فحذف المفعولان والمقصود من هذا الاستفهام التقريع والتبكيت ويجوز أن يشاهدوهم الا أنهم حيث لم ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم ويجوز أن يحال بينهم وبين آلهتهم وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فتزداد حسرتهم ويحتمل أن يقال أين شفاعتهم لكم وانتفاعكم بهم والغرض من جميع الوجوه أن يتقرر في نفوسهم أن الذي يظنونه مأيوس منه فيصير ذلك تنبيها لهم في الدنيا على فساد هذه الطريقة (ثم لم تكن فتنتهم) من قرأ بالرفع على أنه اسم كان والخبر (الا أن قالوا) والتقدير شيأ الا أن قالوا ومن قرأ بالنصب مع تذكير يكن فبعكس ما قلنا والتقدير شئ الا أن قالوا وأما مع تأنيث يكن فلوقوع الخبر مؤنثا كقولهم من كانت أمك أو بتأويل مقالتهم قال الواحدي الاختيار قراءة من قرأ بالنصب لان أن اذا وصلت بالفعل لم توصف فأشبهت بامتناع وصفها المضمر وكأن المضمر والمظهر اذا اجتمعا كقولك ان كنت القائم كان جعل المضمر اسما أولى من جعله خبرا فكذلك ههنا قال الزجاج تأويل هذه الآية حسن في اللغة لا يعرفه الا من وقف على معاني كلام العرب وذلك أنه تعالى بين كون المشركين مفتونين بشركهم متهالكين في حبه فذكر أن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا انه دين آبائنا لم تكن الا الجحود والتبرؤ منه والحلف على عدم التدين به

أبوعاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أخذناهم بغتة قال فجأة آمنين وأما قوله فإذا هم مبلسون فإنه هالكون منقطعة حججهم نادمون على ما سلف منهم من تكذيبهم رسلهم كالذي حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي فإذا هم مبلسون قال فإذا هم مهلكون متغير حالهم حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا شيخ عن مجاهد فإذا هم مبلسون قال فإذا هم مهلكون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فإذا هم مبلسون قال المبلس الذي قد نزل به الشر الذي لا يدفعه والمبلس أشد من المستكين وقرأ فما استكانوا لربهم وما يتضرعون وكان أول مرة فيه معاتبة وتقية وقرأ قول الله أخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا حتى بلغ وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ثم جاء أمر ليس فيه تقية وقرأ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فجاء أمر ليس فيه تقية وكان الأول لو أنهم تضرعوا كشف عنهم حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال ثنا بقية بن الوليد عن أبي شريح ضبارة بن مالك عن أبي الصلت عن (١) حرملة أبي عبد الرحمن عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيت الله يعطي عبده في دنياه إنما هو استدراج ثم تلا هذه الآية فلما نسوا ما ذكروا به إلى قوله والحمد لله رب العالمين وحدث بهذا الحديث عن محمد بن حرب عن ابن لهيعة عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا رأيت الله تعالى يعطي العباد ما يسألون على معاصيهم إياه فإنما ذلك استدراج منه لهم ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء الآية وأصل الإبلاس في كلام العرب عند بعضهم الحزن على الشيء والندم عليه وعند بعضهم انقطاع الحجة والسكوت عند انقطاع الحجة وعند بعضهم الخشوع وقالوا هو المخذول المتروك ومنه قول العجاج

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا * قال نعم أعرفه وأبلسا

فتأويل قوله وأبلسا عند الذين زعموا أن الإبلاس انقطاع الحجة والسكوت عنده بمعنى أنه لم يحر جوابا وتأوله الآخرون بمعنى الخشوع وترك أهله إياه مقيما بمكانه والآخرون بمعنى الحزن والندم يقال منه أبلس الرجل إبلاسا ومنه قيل لإبليس إبليس ❊ القول في تأويل قوله ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾ يعني تعالى ذكره بقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا فاستؤصل القوم الذين عتوا على ربهم وكذبوا رسله وخالفوا أمره عن آخرهم فلم يترك منهم أحد إلا أهلك بغتة إذ جاءهم عذاب الله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي فقطع دابر القوم الذين ظلموا يقول فقطع أصل الذين ظلموا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا قال استؤصلوا ودابر القوم الذي يدبرهم وهو الذي يكون في أدبارهم وآخرهم يقال في الكلام قد دبر القوم فلان يدبرهم دبرا ودبورا إذا كان آخرهم ومنه قول أمية

فأهلكوا بعذاب حص دابرهم * فما استطاعوا له صرفا ولا انتصروا

والحمد لله رب العالمين يقول والثناء الكامل والشكر التام لله رب العالمين على إنعامه على رسله وأهل طاعته بإظهار حججهم على من خالفهم من أهل الكفر وتحقيق عدتهم ما وعدهم على

(١) هو حرملة بن عمران وكنيته أبو حفص انظر الخلاصة

ومثاله أن ترى إنسانا يحب شخصا مذموم الطريقة فإذا وقع في محنة بسببه تبرأ منه فيقال له ما كانت محبتك أي عاقبة محبتك لفلان إلا أن تبرأت منه وتركته فعلى هذا فتنتهم هي شركهم في الدنيا كما فسرها ابن عباس ولكن لا بد من تقدير مضاف وهو العاقبة ويجوز أن يراد ثم لم يكن جوابهم إلا أن قالوا فسمي فتنة لأنه كذب قال القاضي عبد الجبار وأبو بكر إن أهل القيامة لا يجوز إقدامهم على الكذب لأنهم يعرفون الله تعالى بالاضطرار فيكونون ملجئين إلى ترك القبيح وكيف لا وإنهم يعلمون أن ذلك لا ينفعهم حينئذ ولا يستفيدون بذلك إلا زيادة المقت والغضب من الله تعالى عليهم ولا يجوز أن يقال إنهم لما عاينوا القيامة اختلت عقولهم واضطربت فلهذا قالوا الكذب أو إنهم نسوا كونهم مشركين في الدنيا لأنه لا يليق بحكمته تعالى أن يوبخهم ثم يحكي عنهم ما يجري مجرى الاعتذار عند اختلال عقولهم ولأن تجويز نسيان أمر كان عليه الشخص مدة عمره نوع من السفسطة وأيضا إنهم لو كذبوا في موقف القيامة ثم حلفوا على ذلك الكذب لكانوا قد أقدموا على نوعين من القبيح فإن عوقبوا على ذلك صارت الآخرة دار التكليف وإن لم يعاقبوا كان إذنا من الله تعالى في ارتكاب الذنوب وكلاهما محال فإذا الوجه في الآية أن يقال إن القوم كانوا يعتقدون في أنفسهم وظنونهم أنهم موحدون فأجابوا بقولهم (والله ربنا ما كنا مشركين) أي في اعتقادنا وظنوننا وعلى هذا فيكونون صادقين فيما أخبروا عنه لأنهم كانوا غير مشركين عند أنفسهم فيجب تأويل قوله تعالى (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) بأن المراد كذبهم في دار الدنيا كقولهم إنهم

كفرهم

كفرهم بالله وتكذيبهم رسله من نقم الله وعاجل عذابه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بى الأوثان والأصنام المكذبين بك أرأيتم أيها المشركون بالله غيره ان أصمكم الله فذهب بأسماعكم وأعماكم فذهب بأبصاركم وختم على قلوبكم فطبع عليها حتى لا تفقهوا قولا ولا تبصروا حجة ولا تفهموا مفهوما أى إله غير الله الذى له عبادة كل عابد يأتيكم به يقول يرد عليكم ما ذهب الله به منكم من الاسماع والأبصار والأفهام فتعبدوه أو تشركوه فى عبادة ربكم الذى يقدر على ذهابه بذلك منكم وعلى رده عليكم اذا شاء وهذا من الله تعالى تعليم نبيه الحجة على المشركين به يقول له قل لهم ان الذين تعبدونهم من دون الله لا يملكون لكم ضرا ولا نفعا وانما يستحق العبادة عليكم من كان بيده الضر والنفع والقبض والبسط القادر على كل ما أراد لا العاجز الذى لا يقدر على شئ ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انظر كيف نصرف الآيات يقول انظر كيف نتابع عليهم الحجج ونضرب لهم الأمثال والعبر ليعتبروا ويذكروا فينيبوا ثم هم يصدفون يقول ثم هم مع متابعتنا عليهم الحجج وتنبيهنا اياهم بالعبر عن الادكار والاعتبار يعرضون يقال منه صدف فلان عنى بوجهه فهو يصدف صدوفا وصدفا أى عدل وأعرض ومنه قول ابن الرقاع

اذا ذكرن حديثا قلن أحسنه * وهن عن كل سوء يتقى صدف

﴿وقال لبيد﴾

يروى قوامح قبل الليل صادفة * أشباه جن عليها الريط والأزر

وان قال قائل وكيف قيل من اله غير الله يأتيكم به فوحد الهاء وقد مضى الذكر قبل بالجمع فقال أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم قيل جائز أن تكون الهاء عائدة على السمع فتكون موحدة لتوحيد السمع وجائز أن تكون معنيا بها من اله غير الله يأتيكم بما أخذ منكم من السمع والأبصار والأفئدة فتكون موحدة لتوحيد ما والعرب تفعل ذلك اذا كنت عن الأفعال وحدت الكناية وان كثر ما يكنى بها عنه من الافاعيل كقولهم إقبالك وإدبارك يعجبنى وقد قيل ان الهاء التى فى به كناية عن الهدى وبه وما قلنا فى تأويل قوله يصدفون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله يصدفون قال يعرضون حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية ابن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله يصدفون قال يعدلون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله نصرف الآيات ثم هم يصدفون قال يعرضون عنها حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ثم هم يصدفون قال يصدون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان المكذبين بأنك لى رسول اليهم أخبرونى ان أتاكم عذاب الله وعقابه على ما تشركون به من الأوثان والأنداد وتكذيبكم إياى بعد الذى قد عاينتم من البرهان على حقيقة قولى بغتة يقول فجأة على غرة لا تشعرون أو جهرة يقول أو أتاكم عذاب الله وأنتم تعاينونه وتنظرون اليه هل يهلك الا القوم الظالمون يقول هل يهلك الله منا ومنكم الا من

على صواب وان ماهم عليه ليس بشرك وان آلهتهم شفعاؤهم عند الله فلهذا قال (وضل عنهم) أى وانظر كيف غاب عنهم فى الآخرة (ما كانوا يفترون) أى يفتعلون الهيته وشفاعته والحاصل ان الآية سيقت لبيان تضاد حالهم فى الدنيا وفى الآخرة بالكذب وبالصدق ولكن حيث لا ينفعهم الصدق لان الصدق فى الآخرة انما يعتبر اذا كان مقرونا بالصدق فى الدنيا هذا جملة كلام القاضيين(١) قال جمهور المفسرين ان قول القائل المراد ما كنا مشركين فى اعتقادنا وكيف كذبوا على أنفسهم فى الدنيا بمخالفة الظاهر وان الكفار قد يكذبون فى القيامة لقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون الى قوله ألا انهم هم الكاذبون ولو سلم انهم لا يكذبون تعمدا الا أن الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه حيرة ودهشا ألا تراهم يقولون ربنا أخرجنا منها وقد أيقنوا بالخلود وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا أنه لا يقضى عليهم واختلال عقولهم حال ما يتكلمون بهذا الكلام لا يمنع كمال عقلهم فى سائر الأوقات ۞ التأويل ما فى الكون سوى الله لا داع ولا مجيب فلهذا يسأل ويجيب قل لمن ما فى السموات والأرض قل لله وله ما سكن فى ليل البشرية الى التمتعات الحيوانية وفى نهار الروحانية الى المواهب الربانية وهو السميع أنين من سكن اليه العليم بحنين من اشتاق اليه قل أغير الله أتخذ اليوم وليا وقد اتخذنى الله فى الأزل حبيبا فاطر سموات القلوب على محبته وفاطر أرض النفوس على عبوديته وهو يطعم أرواح العارفين طعام المشاهدات ويسقيهم كؤس المكاشفات ولا يطعم لانه لا يحتاج الى قبول الفيض من غيره فالانوار عنده كالذرات أول من أسلم لانى خلصت من حبس

---

(١) بمراجعة الفخر فى هذا المقام تعلم ما هنا اه كتبه مصححه

كان يعبد غير من يستحق علينا العبادة وترك عبادة من يستحق علينا العبادة وقد بينا معنى الجهرة في غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته وأنها من الاجهار وهو اظهار الشئ للعين كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد جهرة قال وهم ينظرون حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة فجأة آمنين أو جهرة وهم ينظرون ﴿ القول في تأويل قوله (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يقول تعالى ذكره وما نرسل رسلنا الا ببشارة أهل الطاعة لنا بالجنة والفوز المبين يوم القيامة جزاء منا لهم على طاعتنا وبانذار من عصانا وخالف أمرنا عقوبتنا اياه على معصيتنا يوم القيامة جزاء منا على معصيتنا لنعذر اليه فيهلك ان هلك عن بينة فمن آمن وأصلح يقول فمن صدق من أرسلنا اليه من رسلنا انذارهم اياه وقبل منهم ما جاؤه به من عند الله وعمل صالحا في الدنيا فلا خوف عليهم عند قدومهم على ربهم من عقابه وعذابه الذي أعده الله لأعدائه وأهل معاصيه ولا هم يحزنون عند ذلك على ما خلفوا وراءهم في الدنيا ﴿ القول في تأويل قوله (والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون) يقول تعالى ذكره وأما الذين كذبوا بمن أرسلنا اليه من رسلنا وخالفوا أمرنا ونهينا ودافعوا حجتنا فانهم يباشرهم عذابنا وعقابنا على تكذيبهم ما كذبوا به من حججنا بما كانوا يفسقون يقول بما كانوا يكذبون وكان ابن زيد يقول كل فسق في القرآن فمعناه الكذب حدثني بذلك يونس قال أخبرنا ابن وهب عنه ﴿ القول في تأويل قوله (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك ان أتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون) يقول تعالى ذكره قل لهؤلاء المنكرين نبوتك لست أقول لكم اني الرب الذي له خزائن السموات والأرض وأعلم غيوب الاشياء الخفية التي لا يعلمها الا الرب الذي لا يخفى عليه شئ فتكذبوني فيما أقول من ذلك لانه لا ينبغي أن يكون ربا الا من له ملك كل شئ وبيده كل شئ ومن لا يخفى عليه خافية وذلك هو الله الذي لا اله غيره ولا أقول لكم اني ملك لانه لا ينبغي لملك أن يكون ظاهرا بصورته لأبصار البشر في الدنيا فتجحدوا ما أقول لكم من ذلك ان أتبع الا ما يوحى الي يقول قل لهم ما أتبع فيما أقول لكم وأدعوكم اليه الا وحي الله الذي يوحيه الي وتنزيله الذي ينزله علي فأمضي لوحيه وأأتمر لأمره وقد أتيتكم بالحجج القاطعة من الله عذركم على صحة قولي في ذلك وليس الذي أقول من ذلك بمنكر في عقولكم ولا مستحيل كونه بل ذلك مع وجود البرهان على حقيقته هو الحكمة البالغة فما وجه انكاركم ذلك وذلك تنبيه من الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على موضع حجته على منكري نبوته من مشركي قومه قل هل يستوي الأعمى والبصير يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهم هل يستوي الأعمى عن الحق والبصير به والأعمى هو الكافر الذي قد عمي عن حجج الله فلا يتبينها فيتبعها والبصير المؤمن الذي قد أبصر آيات الله وحججه فاقتدى بها واستضاء بضيائها أفلا تتفكرون يقول لهؤلاء الذين كذبوا بآيات الله أفلا تتفكرون فيما أحتج عليكم به أيها القوم من هذه الحجج فتعلموا صحة ما أقول وأدعوكم اليه من فساد ما أنتم عليه مقيمون من اشراك الأوثان والأنداد بالله ربكم وتكذيبكم اياي مع ظهور حجج صدقي لأعينكم فتدعوا ما أنتم عليه من الكفر مقيمون الى ما أدعوكم اليه من الايمان الذي به تفوزون وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد

الوجود بالكلية وحدي ولهذا يقول هو وقت الاستنزال عن مقام التوحيد من يصرف عنه عذاب الشرك يومئذ قدر الشرك لأقوام والتوحيد لأقوام وان يمسسك الله بضر ان دائرة أزليته متصلة بدائرة أبديته وكل نقطة من الدائرة تصلح للبداية والنهاية فكل ما صدر منه فانه ينتهي الا به وهو القاهر فوق عباده قهر الكفار بموت القلوب فضلوا في ظلمات الطبيعة وقهر نفوس المؤمنين بأنوار الشرع معه فخرجوا من ظلمات الطبيعة وقهر قلوب المحبين بلذعات الاشواق الى يوم التلاق وقهر أرواح الصديقين بسطوات الجلال في أوقات الوصال وهو الحكيم فيما يقهره فلا يخلو من حكمة الخبير بمن يستأهل كل صنف من قهره فيقهره به الله أكبر شهادة لانه محيط بحقائق الأشياء ولا يحيط به شئ من الأشياء ومن بلغ القرآن ووقف على حقائقه ويقول للشركين أئنكم لتشهدون الذين آتيناهم الكتاب يعني العلماء بالقرآن يعرفون الله أو النبي وفيه اشارة الى أن الآباء قد تحقق عندهم أنهم مصادر الابناء فكذلك أهل المعرفة قد تحقق عندهم أن الله مصدر جميع الأشياء الذين خسروا أنفسهم بافساد الاستعداد الفطري ويوم نحشرهم جميعا يعني أهل المعرفة والنكرة أين شركاؤكم من الهوى والدنيا كذبوا على أنفسهم في القيامة لانهم أعمى فهم في الدنيا ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى (ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا

فى قول الله تعالى قل هل يستوى الأعمى والبصير قال الضال والمهتدى حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله قل هل يستوى الأعمى والبصير الآية قال الأعمى الكافر الذى قد عمى عن حق الله وأمره ونعمه عليه والبصير العبد المؤمن الذى أبصر بصرا نافعا فوحد الله وحده وعمل بطاعة ربه وانتفع بما آتاه الله ⁂ القول فى تأويل قوله ﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأنذر يا محمد بالقرآن الذى أنزلناه اليك القوم الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم علما منهم بأن ذلك كائن فهم مصدقون بوعد الله ووعيده عاملون بما يرضى الله دائبون فى السعى فيما ينقذهم فى معادهم من عذاب الله ليس لهم من دونه ولى أى ليس لهم من عذاب الله ان عذبهم ولى ينصرهم فيستنقذهم منه ولا شفيع يشفع لهم عند الله تعالى فيخلصهم من عقابه لعلهم يتقون يقول أنذرهم كى يتقوا الله فى أنفسهم فيطيعوا ربهم ويعملوا لمعادهم ويحذروا سخطه باجتناب معاصيه وقيل وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا ومعناه يعلمون أنهم يحشرون فوضعت المخافة موضع العلم لأن خوفهم كان من أجل علمهم بوقوع ذلك ووجوده من غير شك منهم فى ذلك وهذا أمر من الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتعليم أصحابه ما أنزل الله اليه من وحيه وتذكيرهم والاقبال عليهم بالانذار وصده عن المشركين به بعد الانذار اليهم وبعد اقامة الحجة عليهم حتى يكون الله هو الحاكم فى أمرهم بما يشاء من الحكم فيهم ⁂ القول فى تأويل قوله ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين﴾ ذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبب جماعة من ضعفاء المسلمين قال المشركون له لو طردت هؤلاء عنك لغشيناك وحضرنا مجلسك ذكر الرواية بذلك حدثنا هناد بن السرى قال ثنا أبو زيد عن أشعث عن كردوس الثعلبى عن ابن مسعود قال مر الملأ من قريش بالنبى صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد رضيت بهؤلاء من قومك أهؤلاء الذين منّ الله عليهم من بيننا أنحن نكون تبعا لهؤلاء اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم أن نتبعك فنزلت هذه الآية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه وكذلك فتنا بعضهم ببعض الى آخر الآية حدثنا جرير عن أشعث عن كردوس الثعلبى عن عبد الله قال مر الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحوه حدثنى أبو السائب قال ثنا حفص بن غياث عن أشعث عن كردوس عن ابن عباس قال مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ملأ من قريش ثم ذكر نحوه حدثنى الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى قال ثنا أبى قال ثنا أسباط عن السدى عن أبى سعيد الأزدى وكان قارئ الأزد عن أبى الكنود عن خباب فى قول الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه الى قوله فتكون من الظالمين قال جاء الأقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى فوجدوا النبى صلى الله عليه وسلم قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب فى أناس من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله حقروهم فأتوه فقالوا انا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا العرب به فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحيى أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد فاذا نحن جئناك فأقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا قال فدعا بالصحيفة ودعا عليا ليكتب قال ونحن قعود فى ناحية اذ نزل جبريل بهذه الآية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى

هذا الا أساطير الأولين وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا أنفسهم وما يشعرون ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ⁂ القراآت ولا نكذب ونكون بالنصب فيهما حمزة وحفص ويعقوب وافق ابن عامر فى ونكون الباقون بالرفع ولدار الآخرة بالاضافة ابن عامر بتأويل الساعة الآخرة الباقون بتعريف الدار ورفع الآخرة على الوصفية تعقلون بتاء الخطاب أبو جعفر ونافع وابن ذكوان وسهل ويعقوب وحفص وكذلك فى الاعراف يكذبونك بالتخفيف من أكذبه اذا

يريدون وجهه ماعليك من حسابهم من شئ ومامن حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين ثم قال وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ثم قال واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة وألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعانا فأتيناه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه واذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد فاذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى عن أبي سعيد الأزدى عن أبي الكنود عن خباب بن الأرت بنحو حديث الحسين ابن عمرو الا أنه قال في حديثه فلما رأوهم فأتوه فخلوا به وقال أيضا فتكون من الظالمين ثم ذكر الأقرع وصاحبه فقال وكذلك فتنا بعضهم ببعض الآية وقال أيضا فدعانا فأتيناه وهو يقول سلام عليكم فدنونا منه يومئذ حتى وضعنا ركبنا على ركبتيه وسائر الحديث نحوه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة و حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة والكلبي أن ناسا من كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان سرك أن نتبعك فاطرد عنا فلانا وفلانا ناسا من ضعفاء المسلمين فقال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الى قوله وكذلك فتنا بعضهم ببعض الآية قال وقد قال قائلون من الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد إن سرك أن نتبعك فاطرد عنا فلانا وفلانا لأناس كانوا دونهم في الدنيا ازدراهم المشركون فأنزل الله تعالى هذه الآية الى آخرها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى بلال وابن أم عبد كانا يجالسان محمدا صلى الله عليه وسلم فقالت قريش محقرتهما لولاهما وأمثالهما لجالسناه فنهى عن طردهم حتى قوله أليس الله بأعلم بالشاكرين قال قل سلام عليكم فيما بين ذلك في هذا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا سفيان عن المقدام بن شريح عن أبيه قال قال سعيد نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم ابن مسعود قال كنا نسبق الى النبي صلى الله عليه وسلم وندنو منه ونسمع منه فقالت قريش يدنى هؤلاء دوننا فنزلت ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن عكرمة في قوله وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم الآية قال جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدى والحرث بن نوفل وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل في أشراف من بنى عبد مناف من الكفار الى أبي طالب فقالوا يا أبا طالب لو أن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وحلفاءنا فانما هم عبيدنا وعسفاؤنا كان أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا اياه وتصديقنا له قال فأتى أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذى كلموه به فقال عمر بن الخطاب لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذى يريدون والام يصيرون من قولهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه الى قوله أليس الله بأعلم بالشاكرين قال وكانوا بلالا وعمار بن ياسر وسالما مولى أبي حذيفة وصبيحا مولى أسيد ومن الحلفاء ابن مسعود والمقداد بن عمرو ومسعود

وجده كاذبا على ونافع والأعشى في اختياره الباقون بالتشديد من كذبه اذا نسبه الى الكذب أن ينزل بالتخفيف ابن كثير ﴿ الوقوف ﴾ وقرا ط بها ط الأولين ٥ وينأون عنه ج لابتداء النفى مع واو العطف وما يشعرون ٥ من المؤمنين ٥ من قبل ط لكاذبون ٥ بمبعوثين ٥ ربهم ط بالحق ط وربنا ط تكفرون ٥ بلقاء الله ط لأن حتى للابتداء فيها لا لأن الواو للحال على ظهوره. ط يزرون ٥ ولهو ط يتقون ٥ تعقلون ٥ يجحدون ٥ نصرنا ج لانقطاع النظم مع اتحاد المقصود لكلمات الله كذلك المرسلين ٥ بآية ط من الجاهلين ٥ يسمعون ٥ يرجعون ٥ من ربه ط لا يعلمون ٥ ﴿ التفسير ﴾ لما بين أحوال الكفار في الآخرة أتبعه بعض أسباب ذلك فقال (ومنهم من يستمع اليك) قال ابن عباس حضر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر ابن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية وأبي ابنا خلف واستمعوا الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما تقول في محمد فقال ما أدرى ما يقول الا انى أرى تحريك شفتيه يتكلم بشئ وما يقول الا أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الأولى وكان يحدث قريشا فيستملحون حديثه فنزلت الآية والأكنة جمع كنان وهو كل ما وقى شيأ وستره من الأغطية والقفل ومنه أكننت وكننت وأن يفقهوه مفعول لأجله أى كراهة فقههم والوقر الثقل في الآذان والتركيب يدور على الثقل ومنه الوقر بالكسر الحمل والوقار الحلم

وفى الآية دلالة على أن الله تعالى هو الذى يصرف عن الايمان ويحول بين المرء وبين قلبه وقالت المعتزلة لا يمكن اجراؤها على ظاهرها والا كان فيها حجة للكفار ولانه يكون تكليفا للعاجز ولم يتوجه ذمهم فى قولهم وقالوا قلوبنا غلف فلا بد من التأويل وذلك من وجوه الاول قال الجبائى ان القوم كانوا يسمعون لقراءة الرسول ليتوسلوا باسماع قراءته الى مكانه بالليل فيقصدوا قتله وايذاءه فكان الله تعالى يلقى على قلوبهم النوم والغفلة وعلى آذانهم الثقل وزيف بأن المراد لو كان ذلك لقيل أن يسمعوه بدل أن يفقهوه وبأن

ابن القارى وواقد بن عبد الله الحنظلى وعمرو بن عبد عمرو ذو الشمالين ومرثد بن أبى مرثد وأبو مرثد من غنى حليف حمزة بن عبد المطلب وأشباههم من الحلفاء ونزلت فى أئمة الكفر من قريش والموالى والحلفاء وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا الآية فلما نزلت أقبل عمر بن الخطاب فاعتذر من مقالته فأنزل الله تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم الآية حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم انى أستحيى من الله أن يرانى مع سلمان وبلال وذويهم فاطردهم عنك وجالس فلانا وفلانا قال فنزل القرآن ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه فقرأ حتى بلغ فتكون من الظالمين ما بينك وبين أن تكون من الظالمين الا أن تطردهم ثم قال وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ثم قال وهؤلاء الذين أمرك أن تطردهم فأبلغهم منى السلام وبشرهم وأخبرهم أنى قد غفرت لهم وقرأ واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فقرأ حتى بلغ وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين قال لتعرفها * واختلف أهل التأويل فى الدعاء الذى كان هؤلاء الرهط الذين نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم يدعون ربهم به فقال بعضهم هى الصلوات الخمس ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يعنى يعبدون ربهم بالغداة والعشى يعنى الصلوات المكتوبة حدثنا المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن أبى حمزة عن ابراهيم فى قوله يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه قال هى الصلوات الخمس الفرائض ولو كان يقول القصاص هلك من لم يجلس اليهم حدثنا هناد بن السرى وابن وكيع قالا ثنا ابن فضيل عن الأعمش عن ابراهيم ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه قال هى الصلاة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الصلاة المفروضة الصبح والعصر حدثنى موسى بن عبد الرحمن الكندى قال ثنا حسن الجعفى قال أخبرنى حمزة بن المغيرة عن حمزة بن عيسى قال دخلت على الحسن فسألته فقلت يا أبا سعيد أرأيت قول الله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى أهم هؤلاء القصاص قال لا ولكنهم المحافظون على الصلوات فى الجماعة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى قال الصلاة المكتوبة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يدعون ربهم بالغداة والعشى قال يعبدون ربهم

قوله وان يروا كل آية أى كل دليل وحجة لا يؤمنوا بها لا يناسبه * الثانى أن المكلف الذى علم الله تعالى أنه لا يؤمن وأنه يموت على الكفر يسم قلبه بعلامة مخصوصة لتستدل الملائكة برؤيتها فلا يبعد تسمية تلك العلامة بالكنان مع أنها فى نفسها ليست بمانعة عن الايمان * الثالث يقال انه جبل على كذا اذا كان مصرا عليه وذلك على جهة التمثيل * الرابع لما منعهم الالطاف التى تصلح أن تفعل بالمهتدين وفوض أمورهم الى أنفسهم لم يبعد أن يضيف ذلك الى نفسه * الخامس أن هذا حكاية قولهم فى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب * وعورضت هذه الأدلة بالعلم والداعى وذلك أن الله تعالى علم من الكافر أنه لا يؤمن وخلاف علمه محال وأنه سبحانه هو الذى خلق فيهم داعية الكفر ومع وجود تلك الداعية يستحيل الايمان فهو المعنى بالكنان وتحقيق المسئلة تقدم فى أول سورة البقرة فى قوله ختم الله على قلوبهم والافراد فى يستمع والجمع فى قلوبهم اعتبار اللفظ من تارة ولمعناه أخرى (حتى اذا جاؤك) هى حتى المبتدأة التى يقع بعدها الجمل كقوله * حتى ماء دجلة أشكل * والجملة ههنا مجموع الشرط والجزا أعنى قوله اذا جاؤك يقول ويجادلونك فى موضع الحال ويجوز أن تكون حتى جارة أى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال بحاله ويقول تفسير له والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات الى حالة المجادلة ثم فسر الجدل بأنهم يقولون (ان هذا الا أساطير الأولين) وأصل السطر هو أن يجعل شيأ ممتدا مؤلفا فى صف ومنه سطر الكتاب وسطر من نخيل وجمعه أسطار وجمع الجمع أساطير وقال الزجاج واحد الاساطير أسطورة كأحاديث وأحدوثة وقال أبو زيد لا واحد له كعباديد قال ابن عباس معناه أحاديث الاولين

التي كانوا يسطرونها أي يكتبونها ومن فسر الاساطير بالخرافات والترهات نظر الى أن الأغلب هو أن لا يكون فيها فائدة معتبرة كحديث رستم وغيره فذلك معنى وليس بتفسير ثم ان غرض القوم من هذا القول هو القدح في كون القرآن معجزا كأن الكتب المشتملة على الاخبار والقصص ليست بمعجزة والجواب أن هذا مقرون بالتحدي وقد عجزوا عن آخرهم دون تلك فظهر الفرق ثم أكد طعنهم في القرآن بقوله (وهم ينهون عنه) قال محمد بن الحنفية وابن عباس

في رواية والسدي والضحاك عن القرآن وتدبره والاستماع له (وينأون عنه) والنأي البعد نأيته ونأيت عنه وناء الرجل اذا بعد لغة في نأى وحسن لوه على القلب لأن المصدر لم يجئ الا على النأي وقيل الضمير للرسول والمراد النهي عن اتباعه والتصديق بنبوته جمعوا بين قبيحين النأي والنهي فضلوا وأضلوا وعن عطاء ومقاتل عن ابن عباس أنها نزلت في أبي طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتباعد عما جاء به روى أن قريشا اجتمعوا الى أبي طالب يريدون سوأ بالنبي صلى الله عليه وآله فقال أبو طالب

والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
وابشر وقر بذاك منك عيونا
وعرضت دينا لا محالة أنه
من خير أديان البرية دينا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي
ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
لولا الملامة أو حذاري سبة
لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وضعفت هذه الرواية بقوله (وان يهلكون الا أنفسهم) يعني بما تقدم ذكره ولكن النهي عن أذيته حسن لا يوجب الهلاك ويمكن أن يجاب بأن الذم توجه على الهيئة الاجتماعية الحاصلة من النهي مع النأي كقوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ولو سلم فلم لا يجوز أن يرجع الذم الى القسم الاخير فقط ثم بين أنه كيف يعود الضرر اليهم فقال (ولو ترى اذ وقفوا على النار) وجواب لو محذوف أي لرأيت سوء منقلبهم ونحو ذلك وجاز حذفه للعلم به ولما في الحذف من تفخيم الشأن وهو ذهاب الوهم كل مذهب كما لو قلت لغلامك والله لئن قمت اليك وسكت عن الجواب ذهب فكره الى أنواع المكاره من الضرب والقتل وغيرهما بخلاف ما لو قلت لأضربنك ولمثل هذا من ارادة المبالغة قال وقفوا بلفظ الماضي

بالغداة والعشي يعني الصلاة المفروضة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي هما الصلاتان صلاة الصبح وصلاة العصر حدثني ابن البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال ثنا يحيى بن أيوب قال ثنا محمد بن عجلان عن نافع عن عبد الله بن عمر في هذه الآية واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية انهم الذين يشهدون الصلوات المكتوبة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد وابراهيم واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي قالا الصلوات الخمس حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي قال المصلين المؤمنين بلال وابن أم عبد قال ابن جريج وأخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد قال صليت الصبح مع سعيد بن المسيب فلما سلم الامام ابتدر الناس القاص فقال سعيد ما أسرعهم الى هذا المجلس قال مجاهد فقلت يتأولون ما قال الله تعالى قال وما قال قلت ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي قال وفي هذا ذا انما ذاك في الصلاة التي انصرفنا عنها الآن انما ذاك في الصلاة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا وكيع عن أبيه عن منصور عن عبد الرحمن بن أبي عمرة قال الصلاة المكتوبة حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن جابر عن عامر قال هي الصلاة حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا وكيع عن أبيه عن اسرائيل عن عامر قال هي الصلاة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه يقول صلاة الصبح وصلاة العصر حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قال صلى عبد الرحمن في مسجد الرسول فلما صلى قام فاستند الى حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فانثال الناس عليه فقال يا أيها الناس اليكم فقيل يرحمك الله انما جاؤا يريدون هذه الآية واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي فقال وهذا عني بهذا انما هو في الصلاة * وقال آخرون هي الصلاة ولكن القوم لم يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم طرد هؤلاء الضعفاء عن مجلسه ولا تأخيرهم عن مجلسه وانما سألوه تأخيرهم عن الصف الاول حتى يكونوا وراءهم في الصف ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وكذلك فتنا بعضهم ببعض الآية فهم أناس كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم من الفقراء فقال أناس من أشراف الناس نؤمن لك واذا صلينا فأخر هؤلاء الذين معك فليصلوا خلفنا * وقال آخرون بل معنى دعائهم كان ذكرهم الله تعالى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي وحدثنا هناد قال ثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن ابراهيم قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي قال أهل الذكر حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي قال هم أهل الذكر حدثنا ابن حميد

قال

قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى قال لا تطردهم عن الذكر * وقال آخرون بل كان ذلك تعلمهم القرآن وقراءته ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى قال كان يقرئهم القرآن النبى صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل عنى بدعائهم ربهم عبادتهم اياه ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يدعون ربهم بالغداة والعشى قال يعنى يعبدون ألا ترى أنه قال لا جرم أنما تدعوننى اليه يعنى تعبدونه * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله تعالى نهى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يطرد قوما كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشى والدعاء لله يكون بذكره وتمجيده والثناء عليه قولا وكلاما وقد يكون بالعمل له بالجوارح الاعمال التى كان عليهم فرضها وغيرها من النوافل التى ترضى والعامل له عابده بما هو عامل له وقد يجوز أن يكون القوم كانوا جامعين هذه المعانى كلها فوصفهم الله بذلك بانهم يدعونه بالغداة والعشى لان الله قد سمى العبادة دعاء فقال تعالى ذكره وقال ربكم ادعونى أستجب لكم أن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين وقد يجوز أن يكون ذلك على خاص من الدعاء ولا قول أولى بذلك بالصحة من وصف القوم بما وصفهم الله به من أنهم كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشى فيعمون بالصفة التى وصفهم بها ربهم ولا يخصون منها بشئ دون شئ فتأويل الكلام اذا يا محمد أنذر بالقرآن الذى أنزلته اليك الذين يعلمون أنهم الى ربهم محشورون فهم من خوف ورودهم على الله الذى لا شفيع لهم من دونه ولا نصير فى العمل له دائبون اذا أعرض عن انذارك واستماع ما أنزل الله عليك المكذبون بالله واليوم الآخر من قومك استكبارا على الله ولا تطردهم ولا تقصهم فتكون ممن وضع الاقصاء فى غير موضعه فأقصى وطرد من لم يكن له طرده واقصاؤه وقرب من لم يكن له تقديمه بقربه وادناؤه فان الذين نهيتك عن طردهم هم الذين يدعون ربهم فيسألون عفوه ومغفرته لصالح أعمالهم وأداء ما ألزمهم من فرائضه ونوافل تطوعهم وذكرهم اياه بألسنتهم بالغداة والعشى يلتمسون بذلك القربة الى الله والدنو من رضاه ما عليك من حسابهم من شئ يقول ما عليك من حساب ما رزقتهم من الرزق من شئ وما عليهم من حساب ما رزقتك من الرزق من شئ فتطردهم حذار محاسبتى اياك بما خولتهم فى الدنيا من الرزق وقوله فتطردهم جواب لقوله ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ وقوله فتكون من الظالمين جواب لقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وكذلك فتنا بعضهم ببعض وكذلك اختبرنا وابتلينا كالذى حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وكذلك فتنا بعضهم ببعض يقول ابتلينا بعضهم ببعض وقد دللنا فيما مضى من كتابنا

• مع اذا الدال على المضى كأن هذا الامر وقع وتحقق فكان من حقه أن يخبر عنه بلفظ الماضى أى وقفوا على أن يدخلوا النار وهم يعاينونها أو وقفوا عليها وهى تحتهم أو هو من قولهم وقفت على المسئلة الفلانية وقوفا أى عرفوا حقيقتها تعريفا أو المراد أنهم فى جوف النار غائصين فيها فتكون على بمعنى فى وجاز لأن النار دركات بعضها فوق بعض فلا يخلو من معنى الاستعلاء (ياليتنا نرد) هو داخل فى حكم التمنى أما قوله ولا نكذب ونكون فمن قرأ بالنصب فيهما فباضمار أن على جواب التمنى والمعنى ان رددنا الى دار التكليف لم نكذب ونكن من المؤمنين ومن قرأ بالرفع فيهما فوجهان أحدهما أن التمنى يتم عند قوله نرد ثم ابتدؤا ولا نكذب ونكون أى ونحن لا نكذب ونكون كأنهم ضمنوا أن لا يكذبوا ويكونوا من المؤمنين سواء حصل الرد أو لم يحصل وشبهه سيبويه بقولهم دعنى ولا أعود بمعنى دعنى وأنا لا أعود تركتنى أو لم تتركنى وثانيهما أن يكونا معطوفين على نرد أو حالين على معنى ياليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل المجموع تحت حكم التمنى وأورد على هذا الوجه أن المتمنى لا يكون كاذبا وقد قال تعالى وانهم لكاذبون وأجيب بأن هذا التمنى قد تضمن معنى الوعد فجاز أن يتعلق به التكذيب كقول القائل ليت الله يرزقنى مالا فأحسن اليك فهذا متمن فى حكم الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه كذب لانه كأنه قال ان رزقنى الله مالا أحسنت اليك وأما قراءة ابن عامر فمعناه ان رددنا غير مكذبين نكن من المؤمنين ثم رد الله تعالى عليهم بأنهم ما تمنوا العود الى الدنيا وترك التكذيب وتحصيل الايمان لاجل كونهم راغبين فى الايمان بل لاجل خوفهم من العذاب الذى شاهدوه وعاينوه فقال (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) وما الذى كانوا يخفونه فى الدنيا قال أكثر المفسرين ان المشركين فى بعض مواقف القيامة يجحدون الشرك فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فينطق الله تعالى جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر فذلك معنى بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وقال المبرد بدا لهم وبال عقائدهم وأعمالهم وسوء عاقبتها وذلك أن كفرهم ما كان ظاهرا لهم وانما ظهر لهم يوم القيامة وقال الزجاج بدا للاتباع ما أخفاه الرؤساء منهم من أمر البعث والنشور بدليل قوله بعد ذلك وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وهذا قول الحسن وقيل انها فى المنافقين كانوا

الكشاف انه مجاز عن حصولها لهم كقوله فبما كسبت أيديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما ألف الكسب بالايدى وقال الزجاج الثقل قد يذكر فى الحال والصفة ثقل على خطاب فلان أى كرهته فالمعنى أنهم يقاسون عذاب ذنوبهم مقاساة ثقل ذلك عليهم وقيل هو كقولك شخصك نصب عينى أى ذكرك ملازم لى وقال جمع من المفسرين ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله شئ هو أحسن الاشياء صورة وأطيبها ريحا فيقول أنا عملك الصالح طالما ركبتك

فى الدنيا فاركبنى أنت اليوم فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قالوا ركبانا وان الكافر اذا خرج من قبره استقبله شئ هو أقبح الاشياء صورة وأخبثها ريحا فيقول أنا عملك الفاسد طالما ركبتنى فى الدنيا فأنا أركبك اليوم قاله قتادة والسدى (ألا ساء ما يزرون) بئس شيأ يزرون وزرهم ثم رغب فى الحياة الباقية وزهد فى الحياة العاجلة فقال (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو) قال ابن عباس يريد حياة أهل الشرك والنفاق لان حياة المؤمن تحصل فيها أعمال صالحة فلا تكون لعبا ولهوا وقال آخرون هو عام فى حياة المؤمن والكافر وذلك أن مدة اللهو واللعب وكل شئ يلهيك ويشغلك مما لا أصل له قليلة سريعة الانقضاء والزوال ومدة هذه الحياة كذلك وأيضا اللعب واللهو لابد أن يتناهيا فى أكثر الامر الى شئ من المكاره ولذات الدنيا كذلك ولهذا رفضها العلماء المحققون والحكماء المتألهون (وللدار الآخرة) قال ابن عباس هى الجنة وانها خير لمن اتقى الكفر والمعاصى وقال الاصم التمسك بعمل الآخرة خير وقال الآخرون نعيم الآخرة خير من نعيم الدنيا من حيث انها دائمة باقية مصونة عن شوائب الآفات والمخافات آمنة من نقص الانقضاء والانقراض (للذين يتقون) فيه أن هذه الخيرية انما تحصل لمن اتقى الكفر والمعاصى وأما الكافر والفاسق فالدنيا بالنسبة اليهما خير كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (أفلا تعقلون) قال الواحدى من قرأ بتاء الخطاب فالمعنى قل لهم أفلا تعقلون أيها المخاطبون ومن قرأ بالياء فمعناه أفلا يعقل الذين يتقون أن الدار الآخرة خير لهم من هذه الدار وذلك ان خيرات الدنيا ليست الا قضاء الشهوات التى يشارك فيها سائر الحيوانات بل ربما كان أمر تلك الحيوانات فيها أكمل فالجمل أكثر أكلا والديك والعصفور أكثر

العزيز قال ثنا بكر بن خنيس عن ليث عن مجاهد فى قوله من عمل منكم سوأ بجهالة قال كل من عمل بخطيئة فهو بها جاهل حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا خالد بن دينار أبو خلدة قال كنا اذا دخلنا على أبى العالية قال واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وكذلك نفصل الآيات وكما فصلنا لك فى هذه السورة من ابتدائها وفاتحتها يا محمد الى هذا الموضع حجتنا على المشركين من عبدة الأوثان وأدلتنا وميزناها لك وبيناها كذلك نفصل لك أعلامنا وأدلتنا فى كل حق ينكره أهل الباطل من سائر أهل الملل غيرهم فنبينها لك حتى تبين حقه من باطله وصحيحه من سقيمه * واختلفت القراء فى قراءة قوله ولتستبين سبيل المجرمين فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة ولتستبين بالتاء سبيل المجرمين بنصب السبيل على أن تستبين خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم كأن معناه عندهم ولتستبين أنت يا محمد سبيل المجرمين وكان ابن زيد يتأول ذلك ولتستبين أنت يا محمد سبيل المجرمين الذين سألوك طرد النفر الذين سألوه طردهم عنه من أصحابه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولتستبين سبيل المجرمين قال الذين يأمرونك بطرد هؤلاء وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين ولتستبين بالتاء سبيل المجرمين برفع السبيل على أن القصد للسبيل ولكنه يؤنثها وكأن معنى الكلام عندهم وكذلك نفصل الآيات ولتتضح لك وللمؤمنين طريق المجرمين وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة وليستبين بالياء سبيل المجرمين برفع السبيل على ان الفعل للسبيل ولكنهم يذكرونه ومعنى هؤلاء فى هذا الكلام ومعنى من قرأ ذلك بالتاء فى ولتستبين ورفع السبيل واحد وانما الاختلاف بينهم فى تذكير السبيل وتأنيثها * وأولى القراءتين بالصواب عندى فى السبيل الرفع لان الله تعالى ذكره فصل آياته فى كتابه وتنزيله ليتبين الحق بها من الباطل جميع من خوطب بها لا بعض دون بعض ومن قرأ السبيل بالنصب فانما جعل تبيين ذلك محصورا على النبى صلى الله عليه وسلم وأما القراءة فى قوله ولتستبين فسواء قرئت بالتاء أو بالياء لان من العرب من يذكر السبيل وهى تميم وأهل نجد ومنهم من يؤنث السبيل وهم أهل الحجاز وهما قراءتان مستفيضتان فى قراء الامصار ولغتان مشهورتان من لغات العرب وليس فى قراءة ذلك باحداهما خلاف لقراءته بالاخرى ولا وجه لاختيار احداهما على الاخرى بعد أن يرفع السبيل للعلة التى ذكرنا وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله نفصل الآيات قال أهل التأويل حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وكذلك نفصل الآيات نبين الآيات حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى نفصل الآيات نبين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم من قومك العادلين به الاوثان

والانداد

والانداد الذين يدعونك الى موافقتهم على دينهم وعبادة الاوثان ان الله نهاني أن أعبد الذين تدعون من دونه فلن أتبعكم على ما تدعونني اليه من ذلك ولا أوافقكم عليه ولا أعطيكم محبتكم وهواكم فيه وان فعلت ذلك فقد تركت محجة الحق وسلكت على غير الهدى فصرت ضالا مثلكم على غير استقامة وللعرب في ضللت لغتان فتح اللام وكسرها واللغة الفصيحة المشهورة هي فتحها وبها قرأ عامة قراء الامصار وبها نقرأ لشهرتها في العرب وأما الكسر فليس بالغالب في كلامها والقراء بها قليلون فمن قال ضللت قال أضل ومن قال ضللت قال في المستقبل أضل وكذلك القراءة عندنا في سائر القرآن وقالوا أئذا ضللنا بفتح اللام * القول في تأويل قوله ﴿قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الداعين لك الى الاشراك بربك إني على بينة من ربي أي اني على بيان قد تبينته وبرهان قد وضح لي من ربي يقول من توحيده وما أنا عليه من اخلاص عبوديته من غير اشراك شيء به وكذلك تقول العرب فلان على بينة من هذا الامر اذا كان على بيان منه ومن ذلك قول الشاعر

أبينة تبغون بعد اعترافه * وقول سويد قد كفيتكم بشرا

وكذبتم به يقول وكذبتم أنتم بربكم والهاء في قوله به من ذكر الرب جل وعز ما عندي ما تستعجلون به يقول ما الذي تستعجلون من نقم الله وعذابه بيدي ولا أنا على ذلك بقادر وذلك أنهم قالوا حين بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتوحيده فدعاهم الى الله وأخبرهم أنه رسوله اليهم هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون وقالوا للقرآن هو أضغاث أحلام وقال بعضهم بل هو اختلاق اختلقه وقال آخرون بل محمد شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أجبهم بأن الآيات بيد الله لا بيدك وانما أنت رسول وليس عليك الا البلاغ لما أرسلت به وان الله يقضي الحق فيهم وفيك و يفصل به بينك وبينهم فيتبين المحق منكم والمبطل وهو خير الفاصلين أي وهو خير من بين وميز بين المحق والمبطل وأعدلهم لانه لا يقع في حكمه وقضائه حيف الى أحد لوسيلة له اليه ولا لقرابة ولا لمناسبة ولا في قضائه جور لانه لا يأخذ الرشوة في الاحكام فيجور فهو أعدل الحكام وخير الفاصلين وقد ذكر لنا في قراءة عبد الله وهو أسرع الفاصلين حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير أنه قال في قراءة عبد الله يقضي الحق وهو أسرع الفاصلين * واختلفت القراء في قراءة قوله يقضي الحق فقرأه عامة قراء الحجاز والمدينة و بعض قراء أهل الكوفة والبصرة ان الحكم الا لله يقص الحق بالصاد بمعنى القصص وتأولوا في ذلك قول الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص وذكر ذلك عن ابن عباس حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس قال يقص الحق وقال نحن نقص عليك أحسن القصص * وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة والبصرة ان الحكم الا لله يقضي الحق بالضاد من القضاء بمعنى الحكم والفصل بالقضاء

وقياعا والذئب والنمر والحيات أقوى غضبا وقهرا وكل من وقف عمره على هذه المطالب لم يكن له عند العقلاء وزن ولا عند الحكماء والعلماء قدر وكل من صرف عمره في تحصيل الكمالات الدائمات والسعادات الباقيات كان له في العيون مهابة وفي القلوب قبول وذلك دليل على شهادة الفطرة الاصلية بخساسة اللذات الجسمانية وعلو مرتبة الكمالات الروحانية وهب أن النوعين تشاركا في الفضل والمنقبة أليس المعلوم أفضل من المظنون وان خيرات الآخرة معلومة قطعا والوصول الى خيرات الدنيا في الغد غير معلوم ولا مظنون فكم من سلطان قاهر بكرة صار تحت التراب عشية وكم من متمول متغلب أصبح أميرا كبيرا ثم أمسى فقيرا حقيرا وهب أنه وجد بعد هذا اليوم يوما آخر فلن يمكنه الانتفاع بكل ما جمع من الاسباب ولو انتفع فقلما يخلص من شوائب المكاره والآفات كما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال من طلب ما لم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق قيل وما هو يا رسول الله قال سرور يوم بتمامه وهب أن الدست له قد تم أليس مآل كل ذلك الى الزوال والانقراض وكفى بذلك نقصا وكدرا كما قال

كمال الغم عندي في سرور
تيقن عنه صاحبه انتقالا

ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم وقال (قد نعلم) والمراد كثرة العلم والمبالغة كما مر في قوله قد نرى تقلب وجهك والهاء في (انه) ضمير الشأن وكسرت بعد العلم لمكان لام الابتداء في (ليحزنك) وما ذلك المحزن قال الحسن هو قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل تصريحهم بانهم لا يؤمنون به ولا يقبلون دينه وقيل نسبتهم اياه الى الكذب (فانهم لا يكذبونك) قال أبو علي وثعلب أكذبه وكذبه بمعنى وقيل أكذبت الرجل ألفيته كاذبا وكذبته اذا قلت له كذبت قال الكسائي أكذبته اذا أخبرت أنه جاء بالكذب ورواه وكذبته اذا أخبرت انه كاذب وقال الزجاج معنى كذبته قلت له كذبت ومعنى أكذبته أن الذي أتى به كذب في نفسه من غير ادعاء ان ذلك القائل تكلف ذلك الكذب وأتى به على سبيل الافتعال والقصد فمن قرأ بالتخفيف نظر الى ان القوم كانوا يعتقدون أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما ذكر ذلك على سبيل الافتعال والترويج بل تخيل صحة ذلك وانه نبي الا ان تخيله باطل ثم ان ظاهر الآية يقتضي انهم لا يكذبون محمدا صلى الله عليه وسلم ولكنهم يجحدون بآيات الله وفي الجمع بين الامرين وجوه الاول أن

واعتبر واصحة ذلك بقوله وهو خير الفاصلين وان الفصل بين المختلفين انما يكون بالقضاء لا بالقصص وهذه القراءة عندنا أولى القراءتين بالصواب لما ذكرنا لاهلها من العلة فمعنى الكلام اذا ما الحكم فيما تستعجلون به أيها المشركون من عذاب الله وفيما بيني وبينكم الا لله الذي لا يجور في حكمه وبيده الخلق والامر يقضي الحق بيني وبينكم وهو خير الفاصلين بيننا بقضائه وحكمه ✿ القول في تأويل قوله (قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الآلهة والاوثان المكذبيك فيما جئتهم به السائليك أن تأتيهم بآية استعجالا منهم بالعذاب لو أن بيدي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم ففصل ذلك أسرع الفصل بتعجيلي لكم ما تسألوني من ذلك وتستعجلونه ولكن ذلك بيد الله الذي هو أعلم بوقت ارساله على الظالمين الذين يضعون عبادتهم التي لا تنبغي أن تكون الا لله في غير موضعها فيعبدون من دونه الآلهة والاصنام وهو أعلم بوقت الانتقام منهم وحال القضاء بيني وبينهم وقد قيل معنى قوله لقضي الامر بيني وبينكم الذبح للموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن ابن جريج قال بلغني في قوله لقضي الامر قال ذبح الموت وأحسب أن قائل هذا القول نزع لقوله وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة فانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك قصة تدل على معنى ما قاله هذا القائل في قضاء الامر وليس قوله لقضي الامر بيني وبينكم من ذلك في شئ وانما هذا أمر من الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لمن استعجله فصل القضاء بينه وبينهم من قوله بآية يأتيهم بها لو أن العذاب والآيات بيدي وعندي لعاجلتكم بالذي تسألوني من ذلك ولكنه بيد من هو أعلم بما يصلح خلقه مني ومن جميع خلقه ✿ القول في تأويل قوله (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر) يقول وعنده مفاتح الغيب والمفاتح جمع مفتح يقال فيه مفتح ومفتاح فمن قال مفتح جمعه مفاتح ومن قال مفتاح جمعه مفاتيح ويعني بقوله وعنده مفاتح الغيب خزائن الغيب كالذي حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وعنده مفاتح الغيب قال يقول خزائن الغيب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن مسعر عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن ابن مسعود قال أعطي نبيكم كل شئ الا مفاتح الغيب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس وعنده مفاتح الغيب قال هن خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الى ان الله عليم خبير فتأويل الكلام اذا والله أعلم بالظالمين من خلقه وما هم مستحقوه وما هو بهم صانع فان عنده علم ما غاب علمه عن خلقه فلم يطلعوا عليه ولم يدركوه ولم يعلموه ولن يدركوه ويعلم ما في البر والبحر يقول وعنده علم ما لم يغب أيضا عنكم لان ما في البر والبحر مما هو ظاهر للعين يعلمه العباد فكان معنى الكلام وعند الله علم ما غاب عنكم أيها الناس مما لا تعلمونه ولن تعلموه مما استأثر بعلمه نفسه ويعلم أيضا مع ذلك جميع ما يعلمه جميعكم لا يخفى

القوم ما كانوا يكذبونه في السر ولكنهم كانوا يكذبونه في العلانية ويجحدون القرآن ونبوته ويؤكده رواية السدي ان الاخنس بن شريق وأبا جهل بن هشام التقيا فقال الاخنس لابي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس ههنا أحد يسمع كلامك غيري فقال أبو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقال أبو ميسرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بأبي جهل وأصحابه فقالوا يا محمد انا والله ما نكذبك انك عندنا لصادق ولكن نكذب ما جئت به فنزلت وقال مقاتل نزلت في الحرث بن عامر بن نوفل كان يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في العلانية فاذا خلا مع أهل بيته قال ما محمد من أهل الكذب ولا أحسبه الا صادقا فاذن هذه الآية نظير قوله تعالى في قصة موسى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر الثاني في تأويل الآية أنهم لا يقولون انك كذاب لانهم جربوك الدهر الطويل وما وجدوا منك كذبا وسموك الصادق الامين فلا يقولون بعد انك كاذب ولكن جحدوا صحة نبوتك ورسالتك اما لأنهم اعتقدوا أن محمدا عرض له نوع خبل ونقصان فلاجل ذلك تخيل أنه رسول لا أنه كذب في نفسه أو لانهم زعموا انه أمين في كل الامور الا في هذا الواحد الثالث أنه لما ظهرت المعجزات على يده ثم ان القوم أصروا على التكذيب فقال له ان القوم ما كذبوك وانما كذبوني ونحوه قول السيد لغلامه اذا أهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما أهانوني ومثله قوله سبحانه ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله فكأنه قيل له اله عن حزنك لنفسك وليشغلك عن ذلك ما هو أهم وهو استعظامك لجحود آيات الله والاستهانة بكتابه الرابع قيل في التفسير الكبير أي لا يخصونك بهذا التكذيب بل ينكرون دلالة المعجزة على الصدق عليه مطلقا ويكذبون جميع الانبياء والرسل وقوله (ولكن الظالمين) من اقامة المظهر مقام المضمر تسجيلا عليهم بالظلم في جحودهم لان من وضع التكذيب مقام التصديق فقد ظلم ثم صبر رسوله على أذية القوم فقال (ولقد كذبت رسل) وأي رسل (من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا) فأنت أولى بهذه السيرة لانك مبعوث الى كافة الخلائق فاصبر كما صبروا وتظفر كما ظفروا (ولا مبدل لكلمات الله)

أي لمواعيده في نحو قوله كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون (ولقد جاءك من نبإ المرسلين) قال الاخفش من زائدة والأصح أنها للتبعيض لقلة مجيء زيادة من في الاثبات ولان الواصل اليه بعض قصص الانبياء لقوله منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك فالتقدير ولقد جاءك بعض أنبائهم وكان يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزلت (وان كان كبر) أي شق (عليك اعراضهم) عن الايمان وصحة القرآن (فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية) فافعل يعني أنك لا تستطيع ذلك والجواب محذوف وحسن للعلم به والنفق سرب في الارض له مخلص الى مكان ومنه اشتقاق المنافق والسلم واحد السلاليم التي يرتقى عليها وأصله من السلامة كأنه يسلمك الى مصعدك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وانه لو استطاع أن يأتي بآية من تحت الارض أو من فوق السماء لأتى بها وبكل ما اقترحوه رجاء ايمانهم ويجوز أن يكون ابتغاء النفق أو السلم هو الآية كأنه قيل لو استطعت ذلك لفعلت كل ذلك ليكون لك آية يؤمنون عندها ثم قال (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) قال أهل السنة فيه دليل على أنه تعالى لا يريد الايمان من الكافر وقالت المعتزلة المراد مشيئة الالجاء المنافي للتكليف والالجاء هو أن يعلمهم أنهم لو حاولوا غير الايمان لمنعهم منه فيضطرون الى الايمان مثاله أن يحصل شخص بحضرة السلطان وهنالك خدمه وحشمه فيعلم أنه لو هم بقتل ذلك السلطان لقتلوه في الحال فيصير هذا العلم مانعا له من القتل وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا أما قوله (فلا تكونن من الجاهلين) أي من الذين يرومون خلاف مأمور الله فهذا النهي لا يقتضي اقدامه على مثل هذه الحالة ولكنه يفيد التغليظ وتأكيد الامتناع عن الجزع والاضراب عن الحزن والاسف على ايمان من لم يشإ الله ايمانه ثم بين السبب في كونهم بحيث لا يقبلون الايمان فقال (انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله) مثل لقدرته على الجائهم الى الاستجابة والمراد أنه تعالى هو الذي يقدر على إحياء قلوب هؤلاء الكفار بحياة الايمان وأنت لا تقدر على ذلك يعني ان الذين تحرص على حصول ايمانهم بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون كقوله انك لا تسمع

عليه شيء لانه لا يبدي الا ما يخفى عن الناس أو ما لا يبدي في علمهم فأخبر الله تعالى أن عنده علم كل شيء كان ويكون وما هو كائن مما لم يكن بعد وذلك هو الغيب ⊛ القول في تأويل قوله (وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) يقول تعالى ذكره ولا تسقط ورقة في الصحارى والبراري ولا في الامصار والقرى الا الله يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين يقول ولا شيء أيضا مما هو موجود أو مما سيوجد ولم يوجد بعد الا وهو مثبت في اللوح المحفوظ مكتوب ذلك فيه ومرسوم عدده ومبلغه والوقت الذي يوجد فيه والحال التي يفنى فيها ويعني بقوله مبين أنه يبين عن صحة ما هو فيه بوجود ما رسم فيه على ما رسم فان قال قائل وما وجه اثباته في اللوح المحفوظ والكتاب المبين ما لا يخفى عليه وهو بجميعه عالم لا يخاف نسيانه قيل له لله تعالى فعل ما شاء وجائز أن يكون كان ذلك منه امتحانا منه لحفظته واختبارا للمتوكلين بكتابة أعمالهم فانهم فيما ذكر مأمورون بكتابة أعمال العباد ثم بعرضها على ما أثبته الله من ذلك في اللوح المحفوظ حتى أثبت فيه ما أثبت كل يوم وقيل ان ذلك معنى قوله انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون وجائز أن يكون ذلك لغير ذلك مما هو أعلم به اما بحجة يحتج بها على بعض ملائكته واما على بني آدم وغير ذلك وقد حدثني زياد بن يحيى الحساني أبو الخطاب قال ثنا مالك بن سعير قال ثنا الاعمش عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله ابن الحرث قال ما في الارض من شجرة ولا كمغرز ابرة الا عليها ملك موكل بها يأتي الله بعلمه يبسها اذا يبست ورطوبتها اذا رطبت ⊛ القول في تأويل قوله (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم وقل لهم يا محمد والله أعلم بالظالمين والله هو الذي يتوفى أرواحكم بالليل فيقبضها من أجسادكم ويعلم ما جرحتم بالنهار يقول ويعلم ما كسبتم من الاعمال بالنهار ومعنى التوفي في كلام العرب استيفاء العدد كما قال الشاعر

ان بني الأدرد ليسوا من أحد ⁂ ولا توفاهم قريش في العدد

يعني لم تدخلهم قريش في العدد وأما الاجتراح عند العرب فهو عمل الرجل بيده أو رجله أو فيه وهي الجوارح عندهم جوارح البدن فيما ذكر عنهم ثم يقال لكل مكتسب عملا جارح لاستعمال العرب ذلك في هذه الجوارح ثم كثر ذلك في الكلام حتى قيل لكل مكتسب كسبا بأي أعضاء جسمه اكتسب مجترح وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار أما يتوفاكم بالليل ففي النوم وأما يعلم ما جرحتم بالنهار فيقول ما اكتسبتم من الاثم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار يعني ما اكتسبتم من الاثم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة

الموتى أو المعنى ان هؤلاء الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون وأما قبل ذلك فلا سبيل الى اسماعهم أما وجه تشبيه الكفرة بالموتى فلأن حياة الروح بالعلم ومعرفة الصانع كما أن حياة الجسد بالروح ثم ذكر شبهة أخرى للطاعنين في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو أنه ما جاء بآية قاهرة ومعجزة باهرة فكأنهم طعنوا في كون هذا القرآن معجزا على سبيل العناد أو قياسا على سائر الكتب السماوية أو طلبوا معجزات تقرب من حد الالجاء كشق الجبل وفلق البحر فان معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم من تسبيح الحصا وانشقاق القمر وغير ذلك ليست بأقل منها أو اقترحوا مزيد الآيات بطريق التعنت واللجاج كقولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فأجابهم الله تعالى بقوله قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون أن فاعليته ليست الا بحسب محض المشيئة عند أهل السنة أو على وفق المصلحة عند المعتزلة لا على موجب اقتراحات الناس ومطالباتهم أو أنه لما ظهرت المعجزة الباهرة والدلالة الكافية من القرآن وغيره لم يبق لهم عذر ولا علة فلو أجابهم الى مقترحهم فلعلهم يقترحون اقتراحا ثانيا وثالثا وهلم جرا وذلك يفضي الى أن لا يستقر الدليل ولا تتم الحجة وهذا خلاف المقصود أو لا يعلمون أنه لو أعطاهم سؤلهم ثم لم يؤمنوا لاستوجبوا الاستئصال أو لا يعلمون أنهم لما طلبوا ذلك على سبيل العناد لا لأجل الفائدة وقد علم الله ذلك لم يعطهم مطلوبهم ولو كان غرضهم طلب الحق ونيله لأعطاهم مطلوبهم على أكمل الوجوه (التأويل) ومنهم من يستمع اليك انكارا واختبارا وجعلنا على قلوبهم من شوم انكارهم حجبا من غير الانكار وفي آذانهم وقرا من فساد الاستعداد الفطري وان يروا كل آية بعين الظاهر لا يؤمنوا بها من عمى القلوب واعواز نور الايمان فيها وهم ينهون الطلاب عن الحق وان يهلكون بتنفير عليهم الخلق عن الحق الا أنفسهم لان التباعد من أهل الحق هو البعد عن الحق وهذا هو الهلاك الحقيقي ولو ترى اذ وقفوا على النار أي أرواح الأشقياء بعد الخلاص عن حبس الطبيعة عرفوا ألم عذاب القطيعة فقالوا بالتمني رد الى عالم الصورة والى الاستعداد الفطري بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل أي يظهر عليهم آثار الشقاوة التي كتبت لهم وكانوا يتكلفون سترها في عالم الصورة بلباس البشرية ولو ردوا الى عالم الصورة

بما جرحتم بالنهار قال ما عملتم بالنهار حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهو الذي يتوفاكم بالليل يعني بذلك نومهم ويعلم ما جرحتم بالنهار أي ما عملتم من ذنب فهو يعلمه لا يخفى عليه شيء من ذلك حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال أما وفاته اياهم بالليل فمنامهم وأما ما جرحتم بالنهار فيقول ما اكتسبتم بالنهار وهذا الكلام وان كان خبرا من الله تعالى عن قدرته وعلمه فان فيه احتجاجا على المشركين به الذين كانوا ينكرون قدرته على احيائهم بعد مماتهم وبعثهم بعد فنائهم فقال تعالى محتجا عليهم وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى يقول فالذي يقبض أرواحكم بالليل ويبعثكم في النهار لتبلغوا أجلا مسمى وأنتم ترون ذلك وتعلمون صحته غير منكر له القدرة على قبض أرواحكم وافنائكم ثم ردها الى أجسادكم وانشائكم بعد مماتكم فان ذلك نظير ما تعاينون وتشاهدون وغير منكر لمن قدر على ما تعاينون من ذلك القدرة على ما لم تعاينوه وان الذي لم تروه ولم تعاينوه من ذلك شبيه ما رأيتم وعاينتم * القول في تأويل قوله (ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) يعني تعالى ذكره ثم يبعثكم يثيركم ويوقظكم من منامكم فيه يعني في النهار والهاء التي فيه راجعة على النهار ليقضى أجل مسمى يقول ليقضى الله الأجل الذي سماه لحياتكم وذلك الموت فيبلغ مدته ونهايته ثم اليه مرجعكم يقول ثم الى الله معادكم ومصيركم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون يقول ثم يخبركم بما كنتم تعملون في حياتكم الدنيا ثم يجازيكم بذلك ان خيرا فخير وان شرا فشر وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ثم يبعثكم فيه قال في النهار حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة ثم يبعثكم فيه في النهار والبعث اليقظة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ثم يبعثكم فيه قال في النهار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عبد الله بن كثير ثم يبعثكم فيه قال يبعثكم في المنام ليقضى أجل مسمى وذلك الموت ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ليقضى أجل مسمى وهو الموت حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ليقضى أجل مسمى قال هو أجل الحياة الى الموت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عبد الله بن كثير ليقضى أجل مسمى قال مدتهم * القول في تأويل قوله (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون) يقول تعالى ذكره وهو القاهر والله الغالب خلقه العالي

لعادوا لما نهوا عنه من اتباع الهوى فيفسدون استعدادهم مرة أخرى وانهم لكاذبون فيما يدعون لانهم خلقوا لاجل التكذيب لا لاجل التصديق ولهذا نسوا ما شاهدوا يوم الميثاق من الالطاف والاعطاف وقولهم بلى في جواب خطاب ألست بربكم اذ وقفوا على ربهم عرفوا ربوبية ربهم ولو عرفوها في الدنيا لم يذوقوا عذاب البعد في العقبى حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة هي الساعة التي يجتذب العبد فيها عن أوصاف البشرية بجذبات المحبة فجأة وهي قيامة أخرى لان فيها تبدل أرض

البشرية بغير الارض وأشرقت الارض بنور ربها فينظر المحب الصادق بالنور الساطع الى أيام ضاعت منه في طلب غير الحق فيتأسف عليها ويقول أيها القانص ما أحسنت صيد الظبيات فاتك السرب وما ازددت غير الحسرات وهم يحملون أثقال التعلقات الزائدة على ظهور وجودهم فان الوجود على السالك ثقيل مانع عن السلوك فكيف ماز يد عليه الا لعب ولهو كلعب الصبيان ولهو أهل العصيان وللدار الآخرة هي السير من البشرية الى الروحانية والاقبال على الله والاعراض عما سواه خير للذين يتقون غير الله أفلا تعقلون أن الانسان خلق لهذا الشأن لا لغيره كقوله واصطنعتك لنفسي قد نعلم انه ليحزنك من ضيق نطاق البشرية أرق حبيب الله مقالة الجهلة ولا مبدل لكلمات الله لمقدراته التي قدرها وبرها من الأزل الى الابد بكلمة كن ولو شاء الله لجمعهم في عالم الارواح عند رشاش النور على الهدى فلا تكونن من الجاهلين الذين لا يعلمون الحكمة في جعل البعض في مظاهر اللطف والبعض بمظاهر القهر والنهي في حقه صلى الله عليه وسلم هو نهي الامتناع عن الكينونة أي خلق في الازل ممتنعا عن الجهل بواسطة كلمة لا تكن كما أنه خلق مستعدا للكمال بكلمة كن قل ان الله قادر على أن ينزل آية في كل لحظة ولمحة ولكن أكثرهم لا يعلمون دلالة الكائنات على المكون والممكنات على الواجب والمصنوعات على الصانع وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد

(وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله

عليهم بقدرته لا المقهور من أوثانهم وأصنامهم المذلل المغلوب عليه لذلته ويرسل عليكم حفظة وهي ملائكته الذين يتعاقبونكم ليلا ونهارا يحفظون أعمالكم ويحصونها ولا يفرطون في حفظ ذلك واحصائه ولا يضيعون وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله ويرسل عليكم حفظة قال هي المعقبات من الملائكة يحفظونه ويحفظون عمله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد ابن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون يقول حفظة يا ابن آدم يحفظون عليك عملك ورزقك وأجلك اذا توفيت ذلك قبضت الى ربك حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون يقول تعالى ذكره ان ربكم يحفظكم برسل يعقب بينها يرسلهم اليكم يحفظونكم ويحفظون أعمالكم الى أن يحضركم الموت وينزل بكم أمر الله فاذا جاء ذلك أحدكم توفاه أملاكنا الموكلون بقبض الارواح ورسلنا المرسلون به وهم لا يفرطون في ذلك فيضيعونه فان قال قائل أو ليس الذي يقبض الارواح ملك الموت فكيف قيل توفته رسلنا والرسل جملة وهو واحد أو ليس قد قال قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم قيل جائز أن يكون الله تعالى أعان ملك الموت بأعوان من عنده فيتولون ذلك بأمر ملك الموت فيكون التوفي مضافا وان كان ذلك من فعل أعوان ملك الموت الى ملك الموت اذ كان فعلهم ما فعلوا من ذلك بأمره كما يضاف قتل من قتل أعوان السلطان وجلد من جلدوه بامر السلطان الى السلطان وان لم يكن السلطان باشر ذلك بنفسه ولا وليه بيده وقد تأول ذلك كذلك جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال ثنا الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم في قوله حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون قال كان ابن عباس يقول لملك الموت أعوان من الملائكة حدثني أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن الحسن بن عبيد الله في قوله توفته رسلنا وهم لا يفرطون قال سئل ابن عباس عنها فقال ان لملك الموت أعوانا من الملائكة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الحسن ابن عبيد الله عن ابراهيم في قوله توفته رسلنا وهم لا يفرطون قال أعوان ملك الموت حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم توفته رسلنا وهم لا يفرطون قال الرسل توفى الأنفس ويذهب بها ملك الموت حدثنا هناد قال ثنا حفص عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم عن ابن عباس توفته رسلنا وهم لا يفرطون قال الرسل توفى الأنفس ويذهب بها ملك الموت حدثنا هناد قال ثنا حفص عن الحسن بن عبيد الله عن ابن عباس توفته رسلنا وهم لا يفرطون قال أعوان ملك الموت من الملائكة حدثنا هناد قال ثنا قبيصة عن سفيان عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم توفته رسلنا قال هم الملائكة أعوان ملك الموت حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة توفته رسلنا قال ان ملك الموت له رسل فيرسل ويرفع ذلك اليه وقال الكلبي ان ملك الموت هو يلي ذلك فيدفعه ان كان مؤمنا الى ملائكة

تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالباساء
والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به
فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين
قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم
يصدفون قل أرأيتكم ان أتاكم
عذاب الله بغتة أوجهرة هل يهلك
الا القوم الظالمون وما نرسل المرسلين
الا مبشرين ومنذرين فمن آمن
وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون والذين كذبوا بآياتنا
يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون
قل لا أقول لكم عندى خزائن الله
ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى
ملك ان أتبع الا ما يوحى الى قل هل
يستوى الاعمى والبصير أفلا
تتفكرون ﴿القراآت﴾ أرأيتكم
وبابه بتليين الهمزة أبو جعفر ونافع
وحمزة فى الوقف أريتكم وبابه
بغير همز على الباقون
أرأيتكم بالتحقيق فتحنا بالتشديد
يزيد وابن عامر به انظر بضم الهاء
روى الاصفهانى عن ورش
* ﴿الوقوف﴾ أمثالكم ط يحشرون
ه فى الظلمات ط يضلله ط
لابتداء شرط آخر مستقيم ه تدعون
ج لان جواب ان منتظر محذوف
تقديره ان كنتم صادقين فأجيبوا
مع اتحاد الكلام صادقين ه
تشركون ه يتضرعون ه
يعملون ه كل شئ ط مبلسون ه
ظلموا ط العالمين ه يأتيكم
به ط يصدفون ه الظالمون ه
ومنذرين ج يحزنون ه يفسقون
ه انى ملك ج للابتداء بالنفى مع
اتحاد القائل والمقول الى ط
يتفكرون ه

الرحمة وان كان كافرا الى ملائكة العذاب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة توفته رسلنا قال يلى قبضها الرسل ثم يدفعونها الى ملك الموت حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن منصور عن ابراهيم فى قوله توفته رسلنا قال يتوفاه الرسل ثم يقبض منهم ملك الموت الأنفس قال الثورى وأخبرنى الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم قال هم أعوان لملك الموت قال الثورى وأخبرنى رجل عن مجاهد قال جعلت الارض لملك الموت مثل الطست يتناول من حيث شاء وجعلت له أعوان يتوفون الأنفس ثم يقبضها منهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم عن ابن عباس فى قوله توفته رسلنا قال أعوان ملك الموت من الملائكة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم قال الملائكة أعوان ملك الموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا قبيصة عن سفيان عن منصور عن ابراهيم توفته رسلنا قال يتوفونه ثم يدفعونه الى ملك الموت حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه قال سألت الربيع بن أنس عن ملك الموت أهو وحده الذى يقبض الارواح قال هو الذى يلى أمر الارواح وله أعوان على ذلك ألا تسمع الى قول الله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وقال توفته رسلنا وهم لا يفرطون غير أن ملك الموت هو الذى يسير كل خطوة منه من المشرق الى المغرب قلت أين تكون أرواح المؤمنين قال عند السدرة فى الجنة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا محمد بن مسلم عن ابراهيم بن ميسرة عن مجاهد قال ما من أهل بيت شعر ولا مدر الا وملك الموت يطيف بهم كل يوم مرتين وقد بينا أن معنى التفريط التضييع فيما مضى قبل وكذلك تأوله المتأولون فى هذا الموضع حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وهم لا يفرطون يقول لا يضيعون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وهم لا يفرطون قال لا يضيعون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾ يقول تعالى ذكره ثم ردت الملائكة الذين توفوهم فقبضوا نفوسهم وأرواحهم الى الله سيدهم الحق ألا له الحكم يقول ألا له الحكم والقضاء دون من سواه من جميع خلقه وهو أسرع الحاسبين يقول وهو أسرع من حسب عددكم وأعمالكم وآجالكم وغير ذلك من أموركم أيها الناس وأحصاها وعرف مقاديرها ومبالغها لانه لا يحسب بعقد يد ولكنه يعلم ذلك ولا يخفى عليه منه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الداعين لك الى عبادة أوثانهم من الذى ينجيكم من ظلمات البر اذا ضللتم فيه فتحيرتم فأظلم عليكم الهدى والمحجة ومن ظلمات البحر اذا ركبتموه فأخطأتم فيه المحجة فأظلم عليكم فيه السبيل

﴿التفسير﴾ لما بين أن انزال سائر المعجزات لو كان مصلحة لهم لفعل ذلك أكده بما يؤذن ان آثار فضله واحسانه ولطفه وامتنانه واصلة الى جميع الحيوانات فلو كانت مصلحة المكلفين فى اظهار تلك المعجزات القاهرة الملجئة لم يخل بذلك البتة فلا وفيه أيضا مزيد تقرير لأمر البعث وانه شامل لجميع الحيوان فضلا عن الانسان فان الحيوان اما أن يكون بحيث يدب أو يكون بحيث يطير وانما خص من الدواب ما فى الارض بالذكر دون ما فى السماء أو فى الماء لان رعاية مصالح الأدون تستلزم رعاية مصالح الأشرف ويمكن أن

فلا تهتدون له غير الله الذى مفزعكم حينئذ بالدعاء تضرعا منكم اليه واستكانة جهرا وخفية يقول واخفاء للدعاء أحيانا واعلانا واظهارا تقولون لئن أنجيتنا من هذه يارب أى من هذه الظلمات التى نحن فيها لنكونن من الشاكرين يقول لنكونن ممن يوحدك بالشكر ويخلص لك العبادة دون من كنا نشركه معك فى عبادتك وبنحو ماقلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية يقول اذا أضل الرجل الطريق دعا الله لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر يقول من كرب البر والبحر القول فى تأويل قوله ﴿قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء العادلين بربهم سواه من الآلهة اذا أنت استفهمتهم عمن به يستعينون عند نزول الكرب بهم فى البر والبحر الله القادر على فرجكم عند حلول الكرب بكم ينجيكم من عظيم النازل بكم فى البر والبحر من هم الضلال وخوف الهلاك ومن كل كرب سوى ذلك وهم لا آلهتكم التى تشركون بها فى عبادته ولا أوثانكم التى تعبدونها من دونه التى لا تقدر لكم على نفع ولا ضر ثم أنتم بعد تفضله عليكم بكشف النازل بكم من الكرب ودفع الحال بكم من جسيم الهم تعدلون به آلهتكم وأصنامكم تشركونها فى عبادتكم اياه وذلك منكم جهل بواجب حقه عليكم وكفر لأياديه عندكم وتعرض منكم لانزال عقوبته عاجلا بكم القول فى تأويل قوله ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء العادلين بربهم غيره من الاصنام والاوثان يا محمد ان الذى ينجيكم من ظلمات البر والبحر ومن كل كرب ثم تعودون للاشراك به هو القادر على أن يرسل عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم لشرككم به وادعائكم معه الها آخر غيره وكفرانكم نعمه مع اسباغه عليكم آلاءه ومننه وقد اختلف أهل التأويل فى معنى العذاب الذى توعد الله به هؤلاء القوم أن يبعثه عليهم من فوقهم أو من تحت أرجلهم فقال بعضهم أما العذاب الذى توعدهم به أن يبعثه عليهم من فوقهم فالرجم وأما الذى توعدهم أن يبعثه عليهم من تحتهم فالخسف ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار وابن وكيع قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى مالك عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم قال الخسف حدثنا سفيان قال ثنا يحيى بن آدم عن الاشجعى عن سفيان عن السدى عن أبى مالك وسعيد بن جبير مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم قال الخسف حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم فعذاب السماء أو من تحت أرجلكم فيخسف بكم الارض حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله

يقال ان الماء أيضا من جملة الارض لانهما جميعا ككرة واحدة قال علماء المعانى انما وصف الدابة بكونها فى الارض والطائر بانه يطير بجناحيه ليعلم أنهما باقيان على عمومهما اذ بينهما بخواص الجنسين ولولا ذلك لاحتمل أن يقدر فيهما صفة نحو ترتع أو تصيد فيتخصصا أولا وهم أن المراد بهما غير الجنسين المتعارفين لقوله بعده الا أمم أمثالكم وقد يقول الرجل لعبده طر فى حاجتى والمراد الاسراع قال الحماسي ٭ طاروا اليه زرافات ووحدانا ٭ وقيل ذكر يطير بجناحيه ليخرج عنه الملائكة ذوو الاجنحة فان المراد ذكر من هو أدون حالا وقيل ان الوصف للتأكيد كقولهم نعجة أنثى وكما يقال مشيت اليه برجلى وانما جمع الامم مع أنه أفرد الدابة والطائر لان النكرة المستغرقة فى معنى الجمع قال الفراء كل صنف من البهائم أمة وفى الحديث لولا أن الكلاب أمة من الامم لأمرت بقتلها ثم ماوجه المماثلة بين البشر والدابة والطائر نقل الواحدى عن ابن عباس أنه قال يعرفوننى ويوحدوننى ويسبحوننى كقوله وان من شئ الا يسبح بحمده كل قد علم صلاته وتسبيحه وعن أبى الدرداء أبهمت عقول البهائم الا عن معرفة الاله وطلب الرزق ومعرفة الذكر والانثى وهذا قول طائفة عظيمة من المفسرين وقيل وجه المماثلة كونها جماعات وكونها مخلوقة بحيث يشبه بعضها بعضا ويأنس بعضها ببعض ويتوالد بعضها من بعض وضعف بأن هذا أمر معلوم مشاهد لا فائدة فى الاخبار عنه وقيل هو أنه دبرها وخلقها وتكفل برزقها وأحصى أحوالها وما يجرى عليها من العمر والرزق والأجل والسعادة والشقاوة دليله قوله عقيبه مافرطنا فى الكتاب من شئ وقيل هو أنها تحشر يوم القيامة ويوصل اليها حقوقها وقد جاء فى الحديث يقتص للجماء من القرناء ولكن قوله بعد ذلك ثم الى ربهم يحشرون يصير كالمكرر وعن سفيان بن عيينة ما فى الارض من آدمى الا وفيه شبه من بعض البهائم فمنهم من يقدم اقدام الاسد ومنهم من يعدو عدو الذئب ومنهم من ينبح نباح الكلب ومنهم من يتطوس كفعال الطاوس ومنهم من يشبه الخنزير لو ألقى اليه الطعام الطيب تركه واذا قام عن رجيعه لعب فيه وكذلك نجد من الآدميين من يسمع خمسين كلمة من الحكمة لا يحفظ واحدة وان أخطأت مرة واحدة حفظها ولم يجلس مجلسا الا ازداد فيه واعلم يا أخى أنك تعاشر البهائم والسباع فبالغ فى الحذر والاحتراز وذهب أهل التناسخ

بل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم قال كان ابن مسعود يصيح وهو فى المجلس أو على المنبر ألا أيها الناس انه نزل بكم ان الله يقول قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم لو جاءكم عذاب من السماء لم يبق منكم أحدا أو من تحت أرجلكم لو خسف بكم الارض أهلككم ولم يبق منكم أحدا أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض ألا انه نزل بكم أسوأ الثلاث * وقال آخرون عنى بالعذاب من فوقكم أئمة السوء أو من تحت أرجلكم الخدم وسفلة الناس ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت خلادا يقول سمعت عامر بن عبد الرحمن يقول ان ابن عباس كان يقول فى هذه قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم فأما العذاب من فوقكم فأئمة السوء وأما العذاب من تحت أرجلكم فخدم السوء حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم يعنى من أمرائكم أو من تحت أرجلكم يعنى سفلتكم * وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب عندى قول من قال عنى بالعذاب من فوقهم الرجم أو الطوفان وما أشبه ذلك مما ينزل عليهم من فوق رؤسهم ومن تحت أرجلهم الخسف وما أشبهه وذلك أن المعروف فى كلام العرب من معنى فوق وتحت الأرجل هو ذلك دون غيره وان كان لما روى عن ابن عباس فى ذلك وجه صحيح غير أن الكلام اذا تنوزع فى تأويله فحمله على الأغلب الأشهر من معناه أحق وأولى من غيره ما لم تأت حجة مانعة من ذلك يجب التسليم لها * القول فى تأويل قوله (أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) يقول تعالى ذكره أو يخلطكم شيعا فرقا واحدتها شيعة وأما قوله يلبسكم فهو من قولك لبست عليه الامر اذا خلطت فأنا ألبسه وانما قلت ان ذلك كذلك لانه لا خلاف بين القراء فى ذلك بكسر الباء ففى ذلك دليل بين على أنه من لبس يلبس وذلك هو معنى الخلط وانما عنى بذلك أو يخلطكم أهواء مختلفة وأحزابا مفترقة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أو يلبسكم شيعا الأهواء المفترقة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أو يلبسكم شيعا قال يفرق بينكم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أو يلبسكم شيعا قال ما كان منكم من التفرق والاختلاف حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو يلبسكم شيعا قال الذى فيه الناس اليوم من الاختلاف والاهواء وسفك دماء بعضهم بعضا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أو يلبسكم شيعا قال الاهواء والاختلاف حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس أو يلبسكم شيعا يعنى بالشيع الاهواء المختلفة وأما قوله ويذيق بعضكم بأس بعض فانه يعنى يقتل بعضكم بيد بعض والعرب تقول للرجل ينال الرجل بسلاح فيقتله

الى أن الارواح البشرية ان كانت سعيدة مطيعة لله تعالى موصوفة بالمعارف الحقة موسومة بالأخلاق الفاضلة فانها بعد موتها تنتقل الى أبدان الملوك وربما قالوا انها تصل الى مخالطة عالم الملائكة وان كانت شقية جاهلة فانها تنتقل الى أبدان الحيوانات وكلما كانت أكثر شقاء فانها تنتقل الى بدن حيوان أخس وأكثر تعبا وعناء قالوا وذلك لان لفظ المماثلة يقتضى حصول المساواة فى جميع الصفات الذاتية ثم زعموا أن الله تعالى أرسل الى كل جنس منها رسولا من جنسها لقوله وان من أمة الا خلا فيها نذير واستشهدوا بقصة النمل وحديث الهدهد ونحو ذلك وفى تعداد مذاهب أرباب التناسخ طول والله تعالى أعلم بحقيقة الحال (ما فرطنا فى الكتاب من شئ) من مزيدة للاستغراق أى ما تركنا وما أغفلنا شيأ قط وقيل للتبعيض أى ما أهملنا فيه بعض شئ يحتاج المكلف الى معرفته والكتاب اللوح المحفوظ المشتمل على جميع أحوال العالم على التفصيل وقيل القرآن لانه هو الذى تسبق اليه الاذهان فيما بين أهل الايمان وأورد عليه أنه ليس فيه تفاصيل علم الطب والحساب ولا تفاصيل كثير من العلوم ولا تفاصيل مذاهب الناس ودلائلهم فى علم الاصول والفروع وأجيب بأن لفظ التفريط لا يستعمل الا فيما يجب أن يفعل والمحتاج اليه انما هو الاصول والقوانين لا الفروع التى لا تنضبط ولا تتناهى وما من علم الا وفى القرآن أصله ومنه شرفه وفضله كقوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين للطب وقوله وهو أسرع الحاسبين للحساب وكقوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين للاخلاق وأما تفاصيل علم الفروع فذكر العلماء أن السنة والاجماع والقياس كلها مستندة الى الكتاب كقوله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وكقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وكقوله فاعتبروا وقيل ان القرآن واف ببيان جميع الاحكام لان الاصل براءة الذمة عن التكاليف كلها وشغل الذمة لابد فيه من دليل منفصل وكل حكم لم يكن مذكورا فى القرآن بالمطابقة أو التضمن أو الالتزام لم يكن ذلك تكليفا أو يكون باقيا على أصل الاباحة والله تعالى أعلم أما قوله ثم الى ربهم يحشرون فللعقلاء فيه قولان الاول قول الاشاعرة أنه تعالى يحشر الدواب والطيور لا لأن ايصال العوض اليهن واجب بل بمجرد الارادة والمشيئة ومقتضى الالهية الثانى قول المعتزلة لن يحشر الطيور

والبهائم الا لا يصال الاعواض اليها لان ايصال الآلام اليها من غير سبق جناية لا يحسن الا للعوض وفرع القاضي على ذلك فقال كل حيوان استحق العوض على الله تعالى بما لحقه من الآلام وكان ذلك العوض لم يصل اليه في الدنيا فانه يجب على الله تعالى حشره في الآخرة ليوفر عليه ذلك العوض والذي لا يكون كذلك فانه لا يجب حشره عقلا الا أن السمع ورد بحشر الكل فيقطع بذلك * فرع آخر كل حيوان أذن الله تعالى في ذبحه فالعوض له على الله تعالى وكذا الذي أذن في قتله

في كونه مؤذيا أو لما به مرض أو تسخيره للانسان لاجل حمل الاثقال وأما اذا ظلمها الناس فالعوض على الظالم وكذا اذا ظلم بعضها بعضا أو ذبح المأكول لغير ما كله فالعوض على الذابح ولهذا ورد النهي عن ذبح الحيوان لغير ما كله والمراد من العوض منافع عظيمة بلغت في الجلالة الى حيث لو كانت هذه البهيمة عاقلة وعلمت أنه لا سبيل الى تحصيل تلك المنافع الا بواسطة تحمل تلك الذبح لرضيت به * فرع آخر مذهب القاضي وأكثر المعتزلة أن العوض منقطع وبعد ذلك تصير ترابا وحينئذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقال أبو القاسم البلخي يجب دوام العوض لانه لا يمكن قطع ذلك العوض الا باماتة تلك البهيمة واماتتها توجب الالم وذلك الالم يوجب عوضا آخر وهلم جرا الى ما لا نهاية له وأجيب بالمنع من أن الاماتة لا يمكن تحصيلها الا بالايلام * فرع آخر البهيمة اذا استحقت عوضا على بهيمة أخرى فان كانت البهيمة الظالمة قد استحقت عوضا على الله تعالى فانه تعالى يوصل ذلك العوض الى المظلوم والا فانه تعالى يتكفل بذلك العوض وهذا القدر يكفي في أحكام الاعواض بحسب المقام وهو سبحانه أعلم ولما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما ينادي على عظمته ويشهد لربوبيته ونبه على رحمته الكاملة وعنايته الشاملة قال والذين كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون كلام الله البتة وبكم لا ينطقون بالحق خابطون في الظلمات ظلمة الكفر وظلمة الشكوك وظلمة الحيرة والضلالة ثم بين أن الكفر والايمان والطاعة والعصيان كلها بمشيئته وارادته وتسخيره وتدبيره فقال من يشا الله يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم والجبائي أول الآية بأن المراد انهم كذلك في الآخرة كقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما أو انهم شبهوا بمن حاله كذا أو هو محمول على الشتم والاهانة وأما قوله من يشا الله يضلله أي عن طريق

به قد أذاق فلان فلانا الموت وأذاقه بأسه وأصل ذلك من ذوق الطعام وهو يطعمه ثم استعمل ذلك في كل ما وصل الى الرجل من لذة وحلاوة أو مرارة ومكروه وألم وقد بينت معنى البأس في كلام العرب فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ويذيق بعضكم بأس بعض بالسيوف حدثني المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد عن أبي هرون العبدي عن نوف البكالي أنه قال في قوله ويذيق بعضكم بأس بعض قال هي والله الرجال في أيديهم الحراب يطعنون في خواصركم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ويذيق بعضكم بأس بعض قال يسلط بعضكم على بعض بالقتل والعذاب حدثنا سعيد بن الربيع الرازي قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال عذاب هذه الامة أهل الاقرار بالسيف أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض وعذاب أهل التكذيب الصيحة والزلزلة ثم اختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية فقال بعضهم عني بها المسلمون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وفيهم نزلت ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عيسى الدامغاني قال أخبرنا ابن المبارك عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم الآية قال فهن أربع وكلهن عذاب فجاء منهن اثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة فألبسوا شيعا وأذيق بعضهم بأس بعض وبقيت اثنتان فهما لا بد واقعتان يعني الخسف والمسخ حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله من فوقكم أو من تحت أرجلكم لامة محمد صلى الله عليه وسلم وأعفاكم منه أو يلبسكم شيعا قال ما كان فيكم من الفتن والاختلاف حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا الآية ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ذات يوم الصبح فأطالها فقال له بعض أهله يا نبي الله لقد صليت صلاة ما كنت تصليها قال انها صلاة رغبة ورهبة واني سألت ربي فيها ثلاثا سألته أن لا يسلط على أمتي عدوا من غيرهم فيهلكهم فأعطانيها وسألته أن لا يسلط على أمتي السنة فأعطانيها وسألته أن لا يلبسهم شيعا ولا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله حدثنا أحمد بن الوليد القرشي وسعيد بن الربيع الرازي قالا ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو سمع جابرا يقول لما أنزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال هاتان أيسر أو أهون حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن جابر قال لما نزلت قل هو القادر على أن يبعث عليكم

الجنة ولا يشاء الاضلال الالمن يستحق عقوبته كما أنه لا يشاء الهدى الا للمؤمنين أو المراد بالاضلال منع الألطاف لانهم ليسوا من أهلها وبالهداية منحها الا انهم من أهلها ثم بين غاية جهالة الكفار وأنهم مع جحودهم يفزعون الى الله في البليات فقال قل أرأيتكم هو منقول من رأيت بمعنى أبصرت أو عرفت كأنه قيل أبصرته وشاهدت حاله العجيبة أو أعرفتها أخبرني عنها فلا يستعمل الا في الاستخبار عن حالة عجيبة بشئ فهذا من باب ايقاع السبب على المسبب

لان الاخبار انما يكون بعد المشاهدة أو العرفان أما اعرابه فالتاء ضمير الفاعل والكاف للخطاب والتاء يكون بلفظ واحد في التثنية والجمع والتأنيث وتختلف هذه المعاني على الكاف نحو أرأيتك أرأيتكما أرأيتكم أرأيتكن والتاء في جميع ذلك مفتوحة والكاف حرف خطاب وليست اسما والا لكانت اما مجرورة ولا جار واما مرفوعة وليست الكاف من ضمائر المرفوع ولا رافع أيضا لان التاء فاعل ولا يكون لفعل فاعلان واما منصوبة وهو باطل من وجوه أحدها أن هذا الفعل قد يتعدى الى مفعولين نحو أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا لكان ثالثا وثانيها لو كان مفعولا لكان هو الثاني في المعنى وليس المعنى على ذلك اذ ليس الغرض أرأيت نفسك بل أرأيت غيرك ولذلك قلت أرأيتك زيدا وزيد غير المخاطب ولا هو بدل منه وثالثها لو كان منصوبا على أنه مفعول لظهرت علامة التثنية والجمع والتأنيث في التاء نحو أرأيتماكما وأرأيتموكم وأرأيتموكن وقد ذهب الفراء الى أنه اسم مضمر منصوب في معنى المرفوع ويجوز تصريف التاء فأما مفعولا أرأيت في الآية فقيل هما محذوفان تقديره أرأيتكم عبادتكم الاصنام هل تنفعكم عند مجيء الساعة ودل عليه قوله أغير الله تدعون وقيل لايحتاج ههنا الى المفعول لان الشرط وجوابه قد حصلا معنى المفعول وأما جواب الشرط فما دل عليه الاستفهام في قوله أغير الله تقديره أرأيتكم ان أتتكم الساعة تدعون الله وحاصل الآية قل يا محمد لهؤلاء الكفار أرأيتكم ان أتاكم العذاب في الدنيا أو عند قيام الساعة أتخصون آلهتكم بالدعوة أم تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعونه الى كشفه ان شاء لان فوارع الساعة لا تكشف عن المشركين وعلى هذا يكون قوله ادعوني أستجب لكم باقيا على اطلاقه لكن في الدنيا ولو علقت المشيئة

عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم قال نعوذ بك نعوذ بك أو يلبسكم شيعا قال هو أهون حدثني زياد بن عبيد الله المزني قال ثنا مروان بن معاوية الفزاري قال ثنا أبو مالك قال ثني نافع بن خالد الخزاعي عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود فقال قد كانت صلاة رغبة ورهبة فسألت الله فيها ثلاثا فأعطاني اثنتين وبقي واحدة سألت الله أن لا يصيبكم بعذاب أصاب به من قبلكم فأعطانيها وسألت الله أن لا يسلط عليكم عدوا يستبيح بيضتكم فأعطانيها وسألته أن لا يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض فمنعنيها قال أبو مالك فقلت له أبوك سمع هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم سمعته يحدث بها القوم أنه سمعها من في رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الاشعث عن أبي أسماء الرحبي عن شداد بن أوس يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله زوى لي الارض حتى رأيت مشارقها ومغاربها وان ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها واني أعطيت الكنزين الاحمر والابيض واني سألت ربي أن لا يهلك قومي بسنة عامة وأن لا يلبسهم شيعا ولا يذيق بعضهم بأس بعض فقال يا محمد اني اذا قضيت قضاء فانه لا يرد واني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ولا أسلط عليهم عدوا ممن سواهم فيهلكهم بعامة حتى يكون بعضهم يهلك بعضا وبعضهم يقتل بعضا وبعضهم يسبي بعضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني أخاف على أمتي الائمة المضلين واذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنهم الى يوم القيامة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال أخبرني أيوب عن أبي قلابة عن أبي الاشعث عن أبي أسماء الرحبي عن شداد بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه الا أنه قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لا أخاف على أمتي الا الائمة المضلين حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن الزهري قال راقب خباب بن الارت وكان بدريا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي حتى اذا فرغ وكان في الصبح قال له يا رسول الله لقد رأيتك تصلي صلاة ما رأيتك صليت مثلها قال أجل انها صلاة رغب ورهب سألت ربي ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يهلكنا بما أهلك به الامم فأعطاني وسألته أن لا يسلط علينا عدوا فأعطاني وسألته أن لا يلبسنا شيعا فمنعني حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري في قوله أو يلبسكم شيعا قال راقب خباب بن الارت وكان بدريا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه الا أنه قال ثلاث خصلات حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك أو من تحت أرجلكم قال النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعا قال هذه أهون حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي أربعا فأعطيت ثلاثا ومنعت واحدة

سألته

بكشف العذاب فى الدنيا كان قوله ادعونى أستجب أيضا مقيدا بالمشيئة وتنسون ما تشركون قال ابن عباس تتركون الاصنام ولا تدعونها لعلمكم أنها لا تضر ولا تنفع ويجوز أن يراد لا تذكرون الاصنام فى ذلك الوقت لان أذهانكم مغمورة بذكر الله وحده والمقصود من الآية تبكيت الكفار كانه قيل اذا كنتم ترجعون عند نزول الشدائد الى الله تعالى لا الى الاصنام فلم تقدمون عبادتها وفيه أن مبنى الدين على الحجة والدليل لا على محض التقليد ثم سلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأن أعلمه أنه قد أرسل قبله الى أقوام بلغوا فى القسوة الى أن أخذوا بالشدة فى أنفسهم وأموالهم فلم يخضعوا وأصروا على كفرهم خلاف الاقوام المذكورين الذين يفزعون الى الله فى الشدائد ويحتمل أن يقال ان حكم الطائفتين واحد لان التضرع واللجأ الى الله لطلب ازالة البلية لا على سبيل الاخلاص غير معتبر وفى الآية محذوف تقديره ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك رسلا فخالفوهم فأخذناهم بالبأساء والضراء وحسن الحذف لكونه مفهوما والبأساء والضراء البؤس والضر أو البأساء القحط والجوع والضراء الامراض والاوجاع والرزايا لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون وأصله الانقياد وترك التمرد ضرع الرجل ضراعة فهو ضارع أى ذليل ضعيف احتج الجبائى بالآية على أنه تعالى انما أرسل الرسل اليهم وسلط هذه البأساء والضراء عليهم ارادة أن يتضرعوا ويؤمنوا فهو يريد الايمان والطاعة من الكل وأجيب بأن الترجى فى حقه تعالى محال فانهم يحملونه على الارادة ونحن نحمله على أنه تعالى يعاملهم معاملة المترجى فالترجيح على أن الفسق وتزيين الشيطان وكل ما يفرضونه لا بد أن ينتهى الى خلق الله وتكوينه أما قوله فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا فمعناه نفى التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا التحضيضية ليفيد أنه لم يكن لهم عذر فى ترك التضرع الا العناد والقسوة والاعجاب ثم بين أنه لما لم ينجع فيهم المواعظ والزواجر نقلهم من البأساء والضراء الى الراحة والرخاء ففتح أبواب الخيرات عليهم وسهل موجبات المسرات لديهم كما يفعله الاب المشفق لولده يخاشنه تارة ويلاينه أخرى ومعنى كل شئ أى كل شئ كان مغلقا عنهم من الخير حتى اذا فرحوا بما أوتوا أى ظنوا أن ذلك باستحقاقهم ولم يزيدوا الا بطرا وترفها أخذناهم بغتة قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال

سألته أن لا يسلط على أمتى عدوا من غيرهم يستبيح بيضتهم ولا يسلط عليهم جوعا ولا يجمعهم على ضلالة فأعطيتهن وسألته أن لا يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض فنعت حدثنى محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى سألت ربى خصالا فأعطانى ثلاثا ومنعنى واحدة سألته أن لا تكفر أمتى صفقة واحدة فأعطانيها وسألته أن لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها وسألته أن لا يعذبهم بما عذب به الامم من قبلهم فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن الحسن قال لما نزلت هذه الآية قوله ويذيق بعضكم بأس بعض قال الحسن ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو يشهده عليهم انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ فسأل ربه أن لا يرسل عليهم عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم ولا يلبس أمته شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض كما أذاق بنى اسرائيل فهبط اليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد انك سألت ربك أربعا فأعطاك اثنتين ومنعك اثنتين لن يأتيهم عذاب من فوقهم ولا من تحت أرجلهم يستأصلهم فانهما عذابان لكل أمة اجتمعت على تكذيب نبيها ورد كتاب ربها ولكنهم يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض وهذان عذابان لاهل الاقرار بالكتاب والتصديق بالانبياء ولكن يعذبون بذنوبهم وأوحى اليه فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون يقول من أمتك أو نرينك الذى وعدناهم من العذاب وأنت حى فانا عليهم مقتدرون فقام نبى الله صلى الله عليه وسلم فراجع ربه فقال أى مصيبة أشد من أن أرى أمتى يعذب بعضها بعضا وأوحى اليه الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فأعلمه أن أمته لم تخص دون الامم بالفتن وأنها ستبتلى كما ابتليت الامم ثم أنزل عليه قل رب اما ترينى ما يوعدون رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين فتعوذ نبى الله فأعاذه الله لم ير من أمته الا الجماعة والالفة والطاعة ثم أنزل عليه آية حذر فيها أصحابه الفتنة فأخبره أنه انما يخص بها ناس منهم دون ناس فقال واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب فخص بها أقواما من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بعده وعصم بها أقواما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قال لما جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بما يكون فى أمته من الفرقة والاختلاف فشق ذلك عليه ثم دعا فقال اللهم أظهر عليهم أفضلهم تقية حدثنى المثنى قال ثنا أبو الاسود قال أخبرنا ابن لهيعة عن خالد بن يزيد عن أبى الزبير قال لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله من ذلك قال أو من تحت أرجلكم قال أعوذ بالله من ذلك قال أو يلبسكم شيعا قال هذه أيسر ولو استعاذه لأعاذه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا المؤمل البصرى قال أخبرنا يعقوب ابن اسمعيل بن يسار المدينى قال ثنا زيد بن أسلم قال لما نزلت قل هو القادر على أن يبعث عليكم

صلى الله عليه وسلم اذا رأيت الله تعالى يعطي العاصي فان ذلك استدراج من الله تعالى قال العلماء وانما أخذوا في حال الراحة والرخاء ليكون أشد لتحسرهم على مافات من السلامة والعطاء فاذا هم مبلسون آيسون من كل خير وقال الفراء المبلس الذي انقطع رجاؤه ويقال للذي سكت عند انقطاع حجته قد أبلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحسرة الحزين واذا ههنا للمفاجأة وهي ظرف مكان وهم مبتدأ ومبلسون خبره وهو العامل في اذا فقطع دابر القوم الدابر للشئ

من خلفه كالولد للوالد دبر فلان القوم يدبرهم دبورا ودبرا اذا كان آخرهم أبو عبيدة دابر القوم آخرهم الذي يدبرهم الاصمعي الدابر الاصل قطع الله دابره أي أصله والحمد لله رب العالمين حمد نفسه على أن لم يترك منهم أحدا واستأصلهم لان ذلك جار مجرى النعمة على أولئك الرسل أو على أولئك الهالكين كيلا يزدادوا كفرا وعنادا فيزدادوا عذابا وعقابا أو حمد على ما أنعم عليهم قبل ذلك وهو أن كافهم وأزال عنهم الاعذار والعلل و بعث الانبياء والرسل وأخذهم بالبأساء والضراء ثم نقلهم الى الآلاء والنعماء الا أنهم لم يزدادوا الا انهماكا في الغي والضلال فطهر وجه الارض من شركهم وفيه ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك كل ظالم وان ذلك من جملة آلاء الله سبحانه ثم عاد الى الدلالة على وجود الصانع الحكيم المختار وبيان وحدته جل جلاله فقال قل أرأيتم ان أخذ الله وتقرير ذلك أن أشرف أعضاء الانسان هو السمع والبصر والقلب كما عددنا منافعها في أوائل الكتاب ولا ريب أن القادر على تحصيل فواتها وصرفها عن الآفات والمخافات ليس الا الله وحده ومعنى أخذ السمع والبصر تعطيل منافعهما ومعنى الختم على القلب ازالة العقل حتى يصير كالمجانين قال ابن عباس انه الطبع أو الاماتة حتى لا يعقل الهدى والصلاح يأتيكم به أي بذلك الذي أخذ من السمع والبصر والقلب فوضع الضمير موضع اسم الاشارة القادر بناء على أن الضمير المذكور بحكم الاستعمال يلزم أن يكون لذي عقل ولو فرضا والأحسن أن يقال انه ذكر أشياء متعددة فوجب أن يعود الضمير الى جميعها مؤنثا اذ لا ترجيح وحيث لم يكن الضمير مؤنثا علم أنه أراد المذكور مطلقا فتعين أن يشار اليه بذلك ثم انه أقام الضمير المذكور مقامه أو يعود الى ما أخذ وختم عليه وصح من غير التكلف المذكور بحكم التغليب انظر يا محمد أو كل من له أهلية النظر كيف نصرف

عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا و يذيق بعضكم بأس بعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف فقالوا ونحن نشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله قال نعم فقال بعض الناس لا يكون هذا أبدا فأنزل الله أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون وقال آخرون عني ببعضها أهل الشرك و ببعضها أهل الاسلام ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن هرون بن موسى عن حفص بن سليمان عن الحسن في قوله قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم قال هذا للمشركين أو يلبسكم شيعا و يذيق بعضكم بأس بعض قال هذا للمسلمين والصواب من القول عندي أن يقال ان الله تعالى توعد بهذه الآية أهل الشرك به من عبدة الاوثان واياهم خاطب بها لأنها بين اخبار عنهم وخطاب لهم وذلك أنها تتلو قوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون و يتلوها قوله وكذب به قومك وهو الحق وغير جائز أن يكون المؤمنون كانوا به مكذبين فاذا كان غير جائز أن يكون ذلك كذلك وكانت هذه الآية بين هاتين الآيتين كان بينا أن ذلك وعيد لمن تقدم وصف الله اياه بالشرك وتأخر الخبر عنه بالتكذيب لا لمن لم يجر له ذكر غير أن ذلك وان كان كذلك فانه قد عم وعيده بذلك كل من سلك سبيلهم من أهل الخلاف على الله وعلى رسوله والتكذيب بآيات الله من هذه وغيرها وأما الاخبار التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة فجائز أن هذه الآية نزلت في ذلك الوقت وعيدا لمن ذكرت من المشركين ومن كان على منهاجهم من المخالفين ربهم فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعيذ أمته مما ابتلى به الامم الذين استوجبوا من الله تعالى بمعصيتهم اياه هذه العقوبات فأعاذهم بدعائه اياه ورغبته اليه من المعاصي التي يستحقون بها من هذه الخلال الاربع من العقوبات أغلظها ولم يعذهم من ذلك ما يستحقون به اثنتين منها وأما الذين تأولوا أنه عني بجميع ما في هذه الآية هذه الامة فاني أراهم تأولوا أن في هذه الامة من سيأتي من معاصي الله وركوب ما يسخط الله نحو الذي ركب من قبلهم من الامم السالفة من خلافه والكفر به فيحل بهم مثل الذي حل بمن قبلهم من المثلات والنقمات وكذلك قال أبو العالية ومن قال بقوله جاء منهن اثنتان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة و بقيت اثنتان الخسف والمسخ وذلك أنه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال سيكون في هذه الامة خسف ومسخ وقذف وان قوما من أمته سيبيتون على لهو ولعب ثم يصبحون قردة وخنازير وذلك اذا كان فلا شك أنه نظير الذي في الامم الذين عتوا على ربهم في التكذيب وجحدوا آياته وقد روي نحو الذي روي عن أبي العالية عن أبي حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا سفيان قال أخبرنا أبي عن أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب قل هو

الآيات نوردها على الوجوه المختلفة المتكاثرة بحيث يكون كل واحد منها يقوى ماقبله فى الايصال الى المطلوب ومعنى ثم التفاوت بين الحالين
ويصدفون أى يعرضون ويقال امرأة صدوف للتى تعرض وجهها عليك ثم تصدف أى تعرض والصدف ميل فى الحافر الى الشق
الوحشى وصدف الدرة غشاؤها والميل فيه قال الكعبى لو خلق الله فيهم الاعراض والصدلم ينكر ذلك عليهم وقالت الاشاعرة لولا منع الله تعالى
لنجمع فيهم الدلائل القاطعة للاعذار ثم عمم الدليل بقوله قل أرأيتكم ان أتاكم والمعنى أنه لادافع لنوع من أنواع
العذاب الا الله سبحانه فوجب أن
لايكون معبودا الا هو ثم العذاب
المفروض اما أن يجىء من غير سبق
أمارة تدل على ذلك وهو البغتة وأكثر
مايكون ذلك بالليل أومع سبق
أمارة وهو الجهرة وأكثره بالنهار
ولهذا قال الحسن معناه ليلا
أونهارا أما قوله هل يهلك الا القوم
الظالمون أى لايهلك مع قوله
واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا
منكم خاصة فمعناه أن الهلاك
بالحقيقة وهو هلاك التعذيب
والسخط مختص بالظالمين الاشرار
لان الاخيار وان عمهم العذاب
الا أنهم يستفيدون بذلك ثوابا
جزيلا فهو ولهم بلاء فى الظاهر
وآلاء فى الحقيقة خلاف الظلمة
فانهم يخسرون الدنيا والآخرة
ومثله قوله صلى الله عليه وآله وسلم
ان أمر المؤمن خير كله ان أصابته
ضراء فصبر كان خيرا له وان أصابته
سراء فشكر كان خيرا له واعلم أنه
ذكر ههنا أرأيتكم مرتين فزاد
خطابا واحدا لان عذاب
الاستئصال ماعليه من مزيد
فناسب زيادة الخطاب لاجل
التأكيد وفيما بينهما قال أرأيتم
حيث لم يكن كذلك وكذلك فى
يونس ثم ذكر أن الانبياء والرسل
بعثوا للتبشير والانذار فقط ولا
قدرة لهم على اظهار الآيات وانزال
المعجزات التى اقترحوها فى قوله وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه وان ذلك مفوض الى مشيئة الله وحكمته فقال ومانرسل المرسلين الا مبشرين
بالثواب على الطاعات ومنذرين بالعقاب على المعاصى فمن قبل قولهم وأتى بالايمان الذى هو من أفعال القلب والعمل الصالح الذى هو من
أفعال البدن فلا خوف عليهم والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب ومعنى المس التقاء الشيئين من غير فصل قال فى الكشاف جعل العذاب
ماسا كأنه حى يفعل بهم مايريد من الآلام وفيه نظر لان المس ليس من خواص الاحياء نعم انه من خواص الاجسام فلو ادعيت المبالغة

القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا قال أربع
خلال وكلهن عذاب وكلهن واقع قبل يوم القيامة فمضت اثنتان بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم
بخمس وعشرين سنة ألبسوا شيعا وأذيق بعضهم بأس بعض وثنتان واقعتان لامحالة الخسف
والرجم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون﴾ يقول تعالى
ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انظر يامحمد بعين قلبك الى ترديدنا حججنا على هؤلاء المكذبين
بربهم الجاحدين نعمه وتصريفناها فيهم لعلهم يفقهون يقول ليفقهوا ذلك ويعتبروه فيذكروا
ويزدجروا عما هم عليه مقيمون مما يسخطه الله منهم من عبادة الاوثان والاصنام والتكذيب
بكتاب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وكذب به قومك وهو الحق قل
لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره وكذب يامحمد قومك
بما تقول وتخبر وتوعد من الوعيد وهو الحق يقول والوعيد الذى أوعدناهم على مقامهم على شركهم
من بعث العذاب من فوقهم أو من تحت أرجلهم أو لبسهم شيعا واذاقة بعضهم بأس بعض الحق
الذى لاشك فيه أنه واقع ان هم لم يتوبوا وينيبوا مما هم عليه مقيمون من معصية الله والشرك به
الى طاعة الله والايمان به قل لست عليكم بوكيل يقول قل لهم يامحمد لست عليكم بحفيظ ولا رقيب
وانما أنا رسول أبلغكم ماأرسلت به اليكم لكل نبأ مستقر يقول لكل خبر مستقر يعنى قرار
يستقر عنده ونهاية ينتهى اليه فيتبين حقه وصدقه من كذبه وباطله وسوف تعلمون يقول وسوف
تعلمون أيها المكذبون بصحة ماأخبركم به من وعيد الله اياكم أيها المشركون وحقيته عند حلول
عذابه بكم فرأوا ذلك وعاينوه فقتلهم يومئذ بأيدى أوليائه من المؤمنين وبنحو الذى قلنا من التأويل
فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن
المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وكذب به قومك وهو الحق يقول كذبت قريش بالقرآن وهو
الحق وأما الوكيل فالحفيظ وأما لكل نبأ مستقر فكان نبأ القرآن استقر يوم بدر بما كان يعدهم
من العذاب حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد
لكل نبأ مستقر لكل نبأ حقيقة اما فى الدنيا واما فى الآخرة وسوف تعلمون ما كان فى الدنيا فسوف
ترونه وما كان فى الآخرة فسوف يبدو لكم حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح عن معاوية
عن على ابن أبى طلحة عن ابن عباس قوله لكل نبأ مستقر يقول حقيقة حدثنى محمد بن سعد قال
ثنا أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون
يقول فعل وحقيقة ماكان منه فى الدنيا وما كان منه فى الآخرة وكان الحسن يتأول فى ذلك أنه
الفتنة التى كانت بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى المثنى قال ثنا سويد
ابن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن جعفر بن حيان عن الحسن أنه قرأ لكل نبأ مستقر قال
حبست عقوبتها حتى عمل ذنبها أرسلت عقوبتها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذا رأيت
الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره واما ينسينك الشيطان

من هذا الوجه لم يكن بعيدا قال القاضي انه علل عذاب الكافرين بكونهم فاسقين فيكون كل فاسق كافرا وأقول هذا من باب ايهام العكس ولا يلزم العكس فان كل كافر فاسق ولا يلزم العكس ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينفي عن نفسه أمورا ثلاثة فقال (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله) وهي جمع خزانة للمكان الذي يخزن فيه الشئ وخزن الشئ احرازه بحيث لا تناله الأيدي (ولا أعلم الغيب) قال في الكشاف محله النصب عطفا على محل قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول أي لا أقول لكم ذلك ولا هذا قلت ويحتمل أن يكون عطفا على لا أقول أي قل لا أعلم الغيب فيكون فيه دلالة على أن الغيب بالاستقلال لا يعلمه الا الله بخلاف كون خزائن الله عنده وكونه ملكا فان النبي صلى الله عليه وسلم يحتمل أن يكون له هذه المقامات ولكن لا يظهرها واختلف المفسرون في فائدة نفي هذه الامور فقيل المراد اظهار التواضع والخضوع لله تعالى والاعتراف بعبوديته حتى لا يعتقد فيه مثل اعتقاد النصارى في المسيح عليه السلام وقيل المقصود ابداء العجز والضعف وأنه لا يستقل بايجاد المعجزات التي كانوا يقترحونها كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله هل كنت الا بشرا رسولا وقيل أي لا أدعي سوى النبوة والرسالة ولا أدعي الالهية ولا الملكية وانما بدئ ههنا بكم بخلاف سورة هود حيث قال ولا أقول اني ملك لانه تقدم ذكر لكم في قوله اني لكم نذير فاكتفى بذلك قال الجبائي في الآية دلالة على أن الملك أفضل اذ المراد لا أدعي فوق منزلتي قال القاضي ان كان الغرض التواضع فالاقرب أن ذلك يدل على أن الملك أفضل وان كان المراد نفي قدرته عن أفعال لا يقوى عليها الا الملائكة لم يدل على أفضلية الملائكة (ان أتبع الا ما يوحى الي) قيل هذا النص يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يحكم من تلقاء نفسه بالاجتهاد في شئ من الاحكام ولا يجوز لأحد من أمته أن يعمل الا بالوحي النازل عليه لقوله تعالى فاتبعوه فلا يجوز العمل بالقياس وأكد هذا الحكم بقوله (قل هل يستوي الاعمى والبصير) وذلك أن العمل بغير الوحي يجري مجرى عمل الاعمى والعمل بمقتضى الوحي يقوم مقام عمل البصير ثم قال (أفلا تتفكرون) تنبيها على أنه يجب على العاقل أن يعرف الفرق بين هذين وأجيب بأن أصل الاجتهاد والقياس اذا كان بالوحي لم يلزم الضلالة والآية مثل للضال

فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين} يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذا رأيت يا محمد المشركين الذين يخوضون في آياتنا التي أنزلناها اليك ووحينا الذي أوحيناه اليك وخوضهم فيها كان استهزاءهم بها وسبهم من أنزلها وتكلم بها وتكذيبهم بها فأعرض عنهم يقول فصد عنهم بوجهك وقم عنهم ولا تجلس معهم حتى يخوضوا في حديث غيره يقول حتى يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بآيات الله من حديثهم بينهم وإما ينسينك الشيطان يقول وان أنساك الشيطان نهينا اياك عن الجلوس معهم والاعراض عنهم في حال خوضهم في آياتنا ثم ذكرت ذلك فقم عنهم ولا تقعد بعد ذكرك ذلك مع القوم الظالمين الذين خاضوا في غير الذي لهم الخوض فيه بما خاضوا به فيه وذلك هو معنى ظلمهم في هذا الموضع وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره قال نهاه الله أن يجلس مع الذين يخوضون في آيات الله يكذبون بها فان نسي فلا يقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور قال أخبرنا معمر عن قتادة بنحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن السدي عن أبي مالك وسعيد ابن جبير في قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا قال الذين يكذبون بآياتنا حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين قال كان المشركون اذا جالسوا المؤمنين وقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن فسبوه واستهزؤا به فأمرهم الله أن لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وأما قوله وإما ينسينك الشيطان يقول نسيت فتقعد معهم فاذا ذكرت فقم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يخوضون في آياتنا قال يكذبون بآياتنا حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا فضيل بن عياض عن ليث عن أبي جعفر قال لا تجالسوا أهل الخصومات فانهم الذين يخوضون في آيات الله حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا وقوله الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وقوله أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ونحو هذا في القرآن قال أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم أنه انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا قال يستهزؤن بها قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقعد معهم الا أن ينسى فاذا ذكر فليقم فذلك قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين قال

ابن

ابن جريج كان المشركون يجلسون الى النبي صلى الله عليه وسلم يحبون أن يسمعوا منه فاذا سمعوا استهزؤا فنزلت واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا قال يكذبون حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدالله عن اسرائيل عن السدى عن ابى مالك قوله واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره يعنى المشركين وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ان نسيت فذكرت فلا تجلس معهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وماعلى الذين يتقون من حسابهم من شئ ولكن ذكرى لعلهم يتقون﴾ يقول تعالى ذكره ومن اتقى الله فخافه فأطاعه فيما أمره به واجتنب مانهاه عنه فليس عليه بترك الاعراض عن هؤلاء الخائضين فى آيات الله فى حال خوضهم فى آيات الله شئ من تبعة فيما بينه و بين الله اذا لم يكن تركه الاعراض عنهم رضا بما هم فيه وكان الله بحقوقه متقيا ولا عليه من اثمهم بذلك حرج ولكن ليعرضوا عنهم حينئذ ذكرى لأمر الله لعلهم يتقون يقول ليتقوا ومعنى الذكرى الذكر (١) والذكر والذكرى بمعنى وقد يجوز أن يكون ذكرى فى موضع نصب ورفع فأما النصب فعلى ماوصفت من تأويل ولكن ليعرضوا عنهم ذكرى وأما الرفع فعلى تأويل وماعلى الذين يتقون من حسابهم شئ بترك الاعراض ولكن اعراضهم ذكرى لأمر الله لعلهم يتقون وقد ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم انما أمر بالقيام عن المشركين اذا خاضوا فى آيات الله لأن قيامه عنهم كان مما يكرهونه فقال الله له اذا خاضوا فى آيات الله فقم عنهم ليتقوا الخوض فيها ويتركوا ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال كان المشركون يجلسون الى النبي صلى الله عليه وسلم يحبون أن يسمعوا منه فاذا سمعوا استهزؤا فنزلت واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره الآية قال فجعل اذا استهزؤا قام فحذروا وقالوا لا تستهزؤا فيقوم فذلك قوله لعلهم يتقون أن يخوضوا فيقوم ونزل وماعلى الذين يتقون من حسابهم من شئ ان قعدوا معهم ولكن لا تقعدوا ثم نسخ ذلك قوله بالمدينة وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها و يستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهم فنسخ قوله وماعلى الذين يتقون من حسابهم من شئ الآية حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله وماعلى الذين يتقون من حسابهم من شئ يقول من حساب الكفار من شئ ولكن ذكرى يقول اذا ذكرت فقم لعلهم يتقون مساءتكم اذا رأوكم لا تجالسونهم استحيوا منكم فكفوا عنكم ثم نسخها الله بعد فنهاهم أن يجلسوا معهم أبدا قال وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها الآية حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وماعلى الذين يتقون من حسابهم من شئ ان قعدوا ولكن لا تقعد حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا

(١) هذا تكرار لما قبله فلعلهما نسختان جمع بينهما تأمل كتبه مصححه

والمهتدى أو لمن ادعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية والملكية (أفلا تتفكرون) فلا تكونوا ضالين كالعميان أو فتعلموا أنى ماادعيت سوى ما يليق بالبشر والله تعالى أعلم وأحكم ۞ التأويل ومامن دابة تدب فى أرض البشرية تتحرك من الحواس والجوارح والنفس وصفاتها الاأمم أمثالكم فى السؤال عن أقوالهم وأحوالهم بقوله ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا مافرطنا ماتركنا فى القرآن من شئ يحتاج اليه الانسان ظاهره و باطنه ذاته وصفاته فى السير الى الله من الاوامر والنواهى والندب والآداب ثم الى ربهم يحشرون ههنا بالسير و جذبات العناية أو هنالك بالسلاسل والاغلال يسحبون فى النار فى نار القطيعة على وجوههم لان من شأنهم التكذيب كما قال والذين كذبوا بآياتنا بدلائلنا الموصلة الينا صم آذان قلوبهم عن استماع الحق بكم ألسنة أحوالهم عن اجابة دعوة الحق فى ظلمات صفات البشرية والاخلاق الذميمة بل اياه تدعون لان رجوعه الى ربه مركوز فى روحانيته ولقد أرسلنا الى أمم أى أرسلنا اليهم نعمة الصحة والكفاف والامن فشغلوا بها عنا فأرسلنا اليهم بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة تدعوهم بها الينا فلم يهتدوا فأخذناهم بالبأساء والضراء التى هى موجبة للالتجاء فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا وعلموا أن حقائق ألطافنا مدرجة فى دقائق صور قهرنا وتحققوا أن درر محبتنا مستودعة فى أصداف شدائد بأسنا فاستقبلوها بصدق الالتجاء وحسن التضرع فى الدعاء فلما نسوا بسبب القساوة ماذكروا به من معارضة البأساء والضراء فانها تذكر أيام الرخاء وتعرف قدر الصحة والنعماء وتؤدى الى رؤية المنعم فتحنا عليهم أبواب كل شئ من البلاء فى صورة النعماء لارباب الظاهر بالنعم الظاهرة من المال والجاه والقبول وأمثالها ولارباب الباطن بالنعم الباطنة من فتوحات الغيب وأشباهها حتى اذا فرحوا بما أوتوا وظنوا أنهم قد استغنوا عن صحبة الشيخ وتعليم تصرفاته فشرعوا فى الطلب على وفق هواهم أخذناهم بغتة بفقد الاحوال والاشتغال بالقال فاذا هم مبلسون متحيرون فى تيه الغرور والحمد لله على اظهار اللطف لاربابه والقهر لأصحابه ليعلم أن الكل بقدر كما قال قل أرأيتم الآية الا القوم الظالمون الذين ظلموا أنفسهم بصرف استعداد عبودية المولى فى عبادة الهوى فأما من ابتلى بعذاب الله من الآفات والمخافات

والامراض ونحوها ابتلاء فتاب ورجع فهو غيرها الملك على الحقيقة قل لا أقول لكم لم يقل ليس عندي خزائن الله ليعلم أن خزائن الله وهي العلم بحقائق الاشياء وماهياتها عنده باراءة سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم وباستجابة دعائه في قوله أرنا الاشياء كما هي ولكنه يكلم الناس على قدر عقولهم ولا أعلم الغيب أي لا أقول لكم هذا مع أنه كان يخبرهم عما مضى وعما سيكون باعلام الحق وقد قال صلى الله عليه وآله في قصة ليلة المعراج نظرت خلفي نظرة علمت ما كان وما سيكون ولا أقول لكم انى ملك وان كنت قد عبرت عن مقام الملك حين قلت لجبريل تقدم فقال لو دنوت أنملة لاحترقت ان أتبع الا ما يوحى الى أن أخبرهم وقل معهم قل هل يستوي الاعمى والبصير فلا يستوي مع الاعمى كلام البصير فكيف أخبركم عما أعمى الله بصائركم عنه وأنا به بصير * قوله تعالى (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين قل انى على بينة من ربي وكذبتم به ما عندى ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) ۞ القراآت بالغدوة مضموم الغين ساكن الدال مفتوح الواو وكذا في الكهف ابن عامر الباقون بفتح الغين والدال وبالالف أنه بالفتح فانه بالكسر أبو جعفر ونافع وقرأ ابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب جميعا بالفتح الباقون بالكسر فيهما وليستبين

ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن السدى عن أبي مالك وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ ولكن ذكرى قال وما عليك أن يخوضوا في آيات الله اذا فعلت ذلك ۞ القول في تأويل قوله (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ذر هؤلاء الذين اتخذوا دين الله وطاعتهم اياه لعبا ولهوا فجعلوا حظوظهم من طاعتهم اياه اللعب بآياته واللهو والاستهزاء بها اذا سمعوها وتليت عليهم فأعرض عنهم فانى لهم بالمرصاد وانى لهم من وراء الانتقام منهم والعقوبة لهم على ما يفعلون وعلى اغترارهم بزينة الحياة الدنيا ونسيانهم المعاد الى الله تعالى والمصير اليه بعد الممات كالذى حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا قال كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وقد نسخ الله تعالى هذه الآية بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وكذلك قال عدد من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا حجاج بن المنهال قال ثنا همام ابن يحيى عن قتادة وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا ثم أنزل في سورة براءة فأمر بقتالهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمن قال قرأت على ابن أبي عروبة فقال هكذا سمعته من قتادة وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا ثم أنزل الله تعالى ذكره براءة وأمر بقتالهم فقال اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وأما قوله وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت فانه يعني به وذكر يا محمد بهذا القرآن هؤلاء المولين عنك وعنه أن تبسل نفس بمعنى أن لا تبسل كما قال يبين الله لكم أن تضلوا بمعنى أن لا تضلوا وانما معنى الكلام وذكر به ليؤمنوا ويتبعوا ما جاءهم من عند الله من الحق فلا تبسل أنفسهم بما كسبت من الأوزار ولكن حذفت لا لدلالة الكلام عليها * واختلف أهل التأويل في تأويل قوله أن تبسل نفس فقال بعضهم معنى ذلك أن تسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة قوله أن تبسل نفس بما كسبت قال تسلم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن أن تبسل نفس قال أن تسلم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره أن تبسل قال تسلم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أن تبسل نفس قال تسلم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد أولئك الذين أبسلوا أسلموا * وقال آخرون بل معنى ذلك تحبس ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أن تبسل نفس قال تؤخذ فتحبس حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أن

تبسل

تبسل نفس بما كسبت أن تؤخذ نفس بما كسبت * وقال آخرون معناه تفضح ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت يقول تفضح * وقال آخرون معناه أن تجزى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد قال قال الكلبى أن تبسل أن تجزى وأصل الابسال التحريم يقال منه أبسلت المكان اذا حرمته فلم تقربه ومنه قول الشاعر

بكرت تلومك بعد وهن فى الندى * بسل عليك ملامتى وعتابى

أى حرام ومنه قولهم (١) وعتابى أسد آسد يراد به لا يقربه شئ فكأنه قد حرم نفسه ثم يجعل ذلك صفة لكل شديد يتحامى لشدته ويقال أعط الراقى بسيلته يراد بذلك أجرته وشراب بسيل بمعنى متروك وكذلك المبسل بالجريرة وهو المرتهن بها قيل له مبسل لانه محرم من كل شئ الا مما رهن فيه وأسلم به ومنه قول عوف بن الأحوص الكلابى

وإبسالى بنى بغير جرم * بعوناه ولا بدم مراق

(وقال الشنفرى)

هنالك لا أرجو حياة تسرنى * سمير الليالى مبسلا بالجرائر

فتأويل الكلام اذا وذكر بالقرآن هؤلاء الذين يخوضون فى آياتنا وغيرهم ممن سلك سبيلهم من المشركين كيلا تبسل نفس بذنوبها وكفرها بربها وترتهن فتغلق بما كسبت من اجرامها فى عذاب الله ليس لها من دون الله يقول ليس لها حين تسلم بذنوبها فترتهن بما كسبت من آثامها أحد ينصرها فينقذها من الله الذى جازاها بذنوبها جزاءها ولا شفيع يشفع لها الوسيلة له عنده ۞ القول فى تأويل قوله (وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها) يقول تعالى ذكره وان تعدل النفس التى أبسلت بما كسبت يعنى وان تعدل كل عدل يعنى كل فداء يقال منه عدل يعدل اذا فدى عدلا ومنه قول الله تعالى ذكره أو عدل ذلك صياما وهو ما عادله من غير نوعه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها قال لو جاءت بملء الارض ذهبا لم يقبل منها حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها فما يعدلها لو جاءت بملء الارض ذهبا لتفتدى به ما قبل منها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها قال وان تعدل وان تفتد يكون له الدنيا وما فيها يفتدى بها لا يؤخذ منه عدلا عن نفسه لا يقبل منه وقد تأول ذلك بعض أهل العلم بالعربية بمعنى وان تقسط كل قسط لا يقبل منها وقال انها التوبة فى الحياة وليس لما قال من ذلك معنى وذلك أن كل تائب فى الدنيا فان الله تعالى يقبل توبته ۞ القول

(١) كذا فى الاصل ولعله وجنابى أسد باسل يراد به الخ تأمل كتبه مصححه

• بياء الغيبة زيد وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الباقون بالتاء الفوقانية سبيل بالنصب أبو جعفر ونافع وزيد الباقون بالرفع يقص ابن كثير وأبو جعفر ونافع وعاصم الباقون يقضى الحق ۞ الوقوف يتقون ٥ وجهه ط الظالمين ٥ من بيننا ط الشاكرين ٥ الرحمة ط لمن قرأ انه بكسر الالف رحيم ٥ المجرمين ٥ من دون الله ط أهواءكم لا لتعيين اذا بما قبله أى قد ضللت اذا اتبعت المهتدين ٥ وكذبتم به ط تستعجلون به ط لله ط الفاصلين ٥ وبينكم ط بالظالمين ٥ الا هو ط والبحر ط مبين ٥ مسمى ط لان ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد المقصود تعملون ٥ ۞ التفسير لما وصف الرسل بكونهم مبشرين ومنذرين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالانذار وهو الاعلام بموضع المخافة فقال له (وأنذر به) قال ابن عباس والزجاج أى بالقرآن وهو المذكور هنا فى قوله ان أتبع الا ما يوحى الى وقال الضحاك أى بالله قيل والاول أولى لأن الانذار والتخويف انما يقع بالقول وفيه نظر لأن الانذار لا نزاع فيه انه قول ولكن المنذر به قلما يكون قولا لقوله وأنذرهم يوم الآزفة فأنذرتكم نارا تلظى ولو زعم أن المراد وأنذرهم النار والعذاب بواسطة القرآن قلنا فقدر مثله ههنا والمعنى أنذرهم العذاب بقول ينبئ عن شدة سخط الله وعقوبته أما (الذين يخافون أن يحشروا) فقيل انهم الكافرون الذين سبق ذكرهم فلعل ناسا من المشركين من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث أن يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى أن ينجع فيهم الانذار فأمر أن ينذر هؤلاء دون المتمردين منهم ثم قال هذا القائل ولا يجوز حمله على المؤمنين لانهم يعلمون أنهم يحشرون والعلم خلاف الخوف والظن وضعف بأن الخوف شامل للناس كافة لعدم الجزم بالثواب وقبول الطاعة وان كانوا مقرين بصحة الحشر والنشر فالظاهر أن الضمير يتناول الكل لان العاقل لا بد أن يخاف الحشر سواء كان جازما به أو شاكا فيه وأيضا انه مأمور بتبليغ الكل فلا وجه للتخصيص وقيل انهم قوم مسلمون مفرطون فى العمل فينذرهم بما أوحى اليه لعلهم يدخلون فى زمرة أهل التقوى من المسلمين وقيل هم أهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث ومعنى الحشر بهم الى حكمه وقضائه فلا يلزم منه مكان ولا جهة أما قوله ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع فقال الزجاج ان الجملة فى موضع الحال من ضمير

يحشروا أي يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم فان كان الضمير للكفار فظاهر وان كان للمؤمنين فشفاعة الملائكة والرسل اذا كانت باذن الله تعالى فانها تكون بالحقيقة من الله تعالى فصح أنه ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ولا بد من هذا الحال لأن الحشر مطلقا ليس مخوفا وانما المخوف هو الحشر على هذه الحالة لانهم اعتقدوا أن لا ناصر ولا شفيع الا الله واذا لم يكن الله ناصرا وشفيعا لزم أن لايكون ناصر أصلا (لعلهم يتقون) قال

ابن عباس لكي يخافوا في الدنيا وينتهوا عن الكفر والمعاصي قالت المعتزلة فيه دلالة على أنه أراد من الكفار التقوى والطاعة وأجيب بأن الترجي راجع الى العباد ولما أمر بانذار عموم المكلفين ليتقوا أردفهم بذكر المتقين وأمر بتقريبهم واكرامهم روى عن ابن مسعود أن الملأ من قريش مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وبلال وخباب وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد أرضيت بهؤلاء أتريد أن نكون تبعا لهؤلاء اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم اتبعناك فقال صلى الله عليه وآله ما أنا بطارد المؤمنين فقالوا فأقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فأقعدهم معك ان شئت فقال نعم طمعا في ايمانهم وروى أن عمر قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون ثم انهم قالوا للرسول صلى الله عليه وآله اكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت ولا تطرد الآية فرمى بالصحيفة واعتذر عمر عن مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا وندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا أراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى أن نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات أثنى الله عليهم بأنهم يدعون ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس من والحسن ومجاهد أي يصلون صلاة الصبح والعصر وقيل أي يذكرون ربهم طرفي النهار والمراد بالغداة والعشي الدوام والغداة لغة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس والعشي ما بين الزوال الى الغروب قال الجوهري غدوة بالتنوين نكرة وبدونه معرفة غير مصروفة كسحر ومحل يريدون وجهه نصب على الحال أو على الاستئناف كأنه قيل ما أرادوا بالمواظبة على الدعاء فأجيب بقوله يريدون وجهه ولا يثبت به لله

في تأويل قوله ﴿أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾ يقول تعالى ذكره وهؤلاء الذين ان فدوا أنفسهم من عذاب الله يوم القيامة كل فداء لم يؤخذ منهم هم الذين أبسلوا بما كسبوا يقول أسلموا لعذاب الله فرهنوا به جزاء بما كسبوا في الدنيا من الآثام والأوزار لهم شراب من حميم والحميم هو الحار في كلام العرب وانما هو محموم صرف الى فعيل ومنه قيل للحمام حمام لاسخانه الجسم ومنه قول مرقش

في كل ممسى لها مقطرة * فيها كباء معد وحميم

يعني بذلك ماء حارا ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي في صفة فرس

تأبى بدرتها اذا ما استغضبت * الا الحميم فانه يتبضع

يعني بالحميم عرق الفرس وانما جعل تعالى ذكره لهؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآية شرابا من حميم لان الحار من الماء لا يروي من عطش فأخبر أنهم اذا عطشوا في جهنم لم يغاثوا بماء يرويهم ولكن بما يزيدون به عطشا على ما بهم من العطش وعذاب أليم يقول ولهم أيضا مع الشراب الحميم من الله العذاب الأليم والهوان المقيم بما كانوا يكفرون يقول بما كان من كفرهم في الدنيا بالله وانكارهم توحيده وعبادتهم معه آلهة دونه حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا قال يقول أسلموا حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أولئك الذين أبسلوا قال فضحوا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا قال أخذوا بما كسبوا ۞ القول في تأويل قوله ﴿قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا﴾ وهذا تنبيه من الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم على حجته على مشركي قومه من عبدة الأوثان يقول له تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأنداد والآمرين لك باتباع دينهم وعبادة الاصنام معهم أندعو من دون الله حجرا أو خشبا لا يقدر على نفعنا أو ضرنا فنخصه بالعبادة دون الله وندع عبادة الذي بيده الضر والنفع والحياة والموت ان كنتم تعقلون فتميزون بين الخير والشر فلا شك أنكم تعلمون أن خدمة ما يرجى نفعه ويرهب ضره أحق وأولى من خدمة من لا يرجى نفعه ولا يخشى ضره ونرد على أعقابنا يقول ونرد الى أدبارنا فنرجع القهقرى خلفنا لم نظفر بحاجتنا وقد بينا معنى الرد على العقب وأن العرب تقول لكل طالب حاجة لم يظفر بها رد على عقبيه فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وانما يراد به في هذا الموضع ونرد من الاسلام الى الكفر بعد اذ هدانا الله فوفقنا له فيكون مثلنا في ذلك مثل الرجل الذي استتبعه الشيطان يهوي في الارض حيران وقوله استهوته استفعلته من قول القائل هوى فلان الى كذا يهوي اليه ومن قول الله تعالى ذكره فاجعل أفئدة

من الناس تهوي اليهم بمعنى تنزع اليهم وتريدهم وأما حيران فانه فعلان من قول القائل قد حار فلان في الطريق فهو يحار فيه حيرة وحيرانا وحيرورة وذلك اذا ضل فلم يهتد للمحجة له أصحاب يدعونه الى الهدى يقول لهذا الحيران الذي قد استهوته الشياطين في الارض أصحاب على المحجة واستقامة السبيل يدعونه الى المحجة لطريق الهدى الذي هم عليه يقولون له ائتنا وترك اجراء حيران لانه فعلان وكل اسم كان على فعلان مما أنثاه فعلى فانه لا يجري في كلام العرب في معرفة ولا نكرة وهذا مثل ضربه الله تعالى لمن كفر بالله بعد ايمانه فاتبع الشياطين من أهل الشرك بالله وأصحابه الذين كانوا أصحابه في حال اسلامه المقيمون على الدين الحق يدعونه الى الهدى الذي هم عليه مقيمون والصواب الذي هم به متمسكون وهو له مفارق وعنه زائل يقولون له ائتنا فكن معنا على استقامة وهدى وهو يأبى ذلك ويتبع دواعي الشيطان ويعبد الآلهة والأوثان وبمثل الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل وخالف في ذلك جماعة ذكر من قال في ذلك مثل ما قلنا حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قال قال المشركون للمؤمنين اتبعوا سبيلنا واتركوا دين محمد صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى ذكره قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا هذه الآلهة ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله فيكون مثلنا كمثل الذي استهوته الشياطين في الارض يقول مثلكم ان كفرتم بعد الايمان كمثل رجل كان مع قوم على الطريق فضل الطريق فحيرته الشياطين واستهوته في الارض وأصحابه على الطريق فجعلوا يدعونه اليهم يقولون ائتنا فانا على الطريق فأبى أن يأتيهم فذلك مثل من يتبعكم بعد المعرفة بمحمد ومحمد الذي يدعو الى الطريق والطريق هو الاسلام حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس قوله أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا قال هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعو اليها وللدعاة الذين يدعون الى الله كمثل رجل ضل عن الطريق اذ ناداه مناد يا فلان بن فلان هلم الى الطريق وله أصحاب يدعونه يا فلان هلم الى الطريق فان اتبع الداعي الاول انطلق به حتى يلقيه في الهلكة وان أجاب من يدعوه الى الهدى اهتدى الى الطريق وهذه الداعية التي تدعو في البرية من الغيلان يقول مثل من يعبد هؤلاء الآلهة من دون الله فانه يرى انه في شيء حتى يأتيه الموت فيستقبل الهلكة والندامة وقوله كالذي استهوته الشياطين في الارض وهم الغيلان يدعونه باسمه واسم أبيه واسم جده فيتبعها يرى أنه في شيء فيصبح وقد ألقته في الهلكة وربما أكلته أو تلقيه في مضلة من الارض يهلك فيها عطشا فهذا مثل من أجاب الآلهة التي تعبد من دون الله عز وجل حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة استهوته الشياطين في الارض قال أضلته في الارض حيران حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ما لا ينفعنا ولا يضرنا

تعالى عضو كما زعمت المجسمة ولكن المراد به التعظيم فقد يعبر به عن ذات الشيء أو حقيقته كما يقال هذا وجه الرأي وذاك وجه الدليل وأيضا المحبة تستلزم طلب رؤية الوجه فلهذا السبب جعل الوجه كناية عن المحبة وطلب الرضا ثم علل النهي بقوله (ما عليك من حسابهم من شيء) قيل الضمير عائد الى المشركين أي لا يؤاخذون بحسابك ولا أنت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويدعوك ذلك الى أن تطرد المؤمنين والاولى أن يعود الى الفقراء ليناسب قوله فتطردهم كما في قصة نوح ان حسابهم الا على ربي وذلك أنهم طعنوا في دينهم واخلاصهم وقالوا يا محمد انهم قبلوا دينك ولازموك لاجل المأكول والملبوس فقال الله تعالى ان كان الأمر على ما زعموا فما يلزمك الا اعتبار الظاهر ان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم لا يتعدى اليك كما أن حسابك لا يتعدى اليهم فالجملتان لهما مؤدى واحد وهو المفهوم من قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى كأنه قيل لا تؤاخذ أنت ولا هم بحساب صاحبه وقيل ما عليك من حساب رزقهم من شيء ولا من حساب رزقك عليهم من شيء وانما الرازق لك ولهم هو الله سبحانه فدعهم يكونوا عندك أما قوله (فتطردهم) فهو جواب النفي في ما عليك وفي انتصاب فتكون وجهان أحدهما أنه جواب النهي والثاني انه عطف على فتطردهم على وجه التسبب لان كونه ظالما معلوم من طردهم ومسبب عنه فان طرد من يستوجب التقريب والترحيب وضع للشيء في غير موضعه ومن هنا طعن بعض الناس في عصمة النبي صلى الله عليه وآله قالوا كان يقول كلما دخل أولئك الفقراء عليه بعد هذه الواقعة مرحبا بمن عاتبني ربي فيهم أو لفظا هذا معناه والجواب أنه ما طردهم لاجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم وانما أفرد لهم مجلسا تألفا لقلوب المشركين وتكثيرا لسواد الاسلام مع علمه بأنه لا يفوت الفقراء بهذه المصالحة أمر مهم في الدنيا ولا في الدين فغاية ذلك انه يكون من باب ترك الاولى والافضل (وكذلك) أي مثل ذلك الفتن العظيم (فتنا) ابتلينا بعض الناس ببعض واحد الفريقين وهم الكفار يرى الآخر مقدما عليه في المناصب الدينية فيقول (أهؤلاء) المسترذلون (من الله عليهم من بيننا) كقوله أألقي الذكر عليه من بيننا والفريق الآخر يرى الاول مقدما عليه في الخيرات العاجلة والخصب والسعة

والراحة والدعة فيقول أهذا هو الذي فضله الله علينا وأما المحققون فهم الذين يعلمون أن كل ما فعله الله فهو صواب ولا اعتراض عليه بحكم المالكية وبحسب رعاية الأصلح وبالجملة فصفات الكمال غير محصورة ولا تجتمع في انسان واحد البتة بل هي موزعة على الخلائق وكلها محبوبة لذاتها فكل انسان يحسد صاحبه على ما آتاه الله تعالى من صفة الكمال فمن عرف سر القدر رضي بنصيب نفسه وسكت عن التعرض لغيره وعاش عيشا طيبا في الدنيا والآخرة قال هشام بن الحكم لافتتان الاختبار والامتحان وفيه دليل على أنه تعالى لا يعلم الجزئيات الا عند حدوثها والجواب أنه يعامل المكلف معاملة المختبر وقد مر مرارا وقالت الأشاعرة في الآية دلالة على مسئلة خلق الأعمال لان تلك الفتنة التي ألقاها الله تعالى ليست الا اعتراضهم على الله والاعتراض عليه كفر فهو تعالى خالق للكفر وأيضا منة الله عليهم ليست الا بالايمان ومتابعة الرسول فلو كان الموجد للايمان هو العبد كان العبد هو المان على نفسه أجاب المعتزلة بأن معنى فتناهم ليقولوا خذلناهم حتى آل أمرهم الى أن قالوا فتكون اللام لام العاقبة وزيف بأنه عدول عن الظاهر مع أنا ننقل الكلام الى الخذلان فلا بد من الانتهاء اليه تعالى (أليس الله بأعلم بالشاكرين) عمن يصرف كل ما أنعم به عليه فيما أعطاه لاجله فيظهر أفعاله على حسب معلوم الله تعالى وقال في الكشاف أي الله أعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) قال عكرمة نزلت في الذين نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم وكان اذا رآهم بدأهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام وقال ماهان الحنفي أتى قوم النبي صلى الله عليه وآله فقالوا انا أصبنا ذنوبا عظاما وأظهروا الندامة والأسف لاصحابك فما قاله رد عليهم بشئ فلما ذهبوا وتولوا نزلت الآية قال في التفسير الكبير الأقرب أن تحمل الآية على عمومها فكل من آمن بآيات الله تعالى يدخل تحت هذا التشريف والاكرام ثم أبدى إشكالا وهو أن المفسرين اتفقوا على أن هذه السورة نزلت دفعة واحدة واذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن أن يقال في كل واحدة من جميع آي هذه السورة انها نزلت بسبب الأمر الفلاني قلت لا استبعاد

قال الأوثان حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى استهوته الشياطين في الارض حيران قال رجل حيران يدعوه أصحابه الى الطريق كذلك مثل من يضل بعد اذ هدي حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال ثنا رجل عن مجاهد قال حيران هذا مثل ضربه الله للكافر يقول الكافر حيران يدعوه المسلم الى الهدى فلا يجيب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا حتى بلغ لنسلم لرب العالمين علمها الله محمدا وأصحابه يخاصمون بها أهل الضلالة * وقال آخرون في تأويل ذلك بما حدثني به محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى فهو الرجل الذي لا يستجيب لهدى الله وهو رجل أطاع الشيطان وعمل في الارض بالمعصية وحار عن الحق وضل عنه وله أصحاب يدعونه الى الهدى ويزعمون أن الذي يأمرونه هدى يقول الله ذلك لاوليائهم من الانس ان الهدى هدى الله والضلالة ما تدعو اليه الجن فكأن ابن عباس على هذه الرواية يرى أن أصحاب هذا الحيران الذين يدعونه انما يدعونه الى الضلال ويزعمون أن ذلك هدى وان الله أكذبهم بقوله قل ان هدى الله هو الهدى لا ما يدعوه اليه أصحابه وهذا تأويل له وجه لو لم يكن الله سمى الذي دعا الحيران اليه أصحابه هدى وكان الخبر بذلك عن أصحابه الدعاة له الى ما دعوه اليه انهم هم الذين سموه ولكن الله سماه هدى وأخبر عن أصحاب الحيران أنهم يدعونه اليه وغير جائز أن يسمي الله الضلال هدى لأن ذلك كذب وغير جائز وصف الله بالكذب لان ذلك وصفه بما ليس من صفته وانما كان يجوز توجيه ذلك الى الصواب لو كان ذلك خبرا من الله عن الداعي الحيران انهم قالوا له تعال الى الهدى فأما وهو قائل يدعونه الى الهدى فغير جائز أن يكون ذلك وهم كانوا يدعونه الى الضلال وأما قوله ائتنا فان معناه يقولون ائتنا هلم الينا فحذف القول لدلالة الكلام عليه وذكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ذلك يدعونه الى الهدى بينا حدثنا بذلك ابن وكيع قال ثنا غندر عن شعبة عن أبي اسحق قال في قراءة عبد الله يدعونه الى الهدى بينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدا يقول في قراءة ابن مسعود له أصحاب يدعونه الى الهدى بينا قال الهدى الطريق انه بين واذا قرئ ذلك كذلك كان البين من صفة الهدى ويكون نصب البين على القطع من الهدى كأنه قيل يدعونه الى الهدى البين ثم نصب البين لما حذفت الألف واللام وصار نكرة من صفة المعرفة وهذه القراءة التي ذكرناها عن ابن مسعود تؤيد قول من قال الهدى في هذا الموضع هو الهدى على الحقيقة * القول في تأويل قوله (قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان القائلين

في أن تنزل السورة دفعة ويتنزل الصحابة كل آية منها على واقعة تناسبها كيف وهم أعرف بحقائق التنزيل وأعلم بدقائق التأويل لأنهم أهل مشاهدة الوحي وأرباب مزاولة الأمر والنهي * واعلم أن ما سوى الله تعالى فهو آيات وجود الله وأنها لا تكاد تنحصر فيجب على المكلف أن يكون مدة حياته كالسابح في تلك البحار والسائح في هذه القفار ليكون دائماً مترقياً في معارجها مترقباً أن تفيض عليه الأنوار من مدارجها فيستعد لبشارة سلام عليكم ويستأهل لكرامة كتب ربكم على نفسه الرحمة (فقل سلام عليكم) إما أن يكون أمراً بتبليغ سلام الله إليهم وإما أن يكون أمراً بأن يبدأهم بالسلام اكراماً لهم قال الزجاج سلام اما مصدر سلمت سلاما وتسليما مثل كلمت كلاما وتكليما ومعناه الدعاء بأن يسلم من الآفات في نفسه ودينه وإما أن يكون جمع سلامة وقيل السلام هو الله أي الله عليكم أي على حفظكم ولعل هذا الوجه انما يتأتى في المعرف لا في المنكر (كتب ربكم) من جملة المقول لهم تبشيراً بسعة رحمة الله وقبوله التوبة ومعنى كتب على نفسه أوجب على ذاته ايجاب الكرم لا ايجاباً يستحق بتركه الذم وقالت المعتزلة كونه عالماً بقبح القبائح وباستغنائه عنها يمنعه عن الاقدام عليها ولو فعل كان ظالماً وايجاب الرحمة ينافي القول بأنه منع الكافر من الايمان ثم أمره حال ذلك المنع بالايمان ثم يعذبه على ترك ذلك الايمان وأجيب بأنه فاعل لما يشاء ولا اعتراض عليه (أنه من عمل) من قرأ بالفتح فعلى الابدال من الرحمة ومن قرأ بالكسر فعلى الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل (منكم سوأ بجهالة) وهو في موضع الحال أي عمله وهو جاهل والمراد أنه فاعل فعل الجهال لأن من عمل ما يضره في العاقبة وهو عالم بذلك أو ظان فهو من أهل السفه لا من أهل الحكمة والتدبير أو لأنه جاهل بعاقبته ومن حق الحكيم أن لا يقدم على ما لا يعرف مآل حاله (ثم تاب من بعده) بأن يندم على ما فعله (وأصلح) العمل في المستقبل (فانه غفور) يزيل العقاب عنه (رحيم) يوصل الثواب إليه من قرأ بالكسر فعلى ان الجملة جزاء الشرط ومن قرأ بالفتح فعلى أن الخبر أو المبتدأ محذوف أي فغفرانه كائن أو فأمره أنه غفور قيل ان الآية نزلت في عمر حين أشار باجابة الكفرة إلى ما طلبوا ولم يعلم أنها مفسدة (وكذلك) أي كما فصلنا في هذه السورة دلائلنا على التوحيد والنبوة والقضاء والقدر (نفصل الآيات) وغير ذلك

لأصحابك اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم فإنا على هدى ليس الأمر كما زعمتم ان هدى الله هو الهدى يقول ان طريق الله الذي بينه لنا وأوضحه وسبيله الذي أمرنا بلزومه ودينه الذي شرعه لنا فبينه هو الهدى والاستقامة التي لا شك فيها لا عبادة الأوثان والأصنام التي لا تضر ولا تنفع فلا نترك الحق ونتبع الباطل وأمرنا لنسلم لرب العالمين يقول وأمرنا ربنا ورب كل شيء تعالى وجهه لنسلم له لنخضع له بالذلة والطاعة والعبودية فنخلص ذلك له دون ما سواه من الأنداد والآلهة وقد بينا معنى الاسلام بشواهده فيما مضى من كتابنا بما أغنى عن اعادته وقيل وأمرنا لنسلم بمعنى وأمرنا كي نسلم وأن نسلم لرب العالمين لأن العرب تضع كي واللام التي بمعنى كي مكان أن وأن مكانها * القول في تأويل قوله (وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون) يقول تعالى ذكره وأمرنا أن أقيموا الصلاة وإنما قيل وأن أقيموا الصلاة فعطف بأن على اللام من لنسلم لأن قوله لنسلم معناه أن نسلم فرد قوله وأن أقيموا على معنى لنسلم إذ كانت اللام التي في قوله لنسلم لاما لا تصحب إلا المستقبل من الأفعال وكانت أن من الحروف التي تدل على الاستقبال دلالة اللام التي في لنسلم فعطف بها عليها لاتفاق معنييهما فيما ذكرت فأن في موضع نصب بالرد على اللام وكان بعض نحويي البصرة يقول إما أن يكون ذلك أمرنا لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة يقول أمرنا كي نسلم كما قال وأمرت لأن أكون من المؤمنين أي إنما أمرت لذلك ثم قال وأن أقيموا الصلاة واتقوه أي أمرنا أن أقيموا الصلاة أو يكون أوصل الفعل باللام والمعنى أمرت أن أكون كما أوصل الفعل باللام في قوله هم لربهم يرهبون فتأويل الكلام وأمرنا باقامة الصلاة وذلك أداؤها بحدودها التي فرضت علينا واتقوه يقول واتقوا رب العالمين الذي أمرنا أن نسلم له فخافوه واحذروا سخطه بأداء الصلاة المفروضة عليكم والاذعان له بالطاعة واخلاص العبادة له وهو الذي إليه تحشرون يقول وربكم رب العالمين هو الذي إليه تحشرون فتجمعون يوم القيامة فيجازي كل عامل منكم بعمله وتوفى كل نفس ما كسبت * القول في تأويل قوله (وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأنداد الداعيك إلى عبادة الأوثان أمرنا لنسلم لرب العالمين الذي خلق السموات والأرض بالحق لا من لا ينفع ولا يضر ولا يسمع ولا يبصر * واختلف أهل التأويل في تأويل قوله بالحق فقال بعضهم معنى ذلك وهو الذي خلق السموات والأرض حقا وصوابا لا باطلا وخطأ كما قال تعالى ذكره وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا قالوا وأدخلت فيه الباء والألف واللام كما تفعل العرب في نظائر ذلك فتقول فلان يقول بالحق بمعنى أنه يقول الحق قالوا ولا شيء في قوله بالحق غير اصابته الصواب فيه لا أن الحق معنى غير القول وإنما هو صفة للقول إذا كان بها القول كان القائل موصوفا بالقول بالحق وبقول الحق قالوا كذلك خلق السموات والأرض حكمة من حكم الله فالله موصوف بالحكمة في خلقهما وخلق ما سواهما من سائر خلقه لا أن ذلك حق سوى خلقهما به

يعلمها ثم عدل عن التعجيب من كثرة المدركات الى التعجيب من صغر المدرك وخفائه فقال ولا حبة في ظلمات الارض وفي تخصيص الحبة والورقة تنبيه للمكلفين على أمر الحساب لانه اذا كان بحيث لا يهمل أمر الاشياء التي ليس لها ثواب ولا عقاب فلأن لا يهمل أمر المكلفين أولى ثم عاد الى ذكر القضية الكلية المجردة بعبارة أخرى فقال ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين قال في الكشاف ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كأنه قيل وما يسقط شيء من هذه الاشياء الا وهو يعلمه وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله أو اللوح قال علماء التفسير يجوز أن يكون الله جل شأنه أثبت كيفية المعلومات في كتاب من قبل أن يخلق الخلق لتقف الملائكة على نفاذ علمه في المعلومات وأنه لا يغيب عنه شيء فيكون في ذلك عبرة كاملة للملائكة الموكلين باللوح المحفوظ لانهم يقابلون به ما يحدث في العالم فيجدونه موافقا له أولا نه اذا كتب أحوال جميع الموجودات في ذلك الكتاب على التفصيل التام امتنع تغيرها والا لزم الكذب أو الجهل فتصير كتبة جملة الاحوال في ذلك الكتاب سببا تاما في أنه يمتنع تقدم ما تأخر وتأخر ما تقدم ثم لما بين كمال علمه أردفه ببيان كمال قدرته بقوله وهو الذي يتوفاكم أي يتوفى أنفسكم التي بها تقدرون على الادراك والتمييز وذلك أن الارواح الجسمانية تغور حالة النوم من الظاهر الى الباطن فتتعطل الحواس عن بعض الاعمال وأما عند الموت فتصير جملة البدن معطلة عن كل الاعمال فلهذا كان النوم أخا الموت فصح اطلاق لفظ الوفاة على النوم من هذا الوجه ويعلم ما جرحتم أي ما كسبتم من العمل بالنهار ومنه الجوارح للاعضاء وللسباع ثم يبعثكم فيه أي يرد اليكم أرواحكم بالنهار ويقال لا بل ليقضي أجل مسمى أي أعماركم المكتوبة ووقت الأجل فصل مدة عمر من غيره بالموت ثم لما ذكر أنه يميتهم أولا ثم يوقظهم ثانيا كان ذلك جاريا مجرى الاحياء بعد الاماتة فلا جرم استدل بذلك على صحة البعث في القيامة فقال ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم وجميع أحوالكم وأوقاتكم واعلم أن في هذه الآية اشكالا لان قوله ويعلم ما جرحتم بالنهار كان ينبغي أن يكون بعد قوله ثم يبعثكم فيه فان البعث في النهار مقدم على الكسب فيه بل على تعلق العلم بالكسب ويمكن

كما تقول العرب أكل طعامك عبد الله فتظهر اسم الآكل بعد أن قد جرى الخبر بما لم يسم آكله وذلك وان كان وجها غير مدفوع فان أحسن من ذلك أن يكون قوله عالم الغيب والشهادة مرفوعا على أنه نعت للذي في قوله وهو الذي خلق السموات والارض بالحق وروي عنه أيضا أنه كان يقول الصور في هذا الموضع النفخة الاولى حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة يعني بالصور النفخة الاولى ألم تسمع أنه يقول ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى يعني الثانية فاذا هم قيام ينظرون ويعني بقوله عالم الغيب والشهادة عالم ما تعاينون أيها الناس فتشاهدونه وما يغيب عن حواسكم وأبصاركم فلا تحسونه ولا تبصرونه وهو الحكيم في تدبيره وتصريفه خلقه من حال الوجود الى العدم ثم من حال العدم والفناء الى الوجود ثم في مجازاتهم بما يجازيهم به من ثواب أو عقاب خبير بكل ما يعملونه ويكسبونه من حسن وسيء حافظ ذلك عليهم ليجازيهم على كل ذلك يقول تعالى ذكره فاحذروا أيها العادلون بربكم عقابه فانه عليم بكل ما تأتون وتذرون وهو لكم من وراء الجزاء على ما تعملون ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ واذ قال ابراهيم لأبيه آزر ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد لحاجك الذي تحاج به قومك وخصومتك اياهم في آلهتهم وما تراجعهم فيها مما نلقيه اليك ونعلمكه من البرهان والدلالة على باطل ما عليه قومك مقيمون وصحة ما أنت عليه مقيم من الدين وحقيقة ما أنت عليهم محتج حجاج ابراهيم خليلي قومه ومراجعته اياهم في باطل ما كانوا عليه مقيمين من عبادة الاوثان وانقطاعه الى الله والرضا به والياً وناصراً دون الاصنام فاتخذه اماما واقتد به واجعل سيرته في قومه لنفسك مثالا اذ قال لأبيه مفارقا لدينه وعائبا عبادته الاصنام دون بارئه وخالقه يا آزر ثم اختلف أهل العلم في المعنى بآزر وما هو واسم أم صفة وان كان اسما فمن المسمى به فقال بعضهم هو اسم أبيه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي واذ قال ابراهيم لأبيه آزر قال اسم أبيه آزر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثني محمد بن اسحق قال آزر أبو ابراهيم وكان فيما ذكر لنا والله أعلم رجلا من أهل كوثى من قرية بالسواد سواد الكوفة حدثني ابن البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال سمعت سعيد بن عبد العزيز يذكر قال هو آزر وهو تارح مثل اسرائيل ويعقوب وقال آخرون انه ليس أبا ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن حميد وسفيان ابن وكيع قالا ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال ليس آزر أبا ابراهيم حدثني الحرث قال ثني عبد العزيز قال ثنا الثوري قال أخبرني رجل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واذ قال ابراهيم لابيه آزر قال آزر لم يكن بأبيه انما هو صنم حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال آزر اسم صنم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال واذ قال ابراهيم لابيه آزر قال اسم أبيه ويقال لا بل اسمه

أن يجاب بان المراد و يعلم ماجرحتم فى النهار الماضى بدليل قوله جرحتم دون تجرحون ثم يبعثكم فى النهار الآتى والغرض بيان احاطة علمه
وقدرته بالزمانين المحيطين بالليل ولعل صاحب الكشاف لمكان هذا الاشكال عدل عن هذا التفسير الى أن قال وهو الذى يتوفاكم بالليل
والخطاب للكفرة أى أنتم منسدحون الليل كالجيف والانسداح الانبطاح أو الاستلقاء و يعلم ماجرحتم بالنهار ما كسبتم من الآثام فيه ثم
يبعثكم من القبور فيه أى فى شأن ذلك الذى قطعتم به أعماركم من

النوم بالليل وكسب الآثام فى النهار ومن أجله

اسمه تارح واسم الصنم آزر يقول أتتخذ آزر أصناما آلهة * وقال آخرون هو سب وعيب بكلامهم ومعناه معوج كأنه تأول أنه عابه بزيغه واعوجاجه عن الحق واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار واذقال ابراهيم لابيه آزر بفتح آزر على اتباعه الاب فى الخفض ولكنه لما كان اسما أعجميا فتحوه اذلم يجروه وان كان فى موضع خفض وذكر عن أبى يزيد المدنى والحسن البصرى أنهما كانا يقرآن ذلك آزر بالرفع على النداء بمعنى يا آزر فأما الذى ذكر عن السدى من حكايته أن آزر اسم صنم وانما نصبه بمعنى أتتخذ آزر أصناما آلهة فقول من الصواب من جهة العربية بعيد وذلك أن العرب لاتنصب اسما بفعل بعد حرف الاستفهام لاتقول أخاك أكلمت وهى تريد أكلمت أخاك والصواب من القراءة فى ذلك عندى قراءة من قرأ بفتح الراء من آزر على اتباعه اعراب الاب وأنه فى موضع خفض ففتح اذلم يكن جاريا لأنه اسم عجمى وانما أجيزت قراءة ذلك كذلك لاجماع الحجة من القراء عليه واذ كان ذلك هو الصواب من القراءة وكان غير جائز أن يكون منصوبا بالفعل الذى بعد حرف الاستفهام صح لك فتحه من أحد وجهين اما أن يكون اسما لابى ابراهيم صلوات الله عليه وعلى جميع أنبيائه ورسله فيكون فى موضع خفض ردا على الاب ولكنه فتح لما ذكرت من أنه لما كان اسما أعجميا ترك اجراؤه ففتح كما فتح العرب فى أسماء العجم أو يكون نعتاله فيكون أيضا خفضا بمعنى تكرير اللام عليه ولكنه لما خرج مخرج أحمر وأسود ترك اجراؤه وفعل به كما يفعل بأشكاله فيكون تأويل الكلام حينئذ واذقال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة وان لم يكن له وجهة فى الصواب الا أحد هذين الوجهين فأولى القولين بالصواب منهما عندى قول من قال هو اسم أبيه لان الله تعالى أخبر أنه أبوه وهو القول المحفوظ من قول أهل العلم دون القول الآخر الذى زعم قائله أنه نعت فان قال قائل فان أهل الانساب انما ينسبون ابراهيم الى تارح فكيف يكون آزر اسما له والمعروف به من الاسم تارح قيل له غير محال أن يكون كان له اسمان كما لكثير من الناس فى دهرنا هذا وكان ذلك فيما مضى لكثير منهم وجائز أن يكون لقبا والله تعالى أعلم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أتتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل ابراهيم لابيه آزر أنه قال أتتخذ أصناما آلهة تعبدها وتتخذها ربا دون الله الذى خلقك فسواك ورزقك والاصنام جمع صنم والصنم التمثال من حجر أو خشب أو من غير ذلك فى صورة انسان وهو الوثن وقد يقال للصورة المصورة على صورة الانسان فى الحائط وغيره صنم ووثن انى أراك وقومك فى ضلال مبين يقول انى أراك يا آزر وقومك الذين يعبدون معك الاصنام و يتخذونها آلهة فى ضلال يقول فى زوال عن محجة الحق وعدول عن سبيل الصواب مبين يقول يتبين لمن أبصره انه جور عن قصد السبيل و زوال عن محجة الطريق القويم يعنى بذلك أنه قد ضل هو وهم عن توحيد الله وعبادته الذى استوجب عليهم اخلاص العبادة له بآلائه عندهم دون غيره من الآلهة والاوثان ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض

كقولك فيم دعوتنى فيقول فى أمر كذا ليقضى أجل مسمى وهو الاجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب والأصوب عندى أن يقال الخطاب عام وكذا الكسب فى النهار فينبغى أن لا يقيد بالآثام أما الضمير فى فيه فيكون جاريا مجرى اسم الاشارة الى الكسب والبعث هو البعث من القبور الى آخر ما قال والله أعلم بالتأويل ﴿وأنذر به أى بهذه الحقائق والمعانى الذين يخافون أى يرجون أن يحشروا الى ربهم بجذبات العناية و يتحقق لهم أن ليس لهم فى الوصول الى الله من دونه ولى من الاولياء ولا شفيع يعنى من الانبياء لان الوصول لا يمكن الا بجذبات الحق ولا تطرد الذين يدعون أخبر عن الفقراء أنهم جلساؤه بالغداة والعشى كما قال أنا جليس من ذكرنى فلا تطردهم عن مجالستك فانهم يطلبونى فى متابعتك لا يريدون الدنيا ولا الآخرة ولكن يريدون وجهه

وكل له سؤل ودين ومذهب *
ووصلكم سؤلى ودينى رضاكم

قال المحققون الارادة اهتياج يحصل فى القلب يسلب القرار من العبد حتى يصل الى الله فصاحب الارادة لا يهدأ ليلا ولا نهارا ولا يجد من دون الوصول الى الله سبحانه سكونا ولا قرارا ما عليك من حسابهم من شئ يعنى الذى لنا معك فى الحساب من المواصلة والتوحيد فى الخلوة فانهم ليسوا فى شئ من ذلك ليكون عليك ثقلا ومامن حسابك عليهم من شئ أى الذى لنا معهم فى الحساب من التفرد للوصول والوصال ليس لك الى ذلك حاجة ليثقل عليهم فتطردهم فتكسر قلوبهم بالطرد فتكون من الظالمين بوضع الكسر مقام الجبر فانك بعثت لجبر قلوبهم لا لكسر قلوبهم كقوله واخفض جناحك للمؤمنين (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) ليشكر الفاضل وليصبر المفضول فيستويان فى الفضل فلهذا قيل لسليمان ولايوب كليهما نعم

العبد مع قدم سليمان على أسباب الطاعة وعجز أيوب عنها ومن فتنة الفاضل في المفضول رؤية فضله على المفضول أو تحقيره ومنع حقه عنه في
فضله ومن فتنة المفضول في الفاضل حسده على فضله وسخطه عليه في منع حقه من فضله عنه فان المعطي والمانع هو الله ومنها أن لا يرى
الفاضل تحمل المفضل ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا فقل سلام عليكم انه سبحانه من كمال فضله على الفقراء جعلهم محمل الاكابر
والملوك في الدنيا فقال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم كن مبتدئا بالسلام عليهم وفي الآخرة فألهم الملائكة أن

وليكون من الموقنين ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله وكذلك وكما أريناه البصيرة في دينه والحق في خلاف ما كانوا عليه من الضلال نريه ملكوت السموات والارض يعني ملكه وزيدت فيه التاء كما زيدت في الجبروت من الجبر وكما قيل رهبوت خير من رحموت بمعنى رهبة خير من رحمة وحكي عن العرب سماعا له ملكوت اليمن والعراق بمعنى له ملك ذلك ﴿ واختلف أهل التأويل في تأويل قوله نري ابراهيم ملكوت السموات والارض فقال بعضهم معنى ذلك نريه خلق السموات والارض ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله نري ابراهيم ملكوت السموات والارض أي خلق السموات والارض حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض أي خلق السموات والارض وليكون من الموقنين حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض يعني بملكوت السموات والارض خلق السموات والارض * وقال آخرون معنى الملكوت الملك بنحو التأويل الذي تأولناه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عمر بن أبي زائدة قال سمعت عكرمة وسأله رجل عن قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض قال هو الملك غير أنه بكلام النبط ملكوتا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن ابن أبي زائدة عن عكرمة قال هي بالنبطية ملكوتا * وقال آخرون معنى ذلك آيات السموات والارض ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السري قال ثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد نري ابراهيم ملكوت السموات والارض قال آيات السموات والارض حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض قال آيات حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض قال تفرجت لابراهيم السموات السبع حتى العرش فنظر فيهن وتفرجت له الارضون السبع فنظر فيهن حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين قال أقيم على صخرة وفتحت له السموات فنظر الى ملك الله فيها حتى نظر الى مكانه في الجنة وفتحت له الارضون حتى نظر الى أسفل الارض فذلك قوله وآتيناه أجره في الدنيا يقول آتيناه مكانه في الجنة ويقال أجره الثناء الحسن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض قال فرجت له السموات فنظر الى ما فيهن حتى انتهى بصره الى العرش وفرجت له الارضون السبع فنظر ما فيهن حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن سالم عن سعيد بن جبير وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض قال كشف له عن أديم السموات والارض حتى نظر اليهن على صخرة والصخرة على حوت

يسلموا عليهم في الجنة سلام عليكم طبتم بل سلم بذاته عليهم سلام قولا من رب رحيم وكل ذلك نتيجة سلامتهم من ظلمة الخلقة باصابة رشاش النور في الازل فلهذا قال كتب ربكم على نفسه الرحمة أي الرحمة الخاصة كما خص الخضر في قوله وآتيناه رحمة من عندنا والرحمة العامة كما في الحديث الرباني للجنة انما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي أنه من عمل منكم أي من المؤمنين سوأ بجهالة أي بجهالة الجهولية التي حمل الانسان عليها لا بجهالة الضلالة التي هي نتيجة اخطاء النور فان هذه لا توبة لها ثم تاب من بعده أي رجع الى الله بقدم السير من بعد افساد الاستعداد الفطري وأصلح الاستعداد بالاعمال الصالحة لقبول الفيض قل اني نهيت في الازل باصابة النور المرشش ما عندي ما تستعجلون به من عبادة الهوى لقضي الامر بيني أي أمر القتال والخصومات ولاسترحت من أذيتكم لان الشئ انما ينفعل عن ضده لا عن شبهه وعنده مفاتح الغيب يعني العلوم العقلية التي هي سبب فتح باب صور عالم الشهادة كالنقاش ينشئ الصور في ذهنه ثم يصورها في الخارج وانما وحد الغيب وجمع المفاتح لان عالم الغيب عالم التكوين وهو واحد في جميع الاشياء وفي الملكوت كثرة يعلم التكوين ويعلم ما في البر وهو عالم الشهادة والبحر وهو عالم الغيب وبهذا العلم ما تسقط من ورقة عن شجرة الوجود الا يعلمها لانه مكونها ومسقطها ولا حبة هي حبة الروح في ظلمات صفات أرض النفس أو حبة المحبة في ظلمات أرض القلب ولا رطب ولا يابس الرطب المؤمن واليابس ما سيصير موجودا وما قد صار أو الرطب الروحانيات واليابس الجمادات أو الرطب المؤمن واليابس الكافر أو الرطب العالم واليابس الجاهل أو الرطب العارف واليابس الزاهد أو الرطب أهل المحبة واليابس أهل السلوة أو الرطب

صاحب الشهود واليابس صاحب الوجود أو الرطب الباقي بالله واليابس الباقي بنصيبه وهو الذي يتوفاكم بالليل ليل القضاء ويعلم ما جرحتم
بالنهار نهار القدر أو الليل ليل صفات البشرية والنهار نهار الشهود في عالم الوحدة ﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء
أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر
تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون

والحوت على خاتم رب العزة لا اله الا الله حدثنا هناد وابن وكيع قالا ثنا أبو معاوية عن عاصم
عن أبي عثمان عن سلمان قال لما رأى ابراهيم ملكوت السموات والارض رأى عبدا على فاحشة
فدعا عليه فهلك ثم رأى آخر على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم رأى آخر على فاحشة فدعا عليه فهلك
فقال أنزلوا عبدي لا يهلك عبادي حدثنا هناد قال ثنا قبيصة عن سفيان عن طلحة بن عمرو
عن عطاء قال لما رفع الله ابراهيم في الملكوت في السموات أشرف فرأى عبدا يزني فدعا عليه فهلك
ثم رفع فأشرف فرأى عبدا يزني فدعا عليه فهلك ثم رفع فأشرف فرأى عبدا يزني فدعا عليه فنودي
على رسلك يا ابراهيم فانك عبد مستجاب لك واني من عبدي على ثلاث اما أن يتوب الي فأتوب عليه
واما أن أخرج منه ذرية طيبة واما أن يتمادى فيما هو فيه فأنا من ورائه حدثنا ابن بشار قال ثنا
ابن أبي عدي ومحمد بن جعفر وعبد الوهاب عن عوف عن أسامة أن ابراهيم خليل الرحمن حدث
نفسه أنه أرحم الخلق وأن الله رفعه حتى أشرف على أهل الارض فأبصر أعمالهم فلما رآهم يعملون
بالمعاصي قال اللهم دمر عليهم فقال له ربه أنا أرحم بعبادي منك اهبط فلعلهم أن يتوبوا الي
ويرجعوا * وقال آخرون بل معنى ذلك ما أخبر تعالى أنه أراه من النجوم والقمر والشمس ذكر من قال
ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن جويبر عن الضحاك وكذلك نري ابراهيم
ملكوت السموات والارض قال الشمس والقمر والنجوم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن
قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض قال الشمس
والقمر حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن
عباس قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض يعني به نريه الشمس والقمر والنجوم
حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال خبئ ابراهيم عليه السلام
من جبار من الجبابرة فجعل له رزقه في أصابعه فاذا مص اصبعا من أصابعه وجد فيها رزقا فلما خرج
أراه الله ملكوت السموات والارض فكان ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت
الارض الجبال والشجر والبحار حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن نبي الله
ابراهيم عليه السلام فر به من جبار مترف فجعل في سرب وجعل رزقه في أطرافه فجعل لا يمص أصبعا
من أصابعه الا وجد فيها رزقا فلما خرج من ذلك السرب أراه الله ملكوت السموات فأراه شمسا وقمرا
ونجوما وسحابا وخلقا عظيما وأراه ملكوت الارض فأراه جبالا وبحورا وأنهارا وشجرا ومن
كل الدواب وخلقا عظيما * وأولى الاقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال عنى الله تعالى
بقوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض أنه أراه ملك السموات والارض وذلك ما خلق
فيهما من الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وغير ذلك من عظيم سلطانه فيهما وجلى له
بواطن الامور وظواهرها لما ذكرنا قبل من معنى الملكوت في كلام العرب فيما مضى قبل وأما
قوله وليكون من الموقنين فانه يعني أنه أراه ملكوت السموات والارض ليكون ممن يتوحد
بتوحيد الله ويعلم حقيقة ما هداه له وبصره اياه من معرفة وحدانيته وما عليه قومه من الضلالة من

قل هو القادر على أن يبعث عليكم
عذابا من فوقكم أو من تحت
أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق
بعضكم بأس بعض انظر كيف
نصرف الآيات لعلهم يفقهون
وكذب به قومك وهو الحق قل لست
عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف
تعلمون واذا رأيت الذين يخوضون
في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا
في حديث غيره واما ينسينك
الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى
مع القوم الظالمين وما على الذين
يتقون من حسابهم من شئ ولكن
ذكرى لعلهم يتقون وذر الذين
اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم
الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل
نفس بما كسبت ليس لها من دون
الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل
عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين
أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من
حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون
قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا
ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ
هدانا الله كالذي استهوته الشياطين
في الارض حيران له أصحاب
يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى
الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب
العالمين وأن أقيموا الصلاة واتقوه
وهو الذي اليه تحشرون وهو الذي
خلق السموات والارض بالحق

ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب
والشهادة وهو الحكيم الخبير﴾ القراآت توفته واستهوته بامالة حمزة الباقون بتاء التأنيث قل من ينجيكم من الانجاء سهل ويعقوب
وعباس الباقون بالتشديد وخفية بالكسر حيث كان أبو بكر وحماد الباقون بالضم أنجانا بامالة حمزة وعلي وخلف أنجانا بدون الامالة عاصم
الباقون أنجيتنا قل الله ينجيكم بالتشديد يزيد وحمزة وخلف وعاصم وهشام الباقون بالتخفيف بعض انظر وأشباه ذلك بكسر التنوين

أبو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وابن شنبوذ عن أهل مكة وابن ذكوان ينسينك بالتشديد ابن عامر * الوقوف حفظة ط لا يفرطون
ه الحق ط الحاسبين ه وخفية ط لاحتمال الاضمار أي يقولون لئن أنجيتنا وتعلق لئن بمعنى القول في تدعونه أصح الشاكرين ه
تشركون ه بأس بعض ط يفقهون ه وهو الحق ط بوكيل ه مستقر ط للابتداء بسوف على التهديد مع شدة اتصال المعنى يعلمون
ه غيره ج الظالمين ه يتقون ه ولا شفيع (١٦٢) ط للشرط مع العطف بما كسبوا الا لانقطاع النظم مع اتصال المعنى أو لاحتمال
أن يكون الذين صفة أولئك وقوله لهم شراب خبر الهدى ائتنا ج هو الهدى ط العالمين لا لان التقدير وأمرنا بأن أقيموا الصلاة واتقوه ط تحشرون ه بالحق ط فيكون ط في الصور ط والشهادة ط الخبير ه (التفسير) من الدلائل الدالة على كمال قدرته وحكمته قوله وهو القاهر فوق عباده والمراد منه الفوقية بالقدرة والتسخير كما يقال أمر فلان فوق أمر فلان أي أنه أعلى وأنفذ منه ولا ريب أن الممكنات بأسرها تحت تصرف الواجب ينقلها من حيز العدم الى حالة الوجود وبالعكس ويتصرف فيها كيف يشاء علويات كن أو سفليات ذوات أو صفات نفوسا أو أبدانا أخلاطا وأركانا ومن جملة قهره ارسال الحفظة وهي جمع حافظ على عبيده بضبط أعمالهم من الطاعات والمعاصي والمباحات لانهم مطلعون على أقوال بني آدم لقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وعلى أفعالهم بقوله يعلمون ما تفعلون وأما صفات القلوب كالجهل والعلم فليس في الآيات ما يدل على اطلاعهم عليها وعن ابن عباس ان مع كل انسان ملكين أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره فاذا تكلم الانسان بحسنة كتبها من على اليمين واذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار
انتظر لعله يتوب عنها فان لم يتب كتب عليه قالت العلماء من فوائد هذه الكتبة أن المكلف وإ
ذا علم أن الملائكة الموكلين عليه يكتبون أعماله في صحائف تعرض على رؤس الاشهاد في مواقف القيامة كان ذلك أزجر له عن القبائح
ومنها أن توزن تلك الصحائف يوم القيامة فان وزن الاعمال غير ممكن ومنها التعبد فعلى المكلف أن يؤمن بكل ما ورد به الشرع وان لم يعرف
وجه الحكمة في بعض ذلك وقال بعض الحكماء الحفظة النفوس والقوى الجسمانية التي تحفظ الاركان مع طبائعها المتضادة على امتزاجها

عبادتهم الاصنام واتخاذهم اياها آلهة دون الله تعالى وكان ابن عباس يقول في تأويل ذلك
ما حدثني به محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن
عباس قوله وليكون من الموقنين انه جلى له الامر سره وعلانيته فلم يخف عليه شئ من أعمال
الخلائق فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب قال الله انك لا تستطيع هذا فرده الله كما كان قبل
ذلك فتأويل ذلك على هذا التأويل أريناه ملكوت السموات والارض ليكون ممن يوقن علم
كل شئ حسا لا خبرا حدثني العباس بن الوليد قال أخبرني أبي قال ثنا أبو جابر قال وحدثنا
الاوزاعي أيضا قال ثني خالد الجلاج قال سمعت عبد الرحمن بن عياش يقول صلى بنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات غداة فقال له قائل ما رأيت أسعد منك الغداة قال ومالي وقد أتاني ربي
في أحسن صورة فقال ففيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت أنت أعلم فوضع يده بين كتفي فعلمت
ما في السموات والارض ثم تلا هذه الآية وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون
من الموقنين ۞ القول في تأويل قوله (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال
لا أحب الآفلين) يقول تعالى ذكره فلما واراه الليل وجنه يقال منه جن عليه الليل وجنه الليل
وأجنه وأجن عليه واذا ألقيت على كان الكلام بالألف أفصح منه بغير الالف أجنه الليل أفصح
من أجن عليه وجن عليه الليل أفصح من جنه وكل ذلك مقبول مسموع من العرب وجنه الليل
في أسد وأجنه وجنه في تميم والمصدر من جن عليه جنا وجنونا وجنانا ومن أجن اجنانا ويقال أتى
فلان في جن الليل والجن من ذلك لانهم استجنوا عن أعين بني آدم فلا يرون وكل ما توارى عن
أبصار الناس فان العرب تقول فيه قد جن ومنه قول الهذلي

وماء وردت قبيل الكرى * وقد جنه السدف الادهم

وقال عبيد

وخرق يصيح البوم فيه مع الصدى * مخوف اذا ما جنه الليل مرهب

ومنه أجننت الميت اذا واريته في اللحد وجننته وهو نظير جنون الليل في معنى غطيته ومنه قيل
للترس مجن لانه يجن من استجن به فيغطيه ويواريه وقوله رأى كوكبا يقول أبصر كوكبا حين طلع
قال هذا ربي فروي عن ابن عباس في ذلك ما حدثني به المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني
معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات
والارض وليكون من الموقنين يعني به الشمس والقمر والنجوم فلما جن عليه الليل رأى كوكبا
قال هذا ربي فعبده حتى غاب فلما غاب قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي
فعبده حتى غاب فلما غاب قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس
بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فعبدها حتى غابت فلما غابت قال يا قوم اني بريء مما تشركون
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال
هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين علم أن ربه دائم لا يزول فقرأ حتى بلغ هذا ربي هذا أكبر

وقال بعض القدماء منهم النفوس البشرية والارواح السفلية مختلفة بجواهرها متباينة بماهياتها فبعضها خيرة وبعضها شريرة وكذا القول في الذكاء والبلادة والحرية والنذالة والشرف والخساسة ولكل طائفة من هذه الارواح السفلية روح سماوي هو لها كالاب المشفق والسيد الرحيم يعينها على مهماتها في يقظتها ومنامها على سبيل الرؤيا تارة وعلى سبيل الالهامات أخرى فالارواح الخيرة لها مباد من عالم الافلاك وكذا الارواح الشريرة وتلك المبادي في مصطلحهم تسمى بالطباع التام لان تلك الارواح في تلك الطبائع والاخلاق

وأي خلق هو أكبر من الخلقين الاولين وأنور وكان سبب قيل ابراهيم ذلك ماحدثني به محمد ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثني محمد بن اسحق فيما ذكر لنا والله أعلم أن آزر كان رجلا من أهل كوثى من قرية بالسواد سواد الكوفة وكان اذ ذاك ملك المشرق لنمرود بن كنعان فلما أراد الله أن يبعث ابراهيم حجة على قومه ورسولا الى عباده ولم يكن فيما بين نوح وابراهيم نبي الا هود وصالح فلما تقارب زمان ابراهيم الذي أراد الله ما أراد أتى أصحاب النجوم نمرود فقالوا له تعلم أنا نجد في علمنا أن غلاما يولد في قريتك هذه يقال له ابراهيم يفارق دينكم و يكسر أوثانكم في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا فلما دخلت السنة التي وصف أصحاب النجوم لنمرود بعث نمرود الى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها عنده الا ما كان من أم ابراهيم امرأة آزر فانه لم يعلم بحبلها وذلك أنها كانت امرأة حدبة فيما يذكر لم يعرف الحبل في بطنها ولما أراد الله أن يبلغ بولدها أراد أن يقتل كل غلام ولد في ذلك الشهر من تلك السنة حذرا على ملكه فجعل لا تلد امرأة غلاما في ذلك الشهر من تلك السنة الا أمر به فذبح فلما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة كانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم وأصلحت من شأنه ما يصنع مع المولود ثم سدت عليه المغارة ثم رجعت الى بيتها ثم كانت تطالعه في المغارة فتنظر ما فعل فتجده حيا يمص ابهامه يزعمون والله أعلم أن الله جعل رزق ابراهيم فيها وما يجيئه من مصه وكان آزر فيما يزعمون سأل أم ابراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها فسكت عنها وكان اليوم فيما يذكرون على ابراهيم في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يلبث ابراهيم في المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال لامه أخرجيني أنظر فأخرجته عشاء فنظر وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي ما لي اله غيره ثم نظر في السماء فرأى كوكبا قال هذا ربي ثم اتبعه ينظر اليه ببصره حتى غاب فلما أفل قال لا أحب الآفلين ثم طلع القمر فرآه بازغا قال هذا ربي ثم اتبعه بصره حتى غاب فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما دخل عليه النهار وطلعت الشمس أعظم الشمس ورأى شيأ هو أعظم نورا من كل شئ رآه قبل ذلك فقال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين ثم رجع ابراهيم الى أبيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبرئ من دين قومه الا أنه لم يبادئهم بذلك وأخبر أنه ابنه وأخبرته أم ابراهيم أنه ابنه وأخبرته بما كانت صنعت من شأنه فسر بذلك آزر وفرح فرحا شديدا وكان آزر يصنع أصنام قومه التي يعبدون ثم يعطيها ابراهيم يبيعها فيذهب بها ابراهيم فيما يذكرون فيقول من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها منه أحد واذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فضرب فيه رؤسها وقال اشربي استهزاء بقومه وما هم عليه من الضلالة حتى فشا عيبه اياها واستهزاؤه بها في قومه وأهل قريته من غير أن يكون ذلك بلغ نمرود الملك وأنكر قوم من غير أهل الرواية هذا القول الذي روي عن ابن عباس وعمن روي عنه من أن ابراهيم قال للكوكب أو للقمر هذا ربي وقالوا غير جائز أن يكون لله نبي ابتعثه بالرسالة أتى

تامة كلها وهذه الارواح السفلية المتولدة منها أضعف منها الان المعلول في كل باب أضعف من علته ولاصحاب الطلسمات والعزائم في هذا الباب كلام كثير وقيل ان النفوس المفارقة تميل الى ما يناسبها و يساويها في الطبيعة والماهية من النفوس المتعلقة بالابدان فتحفظها وتعينها (حتى اذا جاء أحدكم الموت) أي وقته أو أماراته توفته رسلنا أي باذننا وتفويضنا فالمتوفي بالحقيقة هو الله تعالى كما قال الله يتوفى الانفس حين موتها وهؤلاء الرسل أتباع ملك الموت في قوله يتوفاكم ملك الموت وهل هم الحفظة بأعيانهم أم غيرهم فيه قولان أشهرهما الثاني لكون ملائكة الروح والريحان وهم الريحانيون غير ملائكة الكرب والاحزان وهم الكروبيون وعن مجاهد جعلت الارض مثل الطست لملك الموت يتناول من يتناوله وما من أهل بيت الا و يطوف عليهم في كل يوم مرتين (وهم لا يفرطون) لا يقصرون فيما أمرهم الله تعالى به وفيه مدح لهم بالعصمة (ثم ردوا الى الله) أي الى حكمه وجزائه (مولاهم الحق) صفتان والضمير في ردوا اما للملائكة يعني كما يموت بنو آدم يموت أولئك الملائكة أو الى البشر أي انهم بعد موتهم يردون الى الله تعالى والمعنى أنهم كانوا في الدنيا تحت

تصرفات الموالي الباطلة وهي النفس والشهوة والغضب فاذا ماتوا انتقلوا الى تصرف المولى الحق وفيه اشعار بأن الانسان شئ آخر وراء هذا الهيكل المحسوس فان هذا الهيكل يبقى ميتا والانسان مردود اليه تعالى وفي لفظ الرد اشارة الى أن الروح كان موجودا قبل البدن وقد تعلق به زمانا ثم رد الى موضعه الاصلي وهو عالم الارواح بجذبة ارجعي الى ربك (ألا له الحكم) كقوله ان الحكم الا لله (وهو أسرع الحاسبين) حسابا قيل انه تعالى يحاسب الخلق بنفسه دفعة واحدة فلا يشغله كلام عن كلام وقيل يحاسب كل انسان واحد من الملائكة باذن الله تعالى

عليـه وقت من الاوقات وهو بالغ الا وهو لله موحد وبه عارف ومن كل ما يعبد من دونه برىء قالوا ولوجاز أن يكون قد أتى عليـه بعض الاوقات وهو به كافر لم يجز أن يختصه بالرسالة لانه لا معنى فيه الا وفى غيره من أهل الكفر به مثـله وليس بين الله وبين أحد من خلقه مناسبة فيحابيه باختصاصه بالكرامة قالوا وانما أكرم من أكرم منهم لفضـله فى نفسـه فأثابه لاستحقاقه الثواب بما أثابه من الكرامة وزعموا أن خبر الله عن قيل ابراهيم عند رؤيته الكوكب أو القمر أو الشمس هذا ربى لم يكن لجهـله بان ذلك غير جائز أن يكون ربه وانما قال ذلك على وجه الانكار منه أن يكون ذلك ربه وعلى العيب لقومـه فى عبادتهم الاصـنام اذ كان الكوكب والقمر والشمس أضـوأ وأحسن وأبهج من الاصـنام ولم تكن مع ذلك معبودة وكانت آفلة زائلة غـير دائمة والاصنام التى دونها فى الحسن وأصـغر منها فى الجسم أحق أن لا تكون معبودة ولا آلهة قالوا وانما قال ذلك لهـم معارضة كما يقول أحد المتناظرين لصاحبه معارضاله فى قول باطل قال به بباطل من القول على وجه مطالبته اياه بالفرقان بين القولين الفاسدين عنده اللذين يصحح خصمه أحدهما ويدعى فساد الآخر وقال آخرون منهم بل ذلك كان منه فى حال طفوليته وقبل قيام الحجة عليه وتلك حال لا يكون فيها كفر ولا ايمان وقال آخرون منهم وانما معنى الكلام أهذا ربى على وجه الانكار والتوبيخ أى ليس هذا ربى وقالوا قد تفعل العرب مثـل ذلك فتحذف الالف التى تدل على معنى الاستفهام وزعموا أن من ذلك قول الشاعر

رفونى وقالوا ياخويلد لا ترع * فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

يعنى أهم هم قالوا ومن ذلك قول أوس

لعمرك ما أدرى وان كنت داريا * شعيب بن سهم أو شعيب بن منقر

يعنى أشعيب بن سهم فحذف الالف ونظائر ذلك وأما تذكير هذا فى قوله فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى فانما هو على معنى هذا الشئ الطالع ربى وفى خبر الله تعالى عن قيل ابراهيم حين أفل القـمر لئن لم يهـدنى ربى لأكونن من القوم الضالين الدليـل على خطا هـذه الاقوال التى قالها هؤلاء القوم وأن الصواب من القول فى ذلك الاقرار بخبر الله تعالى الذى أخبر به عنه والاعراض عما عداه وأما قوله فلما أفل فان معناه فلما غاب وذهب كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضـل قال قال ابن اسحق الافول الذهاب يقال منـه أفل النجم يأفل ويافل أفولا وأفلا اذا غاب ومنه قول ذى الرمة

مصابيح ليست باللواتى يقودها * نجوم ولا بالآفلات الدوالك

ويقال أين أفلت عنا بمعنى أين غبت عنا ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهـدنى ربى لأكونن من القوم الضالين﴾ يقول تعالى ذكره فلما طلع القمر فرآه ابراهيم طالعا وهو بزوغه يقال منه بزغت الشمس تبزغ بزوغا اذا طلعت وكذلك القمر قال هـذا

لانه لو حاسب الكفار بذاته لتكلم معهـم وهو محال لقوله ولا يكلمهم الله وقال الحكيم معنى سرعة المحاسبة ظهور الملكات فى الهيآت على النفس فى آن قطع التعلق قليلة كانت أو كثيرة حميدة أو ذميمة وبعـد تعارض البعض بالبعض يبقى ما هو أغلب وبحسب ذلك يكون الثواب أو ضـده وذلك أنه لا يحصـل للانسان لحظة ولا لمحة ولا حركة ولا سكون الا ويظهر منها فى جوهر نفسه أثر من آثار السعادة أو ضدها قل أو كثر وهو المراد بكتبة الاعمال قال الجبائى ههنا لو كان كلامه قديما لوجب أن يكون متكلما بالمحاسبة الآن وقبل خلقه وذلك محال لان المحاسبة تقتضى حكاية عمل تقدم وعورض بالعلم فانه كان قبل العالم عالما بأنه سيوجد وبعد وجوده صار عالما بأنه وجد ولا يلزم منه تغير العلم ثم عدد لطفه واحسانه بقوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر مجازا عن مخاوفهما وأهوالهما يقال ليوم الكربة يوم مظلم وذو كواكب كأنه أظلم عليه وجه الخلاص ويحتمل أن تكون الظلمات بالحقيقة وظلمات البر ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمات البحر هما مع ظلمة الماء تدعونه فى موضع الحال تضرعا وخفيـة مفعول لاجلهما أو تمييز أو مصـدر خاص والمراد أن الانسان عنـد حصول هذه الشدائد يأتى بأمور أحدها الدعاء الثانى التضرع والثالث الاخـلاص بالقلب وهو المعنى بقوله وخفية ورابعها التزام الشكر هو المراد من قوله (لئن أنجيتنا من هذه) الظلم والشدة لنكونن من الشاكرين فبين الله سبحانه أنه اذا شهدت الفطرة السليمة فى هـذه الحالة بأنه لا ملجأ الا الى الله ولا معول الا عليه وجب أن يبقى هذا الاخلاص عنـد كل الاحوال والاوقات ثم بين أنه ينجيهم من تلك المخاوف ومن سائر موجبات الحـزن والكرب ثم ان ذلك الانسان يقـدم على الشرك الجلى وهو عبادة الاوثان أو الخفى وهو اتباع الهوى وبالجملة فعادة أكثر الخلق ذلك اذا شاهدوا الخوف أخلصوا واذا انتقلوا الى الامن والرفاهية أشركوا ثم ذكر نوعا آخر من دلائل التوحيد مقرونا بنوع من التخويف فقال قل هو القادر واللام للعهد أو للجنس فيفيد أنه هو الذى عرفتموه قادر وهو الكامل القـدرة على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم كالمطر أو الحجارة مثـل ما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيـل أو من تحت أرجلكم كما أغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من قبـل

أكابركم وسلاطينكم أو من جهة سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات (أو يلبسكم شيعا) هي جمع شيعة أي يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم أن يوقع القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال عن رسول الله صلى الله عليه وعليه وسلم سألت الله أن لا يبعث على أمتي عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم فأعطاني ذلك وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني وأخبرني جبريل ان فناء أمتي بالسيف قالت الاشاعرة في قوله أو يلبسكم شيعا دلالة على أن الاهواء المختلفة والآراء الفاسدة والبدع كلها من الله تعالى وفي قوله ويذيق بعضكم بأس بعض اشارة الى أن المعاصي وأنواع الظلم مستندة الى الله تعالى وقالت المعتزلة الآية لا تدل الا على أنه تعالى قادر على القبيح والنزاع في أنه هل يفعل ذلك أم لا وأجيب بأن الآية دلت على أن القدرة على هذه الامور تختص به وهذه الامور واقعة فيكون هو فاعلها بالضرورة (انظر كيف نصرف الآيات) نقرر الدلائل الواضحات وقد قال مثل ذلك فيما قبل فالتقدير انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون فلا نعرض عنهم بل نكررها لعلهم يفقهون وكذب به أي بالعذاب المذكور في الآية السابقة قومك يعني قريشا ومن دان بدينهم وهو الحق أي لا بد أن ينزل بهم وقيل أي بالقرآن وهو الحق لانه كتاب منزل من عند الله وقيل أي بتصريف الآيات لانهم كذبوا كون هذه الاشياء دلالات قل لست عليكم بوكيل أي بحافظ حتى أجازيكم على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الدلائل انما أنا منذر (لكل نبأ لكل) خبر يخبره الله تعالى (مستقر) أي استقرار أو موضع استقرار والمراد بالنبأ المنبأ به لان النبأ قد حصل والمقصود أن لعذاب الله أو لاستيلاء المسلمين على الكفار بالقتل والاسر والقهر وقتا ومكانا يحصل فيه من غير خلف ولا تأخير (وسوف تعلمون) فيه من التهديد ما فيه ثم بين أن أولئك المكذبين ان ضموا الى كفرهم وتكذيبهم الاستهزاء بالدين والطعن في الرسول فانه يجب الاحتراز عن مجالستهم فقال (واذا رأيت) أيها السامع (الذين يخوضون في آياتنا) والخوض في اللغة عبارة عن المفاوضة على وجه

ربي فلما أفل يقول فلما غاب قال ابراهيم لئن لم يهدني ربي ويوفقني لاصابة الحق في توحيده لاكونن من القوم الضالين أي من القوم الذين أخطؤا الحق في ذلك فلم يصيبوا الهدى وعبدوا غير الله وقد بينا معنى الضلال في غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله ﴿فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم انى بريء مما تشركون﴾ يعني تعالى ذكره فلما رأى الشمس بازغة فلما رأى ابراهيم الشمس طالعة قال هذا الطالع ربي هذا أكبر يعني هذا أكبر من الكوكب والقمر فحذف ذلك لدلالة الكلام عليه فلما أفلت يقول فلما غابت قال ابراهيم لقومه ياقوم انى بريء مما تشركون أي من عبادة الآلهة والاصنام ودعائه الها مع الله تعالى ۞ القول في تأويل قوله ﴿انى وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن خليله ابراهيم عليه السلام أنه لما تبين له الحق وعرفه شهد شهادة الحق وأظهر خلاف قومه أهل الباطل وأهل الشرك بالله ولم يأخذه في الله لومة لائم ولم يستوحش من قيل الحق والثبات عليه مع خلاف جميع قومه لقوله وانكارهم اياه عليه وقال لهم ياقوم انى بريء مما تشركون مع الله الذي خلقني وخلقكم في عبادته من آلهتكم وأصنامكم انى وجهت وجهي في عبادتي الى الذي خلق السموات والارض الدائم الذي يبقى ولا يفنى ويحيي ويميت لا الى الذي يفنى ولا يبقى ويزول ولا يدوم ولا يضر ولا ينفع ثم أخبرهم تعالى ذكره أن توجيهه وجهه لعبادته باخلاص العبادة له والاستقامة في ذلك لربه على ما يجب من التوحيد لا على الوجه الذي يوجه له وجهه من ليس بحنيف ولكنه به مشرك اذ كان توجيه الوجه لا على التحنيف غير نافع موجهه بل ضاره ومهلكه وما أنا من المشركين يقول ولست منكم أي لست ممن يدين دينكم ويتبع ملتكم أيها المشركون وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن زيد يقول حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول قوم ابراهيم لابراهيم تركت عبادة هذه فقال انى وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فقالوا ما جئت بشيء ونحن نعبده ونتوجهه فقال لا حنيفا قال مخلصا لا أشركه كما تشركون ۞ القول في تأويل قوله ﴿وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيأ وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون﴾ يقول تعالى ذكره وجادل ابراهيم قومه في توحيد الله وبراءته من الاصنام وكان جدالهم اياه قولهم ان آلهتهم التي يعبدونها خير من الهه قال ابراهيم أتحاجوني في الله يقول أتجادلونني في توحيدي الله واخلاصي العمل له دون ما سواه من آلهة وقد هدان يقول وقد وفقني ربي لمعرفة وحدانيته وبصرني طريق الحق حتى ألفت أن لا شيء يستحق أن يعبد سواه ولا أخاف ما تشركون به يقول ولا أرهب من آلهتكم التي تدعونها من دونه شيأ ينالني في نفسي من سوء ومكروه وذلك أنهم قالوا له انا نخاف أن تمسك آلهتنا بسوء من برص أو خبل لذكرك اياها بسوء فقال لهم ابراهيم لا أخاف ما تشركون بالله من هذه الآلهة أن تنالني

اللغو والعبث و يقرب منه قول المفسرين انه فى الآية الشروع فى آيات الله على سبيل الطعن والاستهزاء وكانت قريش فى أنديتهم يفعلون ذلك (فأعرض عنهم) بالقيام عنهم لقوله بعد ذلك فلا تقعد بعد الذكرى وقيل المطلوب اظهار الانكار وكل طريق أفاد هذا الغرض وان كان غير القيام عن مجالسهم فانه يجوز المصير اليه هذا عند عدم الخوف أما مع الخوف فهذا الفرض ساقط والتقية واجبة نعم كل ما أوجب على الرسول صلى الله عليه وسلم فعله وجب عليه سواء (١٦٦) ظهر أثر الخوف أو لم يظهر والا لم يبق الاعتماد على التكاليف التى يبلغها (وإما ينسينك الشيطان) أى يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهى عن مجالستهم (فلا تقعد بعد الذكرى) بعد أن تذكر النهى (مع القوم الظالمين) أى معهم فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم قال الليث الذكرى اسم للتذكرة وقال الفراء هى الذكر قال فى الكشاف بناء على مذهبه يجوز أن يراد وان كان الشيطان ينسينك قبل النهى قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد أن ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم قال الجبائى اذا كان عدم العلم بالشئ يوجب سقوط التكليف فعدم القدرة على الشئ أولى بأن يوجب سقوط التكليف وهذا يدل على أن تكليف ما لا يطاق لا يقع ويدل على أن الاستطاعة حاصلة قبل الفعل لانها لو لم تحصل الا مع الفعل لم يكن الكافر قادرا على الايمان فوجب أن لا يتوجه عليه الامر بالايمان قال ابن عباس قال المسلمون لئن كنا كلما استهزأ المشركون بالقرآن وخاضوا فيه قمنا عنهم لم نستطع أن نجلس فى المسجد الحرام وأن نطوف بالبيت فنزلت الرخصة أن يقعدوا معهم ويذكروهم ويفهموهم بقوله (وما على الذين يتقون) أى الشرك والكبائر والفواحش (من حسابهم) من ذنوبهم التى يحاسبون عليها (من شئ ولكن ذكرى) أى ولكن يذكرونهم تذكيرا أو ولكن عليهم أن يذكروهم يحتنا
أو ولكن الذى تأمرونهم به ذكرى ولا يجوز أن يكون عطفا على محل من شئ كقول القائل ما فى الدار من أحد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يأبى ذلك فان الذكرى ليس من حساب المشركين ثم أكد الاعراض عنهم بقوله (وذر الذين) والمراد ترك معاشرتهم وملاطفتهم والمبالاة بهم لا ترك انذارهم وتخويفهم كقوله فأعرض عنهم وعظهم وصفهم بوصفين الاول أنهم (اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) وفيه وجوه اتخذوا دينهم الذى

يضر ولا مكروه لانها لا تنفع ولا تضر الا أن يشاء ربى شيأ يقول ولكن خوفى من الله الذى خلقنى وخلق السموات والارض فانه ان شاء أن ينالنى فى نفسى أو مالى بما شاء من فناء أو بقاء أو زيادة أو نقصان أو غير ذلك نالنى به لانه القادر على ذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن جريج يقول حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان قال دعا قومه مع الله آلهة وخوفوه بآلهتهم أن يصيبه منها خبل فقال ابراهيم أتحاجونى فى الله وقد هدان قال قد عرفت ربى لا أخاف ما تشركون به وسع ربى كل شئ علما يقول وعلم ربى كل شئ فلا يخفى عليه شئ لانه خالق كل شئ ليس كالآلهة التى لا تضر ولا تنفع ولا تفهم شيأ وانما هى خشبة منحوتة وصورة ممثلة أفلا تتذكرون يقول أفلا تعتبرون أيها الجهلة فتعقلوا خطأ ما أنتم عليه مقيمون من عبادتكم صورة مصورة وخشبة منحوتة لا تقدر على ضر ولا على نفع ولا تفقه شيأ ولا تعقله وترككم عبادة من خلقكم وخلق كل شئ وبيده الخير وله القدرة على كل شئ والعالم بكل شئ القول فى تأويل قوله ﴿وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون﴾ وهذا جواب ابراهيم لقومه حين خوفوه من آلهتهم أن تمسه لذكره اياها بسوء فى نفسه بمكروه فقال لهم وكيف أخاف وأرهب ما أشركتموه فى عبادتكم ربكم فعبدتموه من دونه وهو لا يضر ولا ينفع ولو كانت تنفع أو تضر لدفعت عن أنفسها كسرى اياها وضربى لها بالفأس وأنتم لا تخافون الله الذى خلقكم ورزقكم وهو القادر على نفعكم وضركم فى اشراككم فى عبادتكم اياه ما لم ينزل به عليكم سلطانا يعنى ما لم يعطكم على اشراككم اياه فى عبادته حجة ولم يضع لكم عليه برهانا ولم يجعل لكم به عذرا فأى الفريقين أحق بالأمن يقول أنا أحق بالأمن من عاقبة عبادتى ربى مخلصا له العبادة حنيفا له دينى بريئا من عبادة الاوثان والاصنام أم أنتم الذين تعبدون من دون الله أصناما لم يجعل الله لكم بعبادتكم اياها برهانا ولا حجة ان كنتم تعلمون يقول ان كنتم تعلمون صدق ما أقول وحقيقة ما أحتج به عليكم فقولوا وأخبرونى أى الفريقين أحق بالأمن وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان محمد بن اسحق يقول فيما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال قال محمد بن اسحق فى قوله وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله يقول كيف أخاف وثنا تعبدون من دون الله لا يضر ولا ينفع ولا تخافون أنتم الذى يضر وينفع وقد جعلتم معه شركاء لا تضر ولا تنفع فأى الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون أى بالامن من عذاب الله فى الدنيا والآخرة ألذى يعبد الذى بيده الضر والنفع أم الذى يعبد ما لا يضر ولا ينفع يضرب لهم الأمثال ويصرف لهم العبر ليعلموا أن الله هو أحق أن يخاف ويعبد مما يعبدون من دونه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال أفلج الله ابراهيم عليه السلام حين خاصمهم فقال وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون ثم قال وتلك

كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤا أو اتخذوا ما هو لعب ولهو يعنى عبادة الأوثان وغيرها دينا لهم أو المراد ما كانوا يحكمون به بمجرد التقليد والهوى كتحريم البحائر والسوائب أو المراد أن المشركين وأهل الكتاب اتخذوا أعيادهم لعبا ولهوا لا كالمسلمين حيث اتخذوا عيدهم كما شرعه الله تعالى قال ابن عباس أو هو اشارة الى من جعل دين الاسلام وسيلة الى المناصب والرياسات والغلبة والجلال لا لأنه حق وصدق فى نفسه ويؤكد هذا الوجه الوصف الثانى وهو قوله (وغرتهم الحياة الدنيا) كأنهم أعرضوا عن حقيقة الدين واقتصروا على تزيين الظواهر ليتوسلوا بها الى حطام الدنيا (وذكر به) أى بالقرآن أو بالدين القويم مخافة (أن تبسل نفس) قال الحسن ومجاهد أن تسلم الى الهلاك والعذاب وترتهن بسوء فعلها وأصله المنع فالمسلم اليه وهو العذاب يمنع المسلم ومنه الباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وقال قتادة تحبس فى جهنم وعن ابن عباس تفتضح (ليس لها) أى للنفس (من دون الله ولى ولا شفيع وان تعدل كل عدل) ان تفد كل فداء لان الفادى يعدل المفدى بمثله (لا يؤخذ منها) قال فى الكشاف فاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ وأما فى قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده قلت ان فسر الأخذ بالقبول كما فى قوله ويأخذ الصدقات ارتفع الفرق (أولئك) المتخذون (هم الذين أبسلوا بما كسبوا) ثم بين ما به صاروا مرتهنين وعليه محبوسين بقوله (لهم شراب من حميم) ثم رد على عبدة الاصنام بقوله (قل أندعو من دون الله) النافع الضار (ما لا ينفعنا ولا يضرنا) أى لا يقدر على النفع والضر (ونرد) داخل فى الاستفهام أى أنرجع الى الشرك بعد اذ أنقذنا الله تعالى منه وهدانا للاسلام فان الردة عود الى الحالة الاولى التى كان الانسان عليها من الجهل كقوله والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ (كالذى استهوته) محله النصب على الحال من الضمير فى نرد أى أننكص على العقبين مشبهين من استهوته وهو استفعال من هوى فى الارض اذا ذهب فيها كأن معناه طلبت هويه أى سقوطه من الموضع العالى الى الوهدة العميقة كقوله ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء وقيل اشتقاقه من اتباع الهوى و(حيران) حال أخرى لكن من الضمير فى استهوته وكذا الجملة بعده ومعنى الحيرة التردد فى الامر بحيث لا يهتدى الى مخرجه منه ومنه تحيرت

حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قول ابراهيم حين سألهم أى الفريقين أحق بالامن هى حجة ابراهيم عليه السلام حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى عن ابراهيم حين سألهم فأى الفريقين أحق بالأمن قال وهى حجة ابراهيم عليه السلام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون أمن يعبد ربا واحدا أم من يعبد أربابا كثيرة يقول قومه الذين آمنوا برب واحد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون أمن خاف غير الله ولم يخفه أم من خاف الله ولم يخف غيره فقال الله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الآية ۞ القول فى تأويل قوله ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ اختلف أهل التأويل فى الذى أخبر تعالى ذكره عنه أنه قال هذا القول أعنى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الآية فقال بعضهم هذا فصل القضاء من الله بين ابراهيم خليله عليه السلام وبين من حاجه من قومه من أهل الشرك بالله اذ قال لهم ابراهيم وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون فقال الله تعالى فاصلا بينه وبينهم الذين صدقوا الله وأخلصوا له العبادة ولم يخلطوا عبادتهم اياه وتصديقهم له بظلم يعنى بشرك ولم يشركوا فى عبادته شيأ ثم جعلوا عبادتهم لله خالصا أحق بالأمن من عقابه مكروه عبادته من الذين يشركون فى عبادتهم اياه الأوثان والأصنام فانهم الخائفون من عقابه مكروه عبادتهم أما فى عاجل الدنيا فانهم وجلون من حلول سخط الله بهم وأما فى الآخرة فانهم الموقنون بأليم عذاب الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثنا أحمد ابن اسحق قال يقول الله تعالى ذكره الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أى الذين أخلصوا كاخلاص ابراهيم صلى الله عليه وسلم لعبادة الله وتوحيده ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أى بشرك أولئك لهم الأمن وهم مهتدون الأمن من العذاب والهدى فى الحجة بالمعرفة والاستقامة يقول الله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون قال فقال الله وقضى بينهم الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك قال أولئك لهم الأمن وهم مهتدون فأما الذنوب فليس يبرأ منها أحد * وقال آخرون هذا جواب من قوم ابراهيم صلى الله عليه وسلم لابراهيم حين قال لهم أى الفريقين أحق بالأمن فقالوا له الذين آمنوا بالله فوحدوه أحق بالامن اذ لم يلبسوا ايمانهم بظلم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فأى الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون أمن يعبد ربا واحدا أم من يعبد أربابا كثيرة يقول قومه الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم

الروضة بالماء اذا امتلأت فتردد فيها الماء (له) أي لهذا المستهوى (أصحاب) رفقة (يدعونه الى الهدى) أي ان يهدوه الطريق المستوى فيكون الهدى
مصدرا، وسمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له (ائتنا) أو الدعاء في معنى القول وهذا بناء على ما تزعمه العرب وتعتقده من أن الجن
والغيلان تستهوى الانسان وتستولى عليه فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه الى الحق وقد
اعتسف المهمه تابعا للجن غير ملتفت اليهم وقيل ان لذلك الكافر أصحابا يدعونه الى ذلك الضلال ويسمونه بأنه هو الهدى

بظلم بعبادة الأوثان وهى حجة ابراهيم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون * وأولى القولين في
ذلك عندى بالصواب قول من قال هذا خبر من الله تعالى عن أولى الفريقين بالأمن وفصل قضاء
منه بين ابراهيم صلى الله عليه وسلم وبين قومه وذلك أن ذلك لو كان من قول قوم ابراهيم الذين
كانوا يعبدون الأوثان ويشركونها في عبادة الله لكانوا قد أقروا بالتوحيد واتبعوا ابراهيم على
ما كانوا يخالفونه فيه من التوحيد ولكنه كما ذكرت من تأويله بدأ * واختلف أهل التأويل
في المعنى الذى عناه الله تعالى بقوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فقال بعضهم بشرك ذكر من قال
ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال ثنا الأعمش عن ابراهيم عن علقمة
عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترون الى قول لقمان ان الشرك
لظلم عظيم قال أبو كريب قال ابن ادريس حدثنيه أولا أبى عن أبان بن تغلب عن الأعمش
ثم سمعته قيل له من الأعمش قال نعم حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال ثنى عمى
يحيى بن عيسى عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت الذين آمنوا ولم
يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله ما منا أحد الا وهو يظلم نفسه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بذلك ألا تسمعون الى قول لقمان لابنه ان الشرك لظلم عظيم
حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت
هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا أينا لم يظلم نفسه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كما تظنون وانما هو ما قال لقمان
لابنه لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم حدثنا هناد قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن
ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق
ذلك على الناس فقالوا يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه فقال انه ليس كما تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد
الصالح يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم انما هو الشرك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد
الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة في قوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم قال بشرك حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل عن منصور عن ابراهيم في قوله
الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الأعمش
عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا أينا لم يلبس ايمانه بظلم فقال
النبى صلى الله عليه وسلم ليس بذلك ألم تسمعوا قول لقمان ان الشرك لظلم عظيم حدثنا ابن
وكيع قال ثنا جرير وابن ادريس عن الشيبانى عن أبى بكر بن أبى موسى عن الاسود
ابن هلال عن أبى بكر الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك حدثنا هناد قال
ثنا قبيصة عن يونس بن أبى اسحق عن أبى بكر الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك

حدثنا

و روى أن الآية نزلت في عبد
الرحمن بن أبي بكر الصديق فانه كان
يدعو أباه الى عبادة الاوثان (قل ان
هدى الله) وهو الاسلام (هو) الذى يحق
أن يسمى هدى وما وراءه غى وضلال
(وأمرنا لنسلم لرب العالمين وأن
أقيموا) قال الزجاج لا بد من تأويل
ليستقيم العطف والتقدير وأمرنا
لنسلم ولنقيم أو وأمرنا أن أسلموا
وأن أقيموا قيل والسر في العدول
عن الظاهر أن المكلف كالغائب
ما لم يسلم فاذا أسلم صار كالحاضر
وتقرير الآية أن متعلق الامر اما
أن يكون من باب الأفعال أو من
باب التروك والاول اما أن يكون
من أفعال القلوب أو من أفعال
الجوارح ورئيس أفعال القلوب
الايمان بالله والاسلام وهو قوله
لنسلم ورئيس أعمال الجوارح
الصلاة وهو قوله وأن أقيموا ثم أشار
الى جوامع التروك بقوله واتقوه ثم
قال (وهو الذى اليه تحشرون) ليعلم
أن منافع هذه الاعمال انما تظهر في
يوم الحشر ثم دل على وجود الحاشر
بقوله (وهو الذى خلق السموات
والارض) قائما أو ملتبسا (بالحق)
بالحكم اللطيفة والغايات الصحيحة
والاغراض المطابقة وذلك أنه أودع
في هذه الاجرام قوى وخواص وآثار
تتضمن مصالح الأبدان ومباهج
نوع الانسان وهكذا خلق (يوم يقول
كن فيكون قوله الحق) فقوله فاعل يكون ويوم مفعول خلق والمعنى أنه تعالى خلق العالم من الافلاك والطبائع
والعناصر والمواليد وخلق يوم القيامة لرد الارواح الى الاجساد بطريق كن فيكون وعلى هذا يجوز أن يكون قوله الحق مبتدأ وخبرا مستأنفا
أو قوله الحق مبتدأ ويوم يقول ظرف دال على الخبر مثل يوم الجمعة القتال أي القتال واقع يوم الجمعة والمراد أن قضاءه في ذلك اليوم حق وصدق
خال عن الجور والعبث (ويوم ينفخ) ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم والمقصود أنه لا ملك في ذلك اليوم الا له من غير دافع ولا منازع

والصور باتفاق أكثر أهل الاسلام قرن ينفخ فيه ملك من الملائكة كما جاء في مواضع من القرآن ونفخ في الصور فصعق ففزع فاذا نقر في الناقور وقال أبو عبيدة الصور جمع صورة مثل صوف وصوفة وخطأه الأئمة فقالوا كل جمع على لفظ الواحد سبق جمعه واحده فواحده بزيادة هاء فيه كالصوف أما اذا سبق الواحد الجمع فليس كذلك كغرفة وغرف ولهذا يجمع صورة الانسان على صور بالفتح كقوله فأحسن صوركم ومن أسكن فقد أخطأ ومما يدل على أن الصور هو القرن لا جمع صورة الانسان أنه تعالى (١٦٩) لم يضف النفخ الى نفسه كما قال ونفخت فيه من روحي فنفخنا فيها من روحنا ثم أنشأناه خلقا آخر ثم لما بين كمال قدرته بقوله وله الملك ذكر كمال علمه بقوله (عالم الغيب والشهادة) أي هو العالم بكل المعلومات القادر على كل المقدورات (وهو الحكيم) المصيب في أقواله وأفعاله (الخبير) النافذ علمه في بواطن الحقائق من غير اشتباه والتباس فان أمر البعث لا يتم الا بقدرة كاملة وعلم تام كيلا يشتبه المطيع والعاصي والصديق والزنديق (التأويل) وهو القاهر بوصف الجلال للاولياء قهار بوصف الجبروت للاعداء ويرسل عليكم حفظة من صفات قهره حتى لو أرادت نفسه الخروج عن قيد مجاهدتها قهرتها سطوات العتاب فردتها الى بذل الجهد وان أراد قلبه فرجة عن مطالبات العزة قهرته صدمات الهيبة فردته الى توديع المهجة ولو أراد روحه استرواحا من الحرقات قهرته بوارق التجلي فردته الى بذل المهجة حتى اذا جاء أحدكم الموت يعني الفناء عن أوصاف الوجود توفته رسل صفات قهرنا وهم لا يقصرون في افناء الاوصاف ثم ردوا الى البقاء بالله قل الله ينجيكم من ظلمات بر الاجسام وبحر الارواح فان عالم الارواح بالنسبة الى عالم الالوهية ظلمانية تدعونه تضرعا بالجسم وخفية بالروح ومن كل كرب آفة وفتنة ثم

حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن سعيد بن عبيد الطائي عن أبي الاشعر العبدي عن أبيه أن زيد بن صوحان سأل سلمان فقال يا أبا عبد الله آية من كتاب الله قد بلغت مني كل مبلغ الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فقال سلمان هو الشرك بالله تعالى فقال زيد ما يسرني بها أني لم أسمعها منك وان لي مثل كل شيء أمسيت أملكه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سعيد ابن عبيد عن أبي الاشعر عن أبيه عن سلمان قال بشرك حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان قال ثنا نسير بن ذعلوق عن درست عن حذيفة في قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن أبي اسحق الكوفي عن رجل عن عيسى عن حذيفة في قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك حدثني المثنى قال ثنا عارم أبو النعمان قال ثنا حماد ابن زيد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وغيره أن ابن عباس كان يقول الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم قال بشرك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يقول بكفر حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يقول لم يلبسوا ايمانهم بالشرك وقال ان الشرك لظلم عظيم حدثنا نصر ابن علي الجهضمي قال ثني أبي قال ثنا جرير بن حازم عن علي بن زيد عن المسيب أن عمر بن الخطاب قرأ الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فلما قرأها فزع فأتى أبي بن كعب فقال يا أبا المنذر قرأت آية من كتاب الله من يسلم فقال ما هي فقرأها عليه فأينا لا يظلم نفسه فقال غفر الله لك أما سمعت الله تعالى يقول ان الشرك لظلم عظيم انما هو ولم يلبسوا ايمانهم بشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن عمر دخل منزله فقرأ في المصحف فمر بهذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فأتى أبيا فأخبره فقال يا أمير المؤمنين انما هو الشرك حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن مهران أن عمر بن الخطاب كان اذا دخل بيته نشر المصحف فقرأه فدخل ذات يوم فقرأ فأتى على هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون فاشتغل وأخذ رداءه ثم أتى أبي بن كعب فقال يا أبا المنذر فتلا هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقد ترى أنا نظلم ونفعل ونفعل فقال يا أمير المؤمنين ان هذا ليس بذلك يقول الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم انما ذلك الشرك حدثنا هناد قال ثنا ابن فضيل عن مطرف عن أبي عثمان عمرو بن سالم قال قرأ عمر بن الخطاب هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فقال عمر قد أفلح من لم يلبس ايمانه بظلم فقال أبي يا أمير المؤمنين ذاك الشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أسباط عن محمد بن مطرف عن ابن سالم قال قرأ عمر بن الخطاب فذكر نحوه حدثنا محمد بن بشار قال

 أنتم تشر كون حين يتجلى لكم نور من أنوار صفاته فبعضكم يقول أنا الحق وبعضكم يقول سبحاني ما أعظم شاني عذابا من فوقكم بسدل حجاب العزة والغيرة بينه وبينكم أو من تحت أرجلكم حجابا من أوصاف بشريتكم باستيلاء الهوى عليكم أو يلبسكم شيعا يجعل الخلق فيكم فرقا فمن قائل هم الصديقون ومن قائل هم الزنديقون ويذيق بعضكم بأس بعض بالقتل والصلب وقطع الاطراف انظر كيف نصرف آيات المعارف السائرين الى الله لعلهم يفقهون شرائط السير ولا يقفون في مقام دون الفناء عن كلية

ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن أبى ميسرة فى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى اسحق عن أبى ميسرة مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا حسين عن على عن زائدة عن الحسن بن عبد الله عن ابراهيم ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أى بشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد عن أبيه عن أبى اسحق عن أبى ميسرة مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بعبادة الأوثان حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الاعمش أن ابن مسعود قال لما نزلت ولم يلبسوا ايمانهم بظلم كبر ذلك على المسلمين فقالوا يارسول الله ما منا أحد الا وهو يظلم نفسه فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما سمعتم قول لقمان ان الشرك لظلم عظيم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بعبادة الاوثان حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر عن مسعر عن أبى حصين عن أبى عبد الرحمن قال بشرك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك * وقال آخرون بل معنى ذلك ولم يخلطوا ايمانهم بشئ من معانى الظلم وذلك فعل ما نهى الله عن فعله أو ترك ما أمر الله بفعله وقالوا الآية على العموم لان الله لم يخصص به معنى من معانى الظلم قالوا فان قال لنا قائل أفلا أمن فى الآخرة الا لمن لم يعص الله فى صغيرة ولا كبيرة والا لمن لقى الله ولا ذنب له قلنا ان الله عنى بهذه الآية خاصا من خلقه دون الجميع منهم والذى عنى بها وأراده بها خليله ابراهيم صلى الله عليه وسلم فأما غيره فانه اذا لقى الله لا يشرك به شيأ فهو فى مشيئته اذا كان قد أتى بعض معاصيه التى لا تبلغ أن تكون كفرا فان شاء لم يؤمنه من عذابه وان شاء تفضل عليه فعفا عنه قالوا وذلك قول جماعة من السلف وان كانوا مختلفين فى المعنى بالآية فقال بعضهم عنى بها ابراهيم وقال بعضهم عنى بها المهاجرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال عنى بهذه الآية ابراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان وحميد بن عبد الرحمن عن قيس بن الربيع عن زياد بن علاقة عن زياد بن حرملة عن على قال هذه الآية لابراهيم صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لهذه الامة منها شئ * ذكر من قال عنى بها المهاجرون خاصة حدثنا ابن وكيع قال ثنا

يحيى

الوجود بالبقاء بشهود المعبود وكذب بهذا المقام قومك المنكرون وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لأسلك طريق هذا المقام بوكالتكم لانه ليس للانسان الا ما سعى كما قال لكل نبأ مستقر أى لكل سائر وواقف مستقر من درجات القرب أو دركات البعد واذا رأيت الذين يخوضون فى أحوال الرجال ولا حظ لهم منها فأعرض عنهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا فى حديث غير تلك الطامات التى هى ريح فى شبح وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا الان همهم من لبس الخرقة والتزيى بزى الطالبين انما هو الدنيا وقبول الحق أن تبسل نفس أى كراهة أن يبطل استعدادها بالكلية بما كانوا يكفرون بمقامات الرجال من الوصول والوصال قل أندعو من دون الله أنطلب غير الله الذى هو النافع الضار والنفع الحقيقى هو الفوز بالوصول اليه والضر الحقيقى هو الانقطاع عنه ونرد على أعقابنا الى مقام الاثنينية التى كنا فيها بعد أن هدانا الله الى الوحدة كالذى أضلته شياطين الجن والانس فى أرض البشرية باتباع الهوى حيران من اغوائهم وأمرنا لنسلم بترك الوجود كالكرة فى ميدان القدرة مستسلما لصولجان القضاء وأن أقيموا الصلاة بمحافظة الاسرار عن الاغيار والاتقاء به عن غيره ليحشر اليه لا الى الجنة أو النار كما قال ألا من طلبنى وجدنى وهو الذى خلق السموات والارض بالحق أى لاظهار صفاته لجعل المخلوقات مرآة لجماله وجلاله واذا أراد أن يرى عبدا من عباده تلك الصفات يقول له كن رائيا فيكون ولن يصير رائيا بمجرد سعيه لان قوله فى حق الانسان كن رائيا هو الحق وله ملك الاراءة وملك الرؤية ينفخ الاراءة فى صور القلب وهو الحكيم فيما اختص الانسان باراءة الآيات الخبير عن يخصه من بين الناس بالاراءة (واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيأ وسع ربى كل شئ علما أفلا تتذكرون

وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم) ﴿القراآت﴾ الى أرانى بفتح الياء أبو عمرو وابن كثير وأبو جعفر ونافع لابيه آزر بالضم على النداء يعقوب رأى كوكبا بامالة الهمزة أبو عمرو وغير عباس والنجارى عن ورش وكذلك رآه ورآك وقرأ حمزة وعلى وخلف ويحيى وعباس وهبيرة من طريق الخراز بكسر الراء والهمزة

يحيى بن عمان وحميد بن عبد الرحمن عن قيس بن الربيع عن سماك عن عكرمة الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال هى لمن هاجر الى المدينة * وأولى القولين بالصحة فى ذلك ما صح به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الخبر الذى رواه ابن مسعود عنه أنه قال الظلم الذى ذكره الله تعالى فى هذا الموضع هو الشرك وأما قوله أولئك لهم الامن وهم مهتدون فانه يعنى هؤلاء الذين آمنوا ولم يخلطوا ايمانهم بشرك لهم الأمن يوم القيامة من عذاب الله وهم مهتدون يقول وهم المصيبون سبيل الرشاد والسالكون طريق النجاة ﴿القول فى تأويل قوله ﴿وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وتلك حجتنا قول ابراهيم لمخاصميه من قومه المشركين أى الفريقين أحق بالأمن أمن يعبد ربا واحدا مخلصا له الدين والعبادة أم من يعبد أربابا كثيرة واجابتهم اياه بقولهم بل من يعبد ربا واحدا أحق بالامن وقضاؤهم له على أنفسهم فكان فى ذلك قطع عذرهم وانقطاع حجتهم واستعلاء حجة ابراهيم عليهم فهى الحجة التى آتاها الله ابراهيم على قومه كالذى حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان الثورى عن رجل عن مجاهد وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه قال هى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يحيى بن زكريا عن ابن جريج عن مجاهد قال قال ابراهيم حين سأل أى الفريقين أحق بالامن قال هى حجة ابراهيم وقوله آتيناها ابراهيم على قومه يقول لقناها ابراهيم وبصرناه اياها وعرفناه على قومه نرفع درجات من نشاء * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة نرفع درجات من نشاء باضافة الدرجات الى من بمعنى نرفع الدرجات لمن نشاء وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة نرفع درجات من نشاء بتنوين الدرجات بمعنى نرفع من نشاء درجات والدرجات جمع درجة وهى المرتبة وأصل ذلك مراقى السلم ودرجه ثم تستعمل فى ارتفاع المنازل والمراتب * والصواب من القول فى ذلك عندى ان يقال هما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء متقارب معناهما وذلك أن من رفعت درجته فقد رفع فى الدرج ومن رفع فى الدرج فقد رفعت درجته فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فى ذلك فمعنى الكلام اذا وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه فرفعنا بها درجته عليهم وشرفناه بها عليهم فى الدنيا والآخرة فأما فى الدنيا فآتيناه فيها أجره وأما فى الآخرة فهو من الصالحين نرفع درجات من نشاء أى بما فعل من ذلك وغيره وأما قوله ان ربك حكيم عليم فانه يعنى ان ربك يا محمد حكيم فى سياسته خلقه وتلقينه أنبياءه الحجج على أممهم المكذبة لهم الجاحدة توحيد ربهم وفى غير ذلك من تدبيره عليم بما يؤل اليه أمر رسله والمرسل اليهم من ثبات الامم على تكذيبهم اياهم وهلاكهم على ذلك أو انابتهم وتوبتهم منه بتوحيد الله تعالى وتصديق رسله والرجوع الى طاعته يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم تأس يا محمد فى نفسك وقومك المكذبيك والمشركين بأبيك خليلى ابراهيم صلى الله عليه وسلم واصبر على ما ينوبك منهم صبره فانى بالذى يؤل اليه أمرك وأمرهم عالم بالتدبير فيك

وافق ابن ذكوان فى رأى فقط وخالفهم فيما اتصلت بالكاف والهاء فى سورة النجم وافق ابن مجاهد والنقاش بالامالة وكسر الراء فى سورة اقرأ باسم رأى القمر ورأى الشمس ونحوهما بكسر الراء وفتح الهمزة حمزة وخلف ونصر وعباس ويحيى والخراز وروى خلف عن يحيى بكسر الراء والهمزة أتحاجونى بتخفيف النون أبو جعفر ونافع وابن ذكوان الباقون بادغام نون الاعراب فى نون الوقاية وقد هدان بالامالة على وقرأ سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل بالياء فى الحالين وافق أبو عمرو ويزيد واسمعيل فى الوصل درجات بالتنوين عاصم وحمزة وعلى وخلف ويعقوب ﴿الوقوف﴾ آلهة ج للابتداء بان مع اتحاد القول مبين ○ الموقنين ○ رأى كوكبا ج لان جواب لما قوله رأى مع اتحاد الكلام بلا عطف ربى ج لان جواب لما منتظر مع فاء التعقيب فيها الا آفلين ○ هذا ربى ج لذلك الضالين ○ هذا أكبر ج لذلك يشركون ○ المشركين ج لاحتمال الواو الحال أى وقد حاجه قومه ط هدان ط لانتهاء الاستفهام شيأ ط علما ط تتذكرون ○ سلطانا ط للاستفهام بعد تمام الاستفهام بالامن ج لان جواب ان منتظر محذوف التقدير ان كنتم تعلمون

فاجيبوا مع اتحاد الكلام تعلمون ○ لتناهى الاستفهام وابتداء اخبار ولو وصل اتصل بما قبله مهتدون ○ على قومه ط من نشاء ط عليم ○ ﴿التفسير﴾ انه سبحانه كثيرا ما يحتج على مشركى العرب باحوال ابراهيم صلوات الرحمن عليه لانه يعترف بالفضل والتقدم عند جميع الطوائف وذلك أنه سلم قلبه للرحمن ولسانه للبرهان وبدنه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم ان ظاهر الآية يدل على أن اسم والد ابراهيم هو آزر ومنهم من قال اسمه تارح قال الزجاج لا خلاف بين النسابين أن اسمه تارح فمن الملحدة من طعن فى هذا النسب لهذا السبب والجواب

أن اجماع النسابة لا عبرة به لان ذلك ينتهي الى قول الواحد أو الاثنين مثل وهب وكعب أو غيرهما سلمنا أن اسمه كان تارح لكنه من المحتمل أن يكون أحدهما لقبا والآخر اسما أصليا أو يكون آزر صفة مخصوصة في لغتهم كالمخطئ والمخذول وقيل ان آزر هو الشيخ الهرم بالخوارزمية وهذا عند من يجوز اشتمال القرآن على ألفاظ قليلة من غير لغة العرب وقيل ان آزر اسم صنم يجوز أن ينبز به للزومه عبادته فان من بالغ في محبة واحد فقد يجعل اسم المحبوب اسما للمحب قال تعالى يوم ندعو كل أناس بامامهم وقال الشاعر

وفيهم حكيم ۞ القول في تأويل قوله ﴿ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمن وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين﴾ يقول تعالى ذكره فجزينا ابراهيم صلى الله عليه وسلم على طاعته ايانا واخلاصه توحيد ربه ومفارقته دين قومه المشركين بالله بان رفعنا درجته في عليين وآتيناه أجره في الدنيا ووهبنا له أولادا خصصناهم بالنبوة وذرية شرفناهم منا بالكرامة وفضلناهم على العالمين منهم ابنه اسحق وابن ابنه يعقوب كلا هدينا يقول هدينا جميعهم لسبيل الرشاد فوفقناهم للحق والصواب من الاديان ونوحا هدينا من قبل يقول وهدينا لمثل الذي هدينا ابراهيم واسحق ويعقوب من الحق والصواب فوفقناه له نوحا من قبل ابراهيم واسحق ويعقوب ومن ذريته داود والهاء التي في قوله ومن ذريته من ذكر نوح وذلك أن الله تعالى ذكر في سياق الآيات التي تتلو هذه الآية لوطا فقال واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومعلوم أن لوطا لم يكن من ذرية ابراهيم صلى الله عليهم أجمعين فاذ كان ذلك كذلك وكان معطوفا على اسماء من سمينا من ذريته كان لا شك انه لو أريد بالذرية ذرية ابراهيم لما دخل يونس ولوط فيهم ولا شك أن لوطا ليس من ذرية ابراهيم ولكنه من ذرية نوح فلذلك وجب أن تكون الهاء في الذرية من ذكر نوح فتأويل الكلام ونوحا وفقنا للحق والصواب من قبل ابراهيم واسحق ويعقوب وهدينا أيضا من ذرية نوح داود وسليمن وداود هو داود بن ايشا وسليمن هو ابنه سليمن بن داود وأيوب هو أيوب بن موص بن روح بن عيص ابن اسحق بن ابراهيم ويوسف هو يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وموسى هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وهرون أخو موسى وكذلك نجزي المحسنين يقول تعالى ذكره كما جزينا نوحا بصبره على ما امتحن به فينا بأن هديناه فوفقناه لاصابة الحق الذي خذلنا عنه من عصانا فخالف أمرنا ونهينا من قومه وهدينا من ذريته من بعده من ذكر تعالى ذكره من أنبيائه لمثل الذي هديناه له وكما جزيناه هؤلاء بحسن طاعتهم ايانا وصبرهم على المحن فينا كذلك نجزي بالاحسان كل محسن ۞ القول في تأويل قوله ﴿وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين﴾ يقول تعالى ذكره وهدينا أيضا لمثل الذي هدينا له نوحا من الهدى والرشاد من ذريته زكريا بن أزن بن بركيا ويحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم ابنة عمران بن أشيم بن أمور بن حزقيا وإلياس واختلفوا في الياس فكان ابن اسحق يقول هو إلياس بن يسى بن فنحاص بن العيزار ابن هرون بن عمران ابن أخي موسى نبي الله صلى الله عليه وسلم وكان غيره يقول هو ادريس وممن ذكر ذلك عنه عبد الله بن مسعود حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن ابن اسحق عن عبيدة بن ربيعة عن عبد الله بن مسعود قال ادريس هو الياس واسرائيل هو يعقوب وأما أهل الانساب فانهم يقولون ادريس جد نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ هو ادريس بن يرد بن مهلائيل وكذلك روي عن وهب بن منبه والذي يقول أهل الانساب أشبه بالصواب وذلك أن الله تعالى نسب الياس في هذه الآية الى نوح وجعله من ذريته

أدعى باسماء نبزا في قبائلها * كأن اسماء أضحت بعض أسمائي

أو أريد عابد آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقيل ان والد ابراهيم كان تارح وكان آزر عمه والعم قد يطلق عليه اسم الاب بدليل قوله نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ومعلوم أن اسمعيل كان عما ليعقوب ومما دل على صحة ظاهر الآية أن اليهود والنصارى والمشركين كانوا حراصا متهالكين على تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم واظهار نقصه فلو كان النسب كذبا لامتنع في العادة سكوتهم عن تكذيبه وحيث لم يكذبوه علمنا أن النسب صحيح قالت المعتزلة ومن يجري مجراهم ان أحدا من آباء الرسول صلى الله عليه وآله ما كان كافرا وفسروا قوله وتقلبك في الساجدين بانتقاله من ساجد الى ساجد وأكدوه بما روي أنه صلى الله عليه وآله قال لم أزل أنتقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وان آزر كان عم ابراهيم وما كان والده لان ابراهيم شافهه بالغلظة والجفاء في قوله اني أراك وقومك في ضلال مبين وقد قال تعالى ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما ولانه ناداه بالاسم في قراءة من قرأ آزر بالضم والنداء بالاسم دليل الاستخفاف ولهذا لم يقرأ بالضم في قوله وقال موسى لاخيه هرون اخلفني وأجيب بأن قوله وتقلبك في الساجدين يحتمل وجوها أخر ونوح سوف يجيء ذكرها وبأن قوله لم أزل أنتقل محمول على أنه لم يقع في نسبه ما كان سفاحا والتغليظ من ابراهيم انما كان لاجل اصرار أبيه على الكفر كما قال فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه لا لاجل السفه والجفاء لقوله ان ابراهيم لحليم أواه منيب ثم ان ابراهيم احتج على فساد اعتقاد عبدة الاصنام بقوله منكرا على آزر وقومه (أتتخذ أصناما آلهة) أي معبودين وذلك أن الاصنام لو كان لها قدرة على الخير والشر لكان الصنم

الواحد كافيا فلما لم يكن الواحد كافيا دل ذلك على عجزها وان كثرت واحتج بعضهم بالآية على وجوب معرفة الله تعالى وعلى أن وجوب الاشتغال بشكره معلوم بالعقل لا بالسمع لان ابراهيم حكم عليهم بالضلال من حيث النظر والاستدلال وأجيب بانه لعله عرف ضلالهم بحكم شرع الانبياء المتقدمين عليه (وكذلك) أى مثل ما أريناه من قبح عبادة الاصنام والاشتغال بغير الله (نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) والنكتة فيه أن التخلي عن غير الله يوجب رفع الحجاب وبقدر ذلك يكون حصول

التجلي والتحلي بالله وانما لم يقل أريناه بلفظ الماضي لانه أراد الحكاية كأنه قيل كيف بلغ ابراهيم هذا المبلغ في قوة الدين والذب عنه فأجيب انا كنا نريه الملكوت وقت طفوليته لاجل أن يصير من الموقنين زمان بلوغه أو المقصود بيان ارتفاعه في معارج الكمال وازدياده في ذلك على سبيل الدوام والاستمرار فان مخلوقاته تعالى وان كانت متناهية في الذات وفي الصفات الا أن جهات دلالاتها على ذاته وصفاته سبحانه غير متناهية كما قال امام الحرمين معلومات الله غير متناهية ومعلوماته في تلك المعلومات أيضا غير متناهية فان الجوهر الفرد يمكن وقوعه في أحياز لا نهاية لها على البدل ويمكن اتصافه بصفات لا نهاية لها على البدل فكل تلك الاحوال التقديرية معلومة لله تعالى وكل تلك الاحوال دالة على حكمة الله تعالى وعظمة قدرته واذا كان الجوهر الفرد كذلك فكيف كل الملكوت ولهذا قيل السفر الى الله تعالى له نهاية فأما السفر في الله سبحانه فانه بلا نهاية والملكوت هو الملك والتاء للمبالغة كالرغبوت من الرغبة والرهبوت من الرهبة قال بعضهم انه سبحانه أراه الملكوت بالعين قالوا شق له السموات حتى رأى العرش والكرسي الى منتهى الاجرام العلوية وشق له الارض الى ما تحت الثرى فرأى ما فيها من البدائع والعجائب عن ابن عباس أنه قال لما أرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وأرى ما فيها وما في الارض من العجائب رأى عبدا على فاحشة فدعا عليه وعلى آخر بالهلاك فقال الله تعالى له كف عن عبادي فهم بين خلال ثلاث اما أن أجعل منهم ذرية طيبة أو يتوبون فأغفر لهم أو النار من ورائهم وقال الاكثرون ان هذه الاراءة كانت بعين البصيرة لان ملك السموات والارض لا يرى وانما يعرف بالعقل ولو أريد نفس السموات والارض صار لفظ الملكوت ضائعا وأيضا قوله فلما جن عليه الليل جار مجرى الشرح والتفسير لتلك

ونوح ابن ادريس عند أهل العلم فمحال أن يكون جد أبيه منسوبا الى أنه من ذريته وقوله كل من الصالحين يقول من ذكرنا من هؤلاء الذين سميناهم من الصالحين يعني زكريا ويحيى وعيسى والياس صلى الله عليهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿ واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ﴾ يقول تعالى ذكره وهدينا أيضا من ذرية نوح اسمعيل وهو اسمعيل ابن ابراهيم واليسع هو اليسع بن أخطوب ابن العجوز * واختلف القراء في قراءة اسمه فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق واليسع بلام واحدة مخففة وقد زعم قوم أنه يفعل من قول القائل وسع يسع ولا تكاد العرب تدخل الألف واللام على اسم يكون على هذه الصورة أعني على يفعل لا يقولون رأيت اليزيد ولا أتاني اليحيى ولا مررت باليشكر الا في ضرورة شعر وذلك أيضا اذا تحرى به المدح كما قال بعضهم

وجدنا الوليد بن اليزيد مباركا * شديدا باعباء الخلافة كاهله

فأدخل اليزيد الالف واللام وذلك لادخاله اياهما في الوليد فأتبعه اليزيد بمثل لفظه وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفيين والليسع بلامين وبالتشديد وقالوا اذا قرئ كذلك كان أشبه بأسماء العجم وأنكروا التخفيف وقالوا لا نعرف في كلام العرب اسما على يفعل فيه ألف ولام والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأه بلام واحدة مخففة لاجماع أهل الأخبار على أن ذلك هو المعروف من اسمه دون التشديد مع انه اسم أعجمي فينطق به على ما هو به وانما لا يستقيم دخول الالف واللام فيما جاء من أسماء العرب على يفعل وأما الاسم الذي يكون أعجميا فانما ينطق به على ما سموا به فان غير منه شئ اذا تكلمت العرب به فانما يغير بتقويم حرف منه من غير حذف ولا زيادة فيه ولا نقصان والليسع اذا شدد لحقته زيادة لم تكن فيه قبل التشديد وأخرى أنه لم يحفظ عن أحد من أهل العلم علمنا أنه قال اسمه ليسع فيكون مشددا عند دخول الالف واللام اللتين يدخلان للتعريف ويونس هو يونس بن متى ولوطا وكلا فضلنا من ذرية نوح ونوح لهم بينا الحق ووفقناهم له وفضلنا جميعهم على العالمين يعني على عالم أزمانهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿ ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ﴾ يقول تعالى ذكره وهدينا أيضا من آباء هؤلاء الذين سماهم تعالى ذكره ومن ذرياتهم واخوانهم آخرين سواهم لم يسمهم للحق والدين الخالص الذي لا شرك فيه فوفقناهم له واجتبيناهم يقول واخترناهم لديننا وبلاغ رسالتنا الى من أرسلناهم اليه كالذي اخترنا ممن سمينا يقال منه اجتبى فلان لنفسه كذا اذا اختاره واصطفاه يجتبيه اجتباء وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره واجتبيناهم قال أخلصناهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وهديناهم الى صراط مستقيم يقول وسددناهم فأرشدناهم الى طريق غير معوج وذلك دين الله الذي لا عوج

الاراءة فثبت أنه استدل بتغير الاجرام وامكانها وحدوثها على وجود الاله الواجب الحكيم ثم قال بالآخرة وتلك محنتنا والرؤية بالعين لا تصير حجة على قومه وأيضا الاراءة بالعين تفيد العلم الضروري بالاله القادر ومثل هذه المعرفة لا توجب المدح والثواب كالكفار في الآخرة وأيضا اليقين عبارة عن تحصيل علم بالتأمل اذا كان مسبوقا بالشك فالمراد نري ابراهيم ليستدل بها وليكون من الموقنين أو ليكون من الموقنين نريه أو فعلنا ذلك وذلك أن الاراءة قد تصير سببا للجحود (١٧٤) لا الايقان كما في حق فرعون ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى وأيضا الانسان لا يمكنه أن يرى بالعين أشياء كثيرة دفعة واحدة على سبيل الكمال وبتقدير الامكان لا يكون لها دوام وبقاء وبتقدير البقاء تكون شاغلة للرائي عن الله أما اذا نظر بعين البصيرة في المخلوقات وعرف حدوثها وامكانها وعرف أن كل ممكن يحتاج الى الصانع الحق الواجب فكأنه بهاتين المقدمتين قد طالع صفحة الملكوت بعين عقله وسمع باذن قلبه شهادتها بالاحتياج والانقياد لله وهذه الرؤية باقية غير زائلة ولا شاغلة عن الله بل هي شاغلة للقلب والروح بالله وهذه الرؤية وان كانت حاصلة لجميع الموحدين لقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم الآن الاطلاع على تفاصيل آثار حكمة الله تعالى في كل واحد من مخلوقات هذه العوالم بحسب أجناسها وأنواعها وأصنافها وأشخاصها وعوارضها ولواحقها كما هي لا تحصل الا لأكابر الانبياء ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في دعائه أرني الاشياء كما هي ثم ان الانسان في أول استدلاله لا ينفك قلبه عن اختلاج شبهة فيه فاذا كثرت الدلائل وتوافقت وتطابقت كان لكل واحد منها نوع تأثير وقوة ويكون جاريا مجرى تكرار الدرس الواحد وتزداد النفس بكل منها نورا واشراقا وانبساطا الى أن يحصل الجزم ويكمل الايقان وتطلع شمس العلم والعرفان الى حيث أتيح لها من الارتقاء والتصاعد وذلك

فيه وهو الاسلام الذي ارتضاه الله ربنا لانبيائه وأمر به عباده ۞ القول في تأويل قوله (ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) يعني تعالى ذكره بقوله ذلك هدى الله هذا الهدى الذي هديت به من سميت من الانبياء والرسل فوفقتهم به لاصابة الدين الحق الذي نالوا باصابتهم اياه رضا ربهم وشرف الدنيا وكرامة الآخرة هو هدى الله يقول هو توفيق الله ولطفه الذي يوفق به من يشاء ويلطف به لمن أحب من خلقه حتى ينيب الى طاعة الله واخلاص العمل له واقراره بالتوحيد ورفض الاوثان والاصنام ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون يقول ولو أشرك هؤلاء الانبياء الذين سميناهم بربهم تعالى ذكره فعبدوا معه غيره لحبط عنهم يقول لبطل فذهب عنهم أجر أعمالهم التي كانوا يعملون لأن الله لا يقبل مع الشرك به عملا ۞ القول في تأويل قوله (أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) يعني تعالى ذكره بقوله أولئك هؤلاء الذين سميناهم من أنبيائه ورسله نوحا وذريته الذين هداهم لدين الاسلام واختارهم لرسالته الى خلقه هم الذين آتيناهم الكتاب يعني بذلك صحف ابراهيم وموسى وزبور داود وانجيل عيسى صلوات الله عليهم أجمعين والحكم يعني الفهم بالكتاب ومعرفة ما فيه من الاحكام وروي عن مجاهد في ذلك ما حدثني المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا أبان قال ثنا مالك بن شداد عن مجاهد والحكم والنبوة قال الحكم هو اللب وعنى بذلك مجاهد ان شاء الله ما قلت لأن اللب هو العقل فكأنه أراد أن الله آتاهم العقل بالكتاب وهو بمعنى ما قلنا من أنه الفهم به وقد بينا معنى النبوة والحكم فيما مضى بشواهدهما فأغنى ذلك عن اعادته ۞ القول في تأويل قوله (فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين) يقول تعالى ذكره فان يكفر يا محمد بآيات كتابي الذي أنزلته اليك فيجحد هؤلاء المشركون العادلون بربهم كالذي حدثني علي بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فان يكفر بها هؤلاء يقول ان يكفروا بالقرآن ثم اختلف أهل التأويل في المعني بهؤلاء فقال بعضهم عني بهم كفار قريش وعني بقوله فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين الانصار ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال عن قتادة في قول الله تعالى فان يكفر بها هؤلاء قال أهل مكة فقد وكلنا بها أهل المدينة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمن عن جويبر عن الضحاك فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين قال الانصار حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مغراء عن جويبر عن الضحاك فان يكفر بها هؤلاء قال ان يكفر بها أهل مكة فقد وكلنا بها أهل المدينة الأنصار ليسوا بها بكافرين حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي فان يكفر بها هؤلاء يقول ان يكفر بها قريش فقد وكلنا بها الأنصار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فان يكفر بها هؤلاء أهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين أهل المدينة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن

عباس

قوله (فلما جن عليه الليل) قال في الكشاف انه معطوف على قوله واذ قال ابراهيم وقوله وكذلك نري جملة وقعت اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه يقال جن عليه الليل وأجنه الليل والتركيب يدور على الستر ومنه الجنة والجن والجنون والجنين وقيل جن عليه الليل أي أظلم عليه ولاجل هذا التضمين عدي بعلى وأما أجنه فمعناه ستره من غير تضمين معنى أظلم واعلم أن كثيرا من المفسرين ذكروا أن ملك ذلك الزمان رأى رؤيا وعبرها المعبرون بأنه يولد غلام ينازعه في ملكه فأمر بذبح كل غلام يولد فحملت أم ابراهيم عليه السلام به وما

أظهرت حملها للناس فلما جاءها الطلق ذهبت الى كهف في جبل ووضعت ابراهيم وسدت الباب بحجر فجاء جبريل عليه السلام فوضع اصبعه في فيه فمصه فخرج منه رزقه وكان يتعهده جبريل عليه السلام وكانت الام تأتيه أحيانا وترضعه وبقي في الغار حتى كبر وعرف أن له ربا فسأل الام فقال لها من ربي فقالت أنا فقال من ربك فقالت أبوك فقال لابيه من ربك فقال ملك البلد فعرف ابراهيم جهلهما بربهما فنظر من باب ذلك الغار ليرى ما يستدل به على وجود الرب سبحانه فرأى النجم الذي كان أصغر النجوم في السماء فقال هذا ربي الى آخر القصة ثم منهم من قال كان هذا بعد البلوغ وأوان التكليف ومنهم من قال كان هذا قبل البلوغ وأكثر المحققين على فساد هذا القول لوجوه منها أن القول بربوبية النجم كفر بالاجماع والكفر لا يجوز على الانبياء بالاتفاق ومنها أن ابراهيم كان قد عرف ربه قبل هذه الواقعة لان الله تعالى أخبر عنه أنه دعا أباه الى التوحيد بالرفق مرارا بقوله يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر الآيات وفي هذا الموضع دعا أباه الى التوحيد بالكلام الخشن والدعوة بالرفق مقدمة على الدعوة بالخشونة والغلظة ومنها أن هذه الواقعة كانت بعد أن أراه ملكوت السموات والارض بدليل فاء التعقيب في قوله فلما جن ومنها أنه تعالى وصفه بقوله اذ جاء ربه بقلب سليم ومدحه بقوله ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل أي من أول زمان الفطرة ومنها قوله عقب هذه القصة وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ولم يقل على نفسه ومنها أنه قال بعد القصة يا قوم اني بريء مما تشركون مع أنه ما كان في الغار لا قوم ولا صنم ومنها قوله وحاجه قومه وفيه دليل على انه انما اشتغل بالنظر في الكواكب بعد أن خالط قومه ورآهم يعبدون الاصنام ودعوه الى عبادتها فقال لا أحب الآفلين ردا عليهم وتنبيها على فساد قولهم ويؤكده قوله وكيف أخاف ما أشركتم لانه يدل على انهم كانوا قد خوفوه بالاصنام كما في قصة هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ومنها أن تلك الليلة كانت مسبوقة بالنهار وكان ينبغي أن يستدل أولا بغروب الشمس على عدم الهيتها ثم يبطل الهية القمر وسائر الكواكب بالطريق الاولى ولما لم يكن كذلك علمنا أن المقصود الزام القوم وافحامهم والابتداء بأفول الكوكب لانه اتفقت مكالمته مع القوم حال طلوع ذلك النجم ثم امتدت المناظرة الى أن طلعت الشمس ثم ههنا احتمالان الاول ان يقال ان هذ

عباس قوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين قال كان أهل المدينة قد تبوؤا الدار والايمان قبل أن يقدم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أنزل الله عليهم الآيات جحد بها أهل مكة فقال الله تعالى فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين قال عطية ولم أسمع هذا من ابن عباس ولكن سمعته من غيره **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فان يكفر بها هؤلاء يعني أهل مكة يقول ان يكفروا بالقرآن فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين يعني أهل المدينة والانصار * وقال آخرون معنى ذلك فان يكفر بها أهل مكة فقد وكلنا بها الملائكة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن عوف عن أبي رجاء فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين قال هم الملائكة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر وابن أبي عدي وعبد الوهاب عن عوف عن أبي رجاء مثله * وقال آخرون عني بقوله فان يكفر بها هؤلاء يعني قريشا وبقوله فقد وكلنا بها قوما الانبياء الذين سماهم في الآيات التي مضت قبل هذه الآية ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان يكفر بها هؤلاء يعني أهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء الثمانية عشر الذين قال الله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة فان يكفر بها هؤلاء قال يعني قوم محمد ثم قال فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين يعني النبيين الذين قص قبل هذه الآية قصصهم ثم قال أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده * وأولى هذه الاقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال عني بقوله فان يكفر بها هؤلاء كفار قريش فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين يعني به الانبياء الثمانية عشر الذين سماهم الله تعالى ذكره في الآيات قبل هذه الآية وذلك أن الخبر في الآيات قبلها عنهم مضى وفي التي بعدها عنهم ذكر فما بينهما بأن يكون خبرا عنهم أولى وأحق من أن يكون خبرا عن غيرهم فتأويل الكلام اذ كان ذلك كذلك فان يكفر قومك من قريش يا محمد بآياتنا وكذبوا وجحدوا حقيقتها فقد استحفظناها واسترعينا القيام بها رسلنا وأنبياءنا من قبلك الذين لا يجحدون حقيقتها ولا يكذبون بها ولكنهم يصدقون بها ويؤمنون بصحتها وقد قال بعضهم معنى قوله فقد وكلنا بها قوما فقد رزقناها قوما ۞ القول في تأويل قوله ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ يقول تعالى ذكره أولئك هؤلاء القوم الذين وكلنا بآياتنا وليسوا بها بكافرين هم الذين هداهم الله لدينه الحق وحفظ ما وكلوا بحفظه من آيات كتابه والقيام بحدوده واتباع حلاله وحرامه والعمل بما فيه من أمر الله والانتهاء عما فيه من نهيه فوفقهم جل ثناؤه لذلك فبهداهم اقتده يقول تعالى ذكره فبالعمل الذي عملوا والمنهاج الذي سلكوا وبالهدى الذي هديناهم والتوفيق الذي وفقناهم اقتده يا محمد أي فاعمل وخذ به واسلكه فانه عمل لله فيه رضا ومنهاج من سلكه اهتدى وهذا التأويل على مذهب من تأول قوله فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها

كلام ابراهيم بعد البلوغ ولكنه ذكره بلفظهم حتى يرجع اليه فيبطله مثاله أن يقول فى مناظرة من يزعم قدم الجسم الجسم قديم فان كان كذلك فلم نشاهده ونراه متركبا متغيرا فقولك الجسم قديم اعادة لكلام الخصم لالزام الحجة عليه أو المراد هذا ربى فى زعمكم واعتقادكم كقول الموحد للمجسم الاله جسم محدود أى فى زعمه واعتقاده قال تعالى و يوم يناديهم فيقول أين شركائى وقال ذق انك أنت العزيز الكريم أى عند نفسك وكان صلى الله عليه وسلم يقول يا اله الآلهة فى زعمهم أو المراد منه الاستفهام على سبيل الانكار الا أنه أسقط حرف الاستفهام لدلالة الكلام أو أضمر القول أى يقولون هذا ربى واضمار القول كثير واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا أى يقولان ربنا والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم أى يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا أو ذكر هذا الكلام على سبيل الاستهزاء أو أنه عليه السلام قد عرف من تقليدهم لأسلافهم و بعد طباعهم عن قبول الدلائل أنه لو صرح بالدعوة لم يقبلوا قوله فمال الى الاستدراج وذكر كلاما يوهم كونه مساعدا لهم مع أن ابراهيم كان مطمئنا بالايمان فكان بمنزلة المكره على كلمة الكفر حيث لم يجد الى الدعوة المأمور بها طريقا سوى ذلك واذا جاز ذكر كلمة الكفر لمصلحة تعود الى شخص واحد لقوله تعالى الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان فلأن يجوز ذكرها لتخليص جم غفير من الكفر والعقاب الابدى أولى قالت العلماء ان المكره على ترك الصلاة لو صلى حتى قتل استحق الاجر ثم اذا جاء وقت القتال مع الكفار وعلم أنه لو اشتغل بالصلاة انهزم عسكر الاسلام فههنا يجب عليه ترك الصلاة والاشتغال بالقتال حتى لو صلى وترك القتال أثم وان من كان فى الصلاة فرأى طفلا أو أعمى أشرف على غرق أو حرق وجب عليه قطع الصلاة لانقاذهما ومثل هذه الواقعة قوله فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم وذلك أنهم كانوا يستدلون بعلم النجوم على الحوادث المستقبلة فوافقهم ابراهيم على هذا الطريق فى الظاهر مع أنه كان بريئا عنه فى الباطن ليتوصل بذلك الى كسر الاصنام قال المتكلمون انه يصح من الله تعالى اظهار خوارق العادات على يد من يدعى الالهية لان صورة هذا المدعى وشكله يدل على كذبه فلا يروج التلبيس ولكنه لا يجوز اظهارها على يد من يدعى النبوة كاذبا لان التلبيس يروج حينئذ فكذا ههنا قوله هذا ربى لا يوجب

قال

بكافرين أنهم الانبياء المسمون فى الآيات المتقدمة وهو القول الذى اخترناه فى تأويل ذلك وأما على تأويل من تأول ذلك أن القوم الذين وكلوا بها هم أهل المدينة أو أنهم هم الملائكة فانهم جعلوا قوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اعتراضا بين الكلامين ثم ردوا قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده على قوله أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ووهبنا له اسحق و يعقوب الى قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده يا محمد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولئك الذين هدى الله يا محمد فبهداهم اقتده ولا تقتد بهؤلاء حدثنى محمد بن الحسين قال ثنى أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال ثم رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده حدثنا على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال ثم قال فى الانبياء الذين سماهم فى هذه الآية فبهداهم اقتده ومعنى الاقتداء فى كلام العرب بالرجل اتباع أثره والأخذ بهديه يقال فلان يقدو فلانا اذا نحا نحوه واتبع أثره قدة وقدوة وقدوة وقدوة

القول فى تأويل قوله (قل لا أسألكم عليه أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء الذين أمرتك أن تذكرهم بآياتى أن تبسل نفس بما كسبت من مشركى قومك يا محمد لا أسألكم على تذكيرى اياكم والهدى الذى أدعوكم اليه والقرآن الذى جئتكم به عوضا أعتاضه منكم عليه وأجرا آخذه منكم وما ذلك منى الا تذكير لكم ولكل من كان مثلكم ممن هو مقيم على باطل بأس الله أن يحل بكم وسخطه أن ينزل بكم على شرككم به وكفركم وانذار لجميعكم بين يدى عذاب شديد لتذكروا وتنزجروا

القول فى تأويل قوله (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ) يقول تعالى ذكره وما قدروا الله حق قدره وما أجلوا الله حق اجلاله ولا عظموه حق تعظيمه اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ يقول حين قالوا لم ينزل الله على آدمى كتابا ولا وحيا واختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ وفى تأويل ذلك فقال بعضهم كان قائل ذلك رجلا من اليهود ثم اختلفوا فى اسم ذلك الرجل فقال بعضهم كان اسمه مالك بن الصيف وقال بعضهم كان اسمه فنحاص واختلفوا أيضا فى السبب الذى من أجله قال ذلك ذكر من قال كان قائل ذلك مالك بن الصيف حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير قال جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى أما تجد فى التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وكان حبرا سمينا فغضب فقال والله ما أنزل الله على بشر من شئ فقال له أصحابه الذين معه ويحك ولا موسى فقال والله ما أنزل الله على بشر من شئ فأنزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين

قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قال نزلت في مالك بن الصيف كان من قريظة من أحبار يهود قل يا محمد من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس الآية ذكر من قال نزلت في فنحاص اليهودي حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قال قال فنحاص اليهودي ما أنزل الله على محمد من شيء وقال آخرون بل عني بذلك جماعة من اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم آيات مثل آيات موسى ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا يونس قال ثنا أبو معشر المدني عن محمد بن كعب القرظي قال جاء ناس من يهود الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محتب فقالوا يا أبا القاسم ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحا يحملها من عند الله فأنزل الله يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة الآية فجثا رجل من يهود فقال ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيأ فأنزل الله وما قدروا الله حق قدره قال محمد بن كعب ما علموا كيف الله اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا فحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حبوته وجعل يقول ولا على أحد حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء الى قوله في خوضهم يلعبون هم اليهود والنصارى قوم آتاهم الله علما فلم يهتدوا به ولم يأخذوا به ولم يعملوا به فذمهم الله في عملهم ذلك ذكر لنا أن أبا الدرداء كان يقول ان من أكثر ما أنا مخاصم به غدا أن يقال يا أبا الدرداء قد علمت فماذا عملت فيما علمت حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء يعني من بني اسرائيل قالت اليهود يا محمد أنزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما أنزل الله من السماء كتابا قال فأنزل الله قل يا محمد من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس الى قوله ولا آباؤكم قال الله أنزله وقال آخرون هذا خبر من الله جل ثناؤه عن مشركي قريش أنهم قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قالها مشركو قريش قال وقوله قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا قال هم يهود الذين يبدونها ويخفون كثيرا قال وقوله وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قال هذه للمسلمين حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وما قدروا الله حق قدره قال هم الكفار لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم فمن آمن أن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن

الضلال لان دلائل بطلانه جلية وفي ذلك استدراج لهم لقبول الدليل فكان جائزا * الاحتمال الثاني أنه ذكر ذلك قبل البلوغ فلعله خطر بباله لشدة ذكائه قبل بلوغه اثبات الصانع سبحانه فتفكر فرأى النجم فقال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين ثم انه تعالى أكمل بلوغه في أثناء هذا الفكر فقال عند أفول الشمس اني بريء مما تشركون واعلم أن القصة التي ذكرناها من ان ابراهيم عليه السلام ولد في الغار وتركته أمه وكان جبريل يربيه محتملة في الجملة لان الارهاص وهو تقديم المعجز على وقت الدعوى جائز عندنا ولم يجوزه القاضي الا اذا حضر في ذلك الزمان رسول من الله تعالى فتكون تلك الخوارق معجزة لذلك الرسول قال في الكشاف فان قلت لم احتج عليهم بالأفول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج بالافول أظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب وأقول الاحتجاج بالبزوغ في الآية لا يصح لانه تعالى بين أنه نظر الى الكوكب وقت كونه طالعا لا حين بزوغه ليلزم مشاهدة التغير والانتقال وكذا الى القمر والى الشمس دليله أنه لم يقل رأى القمر يبزغ بل بازغا ولو سلم فان أحسن الكلام ما يحصل فيه حصة الخواص والأوساط والعوام فالخواص يفهمون من الأفول الامكان فكل ممكن محتاج والمحتاج لا يجوز أن يكون منقطع الحاجات فلابد من الانتهاء الى الواجب بالذات وأما الاوساط فانهم يفهمون من الافول مطلق الحركة فكل متحرك محدث وكل محدث فهو محتاج الى القديم وأما العوام فانهم يفهمون من الأفول الغروب فكل كوكب يغرب فانه يزول نوره ويذهب سلطانه ويصير كالمعزول ومن كان كذلك فانه لا يصلح للالهية أقصى ما في الباب أن يقال ان لها تأثيرات في أحوال العالم السفلي ولكن تلك التأثيرات لما لم تكن لها بذاتها لزم استناد الكل الى الواجب سبحانه وهو الاله الاعظم القادر على خلق السموات والنجوم النيرات فيجب أن يكون قادرا على خلق البشر وعلى تدبير السفليات بالطريق الاولى فلا يلزم من وضع الواسطة رفع المبدا بحال ويعلم من قوله لا أحب الآفلين أنه تعالى ليس بجسم والا كان غائبا عنا فكان آفلا وانه لا يصح عليه المجيء والذهاب والنزول والصعود ولا الصفات المحدثة وفيه أن معارف الانبياء استدلالية لا ضرورية وانه لا سبيل الى معرفته تعالى الا النظر والاستدلال أما قوله فلما رأى القمر بازغا يقال بزغ القمر أو الشمس اذا ابتدأ بالطلوع وأصل البزغ الشق

كانه بنوره يشق الظلمة شقا قاله الازهري وفي قوله ان لم يهدني ربي اشارة الى أن الهداية ليست الا من الله تعالى والمعتزلة حملوها على التمكين وازاحة الاعذار ونصب الدلائل وزيف بأن كل ذلك كان حاصلا فالهداية التي كان يطلبها بعد ذلك لابد أن تكون زائدة عليها فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي أراد هذا الطالع أو هذا المرئي أو ذكر بتأويل الضياء والنور أو باعتبار الخبر وهو رب مع رعاية الادب وهو ترك التأنيث عند اللفظ الدال على الربوبية كما لم يقولوا في صفة الله علامة وان كانت بناء مبالغة هذا أكبر أي أكبر الكواكب جرما ونورا وقد برهن في الهيئة على أنها مائة وستة وستون مثلا لكرة الارض كلها وانما لم يقتصر على ذكر الشمس أولا مع أنه يلزم منه عدم ربوبية مادونها من القمر والكواكب لانه أراد الاخذ من الأدون الى الأعلى لمزيد التقرير والتصوير ياقوم انى برىء مما تشركون قيل لا يلزم من نفي ربوبية النجوم نفي الشريك مطلقا والجواب أن القوم لم ينازعوه الا في الصور المذكورة فلما أثبت أنها ليست أربابا ثبت بالاتفاق نفي الشركاء على الاطلاق ومعنى وجهت وجهي للذي فطر وجهت عبادتي لاجله فان من كان مطيعا لغيره منقادا لامره فانه يوجه وجهه اليه فجعل توجيه الوجه اليه كناية عن الطاعة وأصل الفطر الشق يقال تفطر الشجر بالورق والورد اذا أظهرهما والحنيف المائل عن كل معبود سوى الله تعالى قال أبو العالية الذي يستقبل البيت في صلاته ثم ان قومه حاجوه متمسكين بالتقليد تارة كقولهم انا وجدنا آباءنا على أمة وكقولهم للرسول صلى الله عليه وسلم أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وخوفوه اياه بالأصنام أخرى فأجابهم بقوله أتحاجوني في الله وقد هدان أي لما ثبت بالدليل الموجب للهداية صحة قولي فكيف ألتفت الى حجتكم الواهية ولا أخاف ما تشركون به لان الخوف انما يحصل ممن يقدر على النفع والضر الا أن يشاء ربي الا وقت مشيئة ربي شيأ يخاف فحذف المضاف أي الا ان أذنبت فيشاء انزال العقوبة بي أو الا أن يريد ابتلائي بمحنة أو الا أن يمكن بعض تلك الاصنام من ضري مثل أن يرجمني بكوكب أو كان قد أودع فيها طلسم فيصيبني مكروه من جهته باذن الله تعالى وفائدة الاستثناء انه لو حدث به شيء من المكاره في الايام المستقبلة لم يحمله الجهلة على قدرة الاصنام وسع ربي كل شيء علما فلا يفعل الا الخير والصلاح أفلا تتذكرون أن نفي الانداد

مجاهد وما قدروا الله حق قدره يقول مشركو قريش * وأولى هذه الاقوال بالصواب في تأويل ذلك قول من قال عنى بذلك وما قدروا الله حق قدره مشركو قريش وذلك أن ذلك في سياق الخبر عنهم أولا فأن يكون ذلك أيضا خبرا عنهم أشبه من أن يكون خبرا عن اليهود ولما يجر لهم ذكر يكون هذا به متصلا مع ما في الخبر عمن أخبر الله عنه في هذه الآية من انكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيأ من الكتب وليس ذلك مما تدين به اليهود بل المعروف من دين اليهود الاقرار بصحف ابراهيم وموسى وزبور داود واذا لم يكن بما روي من الخبر بأن قائل ذلك كان رجلا من اليهود خبر صحيح متصل السند ولا كان على أن ذلك كان كذلك من أهل التأويل اجماع وكان الخبر من أول السورة ومبتدئها الى هذا الموضع خبرا عن المشركين من عبدة الأوثان وكان قوله وما قدروا الله حق قدره موصولا بذلك غير مفصول منه لم يجز لنا أن ندعي أن ذلك مصروف عما هو به موصول الا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل ولكني أظن أن الذين تأولوا ذلك خبرا عن اليهود وجدوا قوله قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم فوجهوا تأويل ذلك الى أنه لاهل التوراة فقرؤه على وجه الخطاب لهم تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم فجعلوا ابتداء الآية خبرا عنهم اذ كانت خاتمتها خطابا لهم عندهم وغير ذلك من التأويل والقراءة أشبه بالتنزيل لما وصفت قبل من أن قوله وما قدروا الله حق قدره في سياق الخبر عن مشركي العرب وعبدة الاوثان وهو به متصل فالأولى أن يكون ذلك خبرا عنهم والأصوب من القراءة في قوله يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا أن يكون بالياء لا بالتاء على معنى أن اليهود يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا ويكون الخطاب بقوله قل من أنزل الكتاب لمشركي قريش وهذا هو المعنى الذي قصده مجاهد ان شاء الله في تأويل ذلك وكذلك كان يقرأ حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن أيوب عن مجاهد أنه كان يقرأ هذا الحرف يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا ۞ القول في تأويل قوله ﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركي قومك القائلين لك ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا يعني جلاء وضياء من ظلمة الضلالة وهدى للناس يقول بيانا للناس يبين لهم به الحق من الباطل فيما أشكل عليهم من أمر دينهم يجعلونه قراطيس يبدونها فمن قرأ ذلك تجعلونه جعله خطابا لليهود على ما بينت من تأويل من تأول ذلك كذلك ومن قرأه بالياء يجعلونه فتأويله في قراءته يجعله أهله قراطيس وجرى الكلام في يبدونها بذكر القراطيس والمراد منه المكتوب في القراطيس يراد يبدون كثيرا مما يكتبون في القراطيس فيظهرونه للناس ويخفون كثيرا مما يثبتونه في القراطيس فيسرونه ويكتمونه الناس ومما كانوا يكتمونه اياهم ما فيها من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته كالذي حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قراطيس

يبدونها

عن رب الارباب لا يوجب حلول العقاب ونزول العذاب وان الصحيح لا يساوى الفاسد والعاجز لا يساوى القادر ثم أكد ذلك بقوله وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا اذ لا سلطان فينزل وقيل انه لا يمتنع عقلا أن يؤمر باتخاذ تلك التماثيل والصور قبلة للصلاة والدعاء ولكنه لم يؤمر به والمعنى ما لكم تنكرون على الأمن فى موضع الامن ولا تنكرون على أنفسكم الامن فى موضع الخوف ثم قال فأى الفريقين يعنى فريقى المشركين والموحدين ولم يقل فأينا أحق بالامن أنا أم أنتم احترازا عن تزكية نفسه والغرض انى أحق بالأمن ان كنتم تعلمون ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا الآية والمعنى أن الذين حصل لهم الامن المطلق هم المستجمعون لكمال القوة النظرية وسنامه الايمان ولكمال القوة العلمية وهو وضع الاشياء فى موضعها واليه الاشارة بقوله ولم يلبسوا أى لم يخلطوا ايمانهم بظلم قالت الاشاعرة شرط فى الايمان الموجب للامن عدم الظلم ولو كان ترك الظلم داخلا فى الايمان لم يكن لهذا التقييد فائدة فثبت أن الفاسق مؤمن وقالت المعتزلة شرط فى حصول الامن حصول الامرين الايمان وعدم الظلم فوجب أن لا يحصل الامن للفاسق وذلك يوجب حصول الوعيد له أبدا وأجيب بان الظلم ههنا الشرك لقوله ان الشرك لظلم عظيم واجتماعه مع الاقرار بالصانع ممكن وحينئذ يصح اطلاق اللبس بمعنى الخلط ويكون المراد الذين آمنوا بالله ولم يثبتوا له شريكا فى المعبودية ويؤيده أن القصة وردت فى نفى الاضداد والانداد وأيضا لا يلزم من عدم الامن المطلق حصول القطع بالعذاب الابدى واعلم أن المحاجة فى الله تارة تكون موجبة للذم والانكار كمحاجة قوم ابراهيم وتارة تكون موجبة للمدح وذلك اذا كان الغرض تقرير الدين الحق والمذهب الصدق كمحاجة ابراهيم من قوله فلما جن عليه الليل الى ههنا واليها الاشارة بقوله وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم أرشدناه اليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء من قرأ بالاضافة فظاهر لان رفع يتعدى الى واحد ومن قرأ بالتنوين فيكون كقوله ورفع بعضهم درجات وقد تقدم فى البقرة واختلف فى تلك الدرجات فقيل أعماله فى الآخرة وقيل تلك الحجج درجات رفيعة لانها تقتضى ارتفاع الروح من حضيض العالم الجسمانى الى أعلى العالم الروحانى وقيل نرفع من نشاء فى الدنيا بالنبوة والحكمة

يبدونها ويخفون كثيرا اليهود **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قل يا محمد من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس يبدونها يعنى يهود لما أظهروا من التوراة ويخفون كثيرا مما أخفوا من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه قال ابن جريج وقال عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا قال هم يهود الذين يبدونها ويخفون كثيرا ❁ القول فى تأويل قوله ﴿وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون﴾ يقول تعالى ذكره وعلمكم الله جل ثناؤه الكتاب الذى أنزله اليكم ما لم تعلموا أنتم من أخبار من قبلكم ومن أنباء من بعدكم وما هو كائن فى معادكم يوم القيامة ولا آباؤكم يقول ولم يعلمه آباؤكم أيها المؤمنون بالله من العرب وبرسوله صلى الله عليه وسلم كالذى **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن أيوب عن مجاهد وعلمتم معشر العرب ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول فى قوله وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قال هذه للمسلمين وأما قوله قل الله فانه أمر من الله جل ثناؤه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يجيب استفهامه هؤلاء المشركين عما أمره باستفهامهم عنه بقوله قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا بقيل الله كما أمره اياه فى موضع آخر فى هذه السورة بقوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فأمره باستفهام المشركين عن ذلك كما أمره باستفهامهم اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ عمن أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس ثم أمره بالاجابة عنه هنالك بقيله قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون كما أمره بالاجابة ههنا عن ذلك بقيله الله أنزله على موسى كما **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس قال الله أنزله ولو قيل معناه قل هو الله على وجه الامر من الله له بالخبر عن ذلك لا على وجه الجواب اذ لم يكن قوله قل من أنزل الكتاب مسألة من المشركين لمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون قوله قل الله جوابا لهم عن مسألتهم فانما هو أمر من الله لمحمد بمسألة القوم من أنزل الكتاب فيجب أن يكون الجواب منهم غير الذى قاله ابن عباس من تأويله كان جائزا من أجل أنه استفهام ولا يكون للاستفهام جواب وهو الذى اخترنا من القول فى ذلك لما بينا وأما قوله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون فانه يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذر هؤلاء المشركين العادلين بربهم الأوثان والأصنام بعد احتجاجك عليهم فى قيلهم ما أنزل الله على بشر من شئ بقولك من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس واجابتك ذلك بأن الذى أنزله الله الذى أنزل عليك كتابه فى خوضهم يعنى فيما يخوضون فيه من باطلهم وكفرهم بالله وآياته يلعبون يقول يستهزؤن ويسخرون وهذا من الله وعيد لهؤلاء المشركين وتهديد لهم يقول الله جل ثناؤه ثم دعهم لاعبين يا محمد فانى من وراء

ما هم فيه من استهزائهم بآياتي بالمرصاد وأذيقهم بأسي وأحل بهم ان تمادوا في غيهم سخطي

القول في تأويل قوله (وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدّق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها) يقول تعالى ذكره وهذا القرآن يا محمد كتاب وهو اسم من أسماء القرآن قد بينته وبينت معناه فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته ومعناه مكتوب فوضع الكتاب مكان المكتوب أنزلناه يقول أوحيناه اليك مبارك وهو مفاعل من البركة مصدق الذي بين يديه يقول صدق هذا الكتاب ما قبله من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه قبلك لم يخالفها ولا نبأ وهو معنى نورا وهدى للناس يقول هو الذي أنزل اليك يا محمد هذا الكتاب مباركا مصدقا كتاب موسى وعيسى وغير ذلك من كتب الله ولكنه جل ثناؤه ابتدأ الخبر عنه اذ كان قد تقدم الخبر عن ذلك ما يدل على أنه به متصل فقال وهذا كتاب أنزلناه اليك مبارك ومعناه وكذلك أنزلت اليك كتابي هذا مباركا كالذي أنزلت من التوراة الى موسى هدى ونورا وأما قوله ولتنذر أم القرى ومن حولها فانه يقول أنزلنا اليك يا محمد هذا الكتاب مصدقا ما قبله من الكتب ولتنذر به عذاب الله وبأسه من في أم القرى وهي مكة ومن حولها شرقا وغربا من العادلين بربهم غيره من الآلهة والأنداد والجاحدين برسله وغيرهم من أصناف الكفار وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولتنذر أم القرى ومن حولها يعني بأم القرى مكة ومن حولها من القرى الى المشرق والمغرب حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولتنذر أم القرى ومن حولها وأم القرى مكة ومن حولها الارض كلها حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة ولتنذر أم القرى قال هي مكة وبه عن معمر عن قتادة قال بلغني أن الارض دحيت من مكة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولتنذر أم القرى ومن حولها كنا نحدث أن أم القرى مكة وكنا نحدث أن منها دحيت الارض حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولتنذر أم القرى ومن حولها أما أم القرى فهي مكة وانما سميت أم القرى لأنها أول بيت وضع بها وقد بينا فيما مضى العلة التي من أجلها سميت مكة أم القرى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع

القول في تأويل قوله (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) يقول تعالى ذكره ومن كان يؤمن بقيام الساعة والمعاد في الآخرة الى الله ويصدق بالثواب والعقاب فانه يؤمن بهذا الكتاب الذي أنزلناه اليك يا محمد ويصدق به ويقر بأن الله أنزله ويحافظ على الصلوات المكتوبات التي أمره الله باقامتها لأنه منذر من بلغه وعيد الله على الكفر به وعلى معاصيه وانما يجحده ويعاصيه ويكذب أهل التكذيب بالمعاد والجحود لقيام الساعة لانه لا يرجو من الله ان عمل بما فيه ثوابا ولا يخاف ان لم يجتنب ما يأمره باجتنابه عقابا

القول في تأويل قوله (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا

وفي الآخرة بالجنة والثواب أو نرفع درجات من نشاء بالحكمة والعلم ان ربك حكيم عليم فيرفع الدرجات بمقتضى الحكمة والعلم لا لموجب التشهي والشهوة * (التأويل) رأى ابراهيم ملكوت الاشياء أي بواطنها ليكون من الموقنين عند كشفها كما كان موقنا عند كشف الضلال المودع في آزر وقومه فلما جن عليه ظلمة ليل البشرية أمطر سحاب العناية غيث الهداية على أرض قلبه فأنبت بذر الخلة المودعة في ملكوت قلبه فرأى نور الرشد في صورة الكوكب طالعا من أفق سماء روحانيته فقال هذا ربي أراد به سره المكوكب لا الكوكب وان لم يشعر به نفسه كما قيل

هوى فؤادي ولم يعلم به بدني * فالجسم في غربة والروح في وطن

فان كذبت النفس فيما قالت للكوكب هذا ربي ما كذب الفؤاد ما رأى من الكوكب فقال هذا ربي فلما احتجب كوكب نور الرشد بغلبات صفات الخلقية عند رجوعه الى أوصافه ووافقه كوكب السماء بالغروب قال سره لا أحب الآفلين فلما اتسع انفتاح روزنة القلب الى الملكوت بقدر القمر تجلى له نور الربوبية في مرآة القمر قال هذا ربي فلما أفل عند رجوعه الى أوصافه ازداد الشوق قال ان لم يهدني ربي برفع حجب الاوصاف ويبقني على وجود الخليقة لاكونن من القوم الضالين عن الحق كآزر وقومه فلما انخرقت حجب الاوصاف وخرجت شمس الهداية من غيم البشرية وأشرقت أرض القلب بنور ربها قال هذا ربي فلما أفلت شمس الهداية تعززا وتعظما لغرب ابراهيم عليه السلام عن شرك الانانية

ان شمس النهار تغرب بالليـ * ـل وشمس القلوب ليست تغيب

تبرأ عن الاضداد والانداد ونزعته همة الخلة عن الجهات وخلصه تجلي صفة الجمال عن شبكة الوهم والخيال فقال يا قوم اني بريء مما تشركون وقد يدور في الخلد أن ابراهيم صلوات الله الرحمن عليه جن عليه ظلمة الشبهة فنظر أولا في عالم الاجسام فوجدها آفلة في أفق التغير فلم يرها تصلح للالهية فارتقى أو منها الى عالم النفوس المدبرة للاجسام فرآها آفلة في أفق الاستكمال فكان حكمها حكم ما دونها فصعد منها الى عالم العقول المجردة فصادفها آفلة في أفق الامكان فلم يبق الا الواجب الحق ومن الناس من حمل الكوكب على الحس والقمر على الخيال والشمس على الوهم والعقل ومراده أن هذه القوى المدركة الثلاثة قاصرة متناهية القوة ومدبر العالم قاهر لها مستول عليها وحاجه قومه ليسلوا واستور شبههم على شموس

عرفانه وقد هذا الى اليه بالعيان بعد توالى البرهان الا أن يشاء ربى شيأ من الخذلان وهذا محال لانه وسع ربى كل شئ علما فهو أعلم بأهل العرفان و بأصحاب الخذلان ولم يلبسوا ايمانهم بظلم بشرك الالتفات الى غيره من الاكوان حتى قال لجبريل أما اليك فلا وتلك يعنى اراءة الملكوت وشواهد الربوبية فى مرآة الكواكب وصدق التوجه الى الحق والتبرى عما سواه والخلاص عن شرك الانانية والايمان الحقيقى بالعيان حتى ارتقى من الافعال الى الصفات ثم الى الذات آتيناها ابراهيم بذاتنا من غير واسطة حتى جعلها حجة على

أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾ يعنى جل ذكره بقوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ومن أخطأ قولا وأجهل فعلا ممن افترى على الله كذبا يعنى ممن اختلق على الله كذبا فادعى عليه أنه بعثه نبيا وأرسله نذيرا وهو فى دعواه مبطل وفى قيله كاذب وهذا تسفيه من الله لمشركى العرب وتجهيل منه لهم فى معارضة عبد الله بن سعد بن أبى سرح والحنفى مسيلمة لنبى الله صلى الله عليه وسلم بدعوى أحدهما النبوة ودعوى الآخر أنه قد جاء بمثل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفى منه عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اختلاق الكذب عليه ودعوى الباطل * وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم فيه نحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ قال نزلت فى مسيلمة أخى بنى عدى بن حنيفة فيما كان يسجع ويتكهن به ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح أخى بنى عامر بن لؤى كان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم وكان فيما على عزيز حكيم فيكتب غفور رحيم فيغيره ثم يقرأ عليه كذا وكذا لما حول فيقول نعم سواء فرجع عن الاسلام ولحق بقريش وقال لهم لقد كان ينزل عليه عزيز حكيم فأحوله ثم أقول لما أكتب فيقول نعم سواء ثم رجع الى الاسلام قبل فتح مكة اذ نزل النبى صلى الله عليه وسلم بمر وقال بعضهم بل نزل ذلك فى عبد الله بن سعد خاصة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ الى قوله تجزون عذاب الهون قال نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح أسلم وكان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم فكان اذا أملى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب سميعا عليما فشك وكفر وقال ان كان محمد يوحى اليه فقد أوحى الى وان كان الله ينزله فقد أنزلت مثل ما أنزل الله قال محمد سميعا عليما فقلت أنا عليما حكيما فلحق بالمشركين ووشى بعمار وجبير عند ابن الحضرمى أو لبنى عبد الدار فأخذوهم فعذبوا حتى كفروا وجدع أذن عمار يومئذ فانطلق عمار الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بما لقى والذى أعطاهم من الكفر فأبى النبى صلى الله عليه وسلم أن يتولاه فأنزل الله فى شأن ابن أبى سرح وعمار وأصحابه من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فالذى أكره عمار وأصحابه والذى شرح بالكفر صدرا فهو ابن أبى سرح وقال آخرون بل القائل أوحى الى ولم يوح اليه شئ مسيلمة الكذاب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ذكر لنا أن هذه الآية نزلت فى مسيلمة ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت فيما يرى النائم كأن فى يدى سوارين من ذهب فكبرا على وأهمانى فأوحى الى أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما فى منامى الكذابين اللذين أنا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة

قومه نرفع درجات من نشاء بجذبات الالوهية عن حضيض الانانية الله حسبى ﴿ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسئلكم عليه أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين﴾ القراآت واليسع بتشديد اللام حمزة وعلى وخلف الباقون بالتخفيف اقتده باشباع الهاء ابن عامر الحلوانى عن هشام مختلسة وبحذف الهاء فى الوصل سهل ويعقوب وحمزة وعلى وخلف الباقون بسكون هاء السكت على الاصل * الوقوف ويعقوب ط كلا هدينا ج لأن ونوحا مفعول ما بعده ولو وصل التبس بأنه مفعول ما قبله مع اتفاق الجملتين وهرون ط المحسنين ه لا للعطف والياس ط من الصالحين ه لا للعطف ولوطا ط العالمين ه لا للعاطف واخوانهم ج لبيان أن قوله واجتبيناهم يعود الى قوله كلا هدينا كقوله ومن هدينا واجتبينا ولاحتمال الواو الحال أى وقد اجتبيناهم وذكر هديناهم بعده مستقيم ه من عباده ط يعملون ه والنبوة ج بكافرين ه اقتده ط أجرا ط للعالمين ه * (التفسير) لما حكى حجج ابراهيم صلوات الرحمن عليه فى التوحيد والذب عن الدين الحنيفى عدد وجوه نعمه واحسانه عليه بعد نعمة ايتاء الحجة ورفع الدرجة فقال ووهبنا له باللفظ الدال على العظمة

كما يقوله عظماء الملوك ليدل بذلك على عظم العطية وذلك أنه جعل أشرف الناس وهم الانبياء والرسل من نسله وعقبه قيل وانما لم يذكر اسمعيل مع اسحق وان كان هو أيضا ابنه لصلبه لأن المقصود بالذكر ههنا أنبياء بني اسرائيل وهم بأسرهم أولاد اسحق و يعقوب وأما اسمعيل فانه ما خرج من صلبه أحد من الانبياء الا محمد صلى الله عليه وآله ولا يجوز ذكر محمد صلى الله عليه وآله في هذا المقام لانه أمر محمدا أن يحتج على العرب بأن ابراهيم لما ترك الشرك وأصر على التوحيد شرفه الله بالنعم الجسام في الدين

والدنيا ومن جملة ذلك أن آتاه أولادا كانوا ملوكا وأنبياء فاذا كان المحتج بهذه الحجة هو محمد امتنع أن يذكر نفسه في هذا المعرض فلهذا السبب لم يذكر اسمعيل مع اسحق أما قوله (ونوحا هدينا من قبل) فالمقصود منه بيان كرامة ابراهيم بحسب الآباء أيضا مثل نوح وادريس وشيث وأما الضمير في قوله ومن ذريته فقد قيل انه يعود الى نوح لأنه أقرب ولأنه تعالى ذكر في جملتهم لوطا وهو كان ابن أخي ابراهيم وما كان من ذريته بل كان من ذرية نوح ولأن ولد الانسان لا يقال انه ذريته فعلى هذا اسمعيل ما كان من ذرية ابراهيم وكان من ذرية نوح ولأن يونس عليه السلام لم يكن من ذرية ابراهيم على قول بعضهم وقيل الضمير عائد الى ابراهيم لأنه هو المقصود بالذكر في هذا المقام * واعلم أن الله تعالى ذكر أربعة من الانبياء وهم نوح وابراهيم واسحق ويعقوب ثم ذكر من ذريتهم أربعة عشر نبيا داود وسليمن وأيوب ويوسف وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى والياس واسمعيل واليسع ويونس ولوطا فالمجموع ثمانية عشر وأنه لم يراع الترتيب بينهم في الآية لا بحسب الفضل والشرف ولا بحسب الزمان والمدة فاستدل العلماء بذلك على أن الواو لا تفيد الترتيب وقال في التفسير الكبير ان وجه الترتيب أنه تعالى خص كل طائفة من طوائف الانبياء بنوع من الكرامة فمن المراتب المعتبرة عند الجمهور الملك والسلطنة وقد أعطى داود وسليمن من ذلك نصيبا عظيما والمرتبة الثانية البلاء والمحنة وقد خص أيوب بذلك والثالثة اجتماع الحالتين وذلك في حق يوسف فانه ابتلي أولا ثم أوتي الملك ثانيا الرابعة قوة المعجزات وكثرة البراهين والبينات وذلك حال موسى وهرون الخامسة الزهد الكامل كما في حق زكريا ويحيى وعيسى

وكذاب صنعاء العنسي وكان يقال له الاسود **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال أوحي الي ولم يوح اليه شئ قال نزلت في مسيلمة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة و زاد فيه وأخبرني الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فكبر ذلك علي فأوحي الي أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولت ذلك كذاب اليمامة وكذاب صنعاء العنسي * وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال ان الله قال ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شئ ولا تمانع بين علماء الامة أن ابن أبي سرح كان ممن قال اني قد قلت مثل ما قال محمد وانه ارتد عن اسلامه ولحق بالمشركين فكان لا شك بذلك من قيله مفتريا كذبا وكذلك لا خلاف بين الجميع أن مسيلمة والعنسي الكذابين ادعيا على الله كذبا أنه بعثهما نبيين وقال كل واحد منهما ان الله أوحى اليه وهو كاذب في قيله فاذ كان ذلك كذلك فقد دخل في هذه الآية كل من كان مختلقا على الله كذبا وقائلا في ذلك الزمان وفي غيره أوحى الله الي وهو في قيله كاذب لم يوح الله اليه شيأ فأما التنزيل فانه جائز أن يكون نزل بسبب بعضهم وجائز أن يكون نزل بسبب جميعهم وجائز أن يكون عني به جميع المشركين من العرب اذ كان قائلو ذلك منهم فلم يغيروه فعيرهم الله بذلك وتوعدهم بالعقوبة على تركهم نكير ذلك ومع تركهم نكيره هم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مكذبون ولنبوته جاحدون ولآيات كتاب الله وتنزيله دافعون فقال لهم جل ثناؤه ومن أظلم ممن ادعى على النبوة كاذبا وقال أوحي الي ولم يوح اليه شئ ومع ذلك يقول ما أنزل الله على بشر من شئ فينقض قوله بقوله و يكذب بالذي تحققه و ينفي ما يثبته وذلك اذا تدبره العاقل الاريب علم أن فاعله من عقله عديم وقد روي عن ابن عباس أنه كان يقول في قوله ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ما **حدثني** محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله قال زعم أنه لو شاء قال مثله يعني الشعر فكان ابن عباس في تأويله هذا على ما تأوله يوجه معنى قول قائل سأنزل مثل ما أنزل الله الى سأنزل مثل ما قال الله من الشعر وكذلك تأوله السدي وقد ذكرنا الرواية عنه قبل فيما مضى * القول في تأويل قوله ﴿ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو ترى يا محمد حين يغمر الموت بسكراته هؤلاء الظالمين العادلين بربهم الآلهة والأنداد والقائلين ما أنزل الله على بشر من شئ والمفترين على الله كذبا الزاعمين أن الله أوحى اليه ولم يوح اليه شئ والقائلين سأنزل مثل ما أنزل الله فتعاينهم وقد غشيتهم سكرات الموت ونزل بهم أمر الله وحان فناء آجالهم والملائكة باسطو أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم كما قال جل ثناؤه فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه يقولون لهم أخرجوا أنفسكم والغمرات جمع غمرة وغمرة كل شئ كثرته ومعظمه وأصله الشئ الذي يغمر الاشياء فيغطيها ومنه قول الشاعر

وهل

والياس ولهذا وصفهم بأنهم من الصالحين السادسة الانبياء الذين ليس لهم في الخلق أتباع ولا أشياع وهم اسمعيل واليسع ويونس ولوط وأما المراد بقوله (كلا هدينا ونوحا هدينا) قيل المراد الهداية الى طريق الجنة بدليل قوله (وكذلك نجزي المحسنين) فان جزاء المحسن على احسانه لا يكون الا الثواب وقيل لا يبعد أن يقال المراد الهداية الى الدين والمعرفة لأنهم اجتهدوا في طلب الحق فجازاهم الله بالوصال والوصول كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل انها الارشاد الى النبوة والرسالة لأن الهداية المخصوصة بالانبياء ليست الا ذلك وهذا انما يصح عند من جوز أن تكون الرسالة جزاء على عمل واستدل بعضهم بقوله (وكلا فضلنا على العالمين) على أن الانبياء أفضل من الملائكة وذلك أن العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه الملائكة وكذا الأولياء وقيل فضلناهم على عالمي زمانهم فلا يتم الاستدلال قال القاضي ويمكن أن يقال المراد وكل من الانبياء يفضلون على كل من سواهم من العالمين ثم الكلام في ان أي الانبياء أفضل من بعض كلام آخر لا تعلق له بالاول ثم قال (ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم) معطوف على كلا أي فضلنا بعض آبائهم فالآباء هم الاصول والذريات هم الفروع والاخوان فروع الاصول وفيه دليل على أنه تعالى خص كل من تعلق بهؤلاء بنوع من الشرف والكرامة ثم ان قلنا المراد من الهداية الهداية الى الثواب والجنة فقوله من آبائهم وكلمة من للتبعيض يدل على أنه قد كان في آباء هؤلاء الانبياء من كان غير مؤمن ولا واصل الى الجنة وان فسرنا الهداية بالنبوة لم يفد ذلك الا أنه يفيد أن لا تكون المرأة رسولا ولا نبيا (واجتبيناهم) أي اصطفيناهم من جبيت الماء

وهل ينجي من الغمرات الا * تراك للقتال أو الفرار

وروى عن ابن عباس في ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت قال سكرات الموت حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله في غمرات الموت يعني سكرات الموت وأما بسط الملائكة أيديهم فانه مدها ثم اختلف أهل التأويل في سبب بسطها أيديها عند ذلك فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم قال هذا عند الموت والبسط الضرب يضربون وجوههم وأدبارهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم يقول الملائكة باسطوا أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم والظالمون في غمرات الموت وملك الموت يتوفاهم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي والملائكة باسطو أيديهم يضربونهم وقال آخرون بل بسطها أيديها بالعذاب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن جويبر عن الضحاك والملائكة باسطوا أيديهم قال بالعذاب حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح والملائكة باسطوا أيديهم بالعذاب وكان بعض نحويي الكوفيين يتأول ذلك بمعنى باسطوا أيديهم باخراج أنفسهم فان قال قائل ما وجه قوله أخرجوا أنفسكم ونفوس بني آدم انما يخرجها من أبدان أهلها رب العالمين فكيف خوطب هؤلاء الكفار وأمروا في حال الموت باخراج أنفسهم فان كان ذلك كذلك فقد وجب أن يكون بنو آدم هم يقبضون أنفس أجسامهم قيل ان معنى ذلك بخلاف الذي ذهبت وانما ذلك أمر من الله على ألسن رسله الذين يقبضون أرواح هؤلاء القوم من أجسامهم بأداء ما أسكنها ربها من الارواح اليه وتسليمها الى رسله الذين يتوفونها ۞ القول في تأويل قوله (اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) وهذا خبر من الله جل ثناؤه عما تقول رسل الله التي تقبض أرواح هؤلاء الكفار لها يخبر عنها أنها تقول لاجسامها ولأصحابها أخرجوا أنفسكم الى سخط الله ولعنته فانكم اليوم تثابون على كفركم بالله وقيلكم عليه الباطل وزعمكم أن الله أوحى اليكم ولم يوح اليكم شيأ وانذاركم أن يكون الله أنزل على بشر شيأ واستكباركم عن الخضوع لأمر الله وأمر رسوله والانقياد لطاعته عذاب الهون وهو عذاب جهنم الذي يهينهم فيذلهم حتى يعرفوا صغار أنفسهم وذلتها كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما عذاب الهون فالذي يهينهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج اليوم تجزون عذاب الهون قال عذاب الهون في الآخرة بما كنتم تعملون والعرب اذا أرادت بالهون معنى الهوان ضمت الهاء واذا أرادت

في الحوض وجبوته أي جمعته (ذلك هدى الله) اشارة الى معرفة التوحيد والتنزيه بدليل قوله ولو أشركوا لحبط وفيه دليل على أن الهداية من الله تعالى وليس للعبد فيها اختيار وفيه تهديد عظيم كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك والغرض من ذلك زجر الامة (أولئك) يعني الانبياء الثمانية عشر (الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) ولا بد بحكم العطف من تغاير الأمور الثلاثة ووجهه بأن الحكام على الخلق ثلاث طوائف الحكام على بواطن الناس وهم العلماء والحكام على ظواهر الخلق وهم السلاطين والجامعون بين الأمرين وهم

الانبياء فالامور الثلاثة اشارة الى هذه الاصناف الثلاثة ومعنى ايتاء الكتاب الفهم التام بما فى هذا الجنس والعلم المحيط بحقائقه وأسراره ولو قيل المراد بالايتاء الابتداء بالوحى والتنزيل كصحف ابراهيم وتوراة موسى وانجيل عيسى لم يشمل كل المذكورين لانه تعالى ما أنزل على كل واحد منهم كتابا على التعيين (فان يكفر بها) أى بالامور الثلاثة أو بالنبوة (هؤلاء) يعنى أهل مكة (فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين) أى ليسوا كافرين بها ومن توكيلهم بها أنهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشئ ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه ومن القوم قيل كل مؤمن وقيل أهل المدينة وهم الانصار وقيل هم والمهاجرون وقال الحسن هم الانبياء الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج لقوله عقيب ذلك أولئك الذين هدى الله وقال أبو رجاء يعنى الملائكة وضعف بأن اسم القوم قلما يقع على غير بنى آدم وفى الآية دلالة على أنه تعالى سينصر نبيه ويظاهر دين الاسلام على كل الاديان وقد وقع ما وعد وكان اخبارا بالغيب فصح إعجاز القرآن وفيها استدلال للاشاعرة على أنه تعالى خلق قوما للايمان ولو كان خلق الكل للايمان والبيان والتمكين وفعل الالطاف مشتركا بين الكل لم يصح هذا التخصيص أجاب الكعبى بأنه زاد المؤمنين من الألطاف ما لا يحصيه الا الله وبتقدير أن يستوى فاذا لم ينتفع به الكافر صح بحسب الظاهر أن يقال انه لم يحصل له تلك الالطاف ورد بأن الالطاف الداعية الى الايمان مشترك فيها بين الكافر والمؤمن وبأن الوالد لما سوى بين الولدين فى العطية ثم ان أحدهما ضيع نصيبه فأى عاقل يجوز أن يقول ان الأب ما أنعم عليه وما أعطاه شيأ (فبهداهم اقتده) من حذف الهاء فى الوصل فعلى الاصل ومن أثبتها فى الوصل كما فى الوقف أراد موافقة المصحف فان الهاء ثابتة فى الخط فكره مخالفة الخط فى الحالين وأما قراءة ابن عامر يحال بكسر الهاء بغير اشباع فقال أبو بكر بن مجاهد انها غلط وقال أبو على الفارسى ليست بغلط ووجهها أن يجعل الهاء كناية عن المصدر الدال عليه الفعل والتقدير فبهداهم اقتد الاقتداء وتقديم المفعول للاختصاص أى لا تقتد الا بهم ولا خلاف فى أنه أمر لمحمد صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بالانبياء المذكورين انما الكلام فى تفسير الهدى فمن الناس من قال المراد الذى أجمعوا عليه وهو القول بالتوحيد والتنزيه

به الرفق والدعة وخفة المؤنة فتحت الهاء فقالوا هو قليل هون المؤنة ومنه قول الله الذين يمشون على الارض هونا يعنى بالرفق والسكينة والوقار ومنه قول المثنى بن جندل الطهوى

ونقض أيام نقضن أسره * هونا وألقى كل شيخ فخره

* (ومنه قول الآخر) *

هونكما لا يرد الدهر ما فاتا * لا تهلكا أسفا فى إثر من ماتا

يريد رودا وقد حكى فتح الهاء فى ذلك بمعنى الهوان واستشهدوا على ذلك ببيت عامر بن جوين

يهين النفوس وهون النفو * س عند الكريهة أعلى لها

والمعروف من كلامهم ضم الهاء منه اذا كان بمعنى الهوان والذل كما قال ذو الاصبع العدوانى

اذهب اليك فما أمى براعية * ترعى المخاض ولا أغضى على الهون

يعنى على الهوان واذا كان بمعنى الرفق ففتحها ❁ القول فى تأويل قوله ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عما هو قائل يوم القيامة لهؤلاء العادلين به الآلهة والانداد يخبر عباده أنه يقول لهم عند ورودهم عليه لقد جئتمونا فرادى ويعنى بقوله فرادى وحدانا لا مال معهم ولا أثاث ولا رفيق ولا شئ مما كان الله خولهم فى الدنيا كما خلقناكم أول مرة عراة غلفا غرلا حفاة كما ولدتهم أمهاتهم وكما خلقهم جل ثناؤه فى بطون أمهاتهم لا شئ عليهم ولا معهم مما كانوا يتباهون به فى الدنيا وفرادى جمع يقال لواحدها فرد كما قال نابغة بنى ذبيان

من وحش وجرة موشى أكارعه * طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد

وفرد وفريد كما يقال وحد ووحد ووحيد فى واحد الأوحاد وقد يجمع الفرد الفراد كما يجمع الوحد الوحاد ومنه قول الشاعر

ترى النعرات الزرق فوق لبانه * فرادو مثنى أصعقتها صواهله

وكان يونس الجرمى فيما ذكر عنه يقول فراد جمع فرد كما قيل توم وتوام للجميع ومنه الفرادى والردافى والغوانى ويقال رجل فرد وامرأة فرد اذا لم يكن لها أخ وقد فرد الرجل فهو يفرد فرودا يراد به تفرد فهو فارد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال أخبرنى عمرو أن ابن أبى هلال حدثه أنه سمع القرظى يقول قرأت عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قول الله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة فقالت واسوأتاه ان الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم الى سوأة بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال شغل بعضهم عن بعض وأما قوله وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم فانه يقول خلفتم أيها القوم ما مكناكم فى الدنيا مما كنتم تتباهون به فيها خلفكم فى الدنيا فلم تحملوه معكم وهذا تعيير من الله جل ثناؤه لهؤلاء المشركين بمباهاتهم التى كانوا يتباهون بها فى الدنيا بأموالهم وكل من ملكته غيرك وأعطيته فقد خولته يقال منه خال الرجل

عن كل مالا يليق به في الذات والصفات والافعال وقال آخرون المراد به الاقتداء بهم في شرائعهم الا ما خصه الدليل وعلى هذا فيلزمنا شرع من قبلنا وقيل اللفظ مطلق فيحمل على الكل الا ما خصه الدليل المفصل وقال القاضي هذا بعيد لأن شرائعهم مختلفة متناقضة ولا يمكن الاتيان بالأمور المتناقضة معا ولأن الهدى عبارة عن الدليل دون نفس العمل ودليل اثبات شرعهم كان مخصوصا بتلك الاوقات ولأن منصبهم يلزم أن يكون أجل من منصبه وأنه باطل بالاجماع وأجيب بأن العام يجب تخصيصه في الصورة المتناقضة

بخال أشد الخيال بكسر الخاء وهو خائل ومنه قول أبي النجم

أعطى فلم يبخل ولم يبخل * كوم الذرى من خول المخول

وقد ذكر أن أبا عمرو بن العلاء كان ينشد بيت زهير

هنالك ان تستخولوا المال تخولوا * وان تسألوا تعطوا وان تيسروا تعلوا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وتركتم ما خولناكم من المال والخدم وراء ظهوركم في الدنيا ۞ القول في تأويل قوله (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) يقول تعالى ذكره لهؤلاء العادلين بربهم الانداد يوم القيامة ما نرى معكم شفعاءكم الذين كنتم في الدنيا تزعمون أنهم يشفعون لكم عند ربكم يوم القيامة وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحرث لقيله ان اللات والعزى يشفعان له عند الله يوم القيامة وقيل ان ذلك كان قول كافة عبدة الاوثان ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما قوله وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء فان المشركين كانوا يزعمون أنهم كانوا يعبدون الآلهة لانهم شفعاء يشفعون لهم عند الله وان هذه الآلهة شركاء لله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج أخبرني الحكم بن أبان عن عكرمة قال قال النضر بن الحرث سوف تشفع لي اللات والعزى فنزلت هذه الآية ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة الى قوله شركاء ۞ القول في تأويل قوله (لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون) يقول تعالى مخبرا عن قيله يوم القيامة لهؤلاء المشركين به الأنداد لقد تقطع بينكم يعني تواصلهم الذي كان بينهم في الدنيا ذهب ذلك اليوم فلا تواصل بينهم ولا توادد ولا تناصر وقد كانوا في الدنيا يتواصلون ويتناصرون فاضمحل ذلك كله في الآخرة فلا أحد منهم ينصر صاحبه ولا يواصله وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لقد تقطع بينكم البين تواصلهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لقد تقطع بينكم قال تواصلهم في الدنيا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لقد تقطع بينكم قال وصلكم وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لقد تقطع بينكم قال ما كان بينكم من الوصل حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون يعني الارحام والمنازل حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي لقد تقطع بينكم يقول تقطع ما بينكم حدثنا أبو كريب قال قال أبو بكر ابن عياش لقد تقطع بينكم التواصل في الدنيا واختلفت القراء في قوله بينكم فقرأته عامة قراء أهل المدينة نصبا بمعنى لقد تقطع ما بينكم وقرأ ذلك عامة قراء مكة والعراقين لقد تقطع بينكم

فيبقى فيما عداها حجة وأن المستدل بالدليل فعل في ذلك الحكم فلا معنى للاقتداء بالدليل الا اذا كان فعل الاول سببا لوجوب الفعل على الثاني وبأنه يلزم أن يكون منصبه أجل من منصبهم لأنه أمر باستجماع خصال الكمال وصفات الشرف التي كانت متفرقة فيهم كالشكر في داود وسليمان والصبر في أيوب والزهد في زكريا ويحيى وعيسى والصدق في اسمعيل والتضرع في يونس والمعجزات الباهرة في موسى وهرون ولهذا قال لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي ولما أمره بالاقتداء بالانبياء وكان من جملة هداهم أن لا يطلبوا الأجر أي المال والجعل في ايصال الدين وابلاغ الشريعة قيل له (قل لا أسئلكم) أيها الأمة (عليه) على البلاغ (أجرا ان هو) يعني القرآن (الا ذكرى للعالمين) يريد كونه مشتملا على كل ما يحتاجون اليه في المعاش والمعاد وفيه دليل على أنه صلى الله عليه وآله كان مبعوثا الى الناس كافة لا الى قوم دون قوم ۞ التأويل ومما رفعناه درجات ابراهيم أنا وهبنا له اسحق ويعقوب ولعله أفرد ذكر اسمعيل لمكان محمد صلى الله عليه وآله كيلا يقع ذكره تبعا لوهبة ابراهيم فان الكائنات تبع لوجود محمد صلى الله عليه وآله ومن آبائهم الى آدم ومن ذرياتهم الى محمد واجتبيناهم في الازل لهذا الشأن وهديناهم الى الأبد ولو أشركوا بان لاحظوا غيرنا فأثبتوا شيأ من دوننا ونسبوا شيأ من الحوادث الى غير قدرتنا أو لم يبدلوا أنانيتهم في هويتنا لحبط عنهم ما كانوا يعملون لتلاشي عرفانهم وتلف ما سلف من احسانهم فبهداهم اقتده لانهم سلكوا حتى انتهى مسير كل منهم الى ما قدر له آدم في السماء الدنيا ويحيى وعيسى في الثانية ويوسف في الثالثة وادريس في الرابعة وهرون في الخامسة وموسى في السادسة وابراهيم في السابعة وجميع الملائكة المقربين الى

سدرة المنتهى وأنت محمد الى مقام قاب قوسين أو أدنى قل لا أسألكم أيها الانبياء على الاقتداء أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين ليعلموا أن الطريق
الى الله لا يسلك الا بالاقتداء أولا أسألكم أيها الامة على دعوتكم الى الحق أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين من الله وبه واليه وهو المستعان

(وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس
تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا كتاب أنزلناه

مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضرا

رفعا بمعنى لقد تقطع وصلكم * والصواب من القول عندي في ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان باتفاق المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب وذلك أن العرب قد تنصب بين في موضع الاسم ذكر سماعا منها اتاني نحوك ودونك وسواءك نصبا في موضع الرفع وقد ذكر عنها سماعا الرفع في بين اذا كان الفعل لها وجعلت اسما وينشد بيت مهلهل

كأن رماحهم أشطان بئر * بعيد بين جاليها جرور

برفع بين اذا كانت اسما غير أن الاغلب عليهم في كلامهم النصب فيها في حال كونها صفة وفي حال كونها اسما وأما قوله وضل عنكم ما كنتم تزعمون فانه يقول وحاد عن طريقكم ومنهاجكم ما كنتم من آلهتكم تزعمون أنه شريك ربكم وأنه لكم شفيع عند ربكم فلا يشفع لكم اليوم ۞ القول في تأويل قوله (ان الله فالق الحب والنوى) وهذا تنبيه من الله جل ثناؤه هؤلاء العادلين به الآلهة والاوثان على موضع حجته عليهم وتعريف منه لهم خطأ ما هم عليه مقيمون من اشراك الاصنام في عبادتهم اياه يقول تعالى ذكره ان الذي له العبادة أيها الناس دون كل ما تعبدون من الآلهة والأوثان هو الله الذي فلق الحب يعني شق الحب من كل ما ينبت من النبات فأخرج منه الزرع والنوى من كل ما يغرس مما له نواة فأخرج منه الشجر والحب جمع الحبة والنوى جمع النواة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان الله فالق الحب والنوى أما فالق الحب والنوى ففالق الحب عن السنبلة وفالق النواة عن النخلة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فالق الحب والنوى قال يفلق الحب والنوى عن النبات حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فالق الحب والنوى قال الله فالق ذلك فلقه فأنبت منه ما أنبت فلق النواة فأخرج منها نبات نخلة وفلق الحبة فأخرج نبات الذي خلق وقال آخرون معنى فالق خالق ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السري قال ثنا مروان بن معاوية عن جويبر عن الضحاك في قوله ان الله فالق الحب والنوى قال خالق الحب والنوى حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك مثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الله فالق الحب والنوى قال خالق الحب والنوى وقال آخرون معنى ذلك أنه فلق الشق الذي في الحبة والنواة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله فالق الحب والنوى قال الشقان اللذان فيهما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا معلى بن أسد قال ثنا خالد عن حصين عن أبي مالك في قول الله ان الله فالق الحب والنوى قال الشق الذي يكون في النواة وفي الحنطة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد فالق الحب والنوى قال الشقان اللذان فيهما حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثني عبيد بن سليمان قال سمعت

نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان
مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات
بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون) القراآت يجعلونه يبدونها ويخفونها بياء الغيبة أبو عمرو وابن كثير الباقون على الخطاب ولينذر بياء
الغيبة أبو بكر وحماد الباقون بتاء الخطاب بينكم بفتح النون أبو جعفر ونافع وعلى وحفص والمفضل الباقون بالرفع وجعل الليل على لفظ

المضي ونصب الليل عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون وجاعل الليل على لفظ اسم الفاعل وبالاضافة وجنات بالرفع الاعشى والبرجمي الباقون بالنصب فمستقر بكسر القاف أبو عمرو وابن كثير وسهل ويعقوب الباقون بالفتح ثمره بضمتين حمزة وعلي وخلف وكذلك في آخر السورة ويس الباقون بفتحتين وخرقوا بالتشديد أبو جعفر ونافع الباقون بالتخفيف ۞ الوقوف من شئ ط كثيرا ط لمن قرأ يجعلونه بياء الغيبة ومن قرأ بالتاء فوقفه جائز لانتهاء الاستفهام مع اتفاق الخطاب على تقدير وقد علمتم آباؤكم ط قل الله ط لأن

الضحاك يقول في قوله فالق الحب والنوى يقول خالق الحب والنوى يعني كل حبة ۞ وأولى الاقوال في ذلك بالصواب عندي ما قدمنا القول به وذلك أن الله جل ثناؤه أتبع ذلك باخباره عن اخراجه الحي من الميت والميت من الحي فكان معلوما بذلك أنه انما عني باخباره عن نفسه أنه فالق الحب عن النبات والنوى عن الغروس والاشجار كما هو مخرج الحي من الميت والميت من الحي وأما القول الذي حكي عن الضحاك في معنى فالق أنه خالق فقول ان لم يكن أراد به أنه خالق منه النبات والغروس بفلقه اياه لا أعرف له وجها لانه لا يعرف في كلام العرب فلق الله الشئ بمعنى خلق ۞ القول في تأويل قوله ﴿يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون﴾ يقول تعالى ذكره يخرج السنبل الحي من الحب الميت ومخرج الحب الميت من السنبل الحي والشجر الحي من النوى الميت والنوى الميت من الشجر الحي والشجر ما دام قائما على أصوله لم يجف والنبات على ساقه لم ييبس فان العرب تسميه حيا فاذا يبس وجف أو قطع من أصله سموه ميتا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما يخرج الحي من الميت فيخرج السنبلة الحية من الحبة الميتة ويخرج الحبة الميتة من السنبلة الحية ويخرج النخلة الحية من النواة الميتة ويخرج النواة الميتة من النخلة الحية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن السدي عن أبي مالك يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي قال النخلة من النواة والنواة من النخلة والحبة من السنبلة والسنبلة من الحبة وقال آخرون بما حدثني به المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية ابن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي قال يخرج النطفة الميتة من الحي ثم يخرج من النطفة بشرا حيا وانما اخترنا التأويل الذي اخترنا في ذلك لانه عقيب قوله ان الله فالق الحب والنوى على أن قوله يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي وان كان خبرا من الله عن اخراجه من الحب السنبل ومن السنبل الحب فانه داخل في عمومه ما روي عن ابن عباس في تأويل ذلك وكل ميت أخرجه الله من جسم حي وكل حي أخرجه الله من جسم ميت وأما قوله ذلكم الله فانه يقول فاعل ذلك كله الله جل جلاله فأنى تؤفكون يقول فأي وجوه الصد عن الحق أيها الجاهلون تصدون عن الصواب وتصرفون أفلا تتدبرون فتعلمون أنه لا ينبغي أن يجعل لمن أنعم عليكم بفلق الحب والنوى فأخرج لكم من يابس الحب والنوى زروعا وحروثا وثمارا تتغذون ببعضه وتفكهون ببعضه شريك في عبادته ما لا يضر ولا ينفع ولا يسمع ولا يبصر ۞ القول في تأويل قوله ﴿فالق الاصباح وجعل الليل سكنا﴾ يعني بقوله فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده والاصباح مصدر من قول القائل أصبحنا اصباحا وبنحو ما قلنا في ذلك قال عامة أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك فالق الاصباح قال اضاءة الصبح حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فالق الاصباح قال اضاءة

قوله ثم ذرهم معطوف على قل يلعبون ○ ومن حولها ط يحافظون ○ أنزل الله ط أيديهم ج لاتساق الكلام معنى مع تقدير حذف أي يقولون أخرجوا أنفسكم ط لان المراد من اليوم يوم القيامة تستكبرون ○ ظهوركم ج لاتحاد القول والوقف أوضح لابتداء النفي وانقطاع النظم شركاء ط تزعمون ○ والنوى ط من الحي ط تؤفكون ○ فالق الاصباح ج لمن قرأ وجعل لانقطاع النظم واتصال المعنى على تقدير فالق وجعل أو وقد جعل وعامل الحال معنى الفعل في فالق حسبانا ط العليم ○ والبحر ط يعلمون ○ ومستودع ط يفقهون ○ ماء ج للعدول مع اتحاد المقصود متراكبا ط ومن قرأ وجنات بالرفع فللعطف على قنوان لفظا فيلزمه وقفه على دانية والا فليعطف ويفهم ان جنات من جملة النخل ومن خفض فوقفه على متراكبا جائز للعطف على قوله خضرا مع وقوع العارض وغير متشابه ط وينعه ط يؤمنون ○ بغير علم ط يصفون ○ ۞ التفسير اعلم أن مدار القرآن على اثبات التوحيد والنبوة والمعاد فبعد ذكر دليل التوحيد وابطال

الشرك شرع في تقرير أمر النبوة فقال ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ قال ابن عباس أي ما عظموا الله حق تعظيمه حيث أنكروا النبوة والرسالة وقال أيضا في رواية ما آمنوا بان الله على كل شئ قدير وقال أبو العالية ما وصفوه حق صفته وقال الاخفش ما عرفوه حق معرفته أي في اللطف بأوليائه أو في القهر لأعدائه وقال الجوهري قدر الشئ مبلغه وقدرت الشئ أقدره وأقدره قدرا من التقدير أي حرره وعرف مقداره ثم بين سبب عدم عرفانه بقوله ﴿اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ﴾ وانما كان منكر البعث والرسالة غير عارف بالله تعالى لانه اما أن

يدعى أنه تعالى ما كلف أحدا من الخلائق تكليفا أصلا وهو باطل لانه فتح باب المنكرات والقبائح بأسرها وأما أن يسلم أنه تعالى كلف الخلق بالاوامر والنواهى ولكن لا على ألسنة الرسل وهذا أيضا جهل فان قيل لم لا يجوز أن يكون العقل كافيا فى ايجاب الواجبات وحظر المنكرات فالجواب هب أن الامر كذلك الا أنه لا يمتنع تأكيد التعريف العقلى بل يجب تفصيل ذلك المجمل بالتعريفات المشروحة على ألسنة الرسل لان أكثر العقول قاصرة عن ادراك مدارك الاحكام الشرعية كما أن نور البصر قاصر عن ادراك المبصرات الا اذا أعين بنور من خارج كنور الشمس أو السراج وأيضا تفويض مصالح العباد الى مقتضى عقولهم يؤدى الى التنازع والتشاجر لتصادم الاهواء وتناقض الآراء فلا بد من أن يتفقوا على واحد يصدرون عن رأيه وتعيين ذلك الواحد من الخلق ترجيح بلا مرجح واشراف على الضلال لاحتمال الخطاء فى اجتهادهم فلعل الخير فى نظرهم يكون شرا فى نفس الامر فلزم أن يكون التعيين من الله سبحانه بكونه أعرف بالبواطن كقوله الله أعلم حيث يجعل رسالته وانما يعرف ذلك المعين بظهور المعجزة على وفق دعواه تصديقا له ومن أنكر ذلك ولم يجوز خرق العادة فقد وصف الله تعالى بالعجز ونقصان القدرة وقد طعن بعض الملحدة فى الآية بأن هؤلاء القائلين ان كانوا كفار قريش أو البراهمة فهم ينكرون رسالة كل الانبياء كما ينكرون رسالة محمد صلى الله عليه وآله فكيف يمكن ابطال قولهم بقوله (قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى) على أن قوله تجعلونه قراطيس بناء الخطاب انما يليق باليهود وان كانوا أهل الكتاب فهم لا يقولون ما أنزل الله على بشر من شئ بل يقرون بنزول التوراة على موسى والانجيل على عيسى وأيضا الاكثرون اتفقوا على أن السورة مكية وأنها نزلت دفعة واحدة ومناظرات اليهود مع رسول الله صلى الله عليه وآله كانت مدنية فكيف يمكن حمل الآية على تلك المناظرة والجواب أنهم ان كانوا كفار قريش فانهم كانوا مختلطين باليهود والنصارى وكانوا قد سمعوا من الفريقين على سبيل التواتر ظهور المعجزات على يد موسى كالعصا وفلق البحر واظلال الجبل وغيرها وكان جاريا مجرى ما يوجب عليهم الاعتراف بنبوة موسى وعلى هذا لا يبعد أن يراد بنبوة موسى الزاما لهم فى قولهم ما أنزل الله على بشر

الفجر حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فالق الاصباح قال فالق الصبح حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله فالق الاصباح يعنى بالاصباح ضوء الشمس بالنهار وضوء القمر بالليل حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن القاسم ابن أبى بزة عن مجاهد فالق الاصباح قال فالق الصبح حدثنا به ابن حميد مرة بهذا الاسناد عن مجاهد فقال فى قوله فالق الاصباح قال اضاءة الصبح حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فالق الاصباح قال فلق الاصباح عن الليل حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فالق الاصباح يقول خالق النور نور النهار وقال آخرون معنى ذلك خالق الليل والنهار ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا يقول خلق الليل والنهار وذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ فالق الأصباح بفتح الالف كأنه تأول ذلك بمعنى جمع صبح كأنه أراد صبح كل يوم فجعله أصباحا ولم يبلغنا عن أحد سواه أنه قرأ كذلك والقراءة التى لا نستجيز غيرها بكسر الالف فالق الاصباح لاجماع الحجة من القراء وأهل التأويل على صحة ذلك ورفض خلافه وأما قوله وجاعل الليل سكنا فان القراء اختلفت فى قراءته فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والمدينة وبعض البصريين وجاعل الليل بالالف على لفظ الاسم ورفعه عطفا على فالق وخفض الليل باضافة جاعل اليه ونصب الشمس والقمر عطفا على موضع الليل لان الليل وان كان مخفوضا فى اللفظ فانه فى موضع النصب لانه مفعول جاعل وحسن عطف ذلك على معنى الليل لا على لفظه لدخول قوله سكنا بينه وبين الليل قال الشاعر

قعودا لدى الابواب طلاب حاجة * عوان من الحاجات أو حاجة بكرا

فنصب الحاجة الثانية عطفا بها على معنى الحاجة الاولى لا على لفظها لأن معناها النصب وان كانت فى اللفظ خفضا وقد يجىء مثل هذا أيضا معطوفا بالثانى على معنى الذى قبله لا على لفظه وان لم يكن بينهما حائل كما قال بعضهم

فبينا نحن ننظره أتانا * معلق شكوة وزناد راع

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وجعل الليل سكنا والشمس على فعل بمعنى الفعل الماضى ونصب الليل * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال انهما قراءتان مستفيضتان فى قراءة الامصار متفقتا المعنى غير مختلفتيه فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب فى الاعراب والمعنى وأخبر جل ثناؤه أنه جعل الليل سكنا لأنه يسكن فيه كل متحرك بالنهار ويهدأ فيه فيستقر فى مسكنه ومأواه

القول فى تأويل قوله (والشمس والقمر حسبانا) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك وجعل الشمس والقمر يجريان فى أفلاكهما بحساب ذكر من قال ذلك

حدثنى

من شيء ولما كان كفار قريش مع اليهود والنصارى متشاركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وآله لم يبعد أن يكون الكلام الواحد خطابا للكفار قريش أولا ولأهل الكتاب آخرا وأما ان كانوا أهل الكتاب وهو المشهور عند الجمهور فالوجه ما روى عن ابن عباس أن مالك بن الصيف من أحبار اليهود ورؤسائهم وكان رجلا سمينا دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فأنت الحبر

السمين قد سمنت من مالك الذي يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما أنزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ماهذا الذي بلغنا عنك فقال انه أغضبني ثم ان اليهود لأجل هذا الكلام عزلوه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف فلعل مالك بن الصيف لما تأذى من الكلام المذكور طعن في نبوة الرسول صلى الله عليه وآله وانه ما أنزل عليه من شيء البتة فأمر بان يقول في جوابه من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى أي لما سلمت أن الله تعالى أنزل الوحي والتنزيل على بشر وهو موسى فكيف يمكنك أن تقطع بأنه ما أنزل عليّ شيأ غاية ما في الباب أن تطالبني بالمعجز والحاصل أنهم قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فألزموا ما لابد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى وأدرج تحت الالزام توبيخهم بالتحريف وابداء بعض واخفاء بعض وقيل اللفظ وان كان مطلقا بحسب اللغة الا أنه مقيد بحسب العرف بتلك الواقعة فكأنه قال ما أنزل الله على بشر من شيء في أنه يبغض الحبر السمين وهذا كما اذا أرادت المرأة أن تخرج من الدار فغضب الزوج وقال ان خرجت من الدار فأنت طالق فان كثيرا من الفقهاء قالوا التعليق مقيد بتلك المرة حتى لو خرجت مرة أخرى لم تطلق ويرد على هذا التوجيه أن قوله من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى لا يكون مبطلا لكلام الخصم أما قوله ان السورة مكية والمناظرات مدنية فأجيب عنه بأن السورة مكية الا هذه الآية فانها نزلت بالمدينة في هذه الواقعة والله أعلم * ومن الاحكام المستنبطة من الآية أن قوله وما قدروا الله حق قدره يفيد أن عقول الخلق قاصرة عن كنه معرفة الله تعالى وان كانوا مقرين بالنبوة والرسالة لاطلاق قوله في موضع آخر وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته ومنها ان النكرة في سياق

حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس والشمس والقمر حسبانا يعني عدد الايام والشهور والسنين حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس والشمس والقمر حسبانا قال يجريان الى أجل جعل لهما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي والشمس والقمر حسبانا يقول بحساب حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله والشمس والقمر حسبانا قال الشمس والقمر في حساب فاذا خلت أيامهما فذاك آخر الدهر وأول الفزع الاكبر ذلك تقدير العزيز العليم حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله والشمس والقمر حسبانا قال يدوران في حساب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد والشمس والقمر حسبانا قال هو مثل قوله كل في فلك يسبحون ومثل قوله والشمس والقمر بحسبان وقال آخرون معنى ذلك وجعل الشمس والقمر ضياء ذكر من قال ذلك حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والشمس والقمر حسبانا أي ضياء * وأولى القولين في تأويل ذلك عندي بالصواب تأويل من تأوله وجعل الشمس والقمر يجريان بحساب وعدد لبلوغ أمرهما ونهاية آجالهما ويدوران لمصالح الخلق التي جعلا لها وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية لان الله تعالى ذكره ذكر قبله أياديه عند خلقه وعظم سلطانه بفلقه الاصباح لهم واخراج النبات والغراس من الحب والنوى وعقب ذلك بذكره خلق النجوم لهدايتهم في البر والبحر فكان وصفه اجراءه الشمس والقمر لمنافعهم أشبه بهذا الموضع من ذكر اضاءتهما لانه قد وصف ذلك قبل بقوله فالق الاصباح فلا معنى لتكريره مرة أخرى في آية واحدة لغير معنى والحسبان في كلام العرب جمع حساب كما الشهبان جمع شهاب وقد قيل ان الحسبان في هذا الموضع مصدر من قول القائل حسبت الحساب أحسبه حسابا وحسبانا وحكي عن العرب على الله حسبان فلان وحسبته أي حسابه وأحسب أن قتادة في تأويل ذلك بمعنى الضياء ذهب الى شيء يروى عن ابن عباس في قوله أو يرسل عليها حسبانا من السماء قال نارا فوجه تأويل قوله والشمس والقمر حسبانا الى ذلك التأويل وليس هذا من ذلك المعنى في شيء وأما الحسبان بكسر الحاء فانه جمع الحسبانة وهي الوسادة الصغيرة وليست من الاولين أيضا في شيء يقال حسبته أجلسته عليها ونصب قوله حسبانا بقوله وجعل وكان بعض البصريين يقول معناه والشمس والقمر حسبانا أي بحساب فحذف الباء كما حذفها من قوله الله أعلم من يضل عن سبيله أي أعلم بمن يضل عن سبيله ۞ القول في تأويل قوله (ذلك تقدير العزيز العليم) يقول تعالى ذكره وهذا الفعل الذي وصفه أنه فعله وهو فلقه الاصباح وجعله الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا تقدير الذي عز سلطانه فلا يقدر أحد أراده بسوء وعقاب أو انتقام من الامتناع منه العليم بمصالح خلقه وتدبيرهم لا تقدير الاصنام والأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تفقه شيأ ولا تعقله ولا تضر ولا تنفع وان أريدت بسوء لم تقدر

على الامتناع منه ممن أرادها به يقول جل ثناؤه وأخلصوا أيها الجهلة عبادتكم لفاعل هذه الاشياء ولا تشركوا في عبادته شيأ غيره ۞ القول في تأويل قوله ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره والله الذي جعل لكم أيها الناس النجوم أدلة في البر والبحر اذا ضللتم الطريق أو تحيرتم فلم تهتدوا فيها ليلا تستدلون بها على المحجة فتهتدون بها الى الطريق والمحجة فتسلكونه وتنجون بها من ظلمات ذلك كما قال جل ثناؤه وعلامات و بالنجم هم يهتدون أي من ضلال الطريق في البر والبحر وعني بالظلمات ظلمة الليل وظلمة الخطا والضلال وظلمة الارض أو الماء وقوله قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون يقول قد ميزنا الادلة وفرقنا الحجج فيكم و بيناها أيها الناس ليتدبرها أولو العلم بالله منكم و يفهمها أولو الحجا منكم فينيبوا من جهلهم الذي هم عليه مقيمون و ينزجروا عن خطا فعلهم الذي هم عليه ثابتون ولا يتمادوا في عناد الله مع علمهم بأن ما هم عليه مقيمون خطأ في غيهم و بنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قال يضل الرجل وهو في الظلمة والجور عن الطريق ۞ القول في تأويل قوله ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ يقول تعالى ذكره والهكم أيها العادلون بالله غيره الذي أنشأكم يعني الذي ابتدأ خلقكم من غير شئ فأوجدكم بعد أن لم تكونوا شيأ من نفس واحدة يعني من آدم عليه السلام كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال حدثنا أسباط عن السدي من نفس واحدة قال آدم عليه السلام حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة من آدم عليه السلام وأما قوله فمستقر ومستودع فان أهل التأويل في تأويله مختلفون فقال بعضهم معنى ذلك وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمنكم مستقر في الرحم ومنكم مستودع في القبر حتى يبعثه الله لنشر القيامة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن أبي خالد عن ابراهيم عن عبد الله يعلم مستقرها ومستودعها قال مستقرها في الارحام ومستودعها حيث تموت حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن اسمعيل عن ابراهيم عن عبد الله أنه قال المستودع حيث تموت والمستقر ما في الرحم حدثت عن عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن السدي عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال المستقر الرحم والمستودع المكان الذي تموت فيه حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال ثنا محمد بن فضيل وعلي ابن هاشم عن اسمعيل بن أبي خالد عن ابراهيم يعلم مستقرها ومستودعها قال مستقرها في الارحام ومستودعها في الارض حيث تموت فيها حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن ليث عن مقسم قال مستقرها في الصلب حيث تأوي اليه ومستودعها حيث تموت * وقال آخرون المستودع ما كان في أصلاب الآباء والمستقر ما كان في بطون النساء و بطون الارض

النفي تم والا لم يكن قوله من أنزل مبطلا لقوله ما أنزل الله على بشر من شئ ومنها أن النقض يقدح في صحة الكلام والا لم يكن في قوله من أنزل حجة و يعلم منه أن قول من يقول ابداء الفارق بين الصورتين يمنع من كون النقض مبطلا ضعيف والا بطلت حجة الله تعالى في هذه الآية فان لليهود حينئذ أن تقول معجزات موسى كانت أظهر وأبهر من معجزاتك فلا يلزم نبوتك ومنها أن الغزالي رحمه الله تكلف وقال حاصل الآية يرجع الى أن موسى أنزل الله عليه شيأ وأحد من البشر ما أنزل الله عليه شيأ فينتج من الشكل الثاني ان موسى ما كان من البشر وهذا خلف محال وليس هذه الاستحالة بحسب شكل القياس ولا بحسب صحة المقدمة الاولى فلم يبق الا أنه لزم من فرض صحة المقدمة الثانية وهي قولهم ما أنزل الله على بشر من شئ فوجب القول بكونها كاذبة فثبت أن دلالة هذه الآية على المطلوب انما تصح عند الاعتراف بصحة الشكل الثاني وعند الاعتراف بصحة قياس الخلف ثم اعلم أنه سبحانه وصف كتاب موسى بكونه نورا وهدى للناس والعطف يقتضي المغايرة فالمراد بالنور ظهوره في نفسه و بالهدى كونه سببا لظهور غيره كقوله في وصف القرآن ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا قال أبو علي الفارسي (يجعلونه قراطيس) أي ذات قراطيس أي يودعونه اياها فان قيل اذا كان جميع الكتب كذلك فلم ذكر في معرض الذم قلنا لانهم جعلوه قراطيس مفرقة مبعضة ليتوسلوا بذلك الى ابداء بعض واخفاء بعض مما فيه نعت محمد صلى الله عليه وآله أو شئ من الاحكام التي لا توافق هواهم كالرجم وغيره (وعلمتم) أيها اليهود على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) الأقدمون الذين كانوا أعلم منكم لان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل كانوا يقرؤن الآيات أو المشتملة على نعت محمد صلى الله عليه وسلم وما كانوا يفقهون معانيها الى أن بعث الله محمدا فظهر أن المراد منها هو البشارة بمقدمه وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم (قل الله) أي أنزله الله فانهم لا يقدرون على أن ينكروا وذلك فان العقل السليم والطبع المستقيم يشهد بأن الكتاب الموصوف المؤيد قول صاحبه بالمعجزات الباهرة لا يكون الا من الله سبحانه ونظيره قل أي شئ

أوعلى ظهورها ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير في قوله فمستقر ومستودع قال مستودعون ما كانوا في أصلاب الرجال فاذا قروا في أرحام النساء أوعلى ظهر الارض أو في بطنها فقد استقروا حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن علية عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير فمستقر ومستودع قال المستودعون ما كانوا في أصلاب الرجال فاذا قروا في أرحام النساء أوعلى ظهر الارض فقد استقروا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس يعلم مستقرها ومستودعها قال المستودع في الصلب والمستقر ما كان على وجه الارض أو في الارض * وقال آخرون بل معنى ذلك فمستقر في الارض على ظهورها ومستودع عند الله ذكر من قال ذلك *حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن المغيرة عن أبي الخير تميم بن حذلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس المستقر الارض والمستودع عند الرحمن حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال المستقر الارض والمستودع عند ربك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن اسمعيل بن أبي خالد عن ابراهيم قال قال عبد الله مستقرها في الدنيا ومستودعها في الآخرة يعني فمستقر ومستودع حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال المستودع في الصلب والمستقر في الآخرة وعلى وجه الارض * وقال آخرون معنى ذلك فمستقر في الرحم ومستودع في الصلب ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن أبي الحرث عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله فمستقر ومستودع قال مستقر في الرحم ومستودع في صلب لم يخلق وسيخلق حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن يحيى الجابري عن عكرمة فمستقر ومستودع قال المستقر الذي قد استقر في الرحم والمستودع الذي قد استودع في الصلب حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن أبي الخير تميم عن سعيد بن جبير قال ابن عباس سل فقلت مستقر ومستودع قال المستقر في الرحم والمستودع ما استودع في الصلب حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس في قوله فمستقر ومستودع قال المستقر الرحم والمستودع ما كان عند رب العالمين مما هو خالقه ولم يخلق حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله يعلم مستقرها ومستودعها قال المستقر ما كان في الرحم مما هو حي ومما قد مات والمستودع ما في الصلب حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير قال قال لي ابن عباس وذلك قبل أن يخرج وجهي أتزوجت يا ابن جبير قال قلت لا وما أريد ذاك يومي هذا قال فقال أما انه مع ذلك سيخرج ما كان في صلبك من المستودعين حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال قال لي ابن عباس تزوجت قلت لا قال فضرب ظهري وقال ما كان من مستودع في ظهرك سيخرج حدثني

أكبر شهادة قل الله والمقصود أنه بلغت هذه الدلالة الى حيث يجب على كل عاقل أن يعترف بها فسواء أقر الخصم به أولم يقر فالغرض حاصل (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) يقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه انما أنت لاعب ويلعبون حال من ذرهم أو من خوضهم ويحتمل أن يكون في خوضهم حالا من يلعبون وأن يكون صلة له أو لذرهم والمعنى أنك اذا أقمت الحجة عليهم وبالغت في الاعذار والانذار هذا المبلغ العظيم فقد قضيت ما عليك كقوله ان عليك الا البلاغ قيل انها منسوخة بآية السيف وفيه نظر لانه مذكور لأجل التهديد فلم يكن نزول آية القتال رافعا الشئ من مدلولات هذه الآية ثم لما ذكر حال التوراة أعقبه بذكر القرآن فقال (وهذا كتاب أنزلناه) وفائدة هذا الوصف أنه كان من الممكن أن يظن أن محمدا مخصوص من الله بعلوم كثيرة يتمكن بسببها من تركيب القرآن على هذا النسق من الفصاحة فنفى ذلك الوهم وبين أن الله هو الذي تولى انزاله بالوحي على لسان جبريل عليه السلام (مبارك) كثير خيره دائم نفعه باعث على الخيرات زاجر عن المنكرات لما فيه من أصول العلوم النظرية والعملية وقد جرت سنة الله تعالى بأن الباحث عنه والمتمسك به يفوز بعز في الدنيا وسعادة في الآخرة وقد جرب فوجد كذلك (مصدق الذي بين يديه) أي موافق لما قبله من الكتب الالهية أما في الاصول فلانه يمتنع وقوع التفاوت فيها بحسب الازمنة والامكنة وأما في الفروع فلانها مشتملة على التبشير بمقدم محمد صلى الله عليه وآله ويحصل منه أن التكاليف الموجودة فيها انما تبقى الى وقت ظهوره ثم تصير منسوخة (ولتنذر) من قرأ بتاء الخطاب فظاهر ومن قرأ على الغيبة فلانه أسند الانذار الى الكتاب مجازا لانه سبب الانذار انما أنذركم بالوحي وهو معطوف على ما دل عليه سائر الاوصاف كأنه قيل أنزلناه للبركة ولتصديق ما تقدمه من الكتب وللانذار قال ابن عباس سميت مكة أم القرى لان الأرضين دحيت من تحتها وقال أبو بكر الاصم لانها قبلة أهل الدنيا فصارت هي كالاصل وسائر البلاد تبعا وأيضا الناس يجتمعون اليها للحج وللتجارة كما يجتمع الاولاد الى الام وقيل لان الكعبة أول بيت وضع للناس وقيل ان مكة أول بلدة في الارض ولا بد من تقدير مضاف محذوف أي أهل أم القرى ومن حولها قيل المراد أهل جزيرة العرب فاستدل اليهود بذلك على أنه مبعوث الى العرب

فقط وأجيب بأن تخصيص هذه المواضع بالذكر لا يدل على نفي ما عداها لاسيما وقد ثبت بالتواتر أنه كان يدعي أنه رسول الى العالمين ويحتمل
أن يقال ما حوالى مكة يتناول جميع البلاد (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به) أي بهذا الكتاب لان أصل الدين خوف العاقبة فمن خافها
لم يزل به الخوف حتى يؤمن وليس لاحد من الانبياء مبالغة في تقرير قاعدة البعث والقيامة مثل محمد صلى الله عليه وآله وفيه أن كفار مكة
يبعد منهم قبول هذا الدين لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والحشر (وهم على صلاتهم يحافظون) يعني أن الايمان
بالآخرة كما أنه يحمل المكلف على
الايمان بالنبي وبالكتاب كذلك
يحمله على محافظة الصلوات وخص
الصلاة بالذكر لأنها عماد الدين
وسنام الطاعات كاد المحافظ عليها
أن يأتي باخواتها كلها ويجتنب
المنكرات بأسرها ثم ذكر ما يدل على
وعيد من ادعى النبوة وانزال
الكتاب عليه فرية وامتراء فقال
(ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا)
قال المفسرون نزلت في الكذابين
مسيلمة الحنفي والاسود العنسي عن
النبي صلى الله عليه وسلم رأيت
فيما يرى النائم كأن في يدي سوارين
من ذهب فكبرا علي وأهماني
فاوحى الله الي أن انفخهما
فنفختهما فطارا عني فأولتهما
الكذابين اللذين أنا بينهما كذاب
اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء
الاسود العنسي (أو قال أوحي الي ولم
يوح اليه شئ) كان مسيلمة يقول
محمد صلى الله عليه وآله رسول الله
في بني قريش وأنا رسول الله في بني
حنيفة * واعلم أن العبرة بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب فكل من
نسب الى الله تعالى ما هو بريء منه
اما في الذات واما في الصفات واما في
الافعال كان داخلا تحت هذا
الوعيد (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل
الله) قال المفسرون هو النضر بن
الحرث كان يدعي معارضة القرآن
وهو قوله لو نشاء لقلنا مثل هذا وروي أيضا أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي كان يكتب الوحي لرسول الله قال
صلى الله عليه وآله وكان اذا تلا عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزل ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين أملاه الرسول صلى الله عليه وآله فلما وصل الى قوله أنشأناه خلقا آخر عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان
فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صلى الله عليه وسلم

محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فمستقر
ومستودع قال المستقر في الارحام والمستودع في الصلب لم يخلق وهو خالقه حدثني المثنى
قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فمستقر
ومستودع قال المستقر في الرحم والمستودع ما استودع في أصلاب الرجال والدواب حدثنا
ابن وكيع قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال المستقر ما استقر في الرحم والمستودع ما استودع
في الصلب حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن أبي الخير تميم عن سعيد بن جبير عن
ابن عباس بنحوه حدثنا هناد قال ثنا عبيدة بن حميد عن عمار الدهني عن رجل عن كريب
قال دعاني ابن عباس فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله بن عباس الى فلان حبر تيماء
سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد قال فقلت تبدؤه تقول السلام عليك فقال
ان الله هو السلام ثم قال اكتب سلام عليك أما بعد فحدثني عن مستقر ومستودع قال ثم بعثني
بالكتاب الى اليهودي فأعطيته اياه فلما نظر اليه قال مرحبا بكتاب خليلي من المسلمين فذهب
بي الى بيته ففتح أسفاطا له كبيرة فجعل يطرح تلك الاشياء لا يلتفت اليها قال قلت ما شأنك
قال هذه أشياء كتبها اليهود حتى أخرج سفر موسى عليه السلام قال فنظر اليه مرتين فقال المستقر
الرحم قال ثم قرأ ونقر في الارحام ما نشاء وقرأ ولكم في الارض مستقر ومتاع قال مستقره فوق
الارض ومستقره في الرحم ومستقره تحت الارض حتى يصير الى الجنة أو الى النار حدثنا
هناد قال ثنا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء فمستقر ومستودع قال المستقر ما استقر
في أرحام النساء والمستودع ما استودع في أصلاب الرجال حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن
سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال المستقر الرحم والمستودع في أصلاب الرجال حدثنا ابن وكيع
قال ثنا روح بن عبادة عن ابن جريج عن عطاء وعن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال المستقر الرحم
والمستودع في الاصلاب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح
عن مجاهد فمستقر ما استقر في أرحام النساء ومستودع ما كان في أصلاب الرجال حدثني
المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا ابن حميد
وابن وكيع قالا ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال المستقر ما استقر في الرحم والمستودع ما استودع
في الصلب حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد
قال المستقر الرحم والمستودع الصلب حدثنا ابن وكيع قال ثنا معاذ بن معاذ عن ابن
عون قال أتينا ابراهيم عند المساء فأخبرونا أنه قد مات فقلنا هل سأله أحد عن شيء قالوا عبد الرحمن
ابن الاسود عن المستقر والمستودع فقال المستقر في الرحم والمستودع في الصلب حدثنا حميد
ابن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا ابن عون قال أتينا ابراهيم وقد مات قال فحدثني
بعضهم أن عبد الرحمن بن الاسود سأله قبل أن يموت عن المستقر والمستودع فقال المستقر في
الرحم والمستودع في الصلب حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن عون

صادقا لقد أوحى الى كما أوحى اليه وان كان كاذبا فقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فر الى عثمان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه عنده حتى اطمأن أهل مكة ثم أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمن له ثم فصل بما أجمل من الوعيد فقال (ولو ترى) الآية وجوابه محذوف أي لرأيت بالانسان أمرا عظيما (اذ الظالمون) يعني الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فاللام للعهد ويحتمل أن تكون للجنس فيندرج هؤلاء فيه وغمرات الموت شدائده وسكراته وأصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة

أتينا منزل ابراهيم فسألنا عنه فقالوا قد توفي وسأله عبد الرحمن بن الأسود فذكر نحوه حدثني به يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن عون أنه بلغه أن عبد الرحمن بن الأسود سأل ابراهيم عن ذلك فذكر نحوه حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابي قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن العلاء بن هرون قال انتهيت الى منزل ابراهيم حين قبض فقلت لهم هل سأله أحد عن شيء قالوا سأله عبد الرحمن ابن الاسود عن مستقر ومستودع فقال أما المستقر فما استقر في أرحام النساء والمستودع ما في أصلاب الرجال حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد في فمستقر ومستودع قال المستقر الرحم والمستودع الصلب حدثني يونس قال ثني سفيان عن رجل حدثه عن سعيد بن جبير قال قال لي ابن عباس ألا تنكح ثم قال أما اني أقول لك هذا واني لأعلم أن الله مخرج من صلبك ما كان فيه مستودعا حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال المستقر في الرحم والمستودع في الصلب حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن ابن عباس فمستقر ومستودع قال مستقر في الرحم ومستودع في الصلب حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فمستقر ومستودع قال مستقر في الرحم ومستودع في الصلب حدثت عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن عن الضحاك فمستقر ومستودع أما مستقر فما استقر في الرحم وأما مستودع فما استودع في الصلب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فمستقر ومستودع قال مستقر في الارحام ومستودع في الاصلاب حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وأبي حمزة عن ابراهيم قالا مستقر ومستودع المستقر في الرحم والمستودع في الصلب * وقال آخرون المستقر في القبر والمستودع في الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول مستقر في القبر ومستودع في الدنيا وأوشك أن يلحق بصاحبه * وأولى التأويلات في ذلك بالصواب أن يقال ان الله جل ثناؤه عم بقوله فمستقر ومستودع كل خلقه الذي أنشأ من نفس واحدة مستقرا ومستودعا ولم يخصص من ذلك معنى دون معنى ولا شك أن من بني آدم مستقرا في الرحم ومستودعا في الصلب ومنهم من هو مستقر على ظهر الارض أو بطنها ومستودع في أصلاب الرجال ومنهم مستقر في القبر مستودع على ظهر الارض فكل مستقر أو مستودع بمعنى من هذه المعاني فداخل في عموم قوله فمستقر ومستودع ومراد به الا أن يأتي خبر يجب التسليم له بأنه معني به معنى دون معنى وخاص دون عام * واختلف القراء في قراءة قوله فمستقر ومستودع فقرأت ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة فمستقر ومستودع بمعنى فمنهم من استقره الله في مقره فهو مستقر ومنهم من استودعه الله فيما استودعه فيه فهو مستودع فيه وقرأ ذلك بعض أهل المدينة وبعض أهل البصرة فمستقر بكسر القاف بمعنى فمنهم من استقر في مقره فهو مستقر به

الغالبة (والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم) قيل انه لا قدرة لهم على اخراج أرواحهم من أجسادهم فما الفائدة في هذا الخطاب وأجيب بوجوه منها أن المراد ولو ترى الظالمين اذا صاروا الى غمرات الموت في الآخرة اذا ما دخلوا جهنم وغمرات الموت عبارة عما يصيبهم هناك من أنواع الشدائد والتعذيبات والملائكة باسطو أيديهم بالعذاب يكلمونهم يقولون لهم أخرجوا أنفسكم من هذا العذاب الشديد ان قدرتم ومنها ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت عند نزول الموت بهم في الدنيا والملائكة باسطو أيديهم لقبض أرواحهم يقولون لهم أخرجوا أنفسكم من هذه الشدائد وخلصوها من هذه الآفات والآلام ومنها هاتوا أرواحكم وأخرجوها الينا من أجسادكم وهذه عبارة عن العنف والتشديد في ازهاق الروح من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملازم الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويقول أخرج الي مالي عليك ولا أريم مكاني حتى أنزعه من أحداقك ومنها أنه ليس بأمر وانما هو وعيد وتقريع كقول القائل امض الآن لترى ما يحل بك والتحقيق أن نفس المؤمن حال النزع تنبسط في الخروج الى لقاء ربه ونفس الكافر

 تكره ذلك ويشق عليها الخروج وقطع التعلق لأنها تصير الى العذاب واليه الاشارة في الحديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهؤلاء الكفار يكرههم الملائكة على نزع الروح وعلى فراق المألوف وفي الآية دلالة على أن النفس الانسانية شيء غير هذا الهيكل المحسوس لأن المخرج يجب أن يكون مغايرا للمخرج منه (اليوم) يريد وقت الاماتة أو الوقت الممتد الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة (تجزون عذاب الهون) كقولك رجل سوء بالاضافة لأن العقاب شرطه أن يكون

مضرة مقرونة بالاهانة كما أن الثواب شرطه أن يكون منفعة مقرونة بالتعظيم والتركيب يدور على قلة المبالاة بالشئ ومنه الهون بالفتح السكينة والوقار وهان عليه الشئ أي حقر وأهانه استخف به والاسم الهون بالضم والهوان والمهانة والحاصل أنه جمع لهم بين الامرين الايلام والاهانة (بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) يعنى أن هذا العذاب الشديد انما حصل بمجموع الامرين الافتراء على الله والتكبر على آيات الله وهو عدم الايمان بها قال الواحدى وكنتم عن آياته تستكبرون أي لا تصلون

له لقوله صلى الله عليه وسلم من سجد لله سجدة واحدة بنية صادقة فقد برئ من الكبر (ولقد جئتمونا) يحتمل أن يكون معطوفا على قول الملائكة أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون ثم الملائكة اما الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم واما الملائكة الموكلون بعذابهم ويحتمل أن يكون القائل هو الله تعالى ان جوزنا أنه يتكلم مع الكفار (فرادى) جمع ينون ولا ينون واحده قيل فرد على غير قياس وقيل فردان كسكارى وسكران قاله ابن قتيبة وقيل فريد كرديف وردافى وهم الحداة والاعوان لانه اذا أعيا أحدهم خلفه الآخر (كما خلقناكم) أي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد أو مجيئا مثل خلقنا لكم (أول مرة) والمراد التوبيخ والتقريع لانهم بذلوا جهدهم وصرفوا كدهم في الدنيا الى تحصيل أمرين أحدهما المال والجاه والثاني أنهم عبدوا الاصنام وجعلوها شركاء لله فهم فقلبوا القضية وتركوا الحقيقة وذلك أن النفس الانسانية انما تعلقت بالجسد ليكون البدن آلة لها في اكتساب المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة فاذا فارقت البدن ولم يحصل لها هذان المطلبان عظم خسرانها وطال حرمانها فاستحق التوبيخ بقوله ولقد جئتمونا فرادى أي منفردين عما يجب من الاعمال والعقائد ثم انهما مع ذلك اكتسبت أشياء قد علق الرجاء بها وقنيان لانه أفنى العمر في تحصيلها وانها ليست مما يبقى معها فلاجرم استحق التقريع بقوله (وتركتم ما خولناكم) أي أعطيناكم وتفضلنا به عليكم (وراء ظهوركم) يعنى أنها كالشئ الذي يبقى وراء ظهر الانسان فلن يمكنه الانتفاع به وربما بقي معوج الرأس بسبب التفاته اليه (وما نرى معكم شفعاءكم) أي ليسوا معكم حتى يروا أو ليسوا معكم بالشفاعة والنصرة كما زعمتم بدليل قوله (لقد تقطع بينكم) الآية من قرأ بالنصب على الظرف

وأولى القراءتين بالصواب عندي وان كان لكليهما عندي وجه صحيح فمستقر بمعنى استقره الله في مستقره لما تألف المعنى فيه وفي المستودع في أن كل واحد منهما لم يسم فاعله وفي اضافة الخبر بذلك الى الله في أنه المستقر هذا والمستودع هذا وذلك أن الجميع مجمعون على قراءة قوله ومستودع بفتح الدال على وجه ما لم يسم فاعله فاجراء الاول أعني قوله فمستقر عليه أشبه من عدوله عنه وأما قوله قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون يقول تعالى قد بينا الحجج وميزنا الأدلة والأعلام وأحكمناها لقوم يفقهون مواقع الحجج ومواضع العبر ويفهمون الآيات والذكر فانهم اذا اعتبروا بما نبهتهم عليه من انشائي من نفس واحدة ما عاينوا من البشر وخلقي ما خلقت منها من عجائب الالوان والصور علموا أن ذلك من فعل من ليس له مثل ولا شريك فيشركوه في عبادتهم اياه كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون يقول قد بينا الآيات لقوم يفقهون ۞ القول في تأويل قوله ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا﴾ يقول تعالى ذكره والله الذي له العبادة خالصة لا شركة فيها لشئ سواه هو الاله الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا بالماء الذي أنزلناه من السماء من غذاء الانعام والبهائم والطير والوحش وأرزاق بني آدم وأقواتهم ما يتغذون به ويأكلونه فينبتون عليه وينمون وانما معنى قوله فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا به ما ينبت به كل شئ وينمو عليه ويصلح ولو قيل معناه فأخرجنا به نبات جميع أنواع النبات فيكون كل شئ هو أصناف النبات كان مذهبا وان كان الوجه الصحيح هو القول الاول وقوله فأخرجنا منه خضرا يقول فأخرجنا منه يعني من الماء الذي أنزلناه من السماء خضرا رطبا من الزرع والخضر هو الأخضر كقول العرب أرنيها نمرة أركها مطرة يقال خضرت الارض خضرا وخضارة والخضر رطب البقول ويقال نخلة خضيرة اذا كانت ترمى ببسرها أخضر قبل أن ينضج وقد اختضر الرجل واغتضر اذا مات شابا مصححا ويقال هو لك خضرا مضرا أي هنيأ مريئا قوله نخرج منه حبا متراكبا يقول نخرج من الخضر حبا يعني ما في السنبل سنبل الحنطة والشعير والارز وما أشبه ذلك من السنابل التي حبها يركب بعضه بعضا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا فهذا السنبل ۞ القول في تأويل قوله ﴿ومن النخل من طلعها قنوان دانية﴾ يقول تعالى ذكره ومن (٣) النخل من طلعها قنوان دانية ولذلك رفعت القنوان والقنوان جمع قنو كما الصنوان جمع صنو وهو العذق يقال للواحد هو قنو وقنو وقنا يثنى قنوان ويجمع قنوان وقنوان قالوا في جمع قليله ثلاثة أقناء والقنوان من لغة الحجاز والقنوان من لغة قيس وقال امرؤ القيس

فأثت أعاليه وآدت أصوله ☆ ومال بقنوان من البسر أحمرا

فمعناه وقع التقطع بينكم كقوله وتقطعت بهم الاسباب يقال جمع بين الشيئين أى وقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره وقيل المراد
لقد تقطع وصلكم بينكم كقولهم اذا كان غدا فأتنى أى اذا كان الرجاء أو البلاء غدا فأتنى فأضمر لدلالة الحال ومن قرأ بالرفع فلانه أسند
الفعل الى الظرف اتساعا كما تقول قوتل خلفكم وأمامكم أو لان المراد بالبين الوصل وانما حسن استعماله فى معنى الوصلة مع أن أصله الافتراق
والتباين لانه يستعمل فى الشيئين اللذين بينهما مشاركة ومواصلة من بعض الوجوه كقولهم بينى وبينه مشاركة وبينى وبينه رحم
والمعنى لقد تقطع وصلكم قلت ويحتمل أن يكون البين بمعنى الافتراق ويفيد المبالغة كقولهم جد جده فاذن العاقل من يكسب الزاد ليوم المعاد حتى لا يوبخ بقوله ولقد جئتمونا فرادى ويصرف المال فى وجوه التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله حتى لا يخاطب بقوله وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم بل يكون من زمرة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله كيلا تطول حسرته يوم ينقطع بين النفس والجسد وصله ثم انه سبحانه لما فرغ من تقرير التوحيد والنبوة والمعاد عاد الى ذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته لتعلم ان حاصل المباحث العقلية والنقلية انما هو معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله فقال (إن الله فالق الحب والنوى) أى بالنبات والشجر وعن مجاهد أراد الشقين اللذين فى الحنطة والنواة والفلق هو الشق وعن ابن عباس والضحاك الفلق هو الخلق ووجه بأن العقل يتصور من العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيها ولا انشقاق فاخراج الشئ من العدم الى الوجود شق لذلك العدم وفلق بحسب التخيل والتعقل واعلم انه اذا وقعت الحبة والنواة فى الارض الرطبة ثم مر بها قدر من المدة أظهر الله فى أعلاها شقا ومن أسفلها شقا أما العالى فيخرج منه
الشجرة الصاعدة الى الهواء وأما السافل فانه يخرج منه الشجرة الهابطة فى الارض وهى المسماة بعروق الشجرة وههنا عجائب منها ان
طبيعة الشجرة ان كانت تقتضى الهوى فى الارض فكيف تولدت منها الشجرة الصاعدة الى الهواء وبالعكس فاتصال الشجرتين على
التبادل ليس بمقتضى الطبع والخاصية بل بمقتضى ارادة الموجد المختار ومنها ان باطن الارض جسم صلب كثيف لا تنفذ فيه المسلة ولا السكين
ثم انا نشاهد أطراف تلك العروق مع غاية نعومتها تقوى على النفوذ والغوص فى جرم الارض فحصول هذه القوة الشديدة للجرم الضعيف

(٣) وقنيان جميعا وقال آخر

لها ذنب كالقنو قد مذلت به ✻ وأسحم للتخطار بعد التشذر

وتميم تقول قنيان بالياء ويعنى بقوله دانية قريبة متهدلة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قنوان دانية يعنى بالقنوان الدانية قصار النخل لاصقة عذوقها بالارض حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من طلعها قنوان دانية قال عذوق متهدلة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قنوان دانية يقول متهدلة حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى اسحق عن البراء فى قوله قنوان دانية قال قريبة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن أبى اسحق عن البراء بن عازب قنوان دانية قال قريبة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن النخل من طلعها قنوان دانية قال الدانية لتهدل العذوق من الطلع حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سلمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ومن النخل من طلعها قنوان دانية يعنى النخل القصار الملتزقة بالارض والقنوان طلعه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه﴾ يقول تعالى ذكره وأخرجنا أيضا جنات من أعناب يعنى بساتين من أعناب واختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأه عامة القراء وجنات نصبا غير أن التاء كسرت لانها تاء جمع المؤنث وهى تخفض موضع النصب وقد حدثنى الحرث قال ثنا القاسم بن سلام عن الكسائى قال أخبرنا حمزة عن الاعمش انه قرأ وجنات من أعناب بالرفع فرفع جنات على اتباعها القنوان فى الاعراب وان لم تكن من جنسها كما قال الشاعر

ورأيت زوجك فى الوغى ✻ متقلدا سيفا ورمحا

والقراءة التى لا أستجيز أن يقرأ ذلك الا بها النصب وجنات من أعناب لاجماع الحجة من القراء على تصويبها والقراءة بها ورفضهم ما عداها وبعد معنى ذلك من الصواب اذا قرئ رفعا وقوله والزيتون والرمان عطف بالزيتون على الجنات بمعنى وأخرجنا الزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه وكان قتادة يقول فى معنى مشتبها وغير متشابه ما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه قال مشتبها ورقه مختلفا ثمره وجائز أن يكون مرادا به مشتبها فى الخلق مختلفا فى الطعم ومعنى الكلام وشجر الزيتون والرمان فاكتفى من ذكر الشجر بذكر ثمره كما قيل واسأل القرية فاكتفى بذكر القرية من ذكر أهلها لمعرفة المخاطبين بذلك بمعناه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه﴾ اختلفت

(٣) يعنى أنه روى بالوجهين تأمل وانظر البيت بعده فانا لم نعثر عليه اهـ كتبه مصححه

ليس الا بتقدير العزيز العليم ومنها انه يتولد من النواة شجرة و يحصل من الشجرة أغصان وأوراق وأزهار وأثمار وللثمر قشر أعلى وقشر أسفل وفيه اللب وفي اللب الدهن الذي هو المقصود الأصلي فتولد هذه الاجرام المختلفة في طبائعها وصفاتها وألوانها وطعومها وأشكالها مع تساوي تأثيرات النجوم والطبائع في المادة الواحدة يدل على وجود الفاعل المختار ومنها أنك قد تجد الطبائع الأربع حاصلة في الفاكهة الواحدة فالأترج قشره حار يابس ولحمه بارد رطب وحماضه بارد يابس و بزره حار يابس وكذلك العنب قشره وعجمه بارد يابس وماؤه ولحمه حار رطب ومنها أنك تجد أحوال الفواكه مختلفة فبعضها يكون لبه في الداخل وقشره في الخارج كالجوز واللوز وبعضها يكون فاكهته المطلوبة في الخارج والخشبة في الداخل كالخوخ والمشمش وبعضها يكون لنواها لب كالخوخ وقد لا يكون كالتمر وبعض الفواكه يكون كله مطلوبا كالتين فهذه الاحوال المختلفة والاشكال المتخالفة تتضمن حكما وفوائد لا يعلمها الا مبدعها ومنها أنك اذا أخذت ورقة واحدة من أوراق الشجرة وجدت في وسطها خطا واحدا مستقيما يشبه النخاع في بدن الانسان ولا يزال يستدق حتى يخرج عن ادراك الحس ثم ينفصل عن ذلك الخط خطوط دقاق أصغر من الاول فكأنه سبحانه أوجد ذلك لتقوى به الجاذبة المركوزة في جرم تلك الورقة على جذب الاجزاء اللطيفة الارضية في تلك المجاري الضيقة فاذا وقفت على عناية الخالق في ايجاد تلك الورقة الواحدة علمت أن عنايته في ايجاد جملة تلك الشجرة أكثر وعلمت أن عنايته بتخليق الحيوان الذي خلق النبات لاجله يكون أكمل وكذا عنايته بحال الانسان الذي خلق لاجله النبات والحيوان و يصير ذلك مرقاة لك الى وجود الصانع الخبير الحكيم القدير ثم بين كونه فالق الحب والنوى بقوله (يخرج الحي من الميت) لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر النامين من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان ولهذا قال يحيي الارض بعد موتها ثم عطف على قوله فالق الحب قوله (ومخرج الميت من الحي) قال ابن عباس أخرج من النطفة بشرا حيا ثم يخرج من البشر الحي نطفة أو يخرج من البيض دجاجة ومن الدجاجة بيضا أو يخرج المؤمن من الكافر كما في حق ابراهيم والكافر من المؤمن كنوح وابنه أو المطيع من

يقول

القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة و بعض أهل البصرة انظروا الى ثمره بفتح الثاء والميم وقرأه بعض قراء أهل مكة وعامة قراء الكوفيين الى ثمره بضم الثاء والميم فكأن من فتح الثاء والميم من ذلك وجه معنى الكلام انظروا الى ثمر هذه الاشجار التي سمينا من النخل والاعناب والزيتون والرمان اذا أثمر وان الثمر جمع ثمرة كما القصب جمع قصبة والخشب جمع خشبة وكأن من ضم الثاء والميم وجه ذلك الى أنه جمع ثمار كما الحمر جمع حمار والجرب جمع جراب وقد حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد عن ابن ادريس عن الأعمش عن يحيى بن وثاب أنه كان يقرأ الى ثمره يقول هو أصناف المال حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي حماد قال ثنا محمد بن عبيد الله عن قيس بن سعد عن مجاهد قال الثمر هو المال والثمر ثمر النخل * وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ انظروا الى ثمره بضم الثاء والميم لان الله جل ثناؤه وصف أصنافا من المال كما قال يحيى بن وثاب وكذلك حب الزرع المتراكب وقنوان النخل الدانية والجنات من الاعناب والزيتون والرمان فكان ذلك أنواعا من الثمر فجمعت الثمرة ثمرا ثم جمع الثمر ثمارا ثم جمع ذلك فقيل انظروا الى ثمره فكان ذلك جمع الثمار والثمار جمع الثمرة واثماره عقد الثمر وأما قوله و ينعه فانه نضجه و بلوغه حين يبلغ وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول في ينعه اذا فتحت ياؤه هو جمع يانع كما التجر جمع تاجر والصحب جمع صاحب وكان بعض أهل الكوفة ينكر ذلك و يرى أنه مصدر من قولهم ينع الثمر فهو يينع ينعا ويحكى في مصدره عن العرب لغات ثلاثا ينع و ينع و ينع وكذلك في النضج النضج والنضج وأما في قراءة من قرأ ذلك و يانعه فانه يعني به و ناضجه و بالغه وقد يجوز في مصدره ينوعا ومسموع من العرب أينعت الثمرة توينع ايناعا ومن لغة الذين قالوا ينع قول الشاعر

في قباب عند دسكرة * حولها الزيتون قد ينعا

و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس و ينعه يعني اذا نضج حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله انظروا الى ثمره اذا أثمر و ينعه قال ينعه نضجه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انظروا الى ثمره اذا أثمر و ينعه أي نضجه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله و ينعه قال نضجه حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي و ينعه يقول ونضجه حدثت عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله و ينعه قال يعني نضجه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس و ينعه قال نضجه * القول في تأويل قوله (ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون)

العاصي والعاصي من المطيع أو العالم من الجاهل والجاهل من العالم بل الكامل من الناقص والناقص من الكامل وقد يجعل الضار نافعا وبالعكس يحكى أن انسانا سقي الافيون في الشراب ليموت فلما تناوله ظن القوم انه سيموت فرفعوه وجعلوه في بيت مظلم فلدغته حية وصارت تلك اللدغة لقوة حرارة سم الحية سببا لدفع ضرر برد الافيون ونقل عن عبد القاهر الجرجاني أن قوله ومخرج الميت معطوف على قوله يخرج وانما حسن عطف الاسم على الفعل ههنا لان لفظ الفعل يدل

على اعتناء الفاعل بذلك الفعل في كل وقت

يقول تعالى ذكره ان في انزال الله تعالى من السماء الماء الذي أخرج به نبات كل شيء والخضر الذي أخرج منه الحب المتراكب وسائر ما عدد في هذه الآية من صنوف خلقه لآيات يقول في ذلكم أيها الناس اذا أنتم نظرتم الى ثمره عند عقد ثمره وعند ينعه وانتهائه فرأيتم اختلاف أحواله وتصرفه في زيادته ونموه علمتم أن له مدبرا ليس كمثله شيء ولا تصلح العبادة الا له دون الآلهة والأنداد وكان فيه حجج وبرهان وبيان لقوم يؤمنون يقول لقوم يصدقون بوحدانية الله وقدرته على ما يشاء وخص بذلك تعالى ذكره القوم الذين يؤمنون لانهم هم المنتفعون بحجج الله والمعتبرون بها دون من قد طبع الله على قلبه فلا يعرف حقا من باطل ولا يتبين هدى من ضلالة * القول في تأويل قوله (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) يعني بذلك جل ثناؤه وجعل هؤلاء العادلون بربهم الآلهة والانداد لله شركاء الجن كما قال جل ثناؤه وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وفي الجن وجهان من النصب أحدهما أن يكون تفسيرا للشركاء والآخر أن يكون معنى الكلام وجعلوا لله الجن شركاء وهو خالقهم واختلفوا في قراءة قوله وخلقهم فقرأته قراء الأمصار وخلقهم على معنى أن الله خلقهم منفردا بخلقه اياهم وذكر عن يحيى بن يعمر ما حدثني به أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن هرون عن واصل مولى أبي عيينة عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر انه قال شركاء الجن وخلقهم بجزم اللام بمعنى أنهم قالوا ان الجن شركاء لله في خلقه ايانا * وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك وخلقهم لاجماع الحجة من القراء عليها وأما قوله وخرقوا له بنين وبنات بغير علم فانه يعني بقوله خرقوا اختلقوا يقال اختلق فلان على فلان كذبا واخترقه اذا افتعله وافتراه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وجعلوا لله شركاء الجن والله خلقهم وخرقوا له بنين وبنات يعني أنهم تخرصوا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وخرقوا له بنين وبنات بغير علم قال جعلوا له بنين وبنات بغير علم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وخرقوا له بنين وبنات بغير علم قال كذبوا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلوا لله شركاء الجن كذبوا سبحانه وتعالى عما يصفون عما يكذبون أما العرب فجعلوا له البنات ولهم ما يشتهون من الغلمان وأما اليهود فجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وخرقوا له بنين وبنات بغير علم قال خرصوا له بنين وبنات حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وخرقوا له بنين وبنات بغير علم

بخلاف لفظ الاسم ولهذا قال هل من خالق غير الله يرزقكم ليفيد أنه يرزقهم حالا فحالا وساعة فساعة اذا ثبت هذا فنقول الحي أشرف من الميت فذكره بلفظ الفعل فيدل على ان الاعتناء باخراج الحي من الميت أكثر من العكس (ذلكم الله) المدبر الخالق النافع الضار المحيي المميت (فأنى تؤفكون) فكيف تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره أم كيف تستبعدون البعث والنشور لان الاعادة أهون من الابداء ثم عدل عن الاحوال الارضية الى الاستدلال بما فوقها وهي الاحوال الفلكية فقال (فالق الاصباح) وهو مصدر سمي به الصبح المراد فالق ظلمة الاصباح وهو الغبش في آخر الليل وكأن الافق كان بحرا مملوأ من الظلمة ثم انه سبحانه شق ذلك البحر المظلم بأن أجرى فيه جدولا من النور فالمعنى فالق ظلمة الاصباح بنور الاصباح وحسن الحذف للعلم به أو المراد فالق الاصباح ببياض النهار وإسفاره ومنه قولهم انشق عمود الفجر وانصدع الفجر أو المراد مظهر الاصباح بواسطة فلق الظلمة فذكر السبب وأراد المسبب أو الفالق بمعنى الخالق كما مر وقد سلف لنا تقرير الصبح في البقرة في تفسير قوله عز من قائل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار ثم ان كون الصبح بسبب وقوع ضوء الشمس على ضلع مخروط ظل الارض في جانبه الشرقي لا ينافي كون الله سبحانه فالق الاصباح بالحقيقة كما أن وجود النهار بسبب طلوع جرم الشمس عن الافق لا ينافي ذلك والامام فخر الدين الرازي أراد أن يبين أن ذلك بقدرة الفاعل المختار فنفى كونه بسبب ضوء الشمس بحجج اخترعها من عنده وكلها خلاف المعقول والمنقول من علم الرياضة فلذلك أسقطناها عن درجة الاعتبار * النوع الثاني من الدلائل الفلكية الدالة على التوحيد قوله (وجاعل الليل سكنا) حجة من

قرأ باسم الفاعل أن المعطوف عليه اسم فاعل وحجة من قرأ بصيغة الفعل أن قوله بعد ذلك والشمس والقمر منصوبان ولا بد من عامل وما ذلك الا أن يقدر جاعل بمعنى جعل والسكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن اليه من زوج أو حبيب ومنه قيل للنار سكن كما سموها المؤنسة لانها يستأنس بها والليل يطمئن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويحتمل أن يراد وجعل الليل مسكونا فيه كما قال لتسكنوا فيه فالليل والنهار من ضروريات مصالح هذا العالم فهما نعمتان من الله تعالى وآيتان على وحدته وقدرته النوع الثالث قوله

(والشمس والقمر حسبانا) أي سببي حسبان لان حساب الأوقات يعلم بسيرهما ودورهما والحسبان بالضم مصدر حسب بالفتح كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب بالكسر وقيل انه جمع حساب مثل شهاب وشهبان قال في الكشاف الشمس والقمر قرئا بالحركات الثلاث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل أو يعطفان على محل الليل لان اسم الفاعل أريد به ههنا الاستمرار كما تقول الله عالم قادر فلا تقصد زمانا دون زمان فتكون الاضافة غير حقيقية ويكون لليل محل قلت وهذا مناقض لما ذكر في مالك يوم الدين من أنه يجوز أن يراد به زمان مستمر حتى تكون الاضافة حقيقية ويصح وقوعه صفة للمعرفة وأما وجه الجر فظاهر ووجه الرفع كونهما مبتدأين محذوفي الخبر أي والشمس والقمر مجعولان أو محسوبان حسبانا (وذلك) الجعل (تقدير العزيز) الذي قهرهما (العليم) الذي دبرهما وذلك أن تقدير أجرام الأفلاك بصفاتها المخصوصة وهيآتها المحدودة وأوضاعها المعينة لا يتم الا بقدرة شاملة لجميع الممكنات وعلم نافذ في الكليات والجزئيات * النوع الرابع قوله (وهو الذي جعل لكم النجوم) عدههنا من منافع النجوم كونها سببا للاهتداء الى الطرق والمسالك في ظلمات البر والبحر حيث لا يرون شمسا ولا قمرا والتقدير والله في ظلمات الليل بالبر والبحر فأضافها اليهما لملابستها لهما وقيل المراد ظلمات بر التعطيل وبحر التشبيه فان اختصاص كل من هذه الكواكب بمحال وصفة أخرى مع تشاركها في الجسمية دليل ظاهر على مختار قادر وأيضا اتصافها بالاعضاء والابعاض والحدود والاحياز مع أنها لا تصلح للالهية بالاتفاق دليل على تنزيه الله سبحانه من هذه السمات ولهذا قال (قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) فيستدلون بالمحسوس على

يقول قطعوا له بنين وبنات قالت العرب الملائكة بنات الله وقالت اليهود والنصارى المسيح وعزير ابنا الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وخرقوا له بنين وبنات بغير علم قال خرقوا كذبوا لم يكن لله بنون ولا بنات قالت النصارى المسيح ابن الله وقال المشركون الملائكة بنات الله فكل خرقوا الكذب وخرقوا اخترقوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله وجعلوا لله شركاء الجن قال قول الزنادقة وخرقوا له قال ابن جريج قال مجاهد خرقوا كذبوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن جويبر عن الضحاك وخرقوا له بنين وبنات قال وصفوا له حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث عن أبي عمرو وخرقوا له بنين وبنات قال تفسيرها وكذبوا فتأويل الكلام اذا وجعلوا لله الجن شركاء في عبادتهم اياه وهو المنفرد بخلقهم بغير شريك ولا معين ولا ظهير وخرقوا له بنين وبنات يقول وتخرصوا لله كذبا فافتعلوا له بنين وبنات بغير علم منهم بحقيقة ما يقولون ولكن جهلا بالله وبعظمته وأنه لا ينبغي لمن كان الها أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة ولا أن يشركه في خلقه شريك ۞ القول في تأويل قوله (سبحانه وتعالى عما يصفون) يقول تعالى ذكره تنزه الله وعلا فارتفع عن الذي يصفه به هؤلاء الجهلة من خلقه في ادعائهم له شركاء من الجن واختراقهم له بنين وبنات وذلك لا ينبغي أن يكون من صفته لان ذلك من صفة خلقه الذين يكون منهم الجماع الذي يحدث عنه الاولاد والذين تضطرهم لضعفهم الشهوات الى اتخاذ الصاحبة لقضاء اللذات وليس الله تعالى ذكره بالعاجز فيضطره شئ الى شئ ولا بالضعيف المحتاج فتدعوه حاجته الى النساء الى اتخاذ صاحبة لقضاء لذة وقوله تعالى تفاعل من العلو والارتفاع وروي عن قتادة في تأويل قوله عما يصفون انه يكذبون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سبحانه وتعالى عما يصفون عما يكذبون وأحسب أن قتادة عنى بتأويله ذلك كذلك أنهم يكذبون في وصفهم الله بما كانوا يصفونه من ادعائهم له بنين وبنات لا انه وجه تأويل الوصف الى الكذب ۞ القول في تأويل قوله (بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) يقول تعالى ذكره الله الذي جعل هؤلاء الكفرة به له الجن شركاء وخرقوا له بنين وبنات بغير علم بديع السموات والارض يعني مبتدعها ومحدثها وموجدها بعد أن لم تكن كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله بديع السموات والارض قال هو الذي ابتدع خلقهما جل جلاله فخلقهما ولم يكونا شيأ قبله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة والولد انما يكون من الذكر من الأنثى ولا ينبغي أن يكون لله سبحانه صاحبة فيكون له ولد وذلك انه هو الذي خلق كل شئ يقول فاذا كان لا شئ الا الله خلقه فأنى يكون لله ولد ولم تكن له صاحبة فيكون له منها ولد ۞ القول في تأويل قوله (وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم) يقول تعالى ذكره والله خلق كل شئ ولا خالق سواه وكل ما تدعون أيها العادلون بالله الأوثان من دونه خلقه وعبيده ملكا كان الذي تدعونه ربا وتزعمون أنه له ولد أو جنيا أو انسيا وهو بكل شئ عليم يقول

المعقول وينتقلون من الشاهد الى الغائب * ثم عدل عن الآيات الآفاقية الى آيات الانفس فقال (وهو الذي أنشأكم) أي خلقكم بطريق النشو والنماء (من نفس واحدة) هي آدم وحواء مخلوقة من ضلع من أضلاعه وكذا عيسى لانه من مريم وان كان بتوسط كلمة كن أو بالنفخ وهي من آدم (فمستقر) من قرأ بكسر القاف فالتقدير فمنكم مستقر (و) منكم (مستودع) الاول اسم فاعل والثاني اسم مفعول ومن قرأ بفتح القاف فالتقدير فلكم مستقر ولكم مستودع فيكون كلاهما اسمي مكان أو مصدر او ذلك أن استقر لازم فلا يجيء منه المفعول به بلا واسطة فينبغي تفسير مستودع أيضا بما يشاكله استحسانا وعن ابن عباس أن المستودع الصلب والمستقر الرحم لقوله ونقر في الارحام ما نشاء ولان اللبث في الرحم أكثر فيكون لفظ القرار بذلك أنسب بخلاف المستودع فانه في معرض الاسترداد ساعة فساعة وهذا شأن المني في الاصلاب فانه بصدد الاراقة في كل حين وأوان وقيل المستقر صلب الأب والمستودع الرحم لان النطفة قد حصلت في صلب الاب أولا واستقرت هنالك ثم حصلت في الرحم على سبيل الوديعة ولان هذا الترتيب يناسب تقديم المستقر على المستودع وعن الحسن المستقر حاله بعد الموت لان سعادته وشقاوته تبقى وتستقر على حالة واحدة والمستودع حاله قبل الموت لان الكافر قد ينقلب مؤمنا والفاسق صالحا والوديعة على شرف الزوال والذهاب وقال الاصم المستقر الذي خلق من النفس الاولى وحصل في الوجود والمستودع الذي لم يخلق بعد وسيخلق وعنه أيضا المستقر من في قرار الدنيا والمستودع من في القبور الى يوم البعث وعن قتادة بالعكس وعن أبي مسلم الاصفهاني المستقر الذكر لان النطفة انما تستقر في صلبه والمستودع الانثى لانها تستودع النطفة وحاصل الكلام أن الانسان خلق من نفس واحدة ثم انه يتقلب في الاطوار ويتردد في الاحوال وليس هذا بمقتضى الطبع والخاصية والالتساوى الكل في الأخلاق والامزجة فذلك اذن بتدبير فاعل قدير مختار خبير ولهذا قال (قد فصلنا الآيات) ميزنا بعضها عن بعض (لقوم يفقهون) لان الفائدة تعود اليهم وان كان الارشاد عاما ولأن آيات الانفس أقرب الى الاعتبار وأهون لدى الاستبصار ختم هذه الآية بالفقه وخصص خاتمة الآية الاولى بالعلم ليعلم أن الغافل عن هذه لا فطنة له ولا ذكاء أصلا فضلا

والله الذي خلق كل شئ لا يخفى عليه ما خلق ولا شئ منه ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء عالم بعددكم وأعمالكم وأعمال من دعوتموه ربا أو لله ولدا وهو محصيها عليكم وعليهم حتى يجازي كلا بعمله ۞ القول في تأويل قوله (ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل) يقول تعالى ذكره الذي خلق كل شئ وهو بكل شئ عليم هو الله ربكم أيها العادلون بالله الآلهة والأوثان والجاعلون له الجن شركاء وآلهتكم التي لا تملك نفعا ولا ضرا ولا تفعل خيرا ولا شرا لا اله الا هو وهذا تكذيب من الله جل ثناؤه للذين زعموا أن الجن شركاء الله يقول جل ثناؤه لهم أيها الجاهلون انه لا شئ له الالوهية والعبادة الا الذي خلق كل شئ وهو بكل شئ عليم فانه لا ينبغي أن تكون عبادتكم وعبادة جميع من في السموات والارض الا له خالصة بغير شريك تشركونه فيها فانه خالق كل شئ وبارئه وصانعه وحق على المصنوع أن يفرد صانعه بالعبادة فاعبدوه يقول فذلوا له بالطاعة والعبادة والخدمة واخضعوا له بذلك وهو على كل شئ وكيل يقول والله على كل ما خلق من شئ رقيب وحفيظ يقوم بأرزاق جميعه وأقواته وسياسته وتدبيره وتصريفه بقدرته ۞ القول في تأويل قوله (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار فقال بعضهم معناه لا تحيط به الأبصار وهو يحيط بها ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار يقول لا يحيط بصر أحد بالملك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو أعظم من أن تدركه الابصار حدثني يونس بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا خالد بن عبد الرحمن قال ثنا أبو عرفجة عن عطية العوفي في قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة قال هم ينظرون الى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم فذلك قوله لا تدركه الابصار الآية واعتل قائلو هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا ان الله قال فلما أدركه الغرق قال آمنت قالوا فوصف الله تعالى ذكره الغرق بأنه أدرك فرعون ولا شك أن الغرق غير موصوف بأنه رآه ولا هو مما يجوز وصفه بأنه يرى شيأ قالوا فمعنى قوله لا تدركه الابصار بمعنى لا تراه بعيد لان الشئ قد يدرك الشئ ولا يراه كما قال جل ثناؤه مخبرا عن قيل أصحاب موسى صلى الله عليه وسلم لموسى حين قرب منهم أصحاب فرعون فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون لان الله قد كان وعد نبيه موسى صلى الله عليه وسلم انهم لا يدركون لقوله ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى قالوا فان كان الشئ قد يرى الشئ ولا يدركه ويدركه ولا يراه فكان معلوما بذلك ان قوله لا تدركه الابصار من معنى لا تراه الابصار بمعزل وان معنى ذلك لا تحيط به الابصار لان الاحاطة به غير جائزة قالوا فالمؤمنون وأهل الجنة يرون ربهم بأبصارهم ولا تدركه أبصارهم بمعنى انها لا تحيط به اذ كان غير جائز أن يوصف الله بأن شيأ

عن العلم ثم عدد ما كونه نعمة أبين فيه من كونه آية فقال (وهو الذي أنزل من السماء ماء) قيل أي من جانب السماء وقيل أي من السحاب لان العرب تسمي كل ما فوقك سماء كسماء البيت وقال أكثر أهل الظاهر أي من السماء نفسها لانه تعالى فاعل مختار قادر على خلق الاجسام كيف شاء وأراد ونحن قد حكينا في أول سورة البقرة مذهب الحكماء في هذا الباب والله تعالى أعلم قال ابن عباس يريد بالماء ههنا المطر ولا تنزل قطرة من السماء الا ومعها ملك والفلاسفة يحملون ذلك على الطبيعة الحالة فيها الموجبة للنزول الى مركزها (فأخرجنا به) أي بواسطة ذلك الماء وذلك يوجب الطبع والمتكلمون ينكرونه (نبات كل شيء) قال الفراء أي نبات كل شيء له نبات فيخصص بنبت كل صنف من أصناف النامي ويخرج ما عدا ذلك وفي الآية التفاتان الأول من الحكاية الى الغيبة حيث لم يقل نحن الذين أنزلنا والثاني من الغيبة الى الحكاية وأنت خبير أن نقل الكلام من أسلوب الى أسلوب باب من أبواب البلاغة وصيغة الجمع لأجل التعظيم كما هو ديدن الملوك ثم لما بين أن السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف كثيرة فصل ذلك بعض التفصيل حسبما ذكر في قوله ان الله فالق الحب والنوى فقال (فأخرجنا منه) أي من النبات (خضرا) شيأ أخضر طريا وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة (نخرج منه) أي من ذلك الخضر (حبا متراكبا) بعضه على بعض قال ابن عباس يريد القمح والشعير والسلت والذرة فأصل ذلك هو العود الأخضر وتكون السنبلة راكبة عليه من فوقه والحبات متراكبة وفوق السنبلة أجسام دقيقة حادة كالابر والمقصود من تخليقها أن تمنع الطيور من التقاط تلك الحبات المتراكبة ولما ذكر ما ينبت من الحب أتبعه ذكر ما ينبت من النوى فقال (ومن النخل) وهو خبر أن وقوله (من طلعها) بدل منه كأنه قيل وحاصلة من طلع النخل (قنوان) أو الخبر محذوف لدلالة أخرجنا عليه والتقدير ومخرجة من طلع النخل قنوان وهو جمع قنو كصنوان وصنو والقنو العذق وهو من التمر بمنزلة العنقود من العنب والطلع أول ما يبدو ومن عذق النخلة قال ابن عباس يريد العراجين التي قد تدلت من الطلع دانية ممن تحتها وعنه أيضا انه أراد عذوق النخلة اللاصقة بالارض قال الزجاج ولم يقل

يحيط به قالوا ونظير جواز وصفه بأنه يرى ولا يدرك جواز وصفه بأنه يعلم ولا يحاط به وكما قال جل ثناؤه ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء قالوا فنفى جل ثناؤه عن خلقه أن يكونوا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء قالوا ومعنى العلم في هذا الموضع المعلوم قالوا فلم يكن في نفيه عن خلقه أن يحيطوا بشيء من علمه الا بما شاء نفي عن أن يعلموه قالوا فاذا لم يكن في نفي الاحاطة بالشيء علما نفي للعلم به كان كذلك لم يكن في نفي ادراك الله عن البصر نفي رؤيته له قالوا وكما جاز أن يعلم الخلق أشياء ولا يحيطون بها علما كذلك جائز أن يروا ربهم بأبصارهم ولا يدركوه بأبصارهم اذ كان معنى الرؤية غير معنى الادراك ومعنى الادراك غير معنى الرؤية وان معنى الادراك انما هو الاحاطة كما قال ابن عباس في الخبر الذي ذكرناه قبل قالوا فان قال لنا قائل وما أنكرتم أن يكون معنى قوله لا تدركه الابصار لا تراه الابصار قلنا له أنكرنا ذلك لان الله جل ثناؤه أخبر في كتابه ان وجوها في القيامة اليه ناظرة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر أمته أنهم سيرون ربهم يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب قالوا فاذ كان الله قد أخبر في كتابه بما أخبر وحققت أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا عنه من قيله صلى الله عليه وسلم أن تأويل قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة انه نظر أبصار العيون لله جل جلاله وكان كتاب الله يصدق بعضه بعضا وكان مع ذلك غير جائز أن يكون أحد هذين الخبرين ناسخا للآخر اذ كان غير جائز في الاخبار لما قد بينا في كتابنا كتاب لطيف البيان عن أصول الاحكام وغيره علم أن معنى قوله لا تدركه الابصار غير معنى قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فان أهل الجنة ينظرون بأبصارهم يوم القيامة الى الله ولا يدركونه بها تصديقا لله في كلا الخبرين وتسليما لما جاء به تنزيله على ما جاء به في السورتين * وقال آخرون معنى ذلك لا تراه الأبصار وهو يرى الابصار ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي لا تدركه الابصار لا يراه شيء وهو يرى الخلائق حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن اسمعيل بن أبي خالد عن عامر عن مسروق عن عائشة قالت من حدثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب ولكن قد رأى جبريل في صورته مرتين حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسمعيل بن أبي خالد عن عامر عن مسروق قال قلت لعائشة يا أم المؤمنين هل رأى محمد ربه فقالت سبحان الله لقد قف شعري مما قلت ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى وابن علية عن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي قال قالت عائشة من قال ان أحدا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله قال الله لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار فقال قائلو هذه المقالة معنى الادراك في هذا الموضع الرؤية وأنكروا

ومنها قنوان بعيدة لان أحد القسمين يغني عن الآخر كما قال سرابيل تقيكم الحر و يحتمل أن يقال ترك البعيدة لان النعمة في القريبة أكمل وأتم وقيل أراد بكونها دانية أنها سهلة المجتنى متعرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول وان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تأتي بالثمر لا تنتظر الطول (وجنات من أعناب) بالنصب عطفا على خضرا أي وأخرجنا به جنات من أعناب ومن قرأ بالرفع فعلى انها مبتدأ محذوف الخبر أي وثم جنات من أعناب او وجنات من أعناب مخرجة ولا يجوز أن يكون عطفا على قنوان وان جوزه في الكشاف اذ يصير المعنى وحاصلة أو مخرجة من النخل من طلعها جنات حصلت من أعناب أما قوله (والزيتون والرمان) بالنصب فللعطف على منصوبات قبلها أو للاختصاص لفضل هذين الصنفين قال الفراء أراد شجر الزيتون وشجر الرمان فحذف المضاف واعلم أنه سبحانه قدم الزرع على الاشجار لانه غذاء وثمار الاشجار فواكه والغذاء مقدم على الفواكه ثم قدم النخل على سائر الفواكه لان التمر يقوم مقام الغذاء ولا سيما للعرب ومن فضائلها أن الحكماء بينوا أن بينه و بين الحيوانات مشابهات كثيرة ولهذا قال صلى الله عليه وآله أكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من بقية طينة آدم ثم ذكر العنب عقيب النخل لانه أشرف أنواع الفواكه وانه ينتفع به من أول ظهوره الى آخر حاله فأوله خيوط دقيقة حامضة الطعم لذيذة وقد يمكن اتخاذ الطبائخ منه ثم يظهر الحصرم وهو طعام شريف للاصحاء وللمرضى من أصحاب الصفراء ثم يتم العنب فيؤكل كما هو ويدخر ويتخذ منه الزبيب والدبس والخمر والخل ومنافع كل منها لا تحصى الا أن الخمر حرمها الشرع لاسكارها وأخس ما في العنب عجمه والاطباء يتخذون منه جوارشنات نافعة للمعدة الضعيفة الرطبة و يتلو العنب في المنفعة الزيتون لانه يمكن تناوله كما هو و ينفصل منه الزيت الذي يعظم غذاؤه وأما الرمان فحاله عجيبة جدا لانه قشر وشحم وعجم وماء والثلاثة الاول باردة يابسة أرضية كثيفة قابضة عفصة وأما ماء الرمان فبالضد من هذه الصفات وانه ألذ الاشربة وألطفها وأقربها الى الاعتدال وأشدها مناسبة للطباع المعتدلة وفيه تقوية للمزاج الضعيف وهو غذاء من وجه ودواء من وجه وكأنه سبحانه جمع فيه بين المتضادين فيكون دلالة القدرة والرحمة والحكمة فيه أكمل وأنواع النبات أكثر من أن يفي

أن يكون الله يرى بالابصار في الدنيا والآخرة وتأولوا قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة بمعنى انتظارها رحمة الله وثوابه وتأول بعضهم في الاخبار التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتصحيح القول برؤية أهل الجنة ربهم يوم القيامة تأويلات وأنكر بعضهم مجيئها ودافعوا أن يكون ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وردوا القول فيه الى عقولهم فزعموا أن عقولهم تحيل جواز الرؤية على الله عز وجل بالأبصار وأتوا في ذلك بضروب من التمويهات وأكثروا القول فيه من جهة الاستخراجات وكان من أجل ما زعموا أنهم علموا به صحة قولهم ذلك من الدليل أنهم لم يجدوا أبصارهم ترى شيئا الا ما باينها دون ما لاصقها فانها لا ترى ما لاصقها قالوا فما كان للابصار مباينا مما عاينته فان بينه و بينها فضاء وفرجة قالوا فان كانت الابصار ترى ربها يوم القيامة على نحو ما ترى الاشخاص اليوم فقد وجب أن يكون الصانع محدودا قالوا ومن وصفه بذلك فقد وصفه بصفات الاجسام التي يجوز عليها الزيادة والنقصان قالوا وأخرى أن من شأن الابصار أن تدرك الالوان كما من شأن الاسماع أن تدرك الاصوات ومن شأن المتنسم أن يدرك الاعراف قالوا فمن الوجه الذي فسد أن يكون جائزا أن يقضى السمع بغير ادراك الاصوات وللمتنسم الا بادراك الاعراف فسد أن يكون جائزا القضاء للبصر الا بادراك الالوان قالوا ولما كان غير جائز أن يكون الله تعالى ذكره موصوفا بأنه ذو لون صح أنه غير جائز أن يكون موصوفا بأنه مرئي * وقال آخرون معنى ذلك لا تدركه أبصار الخلائق في الدنيا وأما في الآخرة فانها تدركه وقال أهل هذه المقالة الادراك في هذا الموضع الرؤية واعتل أهل هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا الادراك وان كان قد يكون في بعض الاحوال بغير معنى الرؤية فان الرؤية من أحد معانيه وذلك أنه غير جائز أن يلحق بصره شيئا فيراه وهو لما أبصره وعاينه غير مدرك وان لم يحط بأجزائه كلها رؤية قالوا فرؤية ما عاينه الرائي ادراك له دون ما لم يره قالوا وقد أخبر الله أن وجوها يوم القيامة اليه ناظرة قالوا فمحال أن تكون اليه ناظرة وهي له غير مدركة رؤية قالوا واذا كان ذلك كذلك وكان غير جائز أن يكون في أخبار الله تضاد وتعارض وجب وصح أن قوله لا تدركه الأبصار على الخصوص لا على العموم وان معناه لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يدرك الابصار في الدنيا والآخرة اذ كان الله قد استثنى ما استثنى منه بقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة * وقال آخرون من أهل هذه المقالة الآية على الخصوص الا أنه جائز أن يكون معنى الآية لا تدركه أبصار الظالمين في الدنيا والآخرة وتدركه أبصار المؤمنين وأولياء الله قالوا وجائز أن يكون معناها لا تدركه الابصار بالنهاية والاحاطة وأما بالرؤية فبلى قالوا وجائز أن يكون معناها لا تدركه الابصار في الدنيا وتدركه في الآخرة وجائز أن يكون معناها لا تدركه أبصار من يراه بالمعنى الذي يدرك به القديم أبصار خلقه فيكون الذي نفى عن خلقه من ادراك أبصارهم اياه هو الذي أثبته لنفسه اذ كانت أبصارهم ضعيفة لا تنفذ الا فيما قواها جل ثناؤه على النفوذ فيه وكانت كلها متجلية لبصره لا يخفى عليه منها شيء قالوا ولا شك في خصوص قوله لا تدركه الابصار وأن

بشرحها المجلدات فاكتفى بذكر هذه الانواع الخمسة تنبيها على البواقي وأما قوله (مشتبها وغير متشابه) ففي تفسيره وجوه الاول ان هذه الفواكه
تكون متشابهة في اللون والشكل مع أنها تكون مختلفة في الطعم واللذة فان الاعناب والرمان قد تكون متشابهة في الصورة واللون والشكل
ثم انها تكون مختلفة في الحلاوة والحموضة وبالعكس الثاني ان أكثر الفواكه يكون ما فيها من القشر والعجم متشابها في الطعم والخاصية
وأما ما فيها من اللحم والرطوبة فانها تكون (٢٠٢) مختلفة ومنهم من يقول الاشجار متشابهة والثمار مختلفة ومنهم من قال بعض حبات
العنقود متشابهة وبعضها غير
متشابه وذلك أنك قد تأخذ العنقود
من العنب فترى جميع حباته
مدركة نضيجة حلوة طيبة
الاحبات مخصوصة فانها بقيت على
أول حالها من الخضرة والحموضة
والعفوصة ومعنى اشتبه وتشابه
واحد يقال اشتبه الشيئان وتشابها
كقولك استويا وتساويا وانما قال
مشتبها ولم يقل مشتبهين اما اكتفاء
بوصف أحدهما أو على تقدير
والزيتون مشتبها وغيره متشابه
والرمان كذلك كقوله
رماني بأمر كنت منه ووالدي
بريئا ومن أجل الطوي رماني
(انظروا الى ثمره) من قرأ بفتحتين
فلانه جمع ثمرة مثل بقر وبقرة
وشجر وشجرة ومن قرأ بضمتين
فعلى انه جمع ثمرة أيضا مثل خشبة
وخشب قال تعالى كأنهم خشب
مسندة أو على أن ثمرة جمعت على
ثمار ثم جمع ثمار على ثمر (اذا أثمر) اذا
أخرج ثمره (وينعه) يقال ينعت
الثمرة ينعا وينعا بالفتح والضم اذا
أدركت ونضجت أمر بالنظر في
حال ثمر كل شجرة أول حدوثها وفي
آخر حالها فانها قد تكون موصوفة
بالخضرة والحموضة ثم تصير الى
السواد والحلاوة وربما كانت
أول الامر باردة بحسب الطبيعة ثم
تصير حارة الطبع وقد تخرج ضئيلا
ضعيفا لا يكاد ينتفع به ثم يؤول
الى كمال اللذة والمنفعة فحصول هذه الانتقالات والتغيرات لابد له من سبب مستقل في التأثير سوى الطبائع أن
والفصول والافلاك والنجوم وما ذاك الا السبب الاول ومبدع الكل ولهذا ختم الآية بقوله (ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) قال القاضي
المراد لمن يطلب الايمان بالله لانه آية لمن آمن ولمن لم يؤمن ويحتمل أن يقال خص المؤمنين لانهم المنتفعون بذلك دون غيرهم أو المراد
ان هذه الدلالة على قوتها وظهورها دلالة لمن سبق قضاء الله تعالى في حقه بالايمان والا فلا ينتفع به البتة ويكون من زمرة من قال في حقهم

أولياء الله سيرونه يوم القيامة بأبصارهم غير أنا لا ندري أي معاني الخصوص الاربعة أريد بالآية
واعتلوا لتصحيح القول بأن الله يرى في الآخرة بنحو علل الذين ذكرنا قبل * وقال آخرون الآية
على العموم ولن يدرك الله بصر أحد في الدنيا والآخرة ولكن الله يحدث لاوليائه يوم القيامة
حاسة سادسة سوى حواسهم الخمس فيرونه بها واعتلوا لقولهم هذا بأن الله تعالى ذكره نفى عن
الابصار أن تدركه من غير أن يدل فيها أو بآية غيرها على خصوصها قالوا وكذلك أخبر في آية أخرى
أن وجوها اليه يوم القيامة ناظرة قالوا فأخبار الله لا تتباين ولا تتعارض وكلا الخبرين صحيح معناه
على ما جاء به التنزيل واعتلوا أيضا من جهة العقل بأن قالوا ان كان جائزا أن نراه في الآخرة
بأبصارنا هذه وان زيد في قواها وجب أن نراه في الدنيا وان ضعفت لان كل حاسة خلقت لادراك
معنى من المعاني فهي وان ضعفت كل الضعف فقد تدرك مع ضعفها ما خلقت لادراكه وان
ضعف ادراكها اياه مالم تعدم قالوا فلو كان في البصر أن يدرك صانعه في حال من الاحوال أو
وقت من الاوقات ويراه وجب أن يكون يدركه في الدنيا ويراه فيها وان ضعف ادراكه اياه قالوا
فلما كان ذلك غير موجود من أبصارنا في الدنيا كان غير جائز أن تكون في الآخرة الا بهيئتها في الدنيا
في أنها لا تدرك الا ما كان من شأنها ادراكه في الدنيا قالوا فلما كان ذلك كذلك وكان الله تعالى
ذكره قد أخبر أن وجوها في الآخرة تراه علم أنها تراه بغير حاسة البصر اذ كان غير جائز أن يكون
خبره الا حقا * والصواب من القول في ذلك عندنا ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال انكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر وكما ترون الشمس ليس
دونها سحاب فالمؤمنون يرونه والكافرون عنه يومئذ محجوبون كما قال جل ثناؤه كلا انهم عن
ربهم يومئذ لمحجوبون فأما ما اعتل به منكرو رؤية الله يوم القيامة بالابصار لما كانت لا ترى
الا ما باينها وكان بينها وبينه فضاء وفرجة وكان ذلك عندهم غير جائز أن تكون رؤية الله
بالابصار كذلك لان في ذلك اثبات حد له ونهاية فبطل عندهم لذلك جواز الرؤية عليه وأنه يقال
لهم هل علمتم موصوفا بالتدبير سوى صانعكم الا مماسا لكم أو مباينا فان زعموا أنهم يعلمون ذلك
كلفوا تبيينه ولا سبيل الى ذلك وان قالوا لا نعلم ذلك قيل لهم أوليس قد علمتموه لا مماسا لكم ولا
مباينا وهو موصوف بالتدبير والفعل ولم يجب عندكم اذ كنتم لم تعلموا موصوفا بالتدبير والفعل
غيره الا مماسا لكم أو مباينا أن يكون مستحيلا العلم به وهو موصوف بالتدبير والفعل لا مماس
ولا مباين فان قالوا ذلك كذلك قيل لهم فما تنكرون أن تكون الابصار كذلك لا ترى الا ما باينها
وكانت بينه وبينها فرجة قد تراه وهو غير مباين لها ولا فرجة بينها وبينه ولا فضاء كما لا تعلم القلوب
موصوفا بالتدبير الا مماسا لها أو مباينا وقد علمته عندكم لا كذلك وهل بينكم وبين من أنكر
أن يكون موصوفا بالتدبير والفعل معلوما الا مماسا للعالم به أو مباينا وأجاز أن يكون موصوفا برؤية
الابصار لا مماسا لها ولا مباينا فرق ثم يسألون الفرق بين ذلك فلن يقولوا في شيء من ذلك قولا الا
ألزموا في الآخر مثله وكذلك يسألون فيما اعتلوا به في ذلك ان من شأن الابصار ادراك الالوان كما

(وجعلوا لله شركاء الجن) قال الكلبي عن ابن عباس نزلت في الزنادقة قالوا ان الله تعالى وابليس أخوان فالله خالق الناس والدواب والانعام وابليس خالق الحيات والسباع والعقارب قال في التفسير الكبير هذا مذهب المجوس فانما قال ابن عباس هذا قول الزنادقة لان المجوس يلقبون بالزنادقة لان الكتاب الذي زعم زرادشت أنه نزل عليه من عند الله يسمى بالزند والمنسوب اليه زندي ثم عرب فقيل زنديق ثم جمع فقيل زنادقة ثم انهم قالوا كل ما في هذا العالم من الخيرات فهو من يزدان وجميع (٢٠٣) ما فيه من الشرور فهو من أهرمن وهو المسمى بابليس في شرعنا ثم اختلفوا فالاكثرون منهم على أن أهرمن محدث ولهم في كيفية حدوثه أقوال عجيبة كقولهم انه تعالى فكر في مملكة نفسه واستعظمها فحصل نوع من العجب فتولد الشيطان من ذلك العجب وكقولهم شك في قدرة نفسه فتولد من شكه الشيطان والاقلون منهم قالوا انه قديم أزلي والحاصل أنهم يقولون عسكر الله تعالى هم الملائكة وعسكر ابليس هم الشياطين والملائكة فيهم كثرة عظيمة وهم أرواح طاهرة مقدسة تلهم الارواح البشرية الطاعات والشياطين فيهم أيضا كثرة عظيمة يلقون الوساوس الى الارواح البشرية والله تعالى مع عسكره يحاربون ابليس مع عسكره فلهذا السبب حكى الله تعالى عنهم أنهم أثبتوا لله شركاء من الجن بلفظ الجمع وان كان شريكه عندهم بالحقيقة واحدا وهو أهرمن وانتصاب الجن على انه بدل أو بيان لشركاء أو على انه مفعول أول لجعلوا وشركاء ثانيه ويكون لله ظرفا لغوا وفائدة تقديم المفعول الثاني على هذا القول استعظام أن يتخذ لله شريك كائنا من كان ملكا أو جنيا أو انسيا ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين وقيل ان الآية نزلت في الكفار الذين جعلوا الملائكة بنات الله وحسن اطلاق الجن على الملائكة لاستتارهم عن العيون ومعنى كونها شركاء أنها مدبرة لاحوال هذا العالم ومعينة لله اعانة الولد للوالد وعن الحسن وطائفة من المفسرين ان المراد أن الجن دعوا الكفار الى عبادة الاصنام والى القول بالشركة فأطاعوهم كما يطاع الله أما قوله وخلقهم فاشارة الى الدليل القاطع على ابطال الشريك والضمير فيه اما أن يعود الى الجن أو الى الجاعلين فان عاد الى الجن فان قلنا ان الآية نزلت في المجوس فتقريره أن الاكثرين منهم

أن من شأن الاسماع ادراك الاصوات ومن شأن المتنسم درك الاعراف فمن الوجه الذي فسد أن يقتضي السمع لغير درك الاصوات فسد أن تقتضي الابصار لغير درك الالوان فيقال لهم ألستم لم تعلموا فيما شاهدتم وعاينتم موصوفا بالتدبير والفعل الا ذا لون وقد علمتموه موصوفا بالتدبير لا ذا لون فان قالوا نعم لا يجدون من الاقرار بذلك بدا الا أن يكذبوا فيزعموا أنهم قد رأوا وعاينوا موصوفا بالتدبير والفعل غير ذي لون فيكلفوا بيان ذلك ولا سبيل اليه فيقال لهم فاذ كان ذلك كذلك فما أنكرتم أن تكون الابصار فيما شاهدتم وعاينتم لم تجدوها تدرك الا الالوان كما لم تجدوا أنفسكم تعلم موصوفا بالتدبير الا ذا لون وقد وجدتموها علمته موصوفا بالتدبير غير ذي لون ثم يسألون الفرق بين ذلك فلن يقولوا في أحدهما شيئا الا ألزموا في الآخر مثله ولأهل هذه المقالة مسائل فيها تلبيس كرهنا ذكرها واطالة الكتاب بها وبالجواب عنها اذ لم يكن قصدنا في كتابنا هذا قصد الكشف عن تمويهاتهم بل قصدنا فيه البيان عن تأويل آي الفرقان ولكنا ذكرنا القدر الذي ذكرنا ليعلم الناظر في كتابنا هذا أنهم لا يرجعون من قولهم الا الى ما لبس عليهم الشيطان مما يسهل على أهل الحق البيان عن فساده وأنهم لا يرجعون في قولهم الى آية من التنزيل محكمة ولا رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحة ولا سقيمة فهم في الظلمات يخبطون وفي العمياء يترددون نعوذ بالله من الحيرة والضلالة وأما قوله وهو اللطيف الخبير فانه يقول والله تعالى ذكره الميسر له من ادراك الابصار والمتأتي له من الاحاطة بها رؤية ما يعسر على الابصار من ادراكها اياه واحاطتها به ويتعذر عليها الخبير يقول العليم بخلقه وأبصارهم والسبب الذي له تعذر عليها ادراكه فلطف بقدرته فهيأ أبصار خلقه هيئة لا تدركه وخبر بعلمه كيف تدبيرها وشؤنها وما هو أصلح بخلقه كالذي حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله اللطيف الخبير قال اللطيف باستخراجها الخبير بمكانها ۞ القول في تأويل قوله ﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ وهذا أمر من الله جل ثناؤه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهؤلاء الذين نبههم بهذه الآيات من قوله ان الله فالق الحب والنوى الى قوله وهو اللطيف الخبير على حججه عليهم وعلى تبيين خلقه معهم العادلين به الأوثان والانداد والمكذبين بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم من عند الله قل لهم يا محمد قد جاءكم أيها العادلون بالله والمكذبون رسوله بصائر من ربكم أي ما تبصرون به الهدى من الضلال والايمان من الكفر وهي جمع بصيرة ومنه قول الشاعر

حملوا بصائرهم على أكتافهم * وبصيرتي يعدو بها عتد وأى

يعني بالبصيرة الحجة البينة الظاهرة كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قد جاءكم بصائر من ربكم قال البصائر الهدى بصائر في قلوبهم لدينهم وليست ببصائر الرؤس وقرأ فانها

لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال انما الدين بصره وسمعه في هذا القلب حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قد جاءكم بصائر من ربكم أي بينة وقوله فمن أبصر فلنفسه يقول فمن تبين حجج الله وعرفها وأقر بها وآمن بما دلته عليه من توحيد الله وتصديق رسوله وما جاء به فانما أصاب حظ نفسه ولنفسه عمل واياها بغى الخير ومن عمي فعليها يقول ومن لم يستدل بها ولم يصدق بما دلته عليه من الايمان بالله ورسوله وتنزيله ولكنه عمي عن دلالتها التي تدل عليها يقول فنفسه ضر واليها أساء لا الى غيرها وأما قوله وما أنا عليكم بحفيظ يقول وما أنا عليكم برقيب أحصي عليكم أعمالكم وأفعالكم وانما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به اليكم والله الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ۞ القول في تأويل قوله ﴿وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره كما صرفت لكم أيها الناس الآيات والحجج في هذه السورة وبينتها فعرفتكموها في توحيدي وتصديق رسولي وكتابي ووصيتكم عليها فكذلك أبين لكم آياتي وحججي في كل ما جهلتموه فلم تعرفوه من أمري ونهيي كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وكذلك نصرف الآيات لهؤلاء العادلين بربهم كما صرفتها في هذه السورة ولئلا يقولوا درست واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والكوفة وليقولوا درست يعني قرأت أنت يا محمد بغير ألف وقرأ ذلك جماعة من المتقدمين منهم ابن عباس على اختلاف عنه فيه وغيره وجماعة من التابعين وهو قراءة بعض قراء أهل البصرة وليقولوا دارست بألف بمعنى قارأت وتعلمت من أهل الكتاب وروي عن قتادة انه كان يقرؤه درست بمعنى قرئت وتليت وعن الحسن أنه كان يقرؤه درست بمعنى انمحت * وأولى القراآت في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه وليقولوا درست بتأويل قرأت وتعلمت لان المشركين كذلك كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وقد أخبر الله عن قيلهم ذلك بقوله ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين فهذا خبر من الله ينبئ عنهم أنهم كانوا يقولون انما يتعلم محمد ما يأتيكم به من غيره فاذ كان ذلك كذلك فقراءة وليقولوا درست يا محمد بمعنى تعلمت من أهل الكتاب أشبه بالحق وأولى بالصواب من قراءة من قرأه دارست بمعنى قارأتهم وخاصمتهم وغير ذلك من القراآت واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك على قدر اختلاف القراءة في قراءته فذكر من قرأ ذلك وليقولوا درست من المتقدمين وتأوله بمعنى تعلمت وقرأت حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح قال ثني علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وليقولوا درست قالوا قرأت وتعلمت تقول ذلك قريش حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد وليقولوا درست قال قرأت وتعلمت حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل وافقه عن أبي اسحق عن

التميمي

معترفون بأن ابليس محدث ولو لم يعترفوا بذلك والبرهان العقلي قائم على أن ما سوى الحق الواحد ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فهو محدث فنقول حينئذ كل محدث مخلوق وله خالق وما ذاك الا الله سبحانه وحينئذ يلزمهم نقض قولهم لانه ثبت أن اله الخير قد فعل أعظم الشرور وهو خلق ابليس الذي هو مادة كل شر وان قلنا انها نزلت في كفار العرب القائلين الملائكة بنات الله فظاهر لأنهم يسلمون أن الملائكة مخلوقون وانهم تولدوا منه تولد الولد من الوالد وان عاد

الضمير الى الجاعلين فالمعنى وعلموا ان الله خالقهم دون الجن كقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولم يمنعهم علمهم أن يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق والجملة في موضع الحال أي وقد خلقهم وقرئ وخلقهم بسكون اللام أي اختلاقهم للافك يعني جعلوا الله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله في قولهم والله أمرنا بها ثم حكى عن قوم آخرين نوعا آخر من الاشراك فقال وخرقوا له بنين وبنات وذلك قول أهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة ومن هنا يعلم ضعف قول من قال وجعلوا لله شركاء الجن نزل في كفار قريش لانه يلزم التكرار من غير فائدة ظاهرة يقال خرق الافك وخلقه واخترقه واختلقه بمعنى قال الحسن كلمة عربية كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله أعلم ويجوز أن يكون من خرق الثوب اذا شقه أي اشتقوا له بنين وبنات أما قوله بغير علم فكالتنبيه على ابطال قولهم فان من عرف الاله حق معرفته استحال أن يثبت له ولدا لأن ذلك الولد ان كان واجب الوجود لذاته كان مستقلا بنفسه قائما بذاته لا تعلق له في وجوده بالآخر تعلق الفرعية وان كان ممكن الوجود لذاته كان موجودا بايجاد الواجب وكان عبدا لله لا ولدا وأيضا الولد انما يحتاج اليه ليقوم مقام الوالد بعد فنائه ومن تقدس عن الفناء لم يحتج الى الولد وأيضا الولد جزء من اجزاء الوالد ومن لم يكن مركبا استحال أن ينفصل منه جزء يتولد منه الولد ثم نزه نفسه عما لا يليق به فقال (سبحانه) وهذا على لسان المسبحين (وتعالى عما يصفون) وهذا له في نفسه سواء سبحه مسبح أم لا والمراد بالتعالي العلو بالشرف والرفعة بدليل قوله عما يصفون (التأويل) وما قدروا الله حق قدره حين أنكروا انزال الكتب والبعثة على أنهم لو اعترفوا بذلك أيضا لم يعرفوه حق معرفته لان المحاط لا يحيط بالمحيط

التميمى عن ابن عباس وليقولوا درست قال قرأت وتعلمت حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وليقولوا درست يقول قرأت الكتب حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنى عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله درست يقول تعلمت وقرأت حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن التميمى قال قلت لابن عباس أرأيت قوله درست قال قرأت وتعلمت حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن أبى اسحق عن التميمى عن ابن عباس مثله ذكر من قرأ ذلك دارست وتأوله بمعنى جادلت من المتقدمين حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث عن حميد عن مجاهد عن ابن عباس دارست يقول قارأت حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يقرؤها وليقولوا دارست أحسبه قال قارأت أهل الكتاب حدثنى محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن التميمى عن ابن عباس وليقولوا دارست قال قارأت وتعلمت حدثنا محمد ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت التميمى يقول سألت ابن عباس عن قوله وليقولوا دارست قال قارأت وتعلمت حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن أبى المعلى عن سعيد بن جبير قال كان ابن عباس يقرؤها دارست حدثنا المثنى قال ثنا آدم العسقلانى قال ثنا شعبة قال ثنا أبو المعلى قال سمعت سعيد بن جبير يقول كان ابن عباس يقرأ دارست بالالف بجزم السين ونصب التاء حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال أخبرنى عمرو بن كيسان أن ابن عباس كان يقرأ دارست تلوت خاصمت جادلت حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن كيسان قال ابن عباس فى دارست قال تلوت خاصمت جادلت حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية وليقولوا دارست قال قارأت حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا شعبة قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير أنه قرأ دارست بالالف أيضا منتصبة التاء وقال قارأت حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير أنه قرأ دارست أى ناسخت حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله دارست قال فاقهت قرأت على يهود وقرؤا عليك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وليقولوا دارست قال قارأت قرأت على يهود وقرؤا عليك حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله دارست يعنى أهل الكتاب حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد دارست قال قرأت على يهود وقرؤا عليك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى

نعم تزداد معرفته بازدياد معرفة أوصافه تجعلونه قراطيس أى فى القراطيس وما يجعلونه فى قلوبهم بالتخلق باخلاقه وعلمتم بتعليم محمد صلى الله عليه وآله مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم كقوله و يعلمكم الكتاب والحكمة و يعلمكم مالم تكونوا تعلمون ومن الحكمة ما هو سره الذى يكون تعليمه بسر المتابعة سرا بسر واضمارا باضمار والذى علم النبى هو الله فى خلوة ما سوى الله ولهذا قال قل الله (مبارك) على العوام بان يدعوهم الى ربهم وعلى الخواص بأن يهديهم الى ربهم وعلى خواص الخواص بان يوصلهم الى ربهم و يخلقهم باخلاقه وفى كتاب المحبوب شفاء لما فى القلوب مصدق الذى بين يديه لانه يصدق حقائق جميع ما فى الكتب ولتنذر أم القرى وهى الذرة المودعة فى القلب التى هى المخاطب فى الميثاق وقد دحيت جميع أرض القلب من تحتها ومن حولها من الجوارح والاعضاء والسمع والبصر والفؤاد والصفات والاخلاق بأن يتنوروا بأنواره و ينتفعوا بأسراره و يتخلقوا باخلاقه والذين يؤمنون بالآخرة فيستعملون الأدوات والآلات فى أمور الدنيا والآخرة لا فى الدنيا الفانية وشهوات النفس وهواها يؤمنون بالقرآن وهم على صلاتهم بالترقى من صفاتهم الى التخلق باخلاق القرآن يداومون فان الصلاة معراج المؤمن ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا باظهار المواجد والحالات رياء ومراء من غير أن يكون له منها نصيب أو قال أوحى الى الاشارات ولم يلهم نفسه شيأ منها ومن قال متشدقا متفيهقا سأتكلم بمثل كلام الله من الحقائق والاسرار فتظهر مضرة ظلمه وافترائه عند سكرات الموت وانقطاع تعلق الروح عن البدن واخراج النفس عن القالب كرها لتعلقها بالشهوات واللذات وطلب الرياسات و يكون شدة النزع والهوان بحسب التعلقات ولقد جئتمونا فرادى عن الدنيا وما يتعلق بها أو فرادى عن تعلقات الكونين كما خلقناكم أول مرة فى أول خلقة الروح قبل تعلقه بالقالب وتركتم بالتجريد عن الدنيا وبالتفريد عن الدنيا والآخرة ما خولناكم من تعلق الكونين وراء ظهوركم وما نرى معكم الاعمال والاحوال التى ظننتم انها توصلكم الى الله لقد تقطع بينكم و بينها عند انتهاء سيركم كما انتهى سير جبريل عند سدرة المنتهى وحينئذ لا يصل الى الوحدة الا بجذبة ارجعى الى ربك ولو لم تدركه الجذبة المسندة الى العناية لانقطع عن السير فى الله بالله ونفى السدرة وهو يقول وما منا الا له مقام

معلوم' ان الله فالق حبة الذرة التي أخذ منها الميثاق المودعة في حبة القلب عن نبات المحبة وفالق النوى ذكر لا اله الا الله في أرض القلب عن
شجرة الايمان كلمة طيبة كشجرة طيبة يخرج نبات المحبة التي هي من صفات الحي القيوم من الذرة الميتة الانسانية ومخرج الافعال
الطبيعية التي هي من صفات الكفار الموتى من المؤمن الحق في الدارين وأيضا يخرج نخل الايمان الحق من نوى الحروف الميتة في كلمة
لا اله الا الله ومخرج ميت النفاق من الكلمة الحية وهي لا اله الا الله فالق الاصباح فالق ظلمة الجمادية بصباح
العقل والحياة والرشاد وفالق ظلمة
الجهالة بصباح الفهم والادراك
وفالق ظلمات العالم الجسماني
بتخليص النفس القدسية الى
حضرة عالم الافلاك وفالق ظلمات
الاشتغال بعالم الممكنات بصباح نور
الاستغراق في معرفة مدبر المحدثات
والمبدعات وبالجملة فالق أنوار الروح
عن ظلمة ليل البشرية وجاعل ليل
البشرية سترا عن ضياء شمس الروح
ليسكن فيه النفس الحيوانية
والاوصاف البشرية والشمس والقمر
حسبانا يعني تجلي شمس الروحانية
وطلوع قمر القلب بالحساب لئلا
يفسد أمر القلب والقالب وأيضا
تجلي شمس الربوبية وطلوع قمر
الروحانية لليل البشرية بالحساب
لئلا يفسد أمر الدين والدنيا
على العبد بالتفريط والافراط فان
افراط طلوع شموس المعارف والشهود
آفة أنا الحق وسبحاني وفي تفريطه
آفة أنا ربكم الاعلى وعبادة الهوى
ذلك تقدير العزيز الذي لا يهتدى
اليه الا به العليم بمن يستحق الاهتداء
اليه وهو الذي جعل لكم النجوم
نجوم أنوار الغيوب في سموات القلوب
لتهتدوا بها في ظلمات بر البشرية
وبحر الروحانية الى عالم الربوبية
وهو الذي أنشأ أرواحكم من روح
واحد هو روح محمد صلى الله عليه
وآله أول ما خلق الله روحي كما خلق
أجسادكم من جسد واحد هو
جسد آدم أبي البشر فمن الارواح ما تعلق بالاجساد واستقر وما هو بعد مستودع في عالم الارواح
عن
وأيضا من الارواح ما هو مستقر فيه نور صفة الايمان وما هو مستودع فيه جذبات الحق ومنها ما هو مستقر في أنانيته مع علو رتبته بالبقاء
وما هو مستودع أنانيته بالفناء وما هو مستقر ببقاء الحق باق وما هو مستودع في بقاء البقاء عن الفناء قد فصلنا دلالات الوصول في الوصال
لقوم يفقهون اشارات القلوب وهو الذي أنزل من سماء العناية ماء الهداية فأخرجنا به نبات كل شيء من أنواع المعارف فأخرجنا منه خضرا

قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله وليقولوا دارست قال قالوا دارست أهل الكتاب
وقرأت الكتب وتعلمتها ذكر من قرأ ذلك درست بمعنى نبثت وقرئت على وجه ما لم يسم فاعله
حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا الحسين المعلم وسعيد
عن قتادة وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست أي قرئت وتعلمت حدثنا محمد بن عبد الاعلى
قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال قتادة درست قرئت وفي حرف ابن مسعود درس ذكر
من قرأ ذلك درست بمعنى انمحت وتقادمت أي هذا الذي تتلوه علينا قد مر بنا قديما وتطاولت
مدته حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقرأ
وليقولوا درست أي انمحت حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا شعبة قال ثنا أبو اسحق
الهمداني قال في قراءة ابن مسعود درست بغير ألف بنصب السين ووقف التاء حدثنا الحسن
ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت ابن الزبير
يقول ان صبيانا ههنا يقرؤن دارست وانما هي درست حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا
محمد بن ثور عن معمر قال قال الحسن وليقولوا درست يقول تقادمت وانمحت وقرأ ذلك آخرون
درس من درس الشئ تلاه حدثني أحمد بن يوسف التغلبي قال ثنا أبو عبيدة قال ثنا حجاج
عن هرون قال هي في حرف أبي بن كعب وابن مسعود وليقولوا درس قال يعني النبي صلى الله
عليه وسلم قرأ وانما جاز أن يقال مرة درست ومرة درس فيخاطب مرة ويخبر مرة من أجل
القول وقد بينا أولى هذه القراآت في ذلك بالصواب عندنا والدلالة على صحة ما اخترنا منها وأما
تأويل قوله ولنبينه لقوم يعلمون يقول تعالى ذكره كما صرفنا الآيات والعبر والحجج في هذه
السورة لهؤلاء العادلين بربهم الآلهة والانداد كذلك نصرف لهم الآيات في غيرها كيلا يقولوا
لرسولنا الذي أرسلناه اليهم انما تعلمت ما تأتينا به تتلوه علينا من أهل الكتاب فينزجروا عن
تكذيبهم اياه وتقولهم عليه الافك والزور ولنبين تصريفنا الآيات الحق لقوم يعلمون الحق اذا
تبين لهم فيتبعوه ويقبلوه وليسوا كمن اذا بين لهم عموا عنه فلم يعقلوه وازدادوا من الفهم به بعدا
القول في تأويل قوله ﴿اتبع ما أوحي اليك من ربك لا اله الا هو وأعرض عن المشركين﴾
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم اتبع يا محمد ما أمرك به ربك في وحيه الذي أوحاه
اليك فاعمل به وانزجر عما زجرك عنه فيه ودع ما يدعوك اليه مشركو قومك من عبادة الاوثان
والاصنام فانه لا اله الا هو يقول لا معبود يستحق عليك اخلاص العبادة له الا الله الذي هو فالق
الحب والنوى وفالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا وأعرض عن المشركين
يقول ودع عنك جدالهم وخصومتهم ثم نسخ ذلك جل ثناؤه بقوله في براءة اقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم الآية كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي
ابن أبي طلحة عن ابن أبي عباس أما قوله وأعرض عن المشركين ونحوه مما أمر الله المؤمنين بالعفو

طريا من المعانى والاسرار ونخرج به من الحقائق ما تركب بعضها ببعضها فترتب بعضها على بعض ومن النخل يعنى أصحاب الولايات من طلعها من ثمرات ولايتهم ما هو متدان للطالبين أى منهم من يكون مربيا فينتفع بثمرات ولايته ومنهم من يختار العزلة والانقطاع عن المريدين وجنات يريد أرباب الزهد والتقوى والفتوة الذين لم يبلغوا رتبة الولاية من أعناب الاجتهاد وزيتون الاصول ورمان الفروع مشتبها أى متفقا فى الاصول والفروع وغير متشابه أى مختلفا فيما بين العلماء انظروا الى ثمر الولايات كيف ينتفع به الخواص والعوام وينعه اى الكامل منها ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون بأحوالهم وينتفعون بأقوالهم وأحوالهم وجعلوا لله اشارة الى أنه كما يخرج بماء اللطف من أرض القلوب لاربابها أنواع الكمالات كذلك يخرج بماء القهر من أرض النفوس لاصحابها أنواع الضلالات (بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو وأعرض عن المشركين ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) ۞ القراآت ولم يكن بياء الغيبة قتيبة درست بتاء التأنيث ابن عامر وسهل ويعقوب دارست بتاء الخطاب من المدارسة ابن كثير وابو عمرو والباقون بتاء الخطاب درست من الدرس عدوا على فعول بالضم يعقوب الباقون عدوا على فعل انها اذا جاءت بالكسر ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب وخلف وقتيبة ونصير وأبو بكر وحماد الباقون بالفتح لا تؤمنون بتاء الخطاب ابن عامر وحمزة الباقون على الغيبة * (الوقوف) والارض ط صاحبة ط كل شئ ط لاحتمال الواو الحال والاستئناف عليهم ط ربكم ط لاحتمال الجملة

عن المشركين فانه نسخ ذلك قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أعرض عن هؤلاء المشركين بالله ودع عنك جدالهم وخصومتهم ومسابتهم ولو شاء الله ما أشركوا يقول لو أراد ربك هدايتهم واستنقاذهم من ضلالتهم للطف لهم بتوفيقه اياهم فلم يشركوا به شيأ ولآمنوا بك فاتبعوك وصدقوا ما جئتهم به من الحق من عند ربك وما جعلناك عليهم حفيظا يقول جل ثناؤه وانما بعثتك اليهم رسولا مبلغا ولم نبعثك حافظا عليهم ما هم عاملوه وتحصى ذلك عليهم فان ذلك الينا دونك وما أنت عليهم بوكيل يقول ولست عليهم بقيم تقوم بأرزاقهم وأقواتهم ولا بحفظهم فيما لم يجعل اليك حفظه من أمرهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولو شاء الله ما أشركوا يقول سبحانه لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به ولا تسبوا الذين يدعو المشركون من دون الله من الآلهة والأنداد فيسب المشركون الله جهلا منهم بربهم واعتداء بغير علم كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم قال قالوا يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم فيسبوا الله عدوا بغير علم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كان المسلمون يسبون أوثان الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله أن يستسبوا لربهم فانهم قوم جهلة لا علم لهم بالله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم قال لما حضر أبا طالب الموت قالت قريش انطلقوا بنا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه فانا نستحى أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحرث وأمية وأبى ابنا خلف وعقبة بن أبى معيط وعمرو بن العاص والاسود بن البخترى وبعثوا رجلا منهم يقال له المطلب قالوا استأذن على أبى طالب فأتى أبا طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخول عليك فأذن لهم فدخلوا عليه فقالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه والهه فدعاه فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال له أبو طالب هؤلاء قومك وبنو عمك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تريدون قالوا نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك والهك قال له أبو طالب قد أنصفك قومك فاقبل منهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان

الاستئناف والحال والعامل معنى الاشارة الاهو ط لان قوله خالق بدل من الضمير المستثنى أو خبر ضمير محذوف فاعبدوه ط لاحتمال الواو والحال والاستئناف وكيل ○ لاتدركه الابصار ج لاختلاف الجملتين مع أن الثانية من تمام المقصود يدرك الابصار ط لاحتمال الواو الاستئناف والحال أى يدرك الابصار لطيفا خبيرا الخبير ○ من ربكم ط لابتداء الشرط مع فاء التعقيب فلنفسه ط كذلك مع الواو فعلها ط بحفيظ ○ يعلمون ○ من ربك ط لاحتمال الجملة الحال والاستئناف على أنها جملة معترضة الاهو ط للعطف مع العارض المشركين ○ ماأشركوا ط حفيظا ط للابتداء بالنفى مع اتحاد المعنى بوكيل ○ بغير علم ط يعلمون ○ ليؤمنن بها ط ومايشعركم ط لمن قرأ انها بكسر الالف لايؤمنون ○ يعمهون ○ * (التفسير) لمانبه اجمالا بقوله بغير علم على الدليل الدال على ابطال قول من خرق له بنين وبنات فصل ذلك بقوله بديع السموات والارض الآية والمراد هو بديع السموات ويجوز أن يكون بديع مبتدأ والجملة بعده خبره وتقرير الدليل انكم اما أن تريدوا بكون عيسى ولدا له أنه أحدثه على سبيل الابداع من غير تقدم نطفة ولا أب وحينئذ يلزمكم القول بأنه والد السموات والارض بكونه مبدعا لهما وهذا باطل بالاتفاق واما أن تريدوا به الولادة كما هو المألوف فى الحيوانات وهذا أيضا محال لان تلك الولادة لاتصح الا ممن كانت له صاحبة من جنسه وينفصل منه جزء يحتبس فى رحمها وهذه الاحوال انما تثبت فى حق الجسم الذى يصح عليه الاجتماع والافتراق والحركة والسكون والحد والنهاية والشهوة واللذة وكل ذلك على الله محال وأشار الى هذا بقوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وأيضا الولد بهذا الطريق انما يتصور فى حق من لايقدر على خلق الاشياء دفعة واحدة أما الذى اذا أراد شيأ فانما يقول له كن فيكون فذلك فى حقه مستحيل والى هذا أشار بقوله خلق كل شئ وأيضا هذا الولد لا يكون أزليا والا كان واجبا لذاته غنيا عن غيره فبقى أن يكون حادثا فنقول انه تعالى عالم بكل المعلومات أزلا وأبدا كما قال وهو بكل شئ عليم فان كان قد علم أن له فى تحصيل ذلك الولد كمالا أو نفعا أو لذة لتعلقت ارادته بايجاده فى الازل دفعا لذلك الاحتياج والنقصان فيكون الولد أزليا على تقدير كونه حادثا هذا خلف فتبين أن اله العالم فرد واحد صمد

أعطيتكم هذا هل أنتم معطىّ كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم بالخراج قال أبو جهل نعم وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها فما هى قال قولوا لااله الا الله فأبوا واشمأزوا قال أبو طالب يا ابن أخى قل غيرها فان قومك قد فزعوا منها قال ياعم ما أنا بالذى أقول غيرها حتى يأتوا بالشمس فيضعوها فى يدى ولو أتونى بالشمس فوضعوها فى يدى ما قلت غيرها ارادة أن يؤيسهم فغضبوا وقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا أو لنشتمنك ولنشتمن من يأمرك فذلك قوله فيسبوا الله عدوا بغير علم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيسب الكفار الله عدوا بغير علم فأنزل الله ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فيسبوا الله عدوا بغير علم قال اذا سببت الهه سب الهك فلا تسبوا آلهتهم وأجمعت الامة من قراء الامصار على قراءة ذلك فيسبوا الله عدوا بغير علم بفتح العين وتسكين الدال وتخفيف الواو من قوله عدوا على أنه مصدر من قول القائل عدا فلان على فلان اذا ظلمه واعتدى عليه يعدو عدوا وعدوّا وعدوانا والاعتداء انما هو افتعال من ذلك روى عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك عدوّا مشددة الواو حدثنى بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن هرون عن عثمان بن سعد فيسبوا الله عدّوا مضمومة العين مثقلة وقد ذكر عن بعض البصريين أنه قرأ ذلك فيسبوا الله عدوّا يوجه تأويله الى أنهم جماعة كما قال جل ثناؤه فانهم عدوّ لى الا رب العالمين وكما قال لاتتخذوا عدوّى وعدوّكم أولياء ويجعل نصب العدوّ حينئذ على الحال من ذكر المشركين فى قوله فيسبوا فيكون تأويل الكلام ولاتسبوا أيها المؤمنون الذين يدعو المشركون من دون الله فيسب المشركون الله أعداء الله بغير علم واذا كان التأويل هكذا كان العدوّ من صفة المشركين ونعتهم كأنه قيل فيسب المشركون أعداء الله بغير علم ولكن العدوّ لما خرج مخرج النكرة وهو نعت للمعرفة نصب على الحال * والصواب من القراءة عندى فى ذلك قراءة من قرأ بفتح العين وتخفيف الواو لاجماع الحجة من القراء على قراءة ذلك كذلك وغير جائز خلافها فيما جاءت مجمعة عليه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره كما زينا لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام عبادة الاوثان وطاعة الشيطان بخذلاننا اياهم عن طاعة الرحمن كذلك زينا لكل جماعة اجتمعت على عمل من الاعمال من طاعة الله ومعصيته عملهم الذى هم عليه مجتمعون ثم مرجعهم بعد ذلك ومصيرهم الى ربهم فينبئهم بما كانوا يعملون يقول فيوقفهم ويخبرهم بأعمالهم التى كانوا يعملون بها فى الدنيا ثم يجازيهم بها ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر أو يعفو بفضله ما لم يكن شركا أو كفرا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله ومايشعركم أنها اذا جاءت

لايؤمنون

منزه عن الشريك والنظير والاضداد والانداد والاولاد فلهذا صرح بالنتيجة فقال (ذلكم الله) فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة أى ذلكم الموصوف الجامع لتلك الصفات المقدسة هو الله الى آخره وانما قال ههنا لا اله الا هو خالق كل شئ وفى المؤمن بالعكس لانه وقع ههنا بعد ذكر الشركاء والبنين والبنات فكان رفع الشرك أهم وهنالك وقع بعد ذكر خلق السموات والارض فكان تقديم الخالقية أهم ثم قال (فاعبدوه) وهو مسبب عن مضمون الجملة المتقدمة يعنى أن من استجمعت له هذه الكمالات كان حقيقا بالعبادة (وهو) مع تلك الصفات (على كل شئ وكيل) يحفظه ويرزقه ويراقبه قال فى التفسير الكبير انه سبحانه أقام الدليل على وجود الخالق ثم زيف طريق من أثبت له شريكا وهذا القدر لا يوجب التوحيد المحض لكن للعلماء فى اثبات التوحيد طرق منها أن الدليل قد دل على وجود صانع والزائد على الواحد لم يدل دليل على ثبوته فليس عدد أولى من عدد آخر فيلزم آلهة لا نهاية لها أو القول بعدد معين بلا ترجيح وكلاهما محال فلم يبق الا الاكتفاء بواحد وهو المطلوب ومنها أنا لو قدرنا الهين قادرين على كل المقدورات عالمين بكل المعلومات فكل فعل يفعله أحدهما صار كونه فاعلا لذلك الفعل مانعا للآخر من تحصيل مقدوره وذلك يوجب أن يكون كل واحد يعجز الآخر وهو محال وان كان فى أحدهما عجز ونقص لم يصلح للالهية ومنها أنا لو فرضنا الها ثانيا فكان اما أن يكون الثانى مشاركا للاول فى جميع صفات الكمال أولا وعلى الاول لا بد أن يحصل الامتياز بأمر والا لم يحصل التعدد فذلك المميز ان كان من صفات الكمال لم يكن جميع صفات الكمال مشتركة بينهما وان كان من صفات النقص فالموصوف به لا يصلح للالهية وكذا ان لم يكن الثانى مشاركا للاول فى جميع صفات الكمال فثبت التوحيد بهذه الدلائل مع أن الدليل النقلى فى التوحيد كاف والله أعلم قالت الاشاعرة عموم قوله خالق (٢٠٩) كل شئ يدل على أنه خالق أفعال العباد وقالت المعتزلة انما ذكر هذا الكلام فى معرض المدح ولكنه لا يتمدح بخلق الزنا والكفر واللواط وعورض بالعلم والداعى كما مر مرارا وأيضا احتج كثير من المعتزلة به على نفى الصفات وعلى أن القرآن مخلوق أما الثانى فلان القرآن شئ فيدخل تحت العموم وأما الاول فلان الصفات لو كانت موجودة له تعالى لزم أن تكون مخلوقة له وأجيب بأنكم تخصصون هذا العام بحسب ذاته ضرورة أنه يمتنع أن يكون خالقا لنفسه وبحسب أفعال العباد فنحن أيضا نخصصه بحسب الصفات وبحسب القرآن وأما الفرق بين قوله وخلق كل شئ وقوله خالق كل شئ فذلك لان الاول يتعلق بالزمان الماضى والثانى يتناول الاوقات كلها على سبيل الاستمرار ثم بين أن شيأ من القوى المدركة لا يحيط بحقيقته وأن عقلا من العقول لا يقف على كنه صمديته فقال (لا تدركه الابصار) هذه الآية من مشهورات استدلالات المعتزلة على نفى رؤيته تعالى قالوا الادراك بالبصر عبارة عن الرؤية بدليل أن قول القائل أدركته ببصرى وما رأيته متناقضان ثم ان قوله لا تدركه الابصار يقتضى أنه لا يراه شئ من الابصار فى شئ من الاحوال بدليل صحة الاستثناء وأيضا أنه ذكر الآية فى معرض المدح والثناء وكل ما كان عدمه مدحا ولم يكن ذلك من باب الفعل كان ثبوته نقصا كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم لم يلد ولم يولد فوجب كون الرؤية نقصا فى حقه تعالى وانما قيدوا بما لا يكون من باب الفعل لانه تعالى يتمدح بنفى الظلم عن نفسه فى قوله وما ربك بظلام للعبيد مع أنه تعالى قادر على الظلم عندهم وأجيب بالمنع من أن ادراك البصر عبارة عن الرؤية لانه فى أصل اللغة موضوع للوصول واللحوق ومنه قال أصحاب موسى انا لمدركون أى لملحقون وقوله تعالى حتى اذا أدركه الغرق أى لحقه وأدرك الغلام أى بلغ وأدركت الثمرة اذا نضجت واذ قد ثبت ذلك فنقول الرؤية جنس والادراك أى ادراك البصر رؤية مع الاحاطة ولا يلزم من نفى الخاص نفى العام فلا يلزم من نفى ادراك البصر نفى الرؤية سلمنا أن ادراك البصر عبارة عن الرؤية لكن قوله لا تدركه الابصار لا يفيد الا نفى العموم وأنتم تدعون عموم النفى فأين ذلك من هذا وانما قلنا انه لا يفيد الا نفى العموم لان صيغة الجمع كما تحمل على الاستغراق فقد تحمل على المعهود السابق أيضا فقوله لا تدركه الابصار يفيد أنها لا تدركه فى الدنيا وأنها تدركه اذا تبدلت صفاتها وتغيرت أحوالها فى الآخرة أو نقول قول القائل لا يدركه جميع

لا يؤمنون ﴾ يقول تعالى ذكره وحلف بالله هؤلاء العادلون بالله جهد حلفهم وذلك أوكد ما قدروا عليه من الايمان وأصعبها وأشدها لئن جاءتهم آية يقول قالوا نقسم بالله لئن جاءتنا آية تصدق ما تقول يا محمد مثل الذى جاء من قبلنا من الامم ليؤمنن بها يقول قالوا لنصدقن بمجيئها بك وأنك لله رسول مرسل وأن ما جئتنا به حق من عند الله وقيل ليؤمنن بها فأخرج الخبر عن الآية والمعنى لمجىء الآية يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم قل انما الآيات عند الله وهو القادر على اتيانكم بها دون كل أحد من خلقه وما يشعركم يقول وما يدريكم أنها اذا جاءت لا يؤمنون وذكر أن الذين سألوه الآية من قومه هم الذين آيس الله نبيه من ايمانهم من مشركى قومه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها الى قوله يجهلون سألت قريش محمدا صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآية واستحلفهم ليؤمنن بها حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ثم ذكر مثله

(٢٧ - ابن جرير سابع)

الابصار يفيد سلب العموم ولا يفيد عموم السلب فلم لا يجوز أن يفيد أنه يدركه بعض الابصار كما لو قيل ان محمدا ما آمن به كل الناس فانه يفيد أنه آمن به بعض الناس سلمنا ان الابصار لا تدركه البتة فلم لا يجوز حصول ادراك الله تعالى بحاسة سادسة يخلقها الله تعالى يوم القيامة كما هو مذهب ضرار بن عمرو الكوفي أو نقول سلمنا أن الابصار لا تدركه فلم قلتم ان المبصرين لا يدركونه أما قولهم ان الآية مذكورة في معرض المدح فنقول لو لم يكن الله تعالى جائز الرؤية لما حصل المدح بقوله لا تدركه الابصار وانما يحصل التمدح لو كان بحيث تصح رؤيته ثم انه تعالى يحجب الابصار عن رؤيته لغاية جلاله ونهاية جماله والتحقيق فيه أن النفي المحض والعدم الصرف لا يكون موجبا للمدح والعلم به ضروري بل اذا كان النفي دليلا على حصول صفة ثابتة من صفات المدح قيل ان ذلك النفي يوجب التمدح كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم فانه لا يفيد المدح نظرا الى هذا النفي فان الجماد أيضا لا تأخذه سنة ولا نوم الا أن هذا النفي في حق الباري تعالى يدل على كونه عالما بجميع المعلومات من غير تبدل ولا زوال فقوله لا تدركه الابصار يمتنع أن يفيد المدح الا اذا دل على معنى موجود وذلك ما قلناه من كونه قادرا على حجب الابصار ومنعها عن الاحاطة به فثبت بما ذكرنا أن هذه الآية عليكم لا لكم لانها أفادت أنه تعالى جائز الرؤية بحسب ذاته ثم نقول اذا ثبت ذلك يجب القطع بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة لان القائل قائلان قائل بجواز الرؤية مع أن المؤمنين يرونه وقائل لا يرونه ولا تجوز رؤيته واذا بطل هذا القول يبقى الاول حقا لان القول بجواز رؤيته مع أنه لا يراه أحد قول لم يقل به أحد وهذا استدلال لطيف ثم ان القاضي استدل ههنا على نفي الرؤية بوجوه أخر خارجة عن التفسير لائقة بالاصول فأولها أن الحاسة اذا كانت سليمة وكان المرئي حاضرا وكانت الشرائط المعتبرة حاصلة وهو أن لا يحصل القرب القريب والبعد البعيد وارتفع الحجاب وكان المرئي مقابلا أو في حكم المقابل فانه يجب حصول

الرؤية والا لجاز أن يكون بحضرتنا بوقات وطبول ونحن لا نسمعها ولا نراها وهذا يوجب السفسطة اذا ثبت هذا فنقول القرب القريب والبعد البعيد والحجاب والمقابلة في حقه تعالى ممتنع فلو صحت رؤيته كان المقتضي لحصول تلك الرؤية سلامة الحاسة وكون المرئي بحيث يصح رؤيته وهذان المعنيان حاصلان في هذا الوقت فوجب أن تحصل رؤيته وحيث لم تحصل علمنا أن رؤيته ممتنعة في نفسها وأجيب بأن ذاته تعالى مخالفة لسائر الذوات ولا يلزم من ثبوت حكم لشئ ثبوت مثله فيما يخالفه وثانيها لو صحت مجيئها رؤيته لأهل الجنة لرآه أهل النار أيضا لأن القرب والبعد والحجاب ممتنع في حقه تعالى وأجيب بأنه لم لا يجوز أن يخلق الله تعالى الرؤية في عيون أهل الجنة ولا يخلقها في عيون أهل النار وثالثها أن كل ما كان مرئيا كان مقابلا أو في حكم المقابل والله تعالى منزه عن ذلك وأجيب بمنع الكلية وبأنه اعادة لعين الدعوى لأن النزاع واقع في أن الموجود الذي لا يكون مختصا بمكان وجهة هل يجوز رؤيته أم لا ورابعها أن أهل الجنة يلزم أن يروه في كل حال حتى عند الجماع لأن القرب والبعد عليه تعالى محال ولأن رؤيته أعظم اللذات وفوات ذلك يوجب الغم والحزن وذلك لا يليق بحال أهل الجنة وأجيب بأنهم لعلهم يشتهون الرؤية في حال دون حال كسائر الملاذ والمنافع ﴿في تعديد الوجوه الدالة على جواز الرؤية﴾ منها هذه الآية كما بينا ومنها أن موسى عليه السلام طلب الرؤية فدل ذلك على جوازها ومنها أنه تعالى علق الرؤية على استقرار الجبل والمعلق على الجائز جائز ومنها قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قد اتفق الجمهور على أن النبي صلى الله عليه وآله فسر الحسنى بالجنة والزيادة بالرؤية ومنها قوله فمن كان يرجو لقاء ربه ونحو ذلك من الآيات الدالة على اللقاء ومنها قوله كانت لهم جنات الفردوس نزلا والاقتصار على النزل لا يجوز فالزائد على جنات الفردوس لا يكون الا اللقاء ومنها قوله ولقد رآه نزلة أخرى وسوف يأتي في سورة النجم ان شاء الله تعالى ومنها قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ومنها قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فيكون المؤمنون غير محجوبين ومنها قوله فيها ما تشتهيه الأنفس ولا شك أن القلوب الصافية مجبولة على حب معرفة الله على أكمل الوجوه وأكمل طرق المعرفة هو العيان ومنها قوله واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا فمن

حدثنا هناد قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي قال كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش فقالوا يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة فأتنا بشئ من الآيات حتى نصدقك فقال النبي صلى الله عليه وسلم أي شئ تحبون أن آتيكم به قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا فقال لهم فان فعلت تصدقوني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعون فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فجاءه جبريل عليه السلام فقال لك ما شئت ان شئت أصبح ذهبا ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك لنعذبنهم وان شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم فقال بل يتوب تائبهم فأنزل الله تعالى وأقسموا بالله الى قوله يجهلون ۞ القول في تأويل قوله ﴿وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون﴾ اختلف أهل التأويل في المخاطبين بقوله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون فقال بعضهم خوطب بقوله وما يشعركم المشركون المقسمون بالله لئن جاءتهم آية ليؤمنن وانتهى الخبر عند قوله وما يشعركم ثم استؤنف الحكم عليهم بأنهم لا يؤمنون عند

قرأ بفتح الميم وكسر اللام وأما الأخبار فكثيرة منها الحديث المشهور انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته والمراد
تشبيه الرؤية بالرؤية في الجلاء والوضوح لا تشبيه المرئي بالمرئي ومنها أن الصحابة اختلفوا في أن النبي صلى الله عليه وآله هل رأى الله تعالى
ليلة المعراج ولم يكفر بعضهم بعضا بهذا السبب فدل ذلك على أنهم كانوا مجمعين على امكان الرؤية أما قوله تعالى (وهو يدرك
الابصار) ففيه دليل على أنه سبحانه مبصر للمبصرات راء للمرئيات مطلع على باطنها وظاهرها عليم بعوارضها وذاتياتها ثم قال (وهو اللطيف الخبير)
وليس المراد باللطافة ضد الكثافة وهو رقة القوام فان ذلك من صفات الاجسام بل المراد لطف صنعه في تركيب أبدان الحيوانات من
الاجزاء الدقيقة والأغشية الرقيقة والمنافذ الضيقة التي لا يعلمها الا مبدعها أو المراد أنه لطيف في الانعام والرحمة لا يأمرهم فوق
طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم أو الغرض أنه يثني عليهم بالطاعة ولا يقطع مواد احسانه عنهم بالمعصية أو المراد أنه يلطف عن أن
يدركه الأبصار الخبير بكل لطيف ولا يلطف شيء عن ادراكه ثم عاد الى تقرير أمر الدعوة والرسالة فقال (قد جاءكم بصائر) أي
موجباتها والبصيرة للقلب بمنزلة البصر للعين (فمن أبصر) الحق وآمن (فلنفسه) أبصر واياها نفع (ومن عمي) عنه فعلى نفسه عمي
واياها ضر قالت المعتزلة فيه تصريح بأن العبد يتمكن من الامرين الفعل والترك وعورض بالعلم والداعي (وما أنا عليكم بحفيظ) أحفظ
أعمالكم وأجازيكم عليها انما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم ثم حكى شبه المنكرين بقوله (وكذلك) أي مثل ذلك التقرير
البليغ (نصرف الآيات) نأتي بها متواترة حالا بعد حال (وليقولوا) عطف على محذوف أي لتلزمهم الحجة وليقولوا أو متعلق (٣) بما بعده
أي وليقولوا درست نصرفها ومعنى (درست) قرأت وتعلمت من الدرس ومن قرأ دارست أي قرأت على اليهود

وقرؤا عليك وجرت بينك وبينهم مدارسة ومذاكرة وأما قراءة ابن عامر درست فهي من الدروس بمعنى أن هذه الآيات قد درست وعفت أي هذه الاخبار التي تلوتها علينا من جملة أساطير القرون الخالية قالت العلماء التركيب يدل على التذليل والتليين لان من درس الكتاب فقد ذلله بكثرة القراءة ومنه قيل للثوب الخلق دريس لانه قد بلي فكأنه تعالى ذكر الوجه الذي لاجله صرف الآيات وهو أمران أحدهما قوله وليقولوا دارست والثاني قوله ولنبينه

مجيئها استئنافا مبتدأ ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا
عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وما يشعركم قال ما يدريكم قال ثم أخبر عنهم أنهم
لا يؤمنون حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد
وما يشعركم وما يدريكم انها اذا جاءت قال أوجب عليهم أنها اذا جاءت لا يؤمنون حدثني المثنى
قال ثنا اسحق قال سمعت عبد الله بن يزيد يقول انما الآيات عند الله ثم يستأنف فيقول انها اذا
جاءت لا يؤمنون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد
قوله انما الآيات عند الله وما يشعركم وما يدريكم أنكم تؤمنون اذا جاءت ثم استقبل يخبر عنهم فقال
اذا جاءت لا يؤمنون وعلى هذا التأويل قراءة من قرأ ذلك بكسر ألف انها على أن قوله انها اذا جاءت
لا يؤمنون خبر مبتدأ منقطع عن الاول وممن قرأ ذلك كذلك بعض قراء المكيين والبصريين * وقال
آخرون منهم بل ذلك خطاب من الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه قالوا وذلك أن الذين سألوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بآية المؤمنون به قالوا وانما كان سبب مسألتهم اياه ذلك أن المشركين

أما الثاني فلا اشكال فيه لانه بين أن الحكمة في هذا التصريف أن يظهر منه البيان والعلم والضمير في لنبينه للآيات لانها في معنى القرآن أو يعود
الى القرآن وان لم يجر له ذكر للعلم به أو الى التبيين الذي هو مصدر الفعل نحو ضربته زيدا أي ضربت الضرب زيدا وأما الاول فقد أورد عليه
ان قولهم للرسول دارست كفر منهم بالقرآن والرسول وعلى هذا فتعود مسئلة الجبر والقدر أما الاشاعرة فأجروا الكلام على ظاهره وقالوا معناه
انا ذكرنا هذه الدلائل حالا بعد حال ليقول بعضهم دارست فيزدادوا كفرا على كفر ونبينه لبعض فيزدادوا ايمانا على ايمان كقوله يضل به كثيرا
ويهدي به كثيرا وأما المعتزلة فقال الجبائي منهم والقاضي ان هذا الاثبات محمول على النفي والتقدير نصرف الآيات لئلا يقولوا كقوله يبين الله
لكم أن تضلوا أي لئلا تضلوا أو المراد لام العاقبة وزيف بأن حمل الاثبات على النفي تحريف لكلام الله وفتح هذا الباب يخرج الكتاب عن
أن يكون حجة وأيضا انه مناف للمقصود لان انزال الآيات نجما فنجما هو الذي أوقع الشبهة للقوم في أن محمدا صلى الله عليه وسلم انما أتى بالقرآن
على سبيل المدارسة والمذاكرة مع أقوام آخرين ولهذا كانوا يقولون لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فالجواب الذي ذكره انما يصح لو كان
التصريف علة لأن يمتنعوا من هذا القول لكنه موجب له فسقط كلامهم وأيضا حمل اللام على لام العاقبة مجاز وحمل الكلام على الحقيقة
أولى ثم انه لما حكى عن الكفار أنهم نسبوه في شأن القرآن الى الافتراء والى انه دارس أقواما واستفاد هذه العلوم منهم ثم نظمها قرآنا وادعى
انه نزل عليه من الله أتبعه قوله (اتبع ما أوحي اليك من ربك) لئلا يصير ذلك القول سببا لفتوره في تبليغ الدعوة والرسالة والمقصود تقوية قلبه
وازالة الحزن الذي يعتريه بسماع تلك الشبهة ونبه بالجملة المعترضة أو الحال المؤكدة وهي قوله (لا اله الا هو) على انه سبحانه لما كان واحدا في الالهية
فانه يجب طاعته ولا يجوز الاعراض عن تكاليفه بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزائغين ثم ختم الآية بقوله (وأعرض عن المشركين) وحمله

بعضهم على أنها منسوخة بآية القتال وضعف بأن المراد واترك مقابلتهم فيما يأتونه من سفه وأن يعدل صلوات الله عليه الى الطريق الذى يكون أقرب الى القبول وأبعد عن التنفير والتغيظ (ولوشاء الله ما أشركوا) مذهب الاشاعرة فيه ظاهر وحمله المعتزلة على مشيئة الالجاء والقسر وأجيب بعد المعارضة بالعلم والداعى بأن الايمان الاختيارى هب أنه أنفع وأفضل من الايمان القهرى الا انه تعالى لما علم أن ذلك لا يقع ولا يحصل فقد كان يجب فى حكمته ان يخلق الله فيه الايمان القهرى كى يخلص من العقاب وان لم يجب له الثواب كما ان الاب المشفق اذا علم ان ابنه لا يحسن الغوص يقول له اترك الغوص فى البحر ولا تطلب اللآلئ فانك لا تجدها واكتف بالرزق القليل مع السلامة فأما أن يأمره بالغوص فى البحر مع اليقين التام بأنه لا يستفيد منه الا الهلاك فان ذلك من الرحمة والشفقة بمعزل ثم ختم الكلام بما يكمل به بصيرة الرسول صلى الله عليه وآله وذلك أنه بين له قدر ما جعل اليه فذكر أنه ما جعله حفيظا ولا وكيلا عليهم وانما فوض اليه الابلاغ والانذار ثم انهم لما نسبوا الرسول صلى الله عليه وسلم الى أنه جمع القرآن بطريق المدارسة وكان لا يبعد أن يغضب له المسلمون لسبب ذلك فيسبوا آلهتهم نهى الله تعالى عن ذلك فقال (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) وذلك ان المسلمين اذا شتموا آلهتهم فربما غضبوا وذكروا الله بما لا ينبغى من القول وفيه تنبيه على أن خصمك اذا شافهك بجهل وسفاهة لم يجز لك أن تقدم على مشافهته بما يجرى مجرى كلامه فان ذلك يوجب فتح باب المشاتمة والمسافهة وانه لا يليق بالعقلاء قال ابن عباس لما نزل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون لئن لم تنته عن سب آلهتنا وعيبها لنهجون الهك فنزلت وقال السدى لما حضر أباطالب الوفاة قالت قريش انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه فانا نستحيي أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق أبوسفيان وأبو جهل والنضر بن الحرث وأمية وأبى ابنا خلف وعقبة ابن أبى معيط وعمرو بن العاص والاسود بن البخترى الى أبى طالب فقالوا أنت كبيرنا وسيدنا وان محمدا آذانا وآذى آلهتنا فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه والهه فدعاه فجاء النبى صلى الله عليه وآله فقال له أبوطالب هؤلاء قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا تريدون قالوا نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك والهك فقال أبوطالب قد أنصفك قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان أعطيتكم هذا هل أنتم معطى كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم قال أبو جهل نعم وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها فما هى قال قولوا لا اله الا الله فأبوا واشمأزوا فقال أبو طالب قل غيرها يا ابن أخى فان قومك قد فزعوا منها فقال يا عم ما أنا بالذى أقول غيرها ولو أتونى بالشمس فوضعوها فى يدى ما قلت غيرها فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا أو لنشتمنك ولنشتمن من يأمرك فأنزل الله تعالى هذه الآية قالت العلماء ان القوم كانوا مقرين بوجود الاله تعالى فكيف يتصور اقدامهم على شتم الله وأجيب بأنه ربما كان بعضهم قائلا بالدهر ونفى الصانع فما كان يبالى هذا النوع من السفاهة أو لعل مرادهم شتم الرسول صلى الله عليه وآله فأجرى الله تعالى شتمه مجرى شتم الله كما فى قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله أو لعلهم من جهالتهم اعتقدوا أن الشيطان يحمله على ادعاء الرسالة ثم انهم سموا ذلك الشيطان بأنه اله محمد صلى الله عليه وآله وههنا سؤال وهو أن شتم الاصنام من أصول الطاعات فكيف يحسن من الله تعالى أن ينهى عنه والجواب أن هذا الشتم وان كان طاعة الا انه اذا وقع على وجه يستلزم منكرا وجب الاحتراز عنه لان هذا الشتم كان يستلزم اقدامهم على شتم الله سبحانه وشتم رسوله وفتح باب السفاهة ويقتضى تنفيرهم عن قبول الدين وادخال الغيظ والغضب فى قلوبهم وفيه أن الامر بالمعروف قد يقبح اذا أدى الى ارتكاب منكر والنهى عن المنكر يقبح اذا أدى الى زيادة منكر وغلبة الظن قائمة مقام اليقين فى هذا الباب وفيه تأديب لمن يدعو الى الدين كيلا يتشاغل بما لا يفيد فى المطلوب فان وصف الاوثان بأنها جمادات لا تنفع ولا تضر يكفى فى القدح فى الهيتها فلا حاجة مع ذلك الى شتمها يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء اذا ظلم ظلما يتجاوز القدر قال الزجاج عدوا منصوب على المصدر لان المعنى فيعدو عدوا وقرئ عدوا بفتح العين والتشديد أى فى حال كونهم

حلفوا أن الآية اذا جاءت آمنوا واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سل يا رسول الله ربك ذلك فسأل فأنزل الله فيهم وفى مسألتهم اياه ذلك قل للمؤمنين بك يا محمد انما الآيات عند الله وما يشعركم أيها المؤمنون بأن الآيات اذا جاءت هؤلاء المشركين بالله أنهم لا يؤمنون به ففتحوا الالف من أن وممن قرأ ذلك كذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة وقالوا أدخلت لا فى قوله لا يؤمنون صلة كما أدخلت فى قوله ما منعك ألا تسجد وفى قوله وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون وانما المعنى وحرام عليهم أن يرجعوا وما منعك أن تسجد وقد تأول قوم قرؤا ذلك بفتح الالف من أنها بمعنى لعلها وذكروا أن ذلك كذلك فى قراءة أبى بن كعب وقد ذكر عن العرب سماعا منها اذهب الى السوق أنك تشترى لى شيأ بمعنى لعلك تشترى وقد قيل ان قول عدى بن زيد العبادى

أعاذل ما يدريك أن منيتى * الى ساعة فى اليوم أو فى ضحى الغد

بمعنى لعل منيتى وقد أنشدونى بيت دريد بن الصمة

ذرينى .

أعداء ومعى (بغيرعلم) على جهالة بالله و بما يجب أن يذكر به (وكذلك) أى مثل ذلك التزيين (زينا لكل أمة عملهم) قالت الاشاعرة فيه دلالة على أنه تعالى هو الذى زين للكافر الكفر وللمؤمن الايمان وللعاصى المعصية وزيفه الكعبى بقوله تعالى وزين لهم الشيطان أعمالهم و بقوله والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت فاذا المراد أنه تعالى زين لهم ما ينبغى لهم أن يعملوا وهم لا يفقهون أو المراد زينا لكل أمة من أمم الكفار عملهم أى خليناهم وشأنهم وأمهلناهم حتى حسن عندهم سوء عملهم أو أمهلنا الشيطان حتى زين لهم أو زينا فى زعمهم وقولهم ان الله أمرنا بهذا أو زينه لنا وضعف بعد المعارضة بالعلم وخالق الداعى بأن قوله تعالى كذلك زينا بعد قوله فيسبوا الله مشعر بأن اقدامهم على ذلك المنكر انما كان بتزيين الله تعالى وأيضا الانسان لا يختار الكفر والجهل ابتداء مع العلم بكونه كفرا وجهلا والعلم بذلك ضرورى بل انما يختاره لانه اعتقد كونه ايمانا وعلما وحقا وصدقا ولولا سابقة الجهل الاول لما اختار الجهل الثانى ولا تذهب الجهالات الى غير النهاية فلابد أن ينتهى الى جهل أول يخلقه الله تعالى فيه وهو بسبب ذلك الجهل ظن الكفر ايمانا والجهل علما قال (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) والغرض حكاية شبهة أخرى لهم وهى أن هذا القرآن كيفما كان أمره فليس من جنس المعجزات البتة ولو أنك يا محمد جئتنا بمعجزة باهرة و بينة قاهرة لآمنا بك وأكدوا هذا المعنى بالأيمان والأقسام قال الواحدى انما سمى اليمين بالقسم لان اليمين موضوعة لتوكيد الخبر وكانت الحاجة الى ذكر الحلف عند انقسام الناس وقت سماع الخبر الى مصدق ومكذب فمعنى الاقسام ازالة القسمة وجعل الناس كلهم مصدقين بواسطة الحلف واليمين عن محمد بن كعب قال كلمت رسول الله صلى الله عليه وآله قريش فقالوا يا محمد تخبرنا أن موسى كانت معه عصا فضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وأن عيسى كان يحيى الموتى وأن صالحا كانت له ناقة فأتنا ببعض تلك الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى شئ تحبون أن آتيكم به قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا قال فان فعلت تصدقونى قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعون فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فجاءه جبريل عليه السلام فقال ان شئت أصبح الصفا ذهبا ولكن لم أرسل بآية فلم يصدق بها الا أنزلت العذاب وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتركهم حتى يتوب تائبهم وأنزل الله الآيات الى قوله ولكن أكثرهم يجهلون قال الكلبى ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه وقال الزجاج معناه بالغوا فى الأيمان والمراد بقوله (لئن جاءتهم آية) ما رويناه من جعل الصفا ذهبا وقيل هى الاشياء المذكورة فى قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الآيات وقيل كان النبى صلى الله عليه وآله يخبرهم بأن عذاب الاستئصال كان ينزل بالامم المتقدمين المكذبين فالمشركون طلبوا مثلها (قل انما الآيات عند الله) أى هو مختص بالقدرة على أمثال هذه الآيات لان المعجزات لا تحصل الا بتخليق الله تعالى أو المراد بالعندية هو العلم بأن احداث هذه المعجزات هل يقتضى ايمانهم أم لا كقوله وعنده مفاتح الغيب أو المراد انها وان كانت معدومة فى الحال الا أنه تعالى متى شاء أحدثها وليس لكم أن تتحكموا فى طلبها كقوله وان من شئ الا عندنا خزائنه (وما يشعركم) ما استفهام والجملة خبره ثم من قرأ انها بكسر الهمزة على الابتداء وهى القراءة الجيدة فالتقدير وما يشعركم ما يكون منهم ثم ابتدأ فقال (انها اذا جاءت لا يؤمنون) وأما قراءة الفتح فقال سيبويه سألت الخليل عن ذلك فقال لا تحسن لانها تصير عذر الكفار لان معنى قول القائل ما يدريك انه لا يفعل هو انه يفعل فمعنى الآية أنها اذا جاءت آمنوا وذلك يوجب مجىء هذه الآيات و يصير هذا الكلام عذرا لهم فى طلبها لكن القراءة لما كانت متواترة فلا جرم ذكر العلماء فيه وجوها قال الخليل أن بمعنى لعل تقول العرب ائت السوق أنك تشترى لنا شيأ أى لعلك و يقوى هذا الوجه قراءة أبى لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وثانيها أن تجعل لا صلة كما فى قوله ما منعك أن لا تسجد وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون وثالثها أن المؤمنين كانوا يطمعون فى ايمانهم اذا جاءت تلك الآية و يتمنون مجيئها فقال الله وما يدريكم أيها المؤمنون أنهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق به علمى من أنهم لا يؤمنون وأما من قرأ لا تؤمنون بتاء الخطاب فالمراد وما يشعركم أيها الكفار قال القاضى والجبائى

ذرينى أطوف فى البلاد لأننى ❊ أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا

بمعنى لعلنى والذى أنشدنى أصحابنا عن الفراء لعلنى أرى ما ترين وقد أنشد أيضا بيت توبة ابن الحمير

لعلك يا تيسا نزا فى مريرة ❊ معذب ليلى أن ترانى أزورها

لهنك يا تيسا بمعنى لأنك التى فى معنى لعلك وأنشد بيت أبى النجم العجلى

(١) قلت لشيبان ادن من لقائه ❊ أنا نغدى القوم من سرائه

يعنى لعلنا نغدى القوم وأولى التأويلات فى ذلك بتأويل الآية قول من قال ذلك خطاب من الله للمؤمنين به من أصحاب رسوله أعنى قوله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون وأن قوله أنها بمعنى لعلها وانما كان ذلك أولى تأويلاته بالصواب لاستفاضة القراءة فى قراء الامصار بالياء من قوله لا يؤمنون ولو كان قوله وما يشعركم خطابا للمشركين لكانت القراءة فى قوله لا يؤمنون بالتاء وذلك وان كان قد قرأه بعض قراء المكيين كذلك فقراءة خارجة عما عليه قراء الامصار وكفى

(١) لم نعثر على هذا البيت ولعل سرائه محرف عن شوائه وحرر

في الآية دلالة على أنه تعالى يجب أن يفعل كل ما في مقدوره من الألطاف اذ لو كان في المعلوم لطف يؤمنون عنده ثم انه لا يفعل ذلك لم يكن
لتعليل ترك الاجابة بأنهم لا يؤمنون وجه وأيضا لو كان الايمان بخلق الله تعالى ولم يكن لفعل الالطاف أثر في حمل المكلف على الطاعات لم يكن
لاظهار تلك المعجزات أثر وأجيب بأن تأثير المعجزات عندهم مبني على وجوب اللطف فلو أثبت اللطف به لزم الدور وبأن الآية التي بعد هذه
وهي قوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم تدل على أن الكفر والايمان بقضاء الله وقدره ومعنى تقليب الافئدة والابصار هو أنهم اذا جاءتهم
الآيات القاهرة التي اقترحوها عرفوا كيفية دلالتها على صدق الرسول الا أنه تعالى اذا قلب قلوبهم وأبصارهم عن ذلك الوجه الصحيح بقوا
على الكفر ولم ينتفعوا بتلك الآيات والتقليب تحريك الشيء عن وجهه وكان صلى الله عليه وآله يقول يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي
على دينك والمراد أنه تعالى يقلب القلوب تارة من داعي الخير الى داعي الشر وبالعكس وانما قدم ذكر تقليب الافئدة على تقليب الابصار لأن
موضع الدواعي والصوارف هو القلب فاذا حصلت الداعية في القلب انصرف البصر عنه والحاصل ان السمع والبصر

بخلاف جميعهم لها دليلا على ذهابها وشذوذها وانما معنى الكلام وما يدريكم أيها المؤمنون لعل
الآيات اذا جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون فيعاجلوا بالنقمة والعذاب عند ذلك ولا يؤخروا به
۞ القول في تأويل قوله ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ قال أبو
جعفر اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك لو أنا جئناهم بآية كما سألوا
ما آمنوا كما لم يؤمنوا بما قبلها أول مرة لان الله حال بينهم وبين ذلك ذكر من قال ذلك حدثني
محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ونقلب
أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة الآية قال لما جحد المشركون ما أنزل الله لم تثبت
قلوبهم على شيء وردت عن كل أمر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن
زيد في قوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم قال نمنعهم من ذلك كما فعلنا بهم أول مرة وقرأ كما
لم يؤمنوا به أول مرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن
مجاهد ونقلب أفئدتهم وأبصارهم قال نحول بينهم وبين الايمان ولو جاءتهم كل آية فلا يؤمنون
كما حلنا بينهم وبين الايمان أول مرة ۞ وقال آخرون معنى ذلك ونقلب أفئدتهم وأبصارهم
لو ردوا من الآخرة الى الدنيا فلا يؤمنون كما فعلنا بهم ذلك فلم يؤمنوا في الدنيا قالوا وذلك نظير قوله
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال
ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال أخبر الله سبحانه ما العباد قائلون
قبل أن يقولوه وعملهم قبل أن يعملوه قال ولا ينبئك مثل خبير أن تقول نفس يا حسرتا على
ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين
أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين يقول من المهتدين فاخبر الله
سبحانه أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقال ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم
يؤمنوا به أول مرة قال لو ردوا الى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى كما حلنا بينهم وبينه أول
مرة وهم في الدنيا ۞ وأولى التأويلات في ذلك عندي بالصواب أن يقال ان الله جل ثناؤه أخبر
عن هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها أنه يقلب أفئدتهم
وأبصارهم ويصرفها كيف شاء وأن ذلك بيده يقيمه اذا شاء ويزيغه اذا أراد وان قوله كما لم يؤمنوا

التابان للقلب فلهذا السبب وقع
الابتداء بتقليب القلب قال
الجبائي المراد ونقلب أفئدتهم
وأبصارهم في جهنم على لهب النار
وحرها لتعذيبهم وزيف بأن قوله
ونذرهم انما يحصل في الدنيا وهذا
يستلزم سوء النظم وقال الكعبي
المراد ونقلب أفئدتهم وأبصارهم
بأنا لا نفعل بهم ما نفعل بالمؤمنين
من الفوائد والالطاف حيث أخرجوا
أنفسهم عن هذا الحد بسبب
كفرهم وضعف بأنه انما استحق
الحرمان من تلك الالطاف والفوائد
بسبب اقدامه على الكفر وهو الذي
أوقع نفسه في ذلك الحرمان فكيف
يحسن اضافته الى الله تعالى في قوله
ونقلب وقال القاضي القلب باق
على حالة واحدة الا أنه تعالى أدخل
التقليب والتبديل في الدلائل
واعترض بأن تقليب القلب
نقله من صفة الى صفة ومن حالة
الى حالة أما قوله (كما لم يؤمنوا به
أول مرة) فقال الواحدي فيه حذف
والتقدير ولا يؤمنون بهذه الآيات
كما لم يؤمنوا بظهور الآيات أول مرة يعني أول مرة أتتهم الآيات مثل انشقاق القمر وغيره والكناية في به
اما عائدة الى القرآن أو الى محمد صلى الله عليه وآله أو الى ما طلبوا من الآيات وقيل الكاف للجزاء أي كما لم يؤمنوا أول مرة فكذلك نقلب
أفئدتهم وأبصارهم عقوبة لهم قال الجبائي ونذرهم أي لا نحول بينهم وبين اختيارهم ولا نمنعهم بمعاجلة الهلاك وغيره لكننا نمهلهم
وان أقاموا على طغيانهم فذلك من قبلهم وانه يوجب تأكيد الحجة عليهم وقالت الاشاعرة نقلب أفئدتهم من الحق الى الباطل ونتركهم في ذلك
الطغيان والضلال والعمى ۞ التأويل قد جاءكم بصائر دلالات السعادات الباقية فمن أبصرها بنظر البصيرة فاشتغل بتحصيلها وأقبل على
الله لسلوك سبيلها فذلك تحصيل لنفسه فان الله غني عن العالمين ومن عمي فبالعكس ولا تسبوا الذين يدعون لا تخاطبوا أهل الضلال على

به أول مرة دليل على محذوف من الكلام وأن قوله كما تشبيه ما بعده بشيء قبله واذ كان ذلك كذلك فالواجب أن يكون معنى الكلام ونقلب أفئدتهم فنزيغها عن الايمان وأبصارهم عن رؤية الحق ومعرفة موضع الحجة وان جاءتهم الآية التي سألوها فلا يؤمنوا بالله ورسوله وما جاء به من عند الله كما لم يؤمنوا بتقليبنا اياها قبل مجيئها مرة قبل ذلك واذا كان ذلك تأويله كانت الهاء من قوله كما لم يؤمنوا به كناية ذكر التقليب ۞ القول في تأويل قوله ﴿ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ يقول تعالى ذكره ونذر هؤلاء المشركين الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها عند مجيئها في تمردهم على الله واعتدائهم في حدوده يترددون لا يهتدون لحق ولا يبصرون صوابا قد غلب عليهم الخذلان واستحوذ عليهم الشيطان

*﴿تم الجزء السابع من ﴿جامع البيان في تفسير القرآن﴾ للامام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ● ويليه الجزء الثامن أوله ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة﴾

مواجب نوازع النفس والطبيعة فحملهم ذلك على ترك الاجلال واظهار الضلال بل خاطبوهم بلسان الحجة والتزام المحجة ونفي الشبهة وأقسموا بالله حسبوا أن البرهان يوجب الايمان ولم يعلموا أنهم مقهورون تحت حكم السلطان وما يغني وضوح الأدلة لمن لم تدركه سوابق الرحمة ونقلب أفئدتهم عن الآخرة الى الدنيا وأبصارهم عن شواهد المولى الى مشاهدة النفس والهوى كما أنهم لم يؤمنوا يوم الميثاق اذ قلت ألست بربكم قالوا بلى